

نظامی الکجوی

شاعر الفضيلة
عصره وبيئته وشعره

تأليف
دكتور عبد الغني محمد حسين
مدرس بكلية الآداب - جامعة ابراهيم

الطبعة الأولى

١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م

الثنى ٨٠

المطبعة كسبة النجاشي
ص.ب. ١٣٧٥

اهداءات ٢٠٠٢

أسرة د/ محمد الرحمن بدوي

د/ محمد الرحمن بدوي للإبداع الثقافي

القاهرة

نظامی الکجوی

شاعر الفضيلة
عصره وبيئته وشعره

تأليف
دكتور عبد الغني محمد حسين
مدرس بكلية الآداب - جامعة ابراهيم

الطبعة الأولى

١٩٥٤ - ١٣٧٣ هـ

المطبعة مكتبه الخافى
ص. ١٣٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم هست کلید درکنج حکیم
نظامی الکنجوی
(البيت الأول من غزن الأسرار)

إهداء

إلى روح والدى العزيز

إليك . . يامن غرست فى نفسى حب العلم والحلق الفاضل .

إليك . . يامن علمتني أن العلم لا قيمة له بدون الأخلاق ، وأن طلبه يجب أن يكون من المهد إلى اللحد ، وأن للمرء لا يزال عالماً حتى يظن أنه قد علم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

إليك . . يامن لتقتني أن الكرامة هي أتمنى شيء فى الوجود ، وأن الحياة يجب أن تقوم على المبادئ السليمة ، والثلل الرفيعة ، لا على الأغراض والأهواء . . فيكون أساسها الحلق الفاضل للنظيف ، والجد والاستقامة وإنكار الذات ، والإخلاص ويقظة الضمير ، والمحبة والتعاون .

إليك . . يامن جعلتني أومن بأن الزبد يذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . . وبأن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى أن تقوم الساعة .

إلى رومك يا والدى . . أقدم هذا الكتاب فإنه الثمرة الأولى لفرسك . . وإنى لأدعو الله أن يطيب ثراك ، ويعمل الجنة مأواك . كما أرجو أن يجد القارىء فيه متعة وفائدة . . وأن يجد فيه ابني «أسامة» ما يحبه فى البحث ، ويرغبه فى طلب العلم ، ويدعوه إلى التحسك بالحلق والاعتزاز بالكرامة ، ويجعله يستعذب ما يجده فى سبيل ذلك من العناء واللتقات .

وإن روحك الطاهرة لتتف بنا أن نسير فى الطريق الذى رسمته لنا ، فنحمل مشعل العلم والأخلاق ، ونؤدى للوطن المحبوب أجل الخدمات .
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

ابنك

عبد النعيم محمد عيسى

فهرس الموضوعات

ج	إهداء
ق	تقديم . . . بقلم الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربي
١٤-١	مقدمة المؤلف
١	سبب اختيار الموضوع
٣	المجهودات التي بذلت لتيسير دراسة نظامى حتى عام ١٨٥١م
٥	كتاب باخر Bacher عن نظامى ، وتقدينا له
٧	المجهودات التي بذلها دستگردى في نشر منظومات الشاعر ودراسته ، وتقدينا له
٨	ماقام به المستشرقون الروس ، وتقدينا لهم
١٠	منهج البحث والدراسة

الكتاب الأول

عصر نظامى وبيئته والتعريف به ١٤٠-١

٧٢-١٥	الباب الأول - عصر نظامى
١٧	تمهيد . . . تصوير موجز للعصر الذى عاش فيه نظامى
٣١-١٩	الفصل الأول : دولة السلاجقة
١٩	للسلاجقة العظام
٢١	سلاجقة العراق
٢٦	سلاجقة آسيا الصغرى ، ومن والام
٤٨-٣٢	الفصل الثانى : حكام آذربيجان
٣٢	أتابكة آذربيجان
٣٩	حكام مراغة
٤٣	حكام شروان

٥٦-٤٩	الفصل الثالث : المعسكران السني والشيعة
٤٩	العباسيون في بغداد
٥٢	الاسماعيليون في إيران
٧٢-٥٧	الفصل الرابع : النواحي الاجتماعية والفنية والدينية في عصر نظامي
٥٧	للمناحية الاجتماعية
٥٩	للمناحية الفنية
٦٣	للمناحية الدينية
٩٦-٧٣	الباب الثاني - بيئة نظامي الخاصة
٨٤-٧٥	الفصل الأول : البيئة الجغرافية
٧٥	تحديد البيئة الجغرافية التي ولد فيها نظامي
٧٨	كسبجه وما في بيئتها من عوامل موجهة
٩٥-٨٥	الفصل الثاني : البيئة العائلية
٨٥	إشارة الشاعر إلى والده ودلالاتها
٨٦	» » » والده
٨٦	» » » خاله
٨٧	» » » أسفاره
٩٠	إشارات » » ابنه
٩٥	العوامل الموجهة في بيئته العائلية
١٤٠-٩٧	الباب الثالث - التعريف بنظامي
١٠٥-٩٩	الفصل الأول : اسم الشاعر ولقبه وكنيته وتخلصه ومولده
٩٩	اسم الشاعر ولقبه وكنيته وتخلصه كما ذكر هو في شعره
١٠٠	الأقوال المختلفة التي وردت في تاريخ ولادته ومناقشتها
١٠٣	ترجيح أنه ولد في عام ٥٣٩ هـ
١١٣-١٠٦	الفصل الثاني : نشأة نظامي
١٠٦	ترجيح أنه نشأ نشأة دينية
١٠٧	اعتكاف الشاعر للعبادة والتفكير
١٠٩	طريقته الخاصة في الاعتكاف

- ١١٠ قضاؤه الوقت في تحصيل العلوم المختلفة
١١١ تأثير النشأة الدينية في الشاعر وشعره

١١٤-١٢٣ الفصل الثالث : ثقافة نظامي

- ١١٤ ثقافة الشاعر الدينية
١١٦ إلمامه بالتاريخ الفارسي القديم
١١٦ اطلاعه على الفلسفة
١١٨ إلمامه بعلم التنجيم
١١٨ » » الهندسة
١١٩ اطلاعه على كتب الطب
١٢٠ معرفته بالعبادات والتقاليد الاجتماعية
١٢١ رغبته في البحث والتقصي

١٢٤-١٣٣ الفصل الرابع : أخلاق نظامي ومذهبه في الحياة

- ١٢٤ أخلاق نظامي الفاضلة
١٢٦ تمسكه بالمذهب السني
١٢٧ موافقته للأشاعرة
١٢٨ ميله إلى القول بالجبر
١٢٩ تشبهه بالصوفية
١٣٠ رغبته في الاتصال بالناس

١٣٤-١٤٠ الفصل الخامس : وفاة نظامي ومدفنه

- ١٤٣ الأقوال المختلفة التي وردت في تاريخ وفاته ومناقشتها
١٣٧ ترجيح أنه توفي في عام ٦٠٨ هـ
١٣٨ مدفنه في كنجه وما قيل حول مقبرته

١٤١-١٤٨ الكتاب الثاني - شعر نظامي

١٤٣-١٥٢

تمهيد

- ١٤٣ فن المتنوى
١٤٦ النسخ الخطية الموجودة من خمسة نظامي
١٥٠ ترتيب خمسة نظامي

٢٢٦-١٥٣	الباب الأول - منظومة مخزن الأسرار
١٥٩-١٥٥	الفصل الأول : دراسة حول مخزن الأسرار
١٥٥	الأقوال المختلفة التي وردت في تاريخ النظام والمنطق ومناقشتها
١٥٨	ترجيح أنها تمت في عام ٥٨١ هـ
١٥٩	محاظراته من نجاح
٢١٦-١٦٠	الفصل الثاني : محتويات مخزن الأسرار
١٦٠	موضوعات المقدمة
١٦٢	المقالة الأولى ... في خلق آدم
١٦٥	المقالة الثانية ... في العدل ورعاية الإنصاف
١٦٨	المقالة الثالثة ... في حوادث العالم
١٧٠	المقالة الرابعة ... في رعاية الرعية
١٧٢	المقالة الخامسة ... في وصف الحرم
١٧٤	المقالة السادسة ... في الاعتبار بالموجودات
١٧٦	المقالة السابعة ... في فضل الإنسان على الحيوانات
١٧٨	المقالة الثامنة ... في بيان الخلق
١٧٩	المقالة التاسعة ... في ترك المشونات الدنيوية
١٨٢	المقالة العاشرة ... في ظهور آخر الزمان
١٨٤	المقالة الحادية عشرة .. في غدر الدنيا
١٨٧	المقالة الثانية عشرة .. في وداع الدنيا
١٩٠	المقالة الثالثة عشرة .. في ذم العالم
١٩٢	المقالة الرابعة عشرة .. في ذم الغفلة
١٩٥	المقالة الخامسة عشرة .. في ذم الحساد
١٩٨	المقالة السادسة عشرة .. في سرعة السير
٢٠١	المقالة السابعة عشرة .. في العبادة والتجرد
٢٠٣	المقالة الثامنة عشرة .. في ذم المنافقين
٢٠٦	المقالة التاسعة عشرة .. في استقبال الآخرة
٢١٠	المقالة العشرون .. في وقاحة أبناء العصر
٢١٤	خاتمة المنظومة

٢٣٦-٢١٧	الفصل الثالث : مقارنة مخزن الأسرار لنظامي بحديقة الحقائق لسنائي
٢١٧	تأثر نظامي بفكرة سنائي
٢١٧	معالجة المنظومتين لموضوع واحد هو التهذيب الخلقى ونشر الفضائل فى المجتمع
٢١٨	اختلافهما من الناحية المنهجية
٢١٩	» » » الأسلوبية
٢٢٥	مزايا منظومة نظامي وتقليد الشعراء له

٢٢٧-٢٨٢ الباب الثانى - منظومة خسرو وشيرين

٢٣٧-٢٢٩	الفصل الأول : دراسة حول منظومة خسرو وشيرين
٢٢٩	الأقوال المختلفة التى وردت فى تاريخ إتمامها ، ومناقشتها
٢٣٠	ترجيح أنها تمت فى عام ٥٨٢ هـ
٢٣١	تقديم المنظومة وما لاقته من نجاح لم تنظر بمثله منظومة أخرى
٢٣٥	الأساس الذى بنيت عليه قصة خسرو وشيرين
٢٣٦	أبطالها وترجيح أن فرهاد كان شخصاً خيالياً
٢٣٧	الأماكن التى مثلت فيها أدوار القصة

٢٣٨-٢٧٠ الفصل الثانى : قصة خسرو وشيرين كما عرضها نظامي

٢٣٨	ولادة خسرو بعد تضرع ودعاء لله
٢٣٩	إحاطته بهالات البطولة منذ صغره
٢٣٩	حرص والده على تلقينه مبادئ العدل وأخذه بالشدة فى تطبيقها
٢٤١	ظهور شخصية شيرين
٢٤١	بدء عشق خسرو لشيرين
٢٤٢	ذهاب شاپور صديق خسرو لإحضار شيرين له
٢٤٢	بدء عشق شيرين لخسرو
٢٤٥	توجه شيرين إلى المدائن للقاء خسرو
٢٤٦	هرب خسرو خوفاً من مؤامرة دبرته له وتوجهه إلى ديار شيرين
٢٤٧	تقابل العاشقين فى الطريق وعدم معرفة كل منهما للآخر
٢٤٧	إقامة شيرين فى المدائن ثم فى قصر بنى لها بالقرب من كرمانشاهان

- ٢٤٨ إقامة خسرو في بلاد الأرمن في ضيافة مهيمن بانو عمة شيرين
- ٢٤٩ إرساله شاپور لإحضار شيرين إلى ديارها
- ٢٥٠ موت والد خسرو ووراثته للعرش ، وسفره لاعتلائه
- ٢٥١ وصول شيرين إلى ديارها بعد رحيل خسرو
- ٢٥١ عصيان أحد قواد خسرو وفراره إلى ديار شيرين
- ٢٥١ تقابل العاشقين لأول مرة
- ٢٥٤ غضب خسرو من شيرين لرفضها مشاركته الفراش
- ٢٥٤ توجه خسرو إلى قصر الروم
- ٢٥٤ زواجه من بنت الفيصر
- ٢٥٤ استرجاعه العرش بمساعدة القيصر
- ٢٥٤ حنينه إلى شيرين ، وحنينها إليه
- ٢٥٥ موت عمة شيرين وجلوستها على العرش
- ٢٥٥ عدل شيرين
- ٢٥٦ توجهها إلى ديار معشوقها خسرو
- ٢٥٧ بدم عشق فرهاد
- ٢٦٠ انتحار فرهاد لعلمه كذباً بموت شيرين
- ٢٦١ تبادل الخطابات بين خسرو وشيرين
- ٢٦١ موت مريم زوجة خسرو
- ٢٦١ زواج خسرو من امرأة إصفهانية
- ٢٦٣ تقابل خسرو وشيرين
- ٢٦٤ رواج العاشقين
- ٢٦٦ عشق شيرويه بن خسرو من مريم لشيرين
- ٢٦٧ قتل خسرو
- ٢٦٨ انتحار شيرين
- ٢٦٩ الدعوة إلى اتباع العدل ونشر السلام
- ٢٧١-٢٨٢ الفصل الثالث : مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي
- لقصة خسرو وشيرين
- ٢٧١ اختلاف الشاعرين في طريقة التصوير

٢٧٢	مزاياء تصوير الفردوسى
٢٧٤	مزاياء تصوير نظامى
٢٧٩	مذهب نظامى الخاص فى نظم القصص
٢٨١	نظامى أول من أخرج قصة خسرو وشيرين فى صورة قصة رومانتيكية
٢٨٢	تقليد الشعراء لنظامى
٢٨٣-٣٢٠	الباب الثالث - منظومة ليلى ومجنون
٢٨٥-٢٨٩	الفصل الأول : دراسة حول منظومة ليلى ومجنون
٢٨٥	ترجيح أنها تمت فى عام ٥٨٤ هـ
٢٨٦	إضافة بعض القطع إليها فى عام ٥٨٨ هـ
٢٨٧	نظمها تحقيقاً لرغبة اخستان بن منوچهر حاكم شروان
٢٨٩	إرسال المنظومة مع ابنه إلى الحاكم وعدم ذكر الجائزة
٢٩٠-٣١٣	الفصل الثانى : قصة ليلى والمجنون كما صورها نظامى
٢٩٠	ولادة قيس بعد دعاء وتضرع لله
٢٩١	بدء عشق قيس وليلى فى مكتب كانا يتعلمان فيه
٢٩٢	شدة عشق قيس ومجنونه
٢٩٣	هيامه فى الأسواق والمخلات
٢٩٤	خطبة ليلى للمجنون ورفض والدها
٢٩٥	حمل قيس إلى مكة فى موسم الحج
٢٩٥	دعاء قيس فى الكعبة أن يزيد الله عشقا
٢٩٦	شكوى أهل ليلى وإهدار الوالى لدم قيس
٢٩٧	تبادل الرسائل الشعرية بين العاشقين
٢٩٩	خطبة ليلى لابن سلام
٢٩٩	تعرف قيس بنوفل وإقامته معه
٣٠٠	الحرب بين نوفل وقوم ليلى
٣٠١	كف نوفل عن التدخل فى موضوع قيس وليلى
٣٠١	معيشة المجنون مع الحيوانات
٣٠٢	تحديثه مع غراب

٣٢٠	توجهه إلى منازل ليلى برقة عجوز
٣٠٣	زواج ليلى بابن سلام
٣٠٥	وفاة والد المجنون
٣٠٦	تحدث المجنون مع النجوم
٣٠٦	مناجاته لله
٣٠٨	تبادل الرسائل بين ليلى والمجنون
٣٠٨	مقابلة المجنون لحاله سليم العامري
٣٠٩	وفاة والدة المجنون
٣١٠	مقابلة عاشق آخر يدهى «سلام» للمجنون وروايته لشعره
٣١٠	وفاة زوج ليلى
٣١٠	مرض ليلى ووصيتها
٣١٢	وفاة ليلى
٣١٢	موت المجنون على قبر ليلى
٣١٣	دفنه مع معشوقته
٣٢٠-٣١٤	الفصل الثالث : مقارنة تصوير نظامى لقصة ليلى والمجنون
	بالأصل العربى لها
٣١٤	تقيد نظامى بالأصل العربى إلى حد كبير
٣١٥	ظهور صبغة مذهب نظامى فى هذه القصة
٣١٩	نظامى أول شاعر نظم هذه القصة بالفارسية
٣١٩	تقليد الشعراء له ؛ وأشهر من قلده
٣٢١-٣٦٨	الباب الرابع - منظومة هفت بيكر
٣٢٦-٣٣٣	الفصل الأول : دراسة حول منظومة هفت بيكر
٣٢٣	إتمامها فى عام ١٥٩٣
٣٢٤	سبب نظم القصيدة
٣٢٥	عدم معرفة ما أصابته المنظومة من نجاح
٣٢٧-٣٦٠	الفصل الثانى : قصة هفت بيكر كما صورها نظامى
٣٢٧	ولادة بهرام كور

٣٢٨	تربيته في بلاد العرب
٣٢٩	بناء قصر الخورنق
٣٣٠	فروسية بهرام ومهارته في الصيد
٣٣٢	رؤيته لصور سبع فتيات فانتات مرسومات على حيطان الخورنق
٣٣٣	حبه للفتيات السبع
٣٣٤	جلوسه على العرش
٣٣٥	عدله وحبه للشعب
٣٣٦	قصة بهرام وجاريته فتنة
٣٣٧	غزو ملك الصين لإيران
٣٣٨	انتصار بهرام
٣٣٨	زواجه من الفتيات السبع
٣٣٩	بناء سبعة قصور لكل منها قبة ذات لون خاص
٣٤٢	بهرام تحت القبة السوداء وقصة الأميرة الهندية
٣٤٥	بهرام تحت القبة الصفراء » » الصينية
٣٣٧	» » » الحمراء » » الخوارزمية
٣٤٩	» » » الحمراء » » السقلاية
٣٥٠	» » » الفيروزية » » المغربية
٣٥٢	» » » البنية » » الرومية
٣٥٤	» » » البيضاء » » الإيرانية
١٥٧	ظلم «راست روشن» وزير بهرام وانتشار الفساد في الدولة
٣٥٨	قتل الوزير وبسط العدل
٣٥٨	نهاية بهرام
٣٦٨-٣٦١	الفصل الثالث : مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي
	لقصة بهرام گور
٣٦١	تشابه تصوير كل من الشاعرين للجانب التاريخي من حياة بهرام
٣٦٣	اختلاف أسلوب كل منهما
٣٦٣	غلبة روح العصر على كل منهما
٣٦٤	ظهور آراء نظامي ومبادئه في هذا الجانب التاريخي

٣٦٤	انفراد نظامي بتصور الجانب العاطفي من حياة بهرام
٣٦٥	تطبيق مذهبه في نظم القصص واضحا في هذا القسم
٣٦٦	نظامي أول من نظم قصة بهرام في هذه الصورة
٣٦٦	تقليد الشعراء له ، وأشهر من قلده
٤٣٤-٣٦٩	الباب الخامس - منظومة الإسكندرنامة
٣٧٧-٣٧١	الفصل الأول : دراسة حول منظومة إسكندرنامة
٣٧١	ترجيح أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام لا قسمين
٣٧٤	تواريخ إتمام هذه الأقسام
٣٧٥	ما أصابته من نجاح
٣٧٦	سبب نظم هذه القصة
٣٧٧	ترجيح أنه اختارها بدافع نفسى
٣٧٨-٣٩٧	الفصل الثانى : بطولة الإسكندر كما صورها نظامي في شرفنامه
٣٧٨	إعجاب الشاعر بمنظومته لأن فيها جديداً
٣٧٩	جلوس الإسكندر على العرش
٣٨١	أصله
٣٨١	ما قيل من أن فيلقوس قد تبناه
٣٨١	ما ورد من أنه إيراني
٣٨٢	رأى نظامي الذي يرجع أنه ابن شرعى لفيلقوس
٣٨٣	فتوح الإسكندر وتأثرها بعاطفة حب العدل
٣٨٣	الفتح للمصرى
٣٨٥	الحروب بينه وبين دارا ملك الفرس
٣٨٥	قتل دارا على يد صابطين من رجاله
٣٨٨	جلوس الإسكندر على عرش إيران
٣٨٩	قضاؤه على عبادة النار
٣٨٩	جمع كتب الحكمة وإرسالها إلى بلاد اليونان
٣٩٠	توجه الإسكندر لزيارة السكبة
٣٩١	فتح بلاد المين

- ٣٩٢ سيره إلى بردعة فى صورة رسول من قبل الإسكندر
 ٣٩٢ اكتشاف أمره ، وإكرام ملكة بردعة له
 ٣٩٣ سيره إلى جبال البرز وفتح قلعة دربند
 ٣٩٣ توجهه إلى قلعة سرير وجلوسه على عرش كيخسرو
 ٣٩٤ سيره إلى الهند عن طريق خراسان
 ٣٩٤ تعاehه مع ملك الهند
 ٣٩٤ سيره إلى التبت ثم إلى الصين
 ٣٩٤ هجومه على ملك الصين ثم صلحه معه
 ٣٩٥ توجهه إلى أرمينية وحروبه ضد الروس
 ٣٩٦ سيره فى منطقة الظلام للبحث مع الحضرة عن ماء الحياة
 ٣٩٦ عبور الحضرة على العين وفشل الإسكندر
 ٣٩٦ رجوع الإسكندر إلى بلاد اليونان

الفصل الثانى : حكمة الإسكندر كما صورها نظامى فى خردنامه ٣٩٨-٤٠٨

- ٣٩٨ أمر الإسكندر للفلاسفة بترجمة كتب العلم المختلفة إلى اليونانية
 ٣٩٩ الأقوال التى وردت فى تسميته بنى القرنين
 ٤٠١ قصة الإسكندر والراعى
 ٤٠١ قصة أرشميدس والفتاة الجميلة
 ٤٠٢ قصة مارية القبطية
 ٤٠٣ قصة فقير أصبح غنياً جداً
 ٤٠٣ قصة مؤامرة سبعين حكماً ضد هرمس
 ٤٠٣ قصة إساءة أرسطو إلى أفلاطون
 ٥٠٤ قصة الراعى والحسان النحاسى
 ٤٠٤ قصة الإسكندر مع سقراط
 ٤٠٤ اجتماع الحكماء حول الإسكندر
 ٤٠٥ زيارة الحكيم الهندى للإسكندر وسؤاله عن نهاية العالم ،
 وحقيقة الروح ، والأحلام ، وعلم النجوم
 ٤٠٦ إعجاب الهندى بإجابات الإسكندر
 ٤٠٦ اختيار الإسكندر لسبعة حكماء من الفلاسفة

- ٤٠٧ سؤال الحكماء عن أصل العالم والمادة الأولى
- ٤٠٧ إثبات وجود الله ووحدانيته
- ٤٠٨ تفكيك خردنامه واضطرابها وترجيح ضياع بعض أجزائها
- ٤٠٩-٤٢٦ للفصل الرابع : نبوة الإسكندر كما صورها نظامى فى إقبالنامه
- ٤٠٩ نزول الوحي على الإسكندر وأمره بالخروج لهداية الناس
- ٤١٠ وصول الإسكندر إلى مصر
- ٤١١ سيره إلى بيت القدس وقتل حاكمها الظالم ونشر العدل
- ٤١١ توجهه إلى بلاد الأندلس
- ٤١١ وصوله إلى حيث تغرب الشمس
- ٤١٣ سيره إلى منابع النيل
- ٤١٣ وصوله إلى جنة عدن
- ٤١٤ مارآه من عجائب فى أثناء الطريق
- ٤١٥ سيره صوب الجنوب وهدايته لخلق
- ٤١٦ توجهه إلى الهند
- ٤١٦ قصة معبد قندهار
- ٤١٧ إرشاد الناس إلى الدين الحق
- ٤١٧ سيره إلى بلاد الصين
- ٤١٨ وصوله إلى نهاية العالم من الشرق وما رآه من عجائب
- ٤١٩ رحلته إلى الشمال ووصوله إلى أرض القضاة
- ٤٢٠ قصة الإسكندر مع يأجوج
- ٤٢١ وصوله إلى منطقة يسودها العدل دون حاجة إلى حاكم يسوسها
- ٤٢٢ نهاية الإسكندر
- ٤٢٣ دفنه فى الاسكندرية
- ٤٢٤ موت الحكماء السبعة
- ٤٢٥ تأثر نظامى بما ورد فى القرآن عن ذى القرنين
- ٤٢٥ الأقوال التى قيلت فى حقيقة الإسكندر

الفصل الخامس : مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي ٤٢٧-٤٣٤

شخصية الإسكندر

- ٤٢٧ الفردوسي يرجع أن الإسكندر إراني
٤٢٨ اقتصار الفردوسي على تصوير بطولة الإسكندر
٤٢٩ نظامي يصور الإسكندر في صورة الحاكم العادل ، والحكيم
المرسل من قبل الله
٤٢٩ اختلاف تصوير نظامي عن تصوير الفردوسي
٤٣٠ تأثر نظامي بقصة الإسكندر الثرية
٤٣١ نظامي أول من نظم القصة في هذه الصورة
٤٣٢ ظهور صبغة مذهبه في هذه القصة
٤٣٢ تقليد الشعراء له وأشهر من قبله

٤٣٥-٤٣٦ الباب السادس - ديوان نظامي

الفصل الأول - دراسة حول الديوان ٤٣٧-٤٤٣

- ٥٣٧ تصريح الشاعر بأن له ديوان شعر
٤٣٧ ترجيع ضياع بعض أجزاءه
٤٣٨ عدد أبيات الديوان ومناقشة ما قيل حوله
٤٣٨ النسخ الخطية الموجودة منه
٤٣٩ ما نشر من الديوان
٤٤٠ تواريخ نظم قصائد الديوان

٤٤٤-٤٥٦ الثاني الثاني : محتويات ديوان نظامي

- ٤٤٤ الفخر
٤٤٦ الزهد والتجرد من الدنيا والعمل للآخرة
٤٤٩ الغزل
٤٥٢ الرثاء
٤٥٤ رباعيات نظامي

٤٧٩-٤٥٨	الباب السابع - فن نظامى الشعرى
٤٦٩-٤٥٩	الفصل الأول : مزايا فن نظامى الشعرى
٤٥٩	وضوح العناصر العربية فى الأدب الفارسى
٤٦٠	ظهور التفنن فى صناعة الشعر الفارسى
٤٦٠	مذهب نظامى الشعرى
٤٦٥	الشعر صناعة شاقة تحتاج إلى جهد وتفنن
٤٦٦	الوصول إلى المعنى عن طريق الكنايات والاستعارات والتشبيهات المختلفة
٤٦٧	الإغراب والتعقيد
٤٦٧	مناقشة فكرة صوبة فهم شعر نظامى
٤٦٨	مثل يوضح الإغراب
٤٧٩-٤٧٠	الفصل الثانى : صور شعرية بنجس فن نظامى
٤٧٠	منظر التروب
٤٧٢	صورة جنة الحقيقة
٤٧٥	وصف حفل ليل
٤٧٨	رأى فى فن نظامى
٤٧٩	مقاييس اللوح التى ينبغى أن يقاس بها فن نظامى
٤٨٢-٤٨٠	خاتمة : الحكم على نظامى بعد دراسته
٤٨٠	نظامى ذو شخصية واضحة المعالم لها مقوماتها الخاصة
٤٨٠	نظامى دافع من دعاة الفصيح
٤٨٢	نظامى إمام فن المتنوى
٤٨٢	منهج دراسته فى المستقبل
٤٩٩-٤٨٣	ثبت بأسماء المراجع
٥٠٢-٥٠٠	ملحقات
٥٠٣	كشف بأسماء الأعلام
٥١٥	» » القبائل والشعوب
٥١٧	» » الأمكنة والبقاع
٥٢١	جدول الرسوم
٥٢٢	تصويب

تقديم

بقلم أستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشوابي

رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة إبراهيم

من حق المهتمين بالدراسات الشرقية أن يتنجسوا وأن يستبشروا ، إذا
ظفرت دراساتهم بين الفينة والفينة ببحث قيم ، يقدمه إليهم باحثٌ جادٌ ، بسلك
طريق البحث العلمي الصحيح ، مزوداً من هزمه وإخلاصه بما يذلل الصعاب ،
ويمهد المقبات

ومن حقهم أيضاً أن يتفادوا وأن يطعنوا إذا علموا أن الدراسات الشرقية
بمصر ، لم تسلك من عمرها في الجامعات المصرية إلا قرابة ربع قرن من الزمان ،
واسكنها استطاعت رغم قصر العهد بها ، وقلة العناية بأمرها أن تبرز بين سائر
الدراسات الأدبية والعلمية التي صاحبت نهضةنا الحديثة ، وأن تخرج لنا جيلاً
جديداً من المتخصصين في لغات الشرق وآدابه ، يشاركون الآن جماعة
« المستشرقين » من أهل الغرب في مجهودهم الطويل الذي بذلوه منذ قرون في
هذه الدراسات . فإذا هم يدركون ركبهم ويزامنون قافلتهم ، ويساهمون في هذا
التراث الشرقي بنصيب مهما قل أو صغر ، فإنه كفيل بأن يبنى من الشرق وصمة
السكل الذهني ، عند ما نهامس عليه التهامسون فقالوا : إنه غريب في دياره ،
تستحق ثقافته على بنيه ، وتستحق حضارته على أهله وذويه .. !!

ومع ذلك كله ، فمن الحق أن نقرر أن « الدراسات الشرقية » في مصر

ما زالت في حاجة إلى مزيد من الاهتمام والتشجيع ، حتى تتمكن من أن تؤدي رسالتها على أكل وجه في هذا البلد الذي يمد من غير شك واسطة التقدير بين سائر البلاد الشرقية ، وفيه تتركز آمال الشرق وأمانيه . وفي رأي أنه لن يتأني لها ذلك إلا إذا قرن التشجيع النظري بالتشجيع العملي بحيث يتمكن أصحاب هذه الدراسات من الانتقال بها من المرحلة النظرية البحتة ، إلى مرحلة ثانية يستهدفون فيها أغراضاً عملية أخرى ، تجعل شأن هذه الدراسات شأنها في سائر بلاد الغرب ، حيث ينتفعون بها علماء وعملاء ، وحيث لا نستوفى فائدة العلم إلا إذا اقترن بالعمل . ومن حسن الحظ أننا سائرون إلى هذه النهاية ، سواء تمهّلنا أم تمهّلنا ، لأن العزم قد انقصد واليقين قد تأكد .

ولا أدل على انقضاء العزم وتأكيده اليقين ، من أن إقبال الشباب على هذه الدراسات قد زاد في السنوات الأخيرة زيادة ملحوظة ، تمثل في طائفة مختارة من المتطلعين إلى الشرق ، المشغوفين بثقافته ، المؤمنين بحضارته ، الذين إذا قيل لهم « الشرق شرق والغرب غرب » لم يجدوا في هذا القول غرضاً أو ضيراً لأن الشرق أصبح عقيدة ثابتة في أنفسهم ، تجعلهم مطلع النور ، ومنبع المحاضرات ، وجمع الخير الذي يدعو إلى كل زهو وإعجاب .

وإني أقدم إلى هؤلاء وإلى كل معز بالشرق مريداً قديماً وزميلاً كريماً هو الدكتور عبد النعيم حسنين .

استكمل الدكتور عبد النعيم دراساته الفارسية في مصر وإيران ، وكان مثلاً للشباب الجامعي الطموح ، الذي يقتحم الابهة ويتلف اللهجة ، دون أن ينتظر أجراً أو يستنفد صبراً ، فاستطاع برأيه وجلده أن يخرج لنا بحته عن الشاعرة الفارسية « نظامي » فإذا هو طرفة أدبية رائمة تنضم إلى المكتبة العربية ، فتضيف إليها درة من درر الأدب الفارسي الجميل .

وإني لأذكر أنني قرأت « نظامي » طويلاً ، وقرأته مراراً ، استعداداً

للمناقشة « عبد النعيم » في أول رسالة للدكتوراه تمنحها جامعة إبراهيم ، فكنت
كلما أطلتُ قراءة الرسالة ، أ كبرتُ الجهد الذي بذله فيها صاحبها وحدثُ له
مقدار المعاناة التي صمد لها . وإذا كنت قد خالفته في بعض مناحي البحث ، فإنني
لا أستطيع أن أنكر أني فيها وافقت عليه أو خالفته فيه ، قد فزتُ بتمتة عقلية
كبيرة ، مهدها لي ما في البحث من شغف بإطالة النظر والتفكير ، وجلد على
التعمق والاستقصاء .

وإذا كنت أرجو بعد ذلك من الدكتور عبد النعيم شيئاً ، فإنما أرجو أن
يمكننا قريباً من أن نقرأ « مثنويات » نظامي مترجمة إلى العربية ، حتى يصبح
فضله علينا مضاعفاً ، وحتى يصبح حمدنا له مكرراً ومضاعفاً أيضاً .

إبراهيم أمين السواربي

٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٣
٣ يناير سنة ١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين ، كان يعيش - في كنجه بإقليم آذربيجان - شاعرٌ وجهته أحداث عصره ، وعوامل بيئته إلى إثارة العزة عن الولاة والحكام ، رغم إرسال مدائحه إليهم وتقديم منظوماته لهم ، كما جعلته يدعو إلى الفضيلة ، ويتغنى بالخلق القويم ، ويشكو من الظلم ، وينادي باتباع العدل والوفاء ؛ ذلك الشاعر هو نظامي الكنجوي ، الذي أرجح أنه ولد في عام ٥٣٩ هـ ، وتوفي في عام ٦٠٨ هـ .

وقد صاغ نظامي مبادئ دعوته في خمس منظومات وديوان شعر ، وكانت منظوماته مجالاً لتقليد كثير من شعراء الفارسية والتركية على السواء .

ولكنه - مع هذا - لم يظفر بحظ وافر من الدراسة والتحقيق ، خصوصاً إذا ما قيس بغيره من شعراء الفارسية ، كالفردوسي والخيام وسعدى وحافظ ، الذين ذاع صيتهم في الشرق والغرب ، وظفروا بنصيب كبير من العناية والبحث .

ولعل الاهتمام بدراسة نظامي لم تبدأ في أوروبا والشرق إلا منذ قرن ونصف قرن تقريباً ، ومع ذلك فقد لاحظ المحدثون أنفسهم أن الشاعر لم يستوف نصيبه من التحقيق ، وهذه طائفة من أقوال الباحثين تبين ما قرّروه :

يقول باخر Bacher عند حديثه عن كبار شعراء الفارسية ، كالفردوسي وسعدى وجاي : « إن نظامي بالنسبة إليهم يعتبر غير معروف في أوروبا لأن آثاره المطبوعة في الهند لم تصل إلينا بحيث يستفاد منها » ^(١) .

ويقول براون Browne - بعد أن يقرّر أن امتياز نظامي معترف به ، بين

W. Bacher : Nizamis Leben und Werke und der Zweite (١)

Theil des Nizamischen Alexanderbuches, P. III.

كتاب التذاكر وبين الشعراء أنفسهم - : « وقصارى القول ، أنه يمكن أن يوصف بأنه مزيج من النبوغ الممتاز والأخلاق الفاضلة ، إلى درجة لا يطمحها شاعر فارسي ، كانت حياته موضوعاً لدراسة نقدية دقيقة »^(١) .

ويقول نيكلسون Nicholson : « إن الباحثين الأوروبيين كانوا مقلّين في كتاباتهم عن نظامي منذ عام ١٨٧١ م حينما ظهرت مقاله باخر ، فلم يحدث أى تقدم لإنشاء دراسة نقدية لنص الخمسة رغم الحاجة إليها ، لسكل من يبحث في النصوص الشرقية ، وتكاد ترجمة كلارك « لإسكندرنامه » برى » تكون العمل الوحيد ذا الأهمية . وإن إهمال شاعر مشهور موهوب كنظامي يمكن أن يفسر بالعلل التي تلمس للدراسات الفارسية بصفة عامة »^(٢) .

ويقول نفيسي : « هناك أشياء كثيرة لم تقل فيما يتعلق بنظامي ، ورغم أني كتبت سلسلة مقالات حول هذا الكنجوى الشاعر ، فإني أصبحت لا أعجب بها . وإذا أردت أن أنشرها - في الوقت الحاضر - فإن أشياء كثيرة يمكن أن أضيفها إليها »^(٣) .

ويقول برتلس Berthels نقلاً عن جورج يعقوب^(٤) : « إن نظامي - كشاعر - ربما كان أعظم من الفردوسي ، رغم أنه لم يجد مثل نولدكه^(٥) »

(١) Browne : A Literary History of Persia vol. II, P. 462

(٢) مقالة نيكلسون التي كتبها تعليقاً على ترجمة ويلسون لحفت بيكر إلى الإنجليزية وهي في :

Bulletin of the School of Oriental Studies, London Institution, London, 1924, P. 600.

(٣) مقالة سعيد نفيسي التي كتبها عن : « نظامي في أوروبا » في مجلة مهر شهر بورماه شماره ٤ ص ٣٢٥ - ٣٢٩ .

(٤) ينقل برتلس هذا القول عن مقدمة ترجمة جورج يعقوب لاسكندرنامه لنظامي .

(٥) قام نولدكه يبحث الفردوسي وله كتاب قيم عن الفردوسي والشاهنامه .

وشاك^(١)»^(٢).

وهذه الأقوال جميعها ، تقرر أن نظامي لم يجد من يقوم ببحثه بحثاً علمياً مفصلاً دقيقاً ، يكشف عن شخصيته كشفاً صحيحاً .

وقد دفعني هذا إلى تناول موضوع نظامي بالبحث لعل أستطيع أن أكشف عن بعض جوانبه النامضة .

وأرى لزوماً على - وفاء بالأمانة العلمية - أن أعرض ، في شيء من الاختصار ماتم من أبحاث تتعلق بنظامي^(٣) ، فلعل هذا الكتاب يضيف حلقة جديدة إلى سلسلة تلك الأبحاث .

أخذ اسم نظامي يسمع منذ عام ١٧٨٦ م ، حينما نشر كتاب تحت عنوان ، «المجموعة الأسبوعية» Asiatic Miscellany اشتمل على منتخبات من الأدب الفارسي ، وعلى عشرين قصة من « مخزن الأسرار » لنظامي . وقد طبعت هذه القصص مرة أخرى - في عام ١٨٠٢ م - في مدينة ليزبج ، مع ترجمة لاتينية لها ، ونشرت تحت عنوان : « نظامي الشاعر الوصف القصاص » : Nizami Poetae : Narrationes et Fabulae

وفي عام ١٨١٢ م ، نشر بدر الدين علي ومير حسين علي كتاباً بالفارسية - في مدينة كلكتة - تحت عنوان « منتخب الشروح لإسكندرنامه » اشتمل على نص إسكندرنامه نظامي مع الشروح التي كتبت حوله . وكان انتشار هذه الكتب سبباً في ذبوع اسم نظامي بين المستشرقين

(١) كان شاك من الذين بحثوا في الشاهنامه وقد قام بترجمة بعض أجزائها .

(٢) مقالة برتلس التي كتبها عن نظامي وقد نشرت في كتاب « عدة مقالات عن نظامي » باللغة الروسية ، ص ٣٨ .

(٣) عرض سعيد نفيسي في مقالته « نظامي في أوروبا » التي سبقت الإشارة إليها ماتم من أبحاث تتعلق بنظامي حتى عام ١٩٣٥ م ، وسأعتمد على ما كتبه ثم أضيف ماجد من أبحاث بعد هذا التاريخ حتى وقتنا هذا .

الأوروبيين ، ولم تمض مدة طويلة حتى أصبح نظامي ، مثل سعدى والفردوسى وحافظ والخليل ، له مكانة عالية بينهم ، بل إنه صار خامسهم ، وما زالت هذه المكانة له حتى الآن .^(١)

وفي عامى ١٨٢٦ و ١٨٢٨ م ، نشر المستشرق الروسى فرانسوا إردمان F. Erdmann - فى مدينة غازان - منتخباً من « إسكندرنامه نظامى » اشتمل على قصة حرب الإسكندر مع الروس ، وذلك تحت عنوان : *De Expeditione Russorum*

ثم نشر المستشرق الروسى الشاب لوبس سببزنجل - فى عام ١٨٢٨ م - كتاباً - فى مدينة بطرسبرج - أخذه عن « إسكندرنامه نظامى » وسماه : « حملة الإسكندر ضد الروس » وهو يقع فى مجلدين^(٢) .

كما ترجم قصة حرب الإسكندر ضد الروس إلى الفرنسية ، وأعد النص والترجمة للنشر فى نفس السنة ، ولكن سرعة وفاته حالت دون ذلك ، فتسكفل بهذه المهمة المستشرق الروسى شارموا Charmoya وكان يتقن الفارسية ، فقام بإلقاء نظرة على الترجمة ، ثم كتب لها مقدمة قيمة ، ونشر النص والترجمة . وهكذا نلاحظ أن نظامى لم يكن معروفاً فى أوروبا إلا عن طريق ، « إسكندرنامه » و « مخزن الأسرار » .

وفى عام ١٨٣٦ م ترجم المستشرق الإنجليزى اتكينسون Atkinson « ليلى ومجنون لنظامى » شعراً إنجليزياً ، ونُشِرَت هذه الترجمة فى لندن ، كما أعيد طبعها فى عامى ١٨٩٤ و ١٩٠٥ م ؛ وبهذا عرف الأوروبيون أن نظامى قد نظم شيئاً آخر غير « إسكندرنامه » و « مخزن الأسرار » ، ولو أن العناية بهاتين المنظومتين لم

(١) مقالة نفيسى عن نظامى فى أوروبا : مجلة مهر شهر بورماه شماره ٤ ، ص ٣٢٥ .

(٢) L. Spitsnagel : *Expedition de L'Alexandre le grand*

Contre les Russes, extrait d'Alexandreide ou Iskender-Name de Nizamy.

تقطع ؛ فقد نشر المستشرق الإنجليزي ناثن بلند N. Bland - في عام ١٨٤٤م -
« مخزن الأسرار » في لندن ، ثم نشر « خردنامه إسكندري » بعد ذلك في
كلكتة .

كما نشر المستشرق الألماني شير نجر^(١) ومحمد شوشتری - في عام ١٨٥٢ م -
« خردنامه » تحت عنوان « إسكندرنامه بحرې » .

وإذا استعرضنا ما تم حتى ذلك التاريخ نجده - رغم قيمته - لا يعدو أن
يكون نشرًا أو ترجمة لمنظومة أو جزء من منظومة ، أما شخصية نظامي كشاعر ،
فلم تُبذل محاولة جديّة لكشفها وإظهار مكانتها بين شعراء الفارسية .
وكان أول من حاول ذلك المستشرق الألماني ولهم باخر فقد نشر ، في عام ١٨٧١م ،
كتابًا عن نظامي - في جو تمبرج - تحت عنوان : « حياة نظامي وآثاره »^(٢) .
تحدث في القسم الأول منه عن حياة الشاعر وآثاره ، بصفة عامة ، ودرس في
القسم الثاني الجزء الثاني من منظومة « إسكندرنامه » بصفة خاصة .
والحقيقة أن باخر قد بذل جهداً مشكوراً في محاولة كشف بعض النواحي
التي ظلت غامضة في حياة الشاعر ، فلم يُكْتَب عنها - في كتب التذكار والتاريخ -
شيء ذو غناء .

وقد اتبع باخر منهجاً سليماً ، إذ اعتمد على أدق المصادر في دراسة الشاعر ،
ألا وهو شعر الشاعر نفسه ، ولسكن التوفيق لم يخالفه في فهم بعض أشعار نظامي
بما ساقه إلى إخطاء جوهرية كثيرة ، أشار ريو^(٣) Rieu إلى بعضها ، وسأشير
إليها في موضعها من الكتاب .

(١) كان شيرنجر Sprenger مقباً في الهند .

(٢) W. Bacher : Nizamis Leben und Werke .

(٣) Rieu : Catalogue of Persian Manuscripts in the British

Museum vol. II P. 564.

ولعل لباخر بعض المذر ، فقد قال - بعد أن سرد الأقوال المختلفة التي
قيلت حول تاريخي ولادة الشاعر ووفاته ، وتردّي الأوروبيين في أخطاء كثيرة - :
« والذي جعل الأوروبيين يتردّون في هذه الأخطاء إنما هو اعتمادهم على كتب
التذاكر دون أن يدرسوا أشعار الشاعر دراسة مباشرة ، واكتفاؤهم بالمصدر غير
الدقيق ، تذكرة دولتشاه »^(١) .

وإذا تركنا باخر نجد أن محاولات نشر بعض منظومات الشاعر قد واصلت
سيرها ؛ فنشر كلارك Clarke - في عام ١٨٨١ م - « إقبالنامه سكيندي » تحت
عنوان : « اسكيندرنامه بري » ، وذلك في مدينة كلكتة .

كما نشر المستشرق الهولندي هونسا Boutsma - في عام ١٩٢١ م - كتاباً
- في ليدن - تحت عنوان : « خلاصة خمسة نظامي » هو عبارة عن منتخبات
من منظومات الشاعر .

وفي عام ١٩٢٤ م ، ترجم المستشرق الإنجليزي ويلسن Wilson منظومة
« هفت بيكر » إلى الإنجليزية ، وقد نُشِرَت الترجمة في لندن .

من هذا العرض السريع ، يبدو أن منظومات الشاعر - باستثناء « خمرو
وشيرين » - قد نشرت نصّاً أو ترجمة ، واستطاع الناس أن يأخذوا فكرة ما عن
شاعر كنجبه .

وفي السنوات الأخيرة ، ظهر اتجاه - في شيكو سلوفاكيا - إلى التعرف على
آثار الشاعر ، فبذلت جمعية المستشرقين التشيكوسلوفاكيين - التي مقرها مدينة
براغ - مجهودات قيمة ، وكان مما نشرته كتاب : « فرهاد وشيرين » لهربرت
دودا H. Duda ، وذلك في عام ١٩٣٤ م .

وقد قارن الناشر بين النسخ المرووفة من « فرهاد وشيرين » التي نظمها الشعراء

المختلفون ، وشرح كثيراً من المسائل الوجودية فيما نظمه أمير خسرو الدهلوى ،
وعمد فقيه ، وسلاطن حسين باقرا ، وهاتفى ، ووحشى ، وهلالى ، وشمله نيرىزى ،
وغيرهم ؛ مما أكسب عمله شيئاً كبيراً من الأهمية .

ثم نشر المستشرقان ريتز الألمانى وريبكا التشيكوسلوفاكى منظومة : « هفت
پيكر » فى استانبول ، وقد اعتمدا على خمس عشرة نسخة خطية موجودة فى
مكتبات : باريس ، وأكسفورد ، وبرلين ، واستانبول ، وبراغ ، وفيينا ، وقارنا
بينها وبين « خمسة نظامى » المطبوعة فى بمباى فى عام ١٢٦٥ هـ . فخرج النص
فى صورة دقيقة محققة .

أما فى إيران ؛ فقد قام وحيد دستگردى ، فى عام ١٩٣٤ م ، بمجموعه مشكور فى
نشر منظومات الشاعر الخمس ، فنشر كل منظومة على حدة ، وقد استغرق ذلك
خمس سنوات ؛ أى إلى عام ١٩٣٩ م ؛ كما نشر ماعثر عليه من ديوان نظامى فى
كتاب مستقل ، تحت عنوان : « گنجینه گنجوى » ، وقدم له بمقدمة عن حياة
الشاعر ومنظوماته .

ويعتبر النص الذى نشره دستگردى لمنظومات الشاعر من أحصح النصوص
التي نشرت ، فقد تكبد فى نشره مشقات لا يستهان بها . ولا يؤخذ عليه إلا أنه
لم يعرف بالنسخ الخطية التي اعتمد عليه ، ولم يصف ولو نسخة واحدة منها ، رغم
أنه كان يكرر - فى مقدمة كل منظومة - أنه قارن بين ثلاثين نسخة خطية
قديمة ، يرجع تاريخ كتابتها إلى مابين القرنين السابع والحادى عشر الهجريين .
كما أنه ارتكب بعض الأخطاء التاريخية ، مما جعله يضع عناوين غير صحيحة ،
كان يمكنه تلافيها لو رجع إلى كتب التاريخ . فقد أخطأ فى آخر منظومة
« خسرو وشيرين »^(١) مثلاً ؛ فأثبت أن الأتابك جهان پهلوان مات مقتولاً ،

(١) نظامى : خسرو وشيرين ص ٤٤٩ .

وأن السلطان طغرل السلاجوق دعا نظامى إليه ، ورتب على هذا الأساس العناوين الأخيرة من المنظومة . وقد أقرّ هو بهذا الخطأ فى مقدمة « كنجينه كنجوى » فكتب تحت عنوان « رفع خطأ » مانصه : « وقد أخطأنا فى آخر » خسرو وشيرين » - بسبب اشتباه أبيات ، ووجود بعض الأبيات الملحقه - فظننا أن الأنايب جهان بهلوان قد قُتِلَ ، وأن طغرل دعا نظامى إليه لاقول أرسلان » ثم قال - بعد سرد الأبيات - : « وقد نبّه الأستاذ الفاضل أمير خيزى تبريزى وغيره - فى ذلك الوقت - إلى الخطأ ؛ وتبين - بعد الرجوع إلى كتب التاريخ - أن ما كتبناه خطأ ؛ سببه - قطعاً - التساهل فى الرجوع إلى كتب التاريخ ، ومفاسد قلة التأمل أكثر من أن نحصى ^(١) . أما مقدمة دستگردى لما عثر عليه من ديوان نظامى ، فيبدو منها تمصبه الشديد لنظامى ، مما جعل أحكامه غير دقيقة ، ولا يفسد العلم شيء بقدر ما يفسده التمصب . وهذا يجعلنا ننظر إلى عمله بشيء من الحيلة والحذر .

وإذا تركنا دستگردى ، نجد محاولات أخرى بذلت للتعريف بنظامى وشعره ، فقد كتب ريپكا Rycka - فى عام ١٩٣٥ م - مقالاً عن ديوان نظامى ، ونشر بعض غزلياته .

كما قام المستشرقون الروس - بعد ذلك - بدراسة الشاعر فنشر برتلس Berthels - فى عام ١٩٤٠ م - كتاباً تحت عنوان : « نظامى شاعر آذربيجان العظيم » . وقد نُشر - فى نفس العام - كتابٌ يشتمل على عدة مقالات عن الشاعر ، كتبها مستشرقون مختلفون من الروس .

ويعتبر كتاب برتلس الخطوة الثانية بعد باخر ؛ غير أن برتلس يصرح فى المقدمة بأنه يكتب لغير المتخصصين ^(٢) ، ويكرر هذا فى مواضع كثيرة ، مما جعل

(١) وحيد دستگردى : مقدمة كنجينه كنجوى ، ص ف .

(٢) برتلس : مقدمة كتاب « نظامى شاعر آذربيجان العظيم » باللغة الروسية ،

كتابته إنشائية أكثر منها علمية .

ثم إن الروح السيطرة على برتلس وغيره من المستشرقين الروس ، تجعلنا نقبل ما كتبوه بشيء كبير من الخيلة ، فقد حاولوا إظهار نظامى فى صورة الماركسى ، أى فى صورة داع من دعاة الشيوعية فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وأثبتوا أن مبادئه هى نفس المبادئ التى يدعو إليها زعمائهم فى العصر الحاضر ، مصرحين بأسمائهم ^(١) .

وأغلب الظن عندى أن كتاباتهم تخدم أغراضاً سياسية ، ويمكن أن نلمح ذلك من عنوان كتاب برتلس « نظامى شاعر آذربيجان العظيم » واختياره لكلمة آذربيجان بالذات فى الموضوع ^(٢) . والعصية السياسية مفسدة للعلم أيما إفساد . ويمكن أن نضيف إلى هذا أن كنهجه ألحقت باحتلكات الروسية منذ عام ١٨٠٤م ، الأمر الذى قد يدعو إلى شيء من التعصب لشاعر تلك المدينة ؛ ومهما يكن من شيء ، فإنه لا يمكننا أن نقبل كل ما يكتبه المستشرقون الروس عن الشاعر .بقى أن نذكر المحاولة التى قام بها داراب فى عام ١٩٤٥م فقد ترجم منظومة « مخزن الأسرار » إلى الإنجليزية ، ونشرها فى لندن ، مع مقدمة له ، عن حياة الشاعر وعصره ، وذلك تحت عنوان : « مخزن الأسرار لنظامى الكنججوى مترجم لأول مرة عن الفارسية ، مع مقدمة عن حياة الشاعر وعصره ^(٣) » .

وقد حاول داراب أن يحقق سنى ولادة الشاعر ، ووفاته ، وإتمام منظوماته ويعطى فكرة ما عن عصره ، ولكن أحكامه كان يعوزها الدليل ، فشكل ما كان

(١) برتلس : نظامى شاعر آذربيجان ، ص ١٢١ .

(٢) كانت كتابات الروس فى ذلك الوقت تضى فكرة استقلال آذربيجان ، وانفصالها عن إيران التى تحققت لمدة وجيزة فيما بعد .

(٣) G. H. Darab : Makhzanol Asrar of Nizami of Ganjeh

Translated for the first time from the persian with an Introductory Essay of the Life and Times of Nizami .

يفرض شيئاً فرضاً دون دليل مقنع ، كما لاحظ مينورسكى ، فى المقالة التى كتبها تعليقاً على صنع داراب^(١) .

هذا عرض سريع لأهم ماتم من محاولات لدراسة نظامى ، ولعلنا نلاحظ أنه - رغم قيمتها ومعاونتها فى تيسير مهمة الباحث - لاتعدو أن يكون أغلبها نشرأ أو ترجمة ، أما الأبحاث المتعلقة بشخصية الشاعر ، ودراسة آثاره دراسة نقدية مقارنة ، فقد كانت مختصرة ، فضلاً عن الأخطاء والاعتبارات ، التى تجعلنا نحتاج كثيراً ، قبل الأخذ بشئ منها .

وقد حاولت - فى هذا الكتاب - أن أدرس شخصية الشاعر وآثاره دراسة نقدية مقارنة ، وأن أوضح بعض النواحي التى ظلت غامضة فى حياة الشاعر ، ثم أكشف عن مكانته فى تاريخ الأدب الفارسى ، حتى يكون مكملاً للمحاولات التى بذلت من قبل .

كما حاولت - بقدر استطاع - ألا أتمصب للشاعر أو عليه ، وأن أعتمد - فى حكمى عليه - على الأدلة المقتنعة ، فبنيت دراستى على هذا الأساس .

وقد وجدت أن أهم مصدر لدراسة الشاعر هو شعر الشاعر نفسه ، فحاولت أن أبحث فيه عن كل ما يتعلق بالشاعر وحياته الخاصة والعامة ، لأن المصادر المختلفة بينها من التفاوت والاختلاف ما يجعل الباحث لا يطمئن إلى الاعتماد عليها . كما وجدت أن معرفة التاريخ السياسى والاجتماعى لازمة لفهم الشعر . لأن الشعر صورة للحياة الاجتماعية يتأثر بها كما يؤثر فيها ؛ والتاريخ - كما يقول فيلمان - وسيلة لفهمه وتفسيره ، وتعليل مزايده^(٢) .

فالشعر ، والأدب بصفة عامة ، يمر تعبيراً صادقاً عن حياة الأمة الاجتماعية والسياسية ، ويعتبر مصدراً مهبذباً من مصادرها التاريخية لأنه يلم بروح الحوادث

Bulletin of the School of Oriental and African Studies (١)

vol. XII, part. 2. PP. 441-445

(٢) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبى ص ٨٣ .

والأحوال المتعاقبة فيصورها ثم يتأثر بها فيجاريها أو يعارضها ، ويظهر ذلك في آثاره بأسلوب سلمي أو إيجابي^(١) .

كما استعنت ، إلى جانب هذا ، بالبيئة الخاصة التي نشأ فيها الشاعر ، من جغرافية وعائلية واقتصادية وعلمية ، فدرستها لأنها من العوامل التي أحدثت أثراً في الشاعر بدا واضحاً في شعره ؛ وهكذا عنيت بدراسة البيئتين العامة والخاصة وحاولت الاستعانة بما فيهما من عوامل موجهة في دراسة الشاعر وفهم شعره . وقد قسّمت بحثي إلى كتابين :

تحدثت في الكلام الأول ، عن عصر الشاعر أو بيئته العامة ، ثم درست بيئته الخاصة ، وحاولت أن أستشف ما في البيئتين من موجبات ، ثم عرفت بالشاعر على ضوء هذه الموجبات .

ودرت في الكتاب الثاني ، منظومات الشاعر الخمس دراسة نقدية مقارنة ، ثم تحدثت عن ديوانه ، واستعنت بذلك في دراسة فنه الشعري ، ثم ختمت بالحكم على الشاعر على ضوء هذه الدراسة .

وقد اطلعت على كل ما كُتِبَ عن الشاعر ، حتى كتابة ، هذا البحث ، كما قرأت ما وجدته متصلاً بالشاعر من قريب أو بعيد ، وبفيد في دراستي له ، فاستنتج هذا أن أطلع على مخطوطات قيمة كثيرة^(٢) ، عثرت عليها في مكتبات إيران العامة والخاصة ، وفي دار الكتب المصرية ، وأن أقرأ كتباً بلغات مختلفة ؛ فقرأت ما كتب بالفارسية والعربية والتركية ، كما اطلعت على ما كتب بالإنجليزية والألمانية والروسية والإيطالية ، بقدر المستطاع .

(١) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ص ٨٣ ، نقلاً عن أصول النقد الأدبي (الفصل الأول) لونيستر .

(٢) ذكرت أسماء هذه المخطوطات مع تعريف بها في آخر البحث ، في التبت الذي أوردته بأسماء المراجع ، فضلاً عن ذكرها في الحواشي .

وقد استمتت - بطبيعة الحال - بمن يتقنون اللغات التي لا أعرفها ، أولاً
أجيدها ، في ترجمة ما كتب بتلك اللغات .

ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى فرصة وجودى عامين في إيران ، وإلى جامعة
طهران ، التي أضافتنا في خلال هذه المدة ، كما أضافت غيرنا من طلاب البحث
من الدول الأخرى ، فكنت تجد في نادى الجامعة الإنجليزية والفرنسى والألماني
والبليجيكي والتشييكوسلوفاكى ، والتركى والهندي والباكستانى وغيرهم ، وكان هذا
وحده هو الذى أوجد الفرصة المواتية ، التي هيأت لنا الاطلاع ، دون مشقة ، على
كل مايكتب بلغة من اللغات ، شرقية كانت أم غربية .

فإلى جامعة طهران وإلى أساتذتها الأجلاء ، أتوجه بالشكر ، وأخص بالذكر
منهم الأستاذ سعيد نفيسى ، الذى كان مشرفاً على هذا البحث ، في أثناء إقامتى في
إيران ، ولن أنسى - ماحيت - ما قدمه هذا العالم الجليل لى من خدمات ، فقد أمدنى
بكثير من المراجع النادرة باللغات المختلفة ، كما وضع تحت يدى بعض المخطوطات
القيمة التي يحفظ بها في مكتبته الخاصة ، ولم يرضَ على حتى بمخطوطة « اسكندر نامه
النثرية » التي لا توجد إلا عنده ، فإليه مزيد شكرى وامتنانى واعترافى بالجميل .

كما أشعر بالشكر والامتنان للمستشرق التشيكوسلوفاكى الأستاذ الدكتور
بروتسكى الذى قابلته في طهران ، فكان يحود بجزء كبير من وقته - طوال
المدة التي قضيتها - في ترجمة كثير من الكتب والنصوص التي تفيدينى في البحث ،
فساعدنى بذلك على الاطلاع على المراجع الروسية والألمانية والإيطالية .

ولا يفوتنى أن أشكر الأساتذة عابدى الباكستانى والب آسرلان التركى
وأوبان الفرنسى ، على ما قام به الأول من شرح جزء من أشعار نظامى ، والآخران
من ترجمة بعض النصوص التركية والفرنسية .

كما أشكر الأستاذ صادق نشأت ، الأستاذ بجامعة طهران ، على مساعدته القيمة
في شرح وترجمة بعض أشعار نظامى الغامضة .

فإذا ما تركت طهران إلى القاهرة، أجدنى مديناً بالشكر لأستاذى الدكتور إبراهيم أمين الشواربى، رئيس قسم اللغات الشرقية، بكلية الآداب بجامعة إبراهيم؛ فقد تولى الإشراف على البحث بعد عودتى من إيران، وكان له منذ البداية فضل اختيار موضوع نظامى، ليكون موضوعاً لبحثى للحصول على درجة الدكتوراه، وقد ظللت على اتصال به منذ بدأت البحث إلى أن انتهيت منه، فأمدنى بكثير من التوجيهات النافعة التى استفدت منها كثيراً، فله مزيد من شكرى وامتنانى، واعترافى بفضلته.

وإنى لأرجو أن يحقق هذا البحث الغاية التى وضع من أجلها، وأن يكون أساساً صالحاً لمن يريد أن يتناول نظامى بالبحث، فى المستقبل، إن شاء الله، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المؤلف

٥ من ذى القعدة ١٣٧٢ هـ
القاهرة: الموافق ١٦ من يولييه ١٩٥٣ م

الكتاب الأول

١ - عصر نظامي

٢ - بيئة

٣ - التعريف به

الباب الأول

عصر نظامي

تمهيد:

كان عصر نظامي يمزج بمسكرات متباينة ، حاول كل منها أن يمثل دوراً خاصاً على مسرح الحياة السياسية في ذلك الوقت ، ففي شرق إيران ، كان سنجر ، آخر سلاطين السلاجقة العظام ، لا يزال قوياً مرهوب الجانب ، يبسط سلطانه على كثير من بقاع العالم الإسلامي في ذلك الوقت .

وفي غرب إيران ، كانت دولة سلاجقة العراق تسيطر على العراق وكرديستان وآذربيجان ، كما كانت دولة أتابكة آذر بيجان قوية ، حاولت أن تتحكم في سير الأمور في دولة سلاجقة العراق ، هذا إلى جانب حكام شروان وحكام مراغه الذين كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي تقريباً .

وفي بغداد ، كانت للدولة العباسية سيطرة روحية على العالم السني ، بينما كانت قوتها المادية ضعيفة منهارة .

وطبيعي أن مثل هذا الوضع يستتبع احتكاكاً بين تلك المسكرات ، فليس عجباً أن نرى عصر نظامي ينفى بالأحداث المختلفة ، والحروب المتصلة التي كانت لا تنقطع إلا لتسبب مرة أخرى ، كما نراه يتسم بروح الفدر التي سيطرت حتى على أفراد الأسرة الواحدة ، فكانوا يحاربون بعضهم بعضاً ، ويدبرون المكائد لبعضهم البعض .

وقد أدت هذه الأحوال المضطربة ، إلى تقلبات في الأوضاع السياسية ، وسقوط دول ودويلات ، وحلول أخرى محلها ، مما جعل عصر نظامي يشهد كثيراً

من الدول الحاكمة في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي ، كما شهد انهيار دولة السلاجقة العظام ، والدولة الفزنوية ، وقيام وسقوط الدولة الخوارزمية ، ودويلة أتابك آذر بيجان ، ونشاط الإسماعيليين : ونذر هجوم المغول وما تبع ذلك من التغيرات السياسية والاجتماعية .

وكان للناحية الدينية - في ذلك الوقت - أثرٌ في تشكيل الحوادث ، وتوجيه دفة السير ، فإن الاختلافات المذهبية قد أوجدت كثيراً من المنازعات ، كان بعضها باللسان ، وبعضها الآخر باللسان ، كما أوجدت انعدام الثقة والطمأنينة في قلوب الناس ، ورواج التصوف ، وارتفاع قدر علماء الصوفية .

ونظامي - كثيره من أبناء عصره - قد تأثر بما كان في ذلك العصر من تيارات مختلفة ؛ فأثرت في نشأته وتعليمه ومذهبه في الحياة ، وانعكست أشعتها المختلفة ، وأصاؤها المتنوعة في نفسه ، فخرجت صور منها في شعره .

وسأعرض في الفصول التالية أهم الأحداث السياسية التي وقعت في القرن السادس الهجري ، وفي النصف الثاني منه بوجه خاص . وسأقصر حديثي على ما كان منها في إيران ، والأقاليم المجاورة لها ، التي اتصل الشاعر بحكامها ، ثم أختتم بالحديث عن النواحي الاجتماعية والفنية والدينية ، وأثر هذه العوامل متداورة في توجيه حياة الناس وتكييفها .



الشرق الأوسط

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

دولة السلاجقة

كانت دولة السلاجقة في القرن السادس الهجري ، تبدو في أفرع منتشرة في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي ، يهتما ما كان منها في إيران وآسيا الصغرى ، لاتصال الشاعر بحكام هذين الإقليمين وتقديم منظوماته لهم . وهذا يجعلنى أقصر حديثى على السلاجقة العظام ، وسلاجقة العراق ، وسلاجقة آسيا الصغرى .

١ - السلاجقة العظام :

كانت دولة السلاجقة ممزقة الأوصال - حينما ولد نظامى في عام ٥٣٩هـ - فلم تكن أجزاء الدولة تخضع لنفوذ سلطان واحد ، كما كانت الحال في عهد طغرل الأول وألب أرسلان وملكشاه ، الذين سمو بالسلاجقة العظام ، لأن الحروب اشتدت بين أفراد البيت السلجوقي ، بعد موت ملكشاه ، واختفاء وزيره نظام الملك من فوق المسرح السياسى ، حتى إن ابن العبرى ليصفهم بقوله : « فكأنما سُلَّ طين السلاطين من جفن الجفاء ، وجُبِلَتْ جبلتهم على الإغفال والإغفاء ، فالرحم عندهم مقطوعة ، والعزة في خدمتهم بالذل مشفوعة ، والاغترار بهم غرر ، وصفوهم كدر ، يُقْسِمُونَ ويحنثون ، وَيُبْرِمُونَ وينكثون » ^(١) .

غير أن سنجر ، حاكم خراسان ، قد استطاع بعد موت أخيه عمده في عام ٥١١هـ ، أن يخلفه على عرش السلطنة ، وأن يخضع أغلب أجزاء الدولة السلجوقية تحت أمره ، فأعاد بذلك عهد السلاجقة العظام ، واعتبر آخرهم .

وكان سنجر سلطاناً قوياً ، فقد كان يدهى له من هلاور ، وغزنه ، وسمرقند ، إلى خراسان ، وطبرستان ، وكرمان ، وسجستان ، وإصفهان ، وهمدان ، والرى ،

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٣ .

وآذر بيجان ، وأرمينية ، وأرانیه ، وبنّداد ، والمراقين ، والموصل ، وديار بكر ، وديار ربيعہ ، والشام ، والحرمين ، وتُضْرَبُ له السَّكَّةُ في هذه الأقاليم وبلادها ، وتطأُ بساطه ملوكها ، ودام ملكه كذلك إلى سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، حينما كسره الخطائي كسرة عظيمة^(١) .

ومنذ ذلك الوقت أخذت قوة سنجر في الضعف ، فقد تحالف عامله أنسر مع القبائل القراخانية ، وحشها على الهجوم على حدود سيده^(٢) ، وهزم سنجر شرهزيمة ، بينما أعلن أنسر استقلاله في خوارزم ، وأسس الدولة الخوارزمية التي دالت على يديها دولة سلاجقة العراق .

واستمرت قوة سنجر في الضعف حتى عام ٥٤٨هـ ، حينما شبت نيران الحرب بينه وبين قبائل الغز التركية ، وقد قضت هذه الحرب على البقية الباقية من قوته ، بل إنه وقع أسيراً في أيدي تلك القبائل ، وبقي كذلك ثلاث سنوات احتال بعدها لفرار^(٣) ، ولكنه لم يلبث أن مات كدأ لما رأى ماحلّ بدياره من دمار^(٤) ؛ فإن الغز قد خرّوا سرو ونيشاپور وكرمان مرتكبين شناعات لاحصر لها ، وقيل : إنهم أمعنوا في القتل ، حتى إن القتلى لم يظهروا من كثرة الدماء المسفوكة^(٥) .

وموت سنجر انقضت دولة السلاجقة للعظام نهائياً ، وكان مـسـكـرهم - في

(١) صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٢) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٢٩٥ ؛ البنداري مختصر تواريخ

آل سلجوق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣) الراوندي : راحة الصدور ص ١٦٨ - ١٨٤ ؛ الكرمانی : عقد الملی ص ٧ ؛

البنّاكتی : روضة أولى الألباب « القسم الرابع » ؛ إصفهانی : شاهد صادق ، ص ٥٣٦ ؛

قوبین : استيلاء الغز على امپراطورية السلاجقة العظام ، ص ٥٦٣ - ٦١١ .

(٤) أمير خواند : روضة الصفا « الجزء الرابع » .

(٥) حافظ أبرو : زبدة التواريخ ص ١١٢١ .

أثناء طفولة نظامي - يوج بالاضطرابات والنزاعات ، التي لم ينقطع حدوثها طوال القرن السادس الهجري .

٢ - سرخنة العراق :

وإذا انتقلنا إلى معسكر سلاجقة العراق ، نجدهم يسيطرون على غربى إيران وشمالها الغربي ، فيسيطرون نفوذهم على العراق وكردستان وآذربيجان . وكان السلطان مسعود ، أعظم سلاطينهم في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، يشبه عمه سنجر من حيث سمة النفوذ وقوة البطش . فقد آلت إليه سلطنة جميع بقاع العراق وكردستان وآذربيجان ، في عام ٥٢٩ هـ ^(١) ، ولكن معسكره كان كغيره من المعسكرات ، مملوءا بالنزاعات التي ثارت بينه وبين إخوته ، وبينه وبين الدويلات الأخرى ، فامتاز عصره بكثرة الحروب التي انتصر في جميعها ^(٢) .

وقد بدأ حروبه بقتال الخليفة العباسي المسترشد بالله ، ثم حارب ابنه الراشد بالله ، وانتصر في الحربين وانتهى الأمر بقتلها ، وإسناد الخلافة إلى المقتنى لأمر الله كما سيأتى ، وبذلك أصبحت لمسعود الكلمة العليا .

على أن الحروب لم تلبث أن نشبت بينه وبين والى فارس ، الذي رفع علم الثورة ضده ، فأرسل مسعود إليه أخاه سلاجوقشاه يصحبه قراسنقر ، والى آذربيجان ، فانتصرا عليه ثم رجعا إلى همدان ، حيث توفى قراسنقر ، فأُسند أمر آذربيجان إلى إبلدگز ^(٣) الذي أسس دويلة الأتابكة .

وسار مسعود بعد ذلك إلى الري لتأديب واليها عباس ، فأُسرع هذا الوالى إلى استقباله ، وأظهر الطاعة والالقياد ، فمعا مسعود عنه ، غير أنه عاد فمضى

(١) أمير محي قزوینی : لب التواريخ (الفصل السابع) : ابن الوردي : تاريخه

ص ٣٩ .

(٢) خواند امیر : حبيب السیر ، ص ١٠٤ .

(٣) للرجع السابق ، ص ١٠٤ وما بعدها .

مرة أخرى ، وتحالف مع سليمان شاه أخى مسعود ، ومع عبد الرحمن وبوزابه من الأمراء ، وصمموا على عزل مسعود ، فسار من بغداد لمحاربتهم ، ولكن التلويح عاقت تقدمه ، فاضطر إلى الرجوع من حيث أتى ، ثم عاود السير في الربيع ، وكانوا في أعلم من توابع همدان ، فلما اقترب منهم ولّوا هاربين ، بينما أسرع سليمان شاه لتقديم فروض الطاعة لأخيه السلطان ، الذي سجنه مستمعاً لنصيحة أمرائه^(١) .

ثم التمس الباقون العفو فَمُنِحُوهُ ، غير أن مسعود أحسّ فيهم روح الضد فأمر بقتل عبد الرحمن وعباس ، ثم حارب بوزابه الذي جمع جيشاً في إصفهان ، انضم إليه خاص بك وإيلدكز ، وكان النصر لحليف السلطان فانتهى الأمر بقتل بوزابه^(٢) .

وبذلك خلا الجو لمسعود ، فلم يجرؤ أحد على الوقوف في وجهه ، وظل قوياً مرهوب الجانب إلى أن توفي في عام ٥٤٧ هـ ؛ فضمفت بموته دولة سلاجقة العراق ، وأصبحت العلوية في يد الأمراء ورؤساء الجيش وأتابكه آذر بيجان^(٣) .

وخلف ملكشاه عمه مسعود ، فترك تدبير مهام الدولة ، وانصرف إلى اللهو والشراب ، فغلبه الأمراء ، وسجنوه في قلعة بهمدان ، وأجلسوا أخاه « محمد » مكانه ، ولو أن ملكشاه تمسك من الحرب إلى حوزستان^(٤) .

ولم يخلُ عهد محمد من الحروب ، فقد حارب الخليفة العباسي المقتدى لأمر الله

(١) العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ١٢٢ - ١٢٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التواريخ ، ج ١١ ص ٦٨ ؛ أمير خواند : روضة الصفا ، الجزء الرابع .

(٢) البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢١٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ٦٨ .

(٣) الكرمانى : عقد الطلى ، ص ٧ .

(٤) البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٢٨ ؛ خواندامير : حبيب السير ، ص ١٠٨ .

وحاصر بغداد ، ولو أنه لم يوفق في فتحها ، كما قتل خاص بك في عام ٥٤٨ هـ ، عقب توليه السلطنة ، فتوجس الأمراء - وعلى رأسهم ايلدكز - خيفة منه ، واتهموا فرصة حربه مع الخليفة ليثوروا ضده ويحاولوا عزله ، الأمر الذي اضطر «محمد» إلى رفع الحصار عن بغداد والسير لمحاربتهم ، وقد تمكن من الانتصار عليهم ، وبذلك استتب له الأمر حتى توفي في عام ٥٥٤ هـ^(١) ، فتولى ملكشاه أمر السلطنة مرة أخرى ولكنه توفي بعد بضعة أشهر ، فولى الأمراء عمه سليمان شاه عرش السلطنة ، وذلك في عام ٥٥٥ هـ ؛ غير أن سليمان شاه لم يكن بالشخص الذي يستطيع تصريف مهام الدولة بحكمة وتدبر ، فقد شغل وقته باللهو والمجون ، مما جعل الأمراء يفكرون في تولية غيره .

وانتهى الأمر بإرسالهم إلى ايلدكز ، لتولية ابن زوجته آرسلان بن طغرل ، فسار ايلدكز إلى همدان حيث قبض على سليمان شاه وسجنه ، وآل أمر السلطنة إلى آرسلان الذي يبدأ عهده في عام ٥٥٥ هـ . وطبعاً أن يصبح ايلدكز مُهمِّيناً على جميع مرافق الدولة ، يتصرف في كل الأمور برأيه ، أما آرسلان فقد كان رمزاً بملك ولا يحكم^(٢) .

ولكن ايلدكز استطاع بكفائه وحسن تديره ، ومساعدة ابنه ، محمد جهان بهلوان وقزل آرسلان ، أن يرد كيد الأعداء وينتصر عليهم^(٣) .

وقد كثرت الحروب وتمددت ميادینها ، إذ اتحد والى الرى اينانج مع والى أصفهان قياز ، وثارا ضد آرسلان ، وطالبا بعزله ، ولكن السلطان تمكن - بمساعدة ايلدكز - من الانتصار عليهما .

(٤) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٢٨ ؛ خواندامير : حبيب السير ص ١٠٨ .

(١) حمد الله مستوفى قزوینی : تاريخ كزیده ص ٤٧٠ ؛ أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٢) محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان کرمان ص ٥١ ؛ کرمانی : تاريخ افضل ص ٤٣ .

وفي نفس الوقت هاجم ملك الأبخاز آذربيجان ، فخف أرسلان للقائه ودارت بينهما معركة طاحنة ، بالقرب من قلعة كاك ، انتهت بانتصار أرسلان وظفره بثنائيم كثيرة .

ثم توجه بعد ذلك لقتال الاسماعيليين ، الذين حصنوا أنفسهم في نواحي قزوین وأصبحوا مصدر فزع للأهالي الآمنين ، يشيرون الرعب بينهم وبينهم أموالهم ، وقد انتصر عليهم ، وحطم حصنهم « چهار صوفه »^(١) .

وفي عام ٥٥٩هـ ، حارب اينانج والى الرى المهزوم ، الذى كان يُنيرُ على المراق بجيش أمدته به تكش أرسلان الخوارزمى ، وقد تمكن السلطان من الانتصار على اينانج وقتله^(٢) ، ثم أسند أمر الرى إلى جهان پهلوان بن ايلدگز ، الذى تزوج من بنت اينانج ، وأنجب منها قتلوغ اينانج ، الذى ساهم في إسقاط دولة سلاجقة العراق^(٣) .

وتوفى ايلدگز في عام ٥٦٨هـ ، فاحتلَّ ابنه جهان پهلوان مكانه ، وأصبحت له الكلمة العليا في الدولة ، بينما انزوى السلطان أرسلان حتى توفى في عام ٥٧١هـ^(٤) . وقيل إن أخاه جهان پهلوان قد سمه ليتخلص منه ، ويولى ابنه طغرل^(٥) .

وقد خلف طغرل أباه أرسلان ، وكان طفلاً في السابعة من عمره^(٦) ، فأُسند زمام الأمور إلى عميه ، جهان پهلوان وقزل أرسلان ، اللذين تمكنوا بفضل شجاعتهم من صد خطر عدوين في وقت واحد، أحدهما ملك الأبخاز ، الذى هاجم آذربيجان

(١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) ، خواند امير : حبيب السير ص ١١٠-١١١ .

(٢) محمد بن إبراهيم : تاريخ سلجوقيان کرمان ص ٥١ .

(٣) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٣٠١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ٥٥ .

(٥) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٣٠١ .

(٦) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧١ .

مرة أخرى ، والآخر محمد بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، الذي أغار على العراق^(١) .

وظلَّ جهان پهلوان يسيطر على الدولة ، ويصرف مهماتها ، حتى توفي في عام ٥٨٢ هـ ، فأخذ أخوه قزل أرسلان مكانه ، غير أن المنازعات لم تلبث أن ثارت بينه وبين ابن أخيه السلطان طغرل ، وتدخل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، لنصرة قزل أرسلان ، فهُزِمَ طغرل وسُجِنَ^(٢) . ولم يتمكن من الحرب إلا بعد قتل عمه ، في عام ٥٨٨ هـ .

وتزوج طغرل من الخاتون ، زوجة عمه جهان پهلوان ، وأم قتلوغ اينانج ، وقيل إنها كانت تدبره وابنها وسيلة لقتله ، وعلم طغرل بذلك فسَمَّها ، فثار النزاع بينه وبين قتلوغ اينانج ، الذي استعان بشكش الخوارزمي ، وقامت حربٌ بين الطرفين انتهت بقتل طغرل ، على يد ابن عمه في عام ٥٩٠ هـ .^(٣) فانهارت بقتله دولة سلاجقة العراق .

وقد كان طغرل من ممدوحى نظامي ، وكان شاباً مشهوراً بالشجاعة وحب الأدب ، كما كان ينظم الشعر ، وقد مدحه نظامي في منظومته « خسرو وشيرين » فقال : « السلطان الشاب ملك حسن الحفظ ، فليكن - دائماً - صاحب عرش وتاج ؛ إنه زينة العرش وفتاح مُلْك الدنيا . هو طغرل السلطان العادل ملاذالرية ، ملك الملوك ، وسيد العالم ، وهو صاحب العرش ، وربُّ الدولة وبحر الجود »^(٤)

(١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .

(٢) حمد الله مستوفى قزوینی : تاریخ کریمه ، ص ٤٧٥ .

(٣) البنداری : مختصر تواریخ آل سلجوق ص ٣٠٢ ؛ الحسیبی : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٧٢ - ١٧٦ .

(٤) هذه ترجمة قول نظامي في خسرو وشيرين ص ١٥ :

چو سلطان جوان شاه جوانبخت که بر خوردار باد اُز تاج و اُز تخت =

ومهما يكن من شيء فإن معسكر سلاجقة العراق كان زاخراً بالمنازعات والحروب ، التي تلاحقت بصورة أثرت في حياة الناس ، فجعلتها قلقة مضطربة .

٣ - سلاجقة آسيا الصغرى ومن والاهم :

وإذا انتقلنا إلى آسيا الصغرى ، نجد فرعاً من فروع السلاجقة العظام ، يُسمى سلاجقة آسيا الصغرى . وكان يحكم من هؤلاء والسلاجقة - في الفترة التي نتحدث عنها - شخصٌ يُدعى قلیج أرسلان استطاع أن يهزم ملك الروم ، ويجلس على عرش القيصرية في قونية ، ثم بدا له أن الناس قد ملؤا حكم السلطان مسعود في العراق ، فتوجه على رأس جيش كبير لمحاربتة ، غير أن جاولی - أعظم قواد مسعود - اتصل بأمرأ قلیج أرسلان ومنّاهم وهدّدهم حتى كرهوه فأغرقوه في عام ٥٣٩ هـ ^(١) .

وقد استطاع حفيده عز الدين قلیج أرسلان الذي ولي الحكم في عام ٥٥٨ هـ أن يوسع حدود ملكه ، فاستولى على أملاك الدانشمندية لضعفهم ثم قسم ملكه بين أولاده العشرة ، فأصبح كل منهم والياً على جزء من أجزاء المملكة ^(٢) . ويُحدّثنا التاريخ أن عز الدين هذا صادف جفوة من أبنائه ، وكان يتردد عليهم فلا يقبلونه ، حتى استقرّ به المطاف عند ابنه الأصغر غياث الدين كيخسرو الذي أكرم وفادته ، وساعده على تثبيت قواعد ملكه في قونية ، فمهد إليه بولاية العهد من بعده ، رغم أنه كان أصغر أبنائه سناً ^(٣) .

= سریر افروز إقلىم معانی ولايت کير ملك زندگانی
بناء ملك شاهنشاه طغرل خداوند جهان سلطان عادل
ملك طغرل که دارای وجوداست سپهر دولت ودریای جوداست

- (١) حمد الله مستوفی قزوینی : تاریخ کریده ، ص ٤٨١ .
- (٢) للرجع السابق ، ص ٤٨٢ ؛ خواندامیر : حبيب السیر ، ص ١١٥ .
- (٣) حمد الله : تاریخ کریده ، ص ٤٨٢ .

ومات عز الدين في عام ٥٧٨ هـ^(١)، خلفه ابنه غياث الدين كيخسرو، ولكن أخاه ركن الدين سليمان ثار في وجهه، يعاونه إخوته الآخرون، فسار على رأس جيش كبير حاصر به قونية، وانتهى الأمر بالصلح على أن يلى ركن الدين العرش، ويؤمن أخاه الذي لم يلبث أن هرب خوفاً وتوهماً.^(٢)

وقد قوى أمر ركن الدين بعد ذلك، لأن دولة سلاجقة العراق انهارت في ٥٩٠ هـ، وَمُنَجَّح - من دار الخلافة - لقب القاهرة، واستولى على أرزن الروم^(٣). وهو يهمننا لأنه كان صهر خنر الدين بهرامشاه، حاكم أرزنجان في عهده وعهد أخيه غياث الدين كيخسرو، وقد اصطعبه معه في حروبه ضد الغزو الأبخاز، في عام ٥٩٩ هـ^(٤). وبهرامشاه هذا، هو الوالى الذى قدّم نظامى له، منظومته الأولى، «مخزن الأسرار».

وكان بهرامشاه من نسل منكوجك غازى، أحد أمراء الب أرسلان، الذى عينه حاكماً على أرزنجان، في عام ٤٦٤ هـ، ويبدو أنه كان عادلاً، وأن شأن إمارة أرزنجان قد ارتفع في عهده، حتى أصبح أهلاً لمصاهرة سلاطين آسيا الصغرى. كما اشتهر بالكرم الذى عمّ سكان إمارته^(٥).

(١) هذا ما ذكره حمد الله في تاريخ كزیده، ص ٤٨٢، ولكنه قال بعد وصف الحروب التى وقعت بين كيخسرو وركن الدين سليمان، وهى التى وقعت في نفس السنة التى توفى فيها والدهما: «وفى ذلك الوقت انتهى حكم السلاجقة في العراق وتولاه الخوارزمشاه» وقد انتهى حكم سلاجقة العراق في عام ٥٩٠ هـ كما مرّ، وهذا يدل على أن وفاة قلعج أرسلان كانت في السنوات القريبة من عام ٥٩٠ هـ، ولعلها كانت في عام ٥٨٨ هـ كما ورد في ابن الأثير: الكامل ج ١٢ ص ٦٥؛ وابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٣٨٣؛ وابن البيي: مختصر سلجوقنامه، ص ٧.

(٢) حمد الله: تاريخ كزیده، ص ٤٨٣، ابن البيي: مختصر سلجوقنامه ص ٣-٧.

(٣) حمد الله: تاريخ كزیده، ص ٤٨٣.

(٤) الراوندى: راحة الصدور، حاشية ص ٢١٧.

(٥) أمين رازى: هفت إقليم (الإقليم الرابع).

ولعل هذا هو الذى جعل نظامى يقدم له منظومته الأولى ، وقد روى أن بهرامشاه كافأه على عمله بسقاء ^(١) .

وتحديد سنى حكم بهرامشاه قد يساعدنا فى ضبط تاريخ إتمام « مخزن الأسرار » ؛ غير أن المراجع اختلفت فيما بينها اختلافاً كبيراً فى تحديدها ، ووضع العلامات المميزة لها .

وقد ذكر زمباور أن فترة حكم بهرامشاه تقع بين ٥٥٠-٦١٥ هـ ^(٢) ، بينما حدد ابن الأثير تاريخ وفاته فقط على أنه ٦٢٢ هـ ^(٣) ، وحصر « تزييت » سنى حكمه بين ٥٥٠-٦٢٥ هـ ^(٤) .

وأرجح أنه كان ما كما على أرزنجان فى الفترة التى تقع بين ٥٢٠-٦١٧ هـ ، لأن التاريخ يحفظ لنا قطعتين من النقود الفضية ضربتا فى مدينة أرزنجان التى كانت مقراً لحكمه ، كُتِبَ على الأولى : « العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى بهرامشاه بن داود نصير أمير المؤمنين أرزنجان ٥٧٠ هـ » .

وكُتِبَ على الثانية : « العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى بهرامشاه ابن داود . ضرب بمدينة أرزنجان ٦١٧ هـ » ^(٥) .

(١) ابن البيي : مختصر سلجوقنامه ، ص ٢١-٢٢ .

(٢) E. de Zambaur : Manuel de Genealogie et de chronologie pour L'histoire de L'Islam Tome Premiere. P. 145.

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٧٩ ؛ وقد نقل ريو فى فهرسته ج ٢ ص ٥٣٥ عن جهان آرا ورقة ١١١ ، وهفت إقليم ورقة ١٣٩ نفس التاريخ الذى ذكره ابن الأثير .

(٤) تزييت : مقاله عن « متوى ومثنوى كويان » مجلة مهرشماره ٨ سال پنجم دى ماه ١٣١٦ هـ ، ص ٧٥٩ .

(٥) تزييت : مقاله السابق ذكرها ، وقد نقل ما كتب على قطعتى النقود عن فهرست السكوكات الإسلامية لأحمد ضيا . وقرر أن القطعتين محفوظتان بالمتحف الجمهورى باستانبول .

وواضح أن القطعتين تثبتان أن بهرامشاه قد حكم منذ عام ٥٧٠ هـ على الأقل ، وأنه ظل يحكم حتى عام ٦١٧ هـ .
ومن الجائز أن يكون بهرامشاه قد حكم حتى وفاته في عام ٦٢٢ هـ كما ذكر ابن الأثير الذي كان معاصراً له .

وقد مدح نظامي هذا الوالي ، وأطرب في مدحه ، وبناء على أساس ديني ، ليكسبه قوة ، فجعله بتوجيه من قلبه على طريقة المتصوفة . وبدأه بقوله : « رأى القلب - من ذلك المصدر الذي يوجد في الهمة - مُعطى الدرجات الذي هو ولي النعمة » ^(١) .

ثم ذكر اسمه ونسبه فقال : « الملك فخر الدين الذي تاجه الفلك ، وخاتمه كخاتم سليمان ، والذي صح انتسابه إلى داود . فصبح شرفه كشرف سليمان » ^(٢) وأخذ يُطرب في مدحه في قوله . « إنه مفخرة الملوك بقوته ، مشهور في الدهر بعلمه ، ملك العالم جميعه ، فهو ملك الأرمن ، وهو ملك الروم ، وهو زينة العرش ، ومسند الخلافة ، وفتح الروم والأبخاز ، وهو أعلم أهل الدنيا وأعلمهم ، وأكرم أبناء الجود وأكثرهم إحساناً ، وهو قوى جاوز صوت طبوله غنان السماء ، وغلبت قوته قوى الطبيعة » ^(٣) .

(١) ديد از آن مایه که در همتست پایه دمی که ولی نعمتست

(نظامی : مخزن الأسرار ص ٣٢)

(٢) شاه فلك تاج سلیمان نگین

نسبت داودی او کرده بُست

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) مفخر شاهان بتوانا تری

خاص کن ملک جهان بر عموم

سلطنت اورنسک وخلافت سریر

عالم وعادل تر اهل وجود

محسن ومکرم تری ابناءى جود =

نم طلب من الوالی أن یعطیه لأنه أهل للكرم فقال : « اجعل السخاء تابعا
لك ، وأشعل شمع الکلام بمدحك ، وأرسل خلمة الرقة ، وعطر القبول إلى
نظامی ؛ وإن الشعر مهما نظم كثيراً جليلاً ، فإنه - حينما یصل إلى مائدتك -
یصیر نخیلاً ، لقد انهدمت اللآلئ والجواهر من البحر والکنز ، فقدم أنت
اللآلئ من القم والجواهر من اليد »^(۱)

وقرن الشاعر وصفه بالكرم بوصفه بشدة البطش ، فالوالی یهب من بمدحه
من أمثال نظامی ، ویقضى على مَنْ یعادیه ؛ نلاحظ ذلك فی قوله : « ممنوخٌ
ومحترقٌ فی طریقک : ممنوخٌ أنا ، ومحترقٌ عدوک ، إن فتحت مرفوع الرأس
کالعلم ، وإن خصمک مکسور الرأس کالقلم »^(۲).

ثم تحدث عن بلاط الملائک ، على أنه مقصد لشراء المديح ، وأنه هو أفضالهم
جیماً فقال : « ولو أن شراء المديح قد ولّوا وجوههم شطر هذا البلاط ، إلا أنهم
یقفون جیماً خاشعين أمام نظامی ، فهو شخص آخر ، أما الآخرون فمن
یکونون ۱۹... فأنا قد ظفرت بهذه المنزلة علیهم ، وسبقتهم بمرحلة »^(۳).

= کوس فلک راجرش بشکند شیشه مه رانفش بشکند
(نظامی . مخزن الأسرار ص ۳۳)

(۱) گوش سخارا أدب آموزکن شمع سخن رانفس آفروزکن
خلمت کردون بنفلاى فرست بوى قبول بنظامى فرست
کرچه سخن فربه وجان پرورست چونکه بخوان تورسد لاغراست
بی کهر ولعل شداین بحر وکان گوهرش ازکف ده ولعل ازدهان
(المرجع السابق ص ۳۶)

(۲) ساخته وسوخته در راه تو ساخته من ، سوخته بدخواه تو
فتح تو سرچون علم افراخته خصم تو سرچون قلم انداخته
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) کرچه بدین درکه پایندگان روی نهادند ستاینندگان=

و بَیِّنْ أَنَّهُ كَكُلِّ شَعْرَاءٍ الْمَدِیْحُ لَهُ هَدَفٌ مِنْ وَرَاءِ مَدْحِهِ ، فَهُوَ یُرِیدُ أَنْ یَرْتَفِعَ شَأْنُهُ ، وَ یَصِیرَ مَقْرَبًا ، فَقَالَ : « سَوْفَ أَتَمَتِّعُ - بِهَمَّتِی - بِالْمَنْزَلَةِ الْعَالِیَةِ ، فَأَرْتَفِعُ بِفَضْلِكَ ، وَ بِفَضْلِ تَبِیعِیْ لَكَ ؛ إِنِّی أَتَابِعُ غِبَارَ قَدَمِكَ ، حَتَّى أَصِلَ إِلَى الرَّفْعَةِ ؛ وَإِذَا لَمْ تَوْصِلْنِی أَنْتَ فَكَيْفَ أَصِلُ ؟ ... » ^(۳)

و هكذا أضفی نظامی مدائحہ علی بہرامشاہ بکرم و سخا ، مما یرجح أن هذا الوالی کان بکرم الشعراء ، و یشجعهم علی النظم .

و مہما یکن من شئ ، فإن معسکر ولایۃ آسیا الصغری لم یکن أقل اضطراباً من غیرہ من المعسکرات . فقد لاحظنا أن حکامہ - وإن سما شأن بعضهم - كانوا يتحاربون فيما بينهم ، و یحاربون من جاورهم .

و ندع السلاجقة لئلقی نظرہ علی معسکرات أتباعہم من حکام آذر بیجان .

= پیش نظامی بحساب ایستند او دگراست این دیگران کیستند؟
 منکہ در این منزلشان مانده ام
 مرحلہ پیش ترک راندام
 (نظامی : مخزن الأسرار ص ۳۶)

(۳) آوج بلند درو میبرم
 نامگر آزر و شنی رای تو
 باشد کز همت خود برخورم
 سرنہم آنجا کہ بُوَد پای تو
 کرد تو گیم تابگردون رسم
 تازسانی تو مرا چون رسم
 (المرجع السابق : ص ۳۸)

الفصل الثاني

عظام أوريجان

كانت آذر بيجان - في القرن السادس الهجري - مقسمة بين دويلات كثيرة ، مثلت كل منها دوراً يختلف باختلاف موقعها الجغرافي ، وقوة رجالها . فأزان قد استقلت تحت حكم دويلة الأتابكة التي أسسها ايلدكز في عام ٥٣١ هـ ، وظلت تحكم حتى عام ٦٢٢ هـ .

والجزء الجنوبي من آذر بيجان ، كان تحت حكم دويلة آقسنقر الأحمدلي التي كانت عاصمتها سراغة .

هذا عدا دويلة حكام شروان التي بقيت مستقلة في هذا القرن أيضاً . وقد حاول نظامي - لكونه من كنجه - أن يتصل بحكام هذه الدويلات ، لقرّبهم منه ، وقد اقتضت أغلب اتصالاته على هؤلاء الحكام ، تقديم لهم أغلب منظوماته ، مما يجعل الإلزام بمسكراتهم ضرورياً لمن يدرس هذا الشاعر .

١ - أتابكة أوريجان :

ونبدأ بالأتابكة ، فنجد زعيمهم ايلدكز قد أصبح قوة لها خطرها في الدولة السلجوقية ؛ رغم أنه لم يكن أكثر من تابع من أتباع هذه الدولة ، ولكن شأنه ارتفع في عهد السلطان مسعود ، حتى زوجته أرملة أخيه طغرل ، ثم أسند إليه ولاية أزان فاستقل بشؤونها^(١) . وأسّس دويلة الأتابكة في عام ٥٣١ هـ .

ويرى سيكس أن أهمية هذه الدويلة لم تعد أن تكون محلية^(٢) . ولكن

(١) ابن الوردي : تاريخه ، ص ٨١ رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ،

ص ٣٧٠ .

(٢) Sir Percy Sykes : History of Persia , vol. II. P. 55. (٢)

واقع الحوادث يدك على أن حكماها قد وصل نفوذهم إلى درجة التدخل في شئون سلاجقة العراق ، والسيطرة عليهم ، وتوجيههم وفق إرادتهم ، خصوصا في الفترة التي تقع ما بين ٥٥٥ - ٥٨٧ هـ ، كما مر . لأن الأتابكة كانوا يُفْتَبَرُونَ ضباط السلاجقة ، الذين كانوا يتحكمون في الخليفة العباسي ، ويلزمونه بذكر أسمائهم في الخطبة .

وقد استغل الأتابكة ضعف السلاجقة في تلك الفترة ، فتدخلوا في مهام الدولة ، ووصل نفوذهم إلى درجة عزل بعض السلاطين أو قتلهم .

ولعلنا لاحظنا - فيما سبق - كيف تمكن ايلدكز من تولية ابن زوجته ، آرسلان بن طغرل ، بعد عزل سليمان شاه وسجنه ، في عام ٥٥٥ هـ . وكيف أنه أصبح ، منذ ذلك التاريخ ، الحاكم الفعلي على العراق وكرديستان وآذربيجان ، فلم يكن لآرسلان إلا الاسم ؛ تقرأ باسمه الخطبة ، وتُضَرَّبُ باسمه السكة .

كالا حظنا أن نفوذ ايلدكز ظل قويا ، طوال مدة حياته ، إلى أن توفي في عام ٥٦٨ هـ ، وأن ابنه شمس الدين محمد جهان پهلوان قد خلفه في النفوذ ، بل قيل إنه سمَّ أخاه آرسلان أيُجَلِّس ابنه الطفل طغرل .

وبلغت قوة جهان پهلوان درجة جعلت الحكام الآخرين يرهبون جانبه ، ويُرسلون السفراء إلى بلاطه^(١) .

ولعل هذا هو الذي جعل نظامي يمدحه بقوله : « الملك الأعظم ، الأتابك العادل ، الذي أخذ صوت الظلم في العالم ، أبو جعفر محمد ، الذي سيصبح - مثل محمود^(٢) - فاتحا لخراسان ، وإن لقبه شمس الدين والدنيا ، لدليل على أنه شمس خاصة وعامة »^(٣) .

(١) صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧٢ .

(٢) لعل الشاعر يقصد السلطان محمود الغزنوي ، فقد كان مضرب للثل في الشجاعة وبسطة السلطان .

(٣) ملك أعظم أتابك داور دور كه افكند أز جهان آواز جور =

وتوفى جهان پهلوان في عام ٥٨٢ هـ . خلفه أخوه قزل أرسلان ، ودخل إلى همدان مقر السلطنة ، لتسيير دفة الأمور^(١) . واسكن القتن لم تلبث أن شبت في أنحاء السلطنة ، فقامت المنازعات بينه وبين ابن أخيه السلطان طغرل ، واستنجد هو بالخليفة العباسي ، الناصر لدين الله ، فأمدّه بجيش وصل إلى العاصمة قبل وصوله هو ، فاضطُرَّ إلى القتال وحده ، مما أدى إلى هزيمته ، في عام ٥٨٣ هـ ، فرجع مدحوراً^(٢) .

ثم جهّز الخليفة جيشاً آخر وصل إلى همدان في عام ٥٨٤ هـ ، واستولى عليها بينما هرب طغرل . ودخل قزل أرسلان العاصمة ، ثم استطاع القبض على السلطان وسجنه في قلعة بأذربيجان^(٣) .

وهكذا خلا الجو لقزل أرسلان ، الذي أراد أن يجلس سنجبر بن سليمان شاه ، على عرش السلطنة ، لولا أن وصلته رسالة من الخليفة تُظهِر رضاه على أن يلي هو عرش السلطنة ، فأعلن نفسه سلطاناً في عام ٥٨٧ هـ ، ولكنه لم يلبث أن وُجِدَ مقتولاً بعد وقت قصير^(٤) .

== أبو جعفر محمد كز سر جود خراسان كبر خواهد شدجو محمود
دليل آنكه آفتاب خاص وعام است كه شمس الدين والدنياش نام است
(نظامی : خسرو وشيرين ، ص ١٨)

- (١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) .
- (٢) صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٧٧ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ - ١٨١ ؛ ابن الوردي : تاريخه ، ص ١٠٠ .
- (٤) اختلف فيمن قتل قزل أرسلان ، فالحسيني يقرر أنه تزوج من الخاتون ، زوجة أخيه ، جهان پهلوان ، التي لم تلبث أن كرهته لسوء أخلاقه وانصرافه عنها ، فدبرت مع ابنها قتلوغ ايناغ بن پهلوان وسيلة لقتله . والبناكتي ، في القسم الرابع من تاريخه ، يتهم الاسماعيليين بقتله ، ويفهم من كلام ابن الوردي ، في تاريخه ، ص ١٠٤ ، وابن الأثير ، في الكامل ج ١١ ، ص ٣٤٦ . أنه قتل بسبب اضطهاده للشافعية ، وقته =

وهكذا نجد أن قوة أتابكة آذر بيجان قد بلغت حدًا جعلهم جديرين بتولي عرش السلطنة .

وقد ظفر قزل أرسلان هذا بنصيب وافر من مدح نظامي ، حينما قدّم له منظومته الثانية « خسرو وشيرين » ، فأشار إلى عظمته وسعة نفوذه بإشارات لم تخلُ من المبالغة ، على طريقة الشعراء - غالباً - في المديح ، فقال : « كن رقيقاً يانسيم الصباح ، ونفضل - في الفرصة التي تختارها - فقبل الأرض بين يدي الملك ، الذي عرشه فوق الثريا ، والذي هو واهب الحياة ، وشمس الأقاليم السبعة ، والذي اعتزّ به الدين والدولة . هو الملك قزل ، ملك المشرق وملجأ المغرب ؛ تاجه فوق القمر ، وهو كالشمس ، وإن يكن مقرّه في المغرب ، إلّا أن سلطانه قد جاوز المشرق ، وهو بسطيع ، في سهولة ، أن يأخذ الخراج من الصين والجزيرة من الروم » ^(۱) .

وقد دعا قزل أرسلان الشاعر إليه بعد ذلك ، فرحل إليه ، واستأذن في الدخول عليه ، ووصف حضرته عن قرب ، فصوّرها في قوله : « كان الملك جالساً كالشمس المشرقة ، على عرش كمرش جمشيد ، بتاج كتاج كيقباد ، وكان محفله صورة من محافل الجنة ... وكان المكان مملوءاً بأواني الشراب الممتلئة ، كما كانت أصوات

كثيراً من مشايخهم فقد نار في ذلك الوقت نزاع بين الشافعية والحنفية في أصفهان وقبل إن قزل أرسلان اضطهد الشافعية . أما أميرخواند فيقرر ، في الجزء الرابع من روضة الصفا ، أن أمراء بغداد هم الذين قتلوا قزل أرسلان حقداً وحسداً .

(۱) سبك باش أي نسيم صبحگاهی فضل کن بدین فرصت که خواهی زمین را بوسه ده در بزم شاهی که دارد بر ثریا بارگاہی جهان بخش آفتاب هفت کشور که دین و دولت از او شد مظفر شه مشرق که مغرب را پناهست قزل شه که افرش بالای ماهست چو مهری گرچه شد مغرب و ناقش گذشته از سر حد مشرق یتاقش نگینش گر نه دیک نقش برموم خراج از چین ستاند جزیه از روم (نظامی : خسرو وشیرین ، ص ۲۵)

النأي والمزامير ، تجاوز - بألحائها المختلفة - عنان السماء^(١) .

وقد أطنب الشاعر في مدح هذا الوالي ، وتصوير زيارته له ، التي كانت - فيما يبدو - الزيارة الوحيدة التي ذهب فيها إلى حاكم بناء على دعوة منه ، وقد خلع عليه بهاء جعل لسانه يلهج بشكره ، والثناء عليه .

كما أشار إلى قتله فقال : « استشهد بضربة من أحد أهل السوء ، ستكون عاقبته في الآخرة ، أوخم منها في الدنيا^(٢) » . ثم رثاه في نهاية المنظومة^(٣) .

وأخذ نفوذ الأتابكة يضعف ، بعد قزل أرسلان ، فقد خلفه أبو بكر نصره الدين ، ابن أخيه جهان پهلوان ، غير أن النزاع ثار بينه وبين أخيه قتلوغ اينانج ، فشبّت الحروب بينهما في صورة لا تنقطع ، حتى روى أنها شبت أربع مرات في شهر واحد^(٤) ، ولسكن أبا بكر استطاع أن ينتصر في هذه الحروب جميعها ، فانهزى بالحكم ، وتواضع في أطعائه ، فاكتمى بأتابكته ، على أنه لم يسلم من غارت الكرج ، الذين كانوا كثيراً ما يغيرون على بلاد الإسلام من ناحية آذربيجان .

وقد أغاروا - في عام ٥٩٠١هـ - على البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وأمعنوا في النهب والسلب ، وجاسوا خلال الديار ، فلم يجرؤ أحد على وقف تيارهم الجارف .^(٥)

(١) نشسته شاه چون تابنده خورشيد بتاج كيكباد وتخت جمشيد
بهشتی بزمش ازبزم بهشتی زحوضگاهای می پرکرده کشتی
خروش ارغنون وناله چنگ رسانیده بچرخ زهره آهنگ
(نظامی : خسرو و شرین ، ص ٤٥٩ - ٤٥٢)

(٢) شهادت یافت از زخم بد اندیش که پادشاه آنجهان پادشاه ازین بیش
(المرجع السابق ، ص ٤٥٨)

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٤) أمير عجمي قزوینی : لب التواريخ (الجزء التاسع) ، خواند أمير : حبيب السیر ، ص ١١٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ١٣٣ .

وفي عام ٦٠٢ هـ ، انفق علاء الدين ، حاكم مراغة ، مع مظفر الدين كوكبرى حاكم إربل ، على مهاجمة آذربيجان ، وأخذها من صاحبها أبي بكر ، لاستغفاله بالشراب ليلا ونهارا ، وتركه النظر في أحوال المملكة وحفظ المساكر والرعايا^(١) ، كما تابع الكرج غاراتهم ، فاضطُرَّ أبو بكر إلى الزواج بابنة ملك الكرج ليتقي شرهم . وقد حقَّق هدفه بهذه الطريقة ، فكفَّوا عن الإغارة والنهب والقتل^(٢) . وتَسَكَّن أبو بكر - أيضاً - من الاستيلاء على مراغة ، في عام ٦٠٥ هـ ، لموت صاحبها علاء الدين ، وتولية ابنه الصغير ، الذي لم يلبث أن مات بعد قليل^(٣) .

وقد صوِّر نظامي نصرة الدين أبا بكر هذا ، في صورة البطل القوي بعيد النظر فقال : « بطل العالم نصرة الدين ، الذي انتصر على أعدائه وكأنه الفلك ، عدُوّه متأخر في تفكيره ، بينما هو بعيد النظر ، قوى البطش ، ربُّ السيف والعرش ، تؤدِّي له شعائر الملك ، ويؤدِّي هو شعائر الله . ركابه كركاب رستم ، وهو زينة للعرش ، وما نَحْ لآذربيجان »^(٤)

ثم استرسل الشاعر في وصف قوة الأتابك ، والمقارنة بين عداوته وصداقته

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، فصبح خوافي : مجمل فصيحى ، ص ٨١١ ، خواند أمير : حبيب المير ، ص ١١٧ .

(٤) جهان پهلوان نصرة الدين كه هست بر اعدای خود چون فلک چیره دست
مخالف پس اندیش و آویش بین بداندیش کم واو بیشکین
خداوند شمشیر و تخت و کلاه سه نوبت زن و پنج نوبت پناه
رستم رکابی روان کرده رخس هم آورنک پیرای هم تاج بخش
(نظامی : شرحنامه ، ص ٥٨-٥٩)

فقال : « إن صداقته صافية نقية كالماء الفرات ، أما عداوته ففرقة مثل نهر النيل ^(١) ، وإن ظلّه إذا سقط على الشمس كسف نورها وأخذها ، كما يخمّد الماء النار ، وإنه قد فتح كل حصن هجم عليه » ^(٢) .

وصوّر كرمه في قوله : « إن الناس من كثرة ما أصابهم من إحسانه ، قد سمّوه وليّ نعمة العالم ، فهو كيمسي ، قد أحيا كثيراً من الموتى ، وأسر الناس بإحسانه وخلقّه » ^(٣) .

ويبدو أن أوصاف الشاعر أكثرها شاعريّة لا يتفق مع الواقع التاريخي كثيراً ، ولعل الدافع إليها رغبته في الظفر بالمعطاء ، لأنّ الثابت أن الأتابك لم يكن مقدّماً ، كما زعم الشاعر ، ولم يبلغ ما بلغه سابقوه من القوة والعظمة .

ومهما يكن من شيء ، فإن قوة الأتابكة ضعفت بعد موت أبي بكر ، في عام ٦٠٧ هـ ^(٤) . فقد خلفه أخوه أوزبك وحكم حتى عام ٦٢٢ هـ ، ثم انتصر عليه جلال الدين منكبرتي ، فسقطت بذلك ، دولة الأتابكة .

ولعلنا لاحظنا أن معسكر الأتابكة ، لم يكن - من حيث الاضطراب وكثرة

(١) لعل الشاعر يشير إلى قصة موسى وفرعون ، فقد كانت عداوة فرعون لموسى سبباً في غرقه في نهر النيل ، وقد ورد ما يتعلق بالغرق في القرآن : سورة يونس آية ٩٠ - ٩٢ .

(٢) جو آب فرات آشكارا نواز چو سر چشمه نيل پنهان كداز
اگر سایه بر آفتاب آفكند در آن چشم آتش آب افكند
بهر دایره كوزده تركتساز زركار خطش كره كرده باز
(نظمی : شرفنامه ، ص ٥٩ - ٦٠)

(٣) زبس نعمت و ناز و زور آند و لينعت عالمش خوانده اند
چو عيسى بسى مرده آرنده كرد بخلقى چنين خلق را بنده كرد
(المرجع السابق ، ص ٦٠ - ٦١)

(٤) أمير محي قزوینی : لب التواريخ (الفصل التاسع) .

الحروب - خيراً من المعسكرات المجاورة له ، فقد كانت حياة رجاله سلسلة متصلة الحلقات من الحروب والنزاعات .

٢ - مظام مراغة :

وإذا تركنا الأتابكة إلى جيرانهم حكام مراغة ، نجدهم ينتسبون إلى دويلة كردية أسسها أحمدبيل بن وهسودان ، الذى يروى التاريخ أنه كان حاكماً على مراغة وما جاورها ، فى عام ٥٠٥ هـ^(١) .

وقد كانت مراغة تعتبر العاصمة القديمة لأذربيجان^(٢) . كما كانت ذات موقع يهيم على الاشتراك فى كثير من الحوادث ، التى اتخذت مكانها على مسرح الحوادث فى ذلك الوقت ، إذ كانت تقع فى جنوب آذر بيجان ، وتعتبر القنطرة التى تفصل بين السلاجقة والأتابكة ، مما جعلها مطمح أنظار بعض سلاطين السلاجقة وأمراءهم ، فكانوا يحاولون فتحها . ولكن دويلة الأكراد ظلت قائمة فى أثناء حكم السلاجقة ، رغم تلك المحاولات .

وأبرز من حاولوا فتح مراغة - فى ذلك الوقت - خاص بك بن بلد-كرى ؛ أحد أمراء السلطان مسعود ؛ فقد حاصرها ، فى عام ٥٤١ هـ ، وحاول انتزاعها من حاكمها أقسنقر^(٣) . ثم عاود محاصرتها فى عام ٥٤٥ هـ ، وتمكن من فتحها وتحطيم أسوارها ، ولكن الخصام انتهى بالصالح بين الطرفين ، بمقتضى اتفاقية عقدت بينهما ، فى قلعة روثين در^٤ .

وفى عام ٥٤٨ هـ ، اتفق أقسنقر مع الأتابك إيلدكر ، ضد السلطان محمد ، لقتله خاص بك ، فثارا فى وجهه ، وأرادا عزله ، فى أثناء انشغاله بمحاصرة بغداد ، مما

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٦١ .

(٢) The Encyclopaedia of Islam : vol. 3. P. 261. (٢)

(٣) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢١٧ .

سبق ذكره . وانتهى الأمر بالصلح فاقسم ايلدكز وأقسقر آذر بيجان بينهما ^(١) .
ولكن الحرب لم تلبث أن شبت بينهما عدة مرات . ففي عام ٨٥٥٤ هـ ، سبّر
ايلدكز ابنه الپهلوان ضد أقسقر ، الذى استطاع أن ينتصر مستعيناً بملوك الأرمين ، ثم
ساعد اينانج حاكم الرى ، ضد ايلدكز ، الذى تمكن من الانتصار وذلك فى عام ٨٥٥٦ هـ
ولكن العداوة بينهما كانت تتلاشى ، ليحل محلها الوفاق ، إذا ما هاجموا
عدوً مشتركاً كالـ كرج مثلاً ، فسكانا يشتركان معاً فى صده ، فقد اتحدا - فى
عام ٨٥٥٦ هـ - فى حملة ضد الكرج ^(٢) .

وقد اعترف الخليفة الممبارى بشرعية أقسقر ، فى عام ٨٥٦٣ هـ ، فتوطد
نفوذه ، ولكن الپهلوان بن ايلدكز حاصر مراغة ، فى نفس العام ، ثم لم يلبث
أن ارتد عنها ، بعد أن تم الصلح بين الطرفين ^(٣) .
وفى عام ٨٥٦٤ هـ ، ثار قتال فى مراغة ، ولكن الپهلوان انتصر عليه ،
ثم أسند مراغة إلى علاء الدين ، وركن الدين ، أخى أقسقر ^(٤) .
وقد رأينا كيف أن الأتابك أبا بكر حاصر مراغة فى عام ٨٦٠٢ هـ ،
فاضطر علاء الدين كرب ارسلان إلى تسليمها ، ثم توفى فى عام ٨٦٠٤ هـ ،
تاركاً ابناً صغيراً ؛ فتولاه أحد خدمه ، ولكن الطفل توفى فى عام ٨٦٠٥ هـ ،
فضم أبو بكر أملاك الأحديلية ، باستثناء روين در ، التى حصن خادم
علاء الدين نفسه فيها ، محفظاً بخزائن سيده .

(١) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ٢٤٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٤) هذا ما ذكره حمد الله مستوفى قزوینى فى تاريخ كبريده ، ص ٧٢ ، ولكن
ابن الأثير يذكر فى الكامل ج ١١ ، ص ٢٨٠ ، أن فلك الدين بن أقسقر هو الذى
كان حاكماً على مراغة حينما حاصرها الپهلوان وأن الصلح تم بين الطرفين على أن
تضم تبريز إلى منطقة نفوذ الأتابكة .

وهذا يدل على ضعف حكام مراغة في السنوات الأخيرة من حكمهم .
ولكن نظامي ، حينما قدم منظومته « هفت پیکر » لملاء الدين ، في عام ٥٦٣ هـ ،
وصفه بالقوة وسعة النفوذ فقال : « إن علاء الدين عمدة المملكة ، وحاكم
الأرض والزمان وناصرها . هو الملك كرب أرسلان الفانج ، وهو أحسن من
أب أرسلان تاجاً وعرشاً . إنه الهادي لأنه شمس هذه الأرض ، ودولته خاتمة
الدول العظيمة ، وهو كرستم إلا أن حصانه الفلك ، فهو عظيم بمنح العظمة ،
وقرين السماء في الرفعة ، وللسحاب في السكرم ، جسمه كالأسد في قوته ، واسمه
أسد^(١) » .

ثم ذكر أنه من نسل آقسنقر ، فقال : « اعتبر به نسل آقسنقر وبلغ أبوه
وجده - بفضل - ذروة الجحد^(٢) » .

وأخذ يصفى عليه صفات الجلال والعظمة في قوله : « كل ولاية لها ملك
مثلك يحفظها الله من كل سوء ، حتى إنهم ليسمونك مُعِزُّ الأقاليم السبعة ، لما
يُحْسِنُونَهُ مِنْكَ ، من إسماع . . . فكل ولاية تتمنى أن تكون ضمن حدودك
حتى تنظر بعطفك . وقد حكم منكم أربعة ملوك ، بأربعة أساليب ، وأنت
خامسهم بعمر مديد^(٣) » .

(١) عمدة مملكة علاء الدين حافظ وناصر زمان وزمين
شاه كرب أرسلان كشورگیر
مهدی کاتب این مهـدست
رستمی کز فلك سوارى رخش
همسر آسمان وهم کف ابر
(نظامی : هفت پیکر ، ص ٢٢)
(٢) نسل آقسنقرى مؤيد أزو
أب وجد باکال أبجد أزو
(المرجع السابق ، ص ٢٣)
(٣) هر ولایت که چون توشه دارد
ازد آزره بدش نگهدارد
زان سعادت که در سرت داند
مقبل هفت کشورت خوانند =

ثم صور عدل الوالى وحبه للعلم فقال مخاطباً له : « أنت حرم للعدل واللم ، فَمَنْ غيرك يضع الكرم فى موضعه ؟ ... إني أنا الذى عرفت هذه الحقيقة ، وأدركت أنك ترعى أهل العلم ، فلا تأبه لكلام الموهين ، ولا تقبل خدعهم ^(١) . » .
وختم مديحه بالدهاء ، قائلاً للوالى : « عظمتك مقررة . ولكن أكرر علماً وعظمة ، وأطول عمراً من الجميع ، ولتبعد يد الزوال عن حدود دولتك ، وتمجرها فى جميع الأحوال ^(٢) » .

وإن ما ذكره الشاعر ، يمكن أن يفسر ، على أنه من قبيل المباشرة التى يصطنعها الشعراء ، حينما يُصَفُّون على مدوحهم ضروب الثناء ، بحق وبغير حق ، فى سبيل الظفر بالمعطاء ؛ وأغلب الظن أن ما ذكره نظامى لا يتفق مع الحقيقة التاريخية فى شيء ، وأن الدويلة كانت ضعيفة فى عهد علاء الدين .

ومما يمكن من شيء ؛ فقد كان ممسك حكام مراعاة متصلاً بالحوادث التى وقعت فى ذلك الوقت ، وقد تدخل فى بعضها فأثر فيها ، وتأثر بها ، مما جعله يهوج بالحروب والمنازعات .

-
- = هم مرزى زمهرانى تو بنمى-سای مرزبانى تو
چارشه داشتند چار طراز بنجمین توئی جمر دراز
(نظامى : هفت پیکر ، ص ٣١)
- (١) جز تو کز ودانشت حریمست کیست کورا بجای خود کریمست
من که الحق شناختم بقیاس کاهل فرهنگ را تو داری پاس
نخري زرق کیمیا سازان پیذیزی فرب طن سازان
(نظامى : هفت پیکر ، ص ٣٢)
- (٢) بیشیت هست بیش دانی باد وزهمه بیش زندگانی باد
أزحد دولت تودست زواله دور ومهجور باد درهمه حال
(المرجع السابق : ص ٣٥)

٣- مقام شروان :

أما المعسكر الثالث من معسكرات آذر بيجان ، فهو معسكر حكام شروان . وقد كانت شروان - بحكم موقعها الجغرافي - تعتبر القنطرة التي يعبر عليها الكرج في هجراتهم على آذر بيجان ، أو الأتابكة لحاربتهم وصد غاراتهم ، مما جعلها موضع حرب ، وجعل حملات حكامها دفاعية ، في أغلب الأوقات ^(١) .

ويبدو أن حكام شروان كانوا ضعافاً ، فلم يشتركوا اشتراكاً جدياً في توجيه سير الحوادث ، في القرن السادس الهجري ، وليس أدلّ على ضعفهم من أن نفوذهم كانت تحمل اسم الخليفة العباسي ، كما كانت تحمل اسم السلطان السلاجوقي ^(٢) . ولم يعتمد اتصال الخليفة العباسي بهم أن يكون اسمياً ، أما اتصال سلاطين السلاجقة فكان فعلياً . فقد فرض السلطان ملكشاه ضريبة سنوية عليهم ، كما سجن السلطان محمود حاكم شروان ^(٣) ، في عام ٥١٧ هـ ، مما يرجح ضعف حكام شروان أمام السلاجقة .

وقد وصل محمد شروان إلى القمة في عصر منوچهر الثاني ، من عام ٥٣٠ هـ إلى ٥٤٤ هـ ^(٤) ، ثم أعقبه ابنه أخستآن ^(٥) ، في عام ٥٤٤ هـ ، وهو الذي يهمننا في

(١) Hadi Hassan : Falaki-i- Shirwani, His times, life and works, P.2.

Ibid : P. 2. (٢)

Ibid : P. 2. (٣)

Ibid : P. 2. (٤)

(٥) اختلف في اسم هذا الحاكم فهو يذكر في بعض مخطوطات ديوان خاقاني المختلفة وبعض مخطوطات خمسة نظامي على أنه أختشآن ، وأختشآن ، وأختشآن ، وقد حقق هادي حسن في كتابه فلكي الشرواني (السابق ذكره) ، ص ٢٦ و ٢٧ ، اسم هذا الوالي وضبطه على أنه أختشآن . لأن الكلمة ترد في أشعار خاقاني على وزن فاعلن أي أختشآن . وبذلك رد قراءة براون في كتابه :

- الفترة التي ندرسها ، لأنه الحاكم الذي قدّم نظامى له منظومته « ليلى ومجنون » .
وقد تمتع هذا الوالى بحكم طويل ، كما يظهر من النقود التي حفظت لنا ، منذ
عهده ، وهي تتكون من أربع قطع مكتوب عليها ، بحسب ترتيبها الزمني ، مايلي ^(١) :
١ - المستنجد بالله السلطان أرسل شاه (كذا) لا إله إلا الله (على وجهها)
الملك العظيم اخستان بن منوچهر ^(٢) (على ظهرها) .
٢ - المستنضئ بأمر الله ا (كذا) السلطان ا (كذا) طغرل (على وجهها)
الملك العظيم اخستان بن منوچهر ^(٣) (على ظهرها)
٣ - الناصر الدين الله (كذا) السلطان أعظم طغرل (كذا) (على

A Literary History of Persia, vol. II P. 394

وقراءة دورن في . Beitrage zur Geschichte des Kausasichen Landen .
und Volker, aus Morgenlandischen quellen -1-
Versucheiner Geschichte der Shirwanshahe, P. 331.

Melanges Asiatiques, III p. 119. وقراءه خانيقوف في .

Manuel de Genèalogie et de Chronologie p. 182 وزمباور في :
على أنه أخستان .

Histoire de la Georgie p. 397. كما لاحظ أن بروسية في كتابه .

قد ذكر الاسم على أنه اغزار ثان Aghzarthan وهو قريب في نطقها من أخستان

(١) نقل هادى حسن في كتابه فلسكى الشروانى ، ص ٢٩-٣٠ ما كتب على

Markow's Catalogue قطع النقود عن فهرست ماركوف

(٢) يبدو أن هذه القطعة قد ضربت في الفترة التي تقع بين ٥٥٥ و ٥٦٦ هـ ، فقد
كتب عليها اسما المستنجد بالله العباسى وأرسلانشاه السلجوقى ، وقد ولى أرسلانشاه
عرش السلطنة في عام ٥٥٥ هـ ، بينما توفي المستنجد بالله في عام ٥٦٦ هـ .

(٣) يبدو أن هذه القطعة قد ضربت في الفترة التي تقع بين ٥٧١ و ٥٧٥ هـ ، لأن
طغرل ولى العرش في عام ٥٧١ هـ ، بينما توفي المستنضئ بالله في عام ٥٧٥ هـ .

وجبهما) الله ، محمد رسول ، الملك العظيم اخستان بن منوچهر^(١) (على ظهرها)
٤ - لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الناصر الدين الله (كذا) أمير المؤمنين
(على وجهها) الله ، محمد رسول ، الملك العظيم اخستان بن منوچهر شير وانشاه^(٢)
(على ظهرها) .

وهكذا مجد اخستان يدين بالولاء للخلافة العباسية ، ولدولة سلاجقة العراق
إلى وقت سقوطها ، في عام ٥٩٠ هـ .

وضبط تاريخ وفاة هذا الحاكم قد يساعدنا - إلى حد كبير - في فهم وإثبات
بعض الحقائق المتعلقة بنظامي ، وخاقاني ، شاعره الذي توفر على مدحه .

والشيء الذي لاشك فيه ، هو أن اخستان كان حياً في عام ٥٨٣ هـ ، كما يدلُّ
على ذلك ، النقش الذي اكتشفه خانيقوف^(٣) . وهو بالفارسية ونصه ، كالتالي :
« عالم ملك الإسلام شروانشاه اخستان بن منوچهر در بتاربخ (كذا) سنة
ثلاث وثمانين وخمسماية هجرية^(٤) » .

وقد كان حياً في عام ٥٩٠ هـ ، كما اتضح مما كُتِبَ على قطعة النقود الرابعة
كما مرَّ .

والملاحظ أنه لم ترد ، في ديوان خاقاني ، أية إشارة إلى وفاة اخستان ، مما
يُرجِّح أنه تُوِّفِيَ بعد الشاعر . فلعل من المفيد أن نعرف تاريخ وفاة خاقاني ،
لأن ذلك يساعدنا في ضبط تاريخ وفاة مدحوه .

(١) من المرجح أن هذه القطعة قد ضربت بين ٥٧٥ و ٥٩٠ هـ . لأن الناصر
لدين الله ولي الخلافة في عام ٥٧٥ هـ ، بينما قتل طغرل في عام ٥٩٠ هـ .

(٢) لم يذكر ، في هذه القطعة ، اسم السلطان طغرل السلجوقي واكتفى بذكر
اسم الخليفة الناصر لدين الله ، مما يرجح أنها ضربت بعد عام ٥٩٠ هـ ، أي بعد قتل
طغرل وانقراض دولة سلاجقة العراق .

(٣) اكتشف خانيقوف هذا النقش في قرية بزدانان في شبه جزيرة باكو .

H. Hassan : Falaki-i- Shirwani, p. 13, from Khanikow (٤)

Melanges Asiatiques, III p. 119.

واسكن تاريخ وفاة خاقاني ليس متفقاً عليه بين الباحثين ، وإن كان من المرجح ، أنه توفي بعد عام ٥٩٢ هـ ، لأن عطا ملك الجويني قد ذكر في تاريخه^(١) أن السلطان تكش خوارزمشاه توجه ، في عام ٥٩٢ هـ إلى العراق ، ثم سار إلى إصفهان ، وأن خاقاني قال قصيدة في مدحه ، منها قوله : « البشري لأن خوارزمشاه قد استولى على ملك إصفهان وملك العراقيين ، كما استولى على ملك خراسان ، وقد جاوز نفوذه الأفلاك ، وسخر حد سيفه ملك سليمان^(٢) » .

وقد ذكر اللودي ، أن خاقاني توفي في عام ٥٩٥ هـ ،^(٣) وهو تاريخ يمكن أن نقبله ، لأنه يتماشى مع ماسبقه ، وهو - إن صح - يرجع أن اخستان قد توفي بعد عام ٥٩٥ هـ ، كما يرجع - أيضاً - أن نظامي قد توفي بعد هذا التاريخ ، فقد ورد في شعره رثاء للخاقاني .

وهناك نقش آخر^(٤) بالربية نصه كالآتي : « أمر بنا هذا (كذا) القلعة في أيام الملك المعظم العادل المؤيد المظفر المنصور . . . فرخ الدنيا والدين . فرخ زاد بن منوچهر ناصر أمير المؤمنين الموقر . . . للدولة والدين . . . إسحاق ابن كاكا . . . لي أدام الله تأييده تاريخ سنة ستماية المرداد^(٥) ماه » . وهو يدل على أن فرخزاد بن منوچهر الثاني ، وأخا اخستان ، كان حاكماً في عام ٦٠٠ هـ .

(١) عطا ملك الجويني : جهان كشا ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) هذه ترجمة البيتین اللذين نقلهما الجويني وهما قول خاقاني :

مزهده كه خوارزمشاه ملك سپاهان گرفت ملك عراقين همچو خراسان گرفت ماهجه چتر او قلعه كردون گشود مورچه تیغ او ملك سليمان گرفت (٣) أمير شیر علی خان لودی : مرآة الحیال ، ص ٣٠ .

(٤) اکتشف خانیقوف هذا النقش أيضاً ، في قرية ماردکان في شبه جزيرة باکو

H. hassan : Falaki -i- Shirwani, p. 32, from Khanikow (٥)

Melanges Asiatiques, III p. 119.

وقد أشار نظامى إلى ابن أخستان على أنه كان ولياً للعهد^(١) . وعلى هذا
لأندرى ، ما إذا كان هذا الابن قد ولى العرش ، فى الفترة ما بين ٥٩٥ - ٥٦٠ ،
أم لا ؟ ولو عرفنا هذا لأمكننا ضبط تاريخ وفاة أخستان ، الذى يرجع أنه توفى
بين ٥٩٥ و ٥٦٠ .

أما معلوماتنا عن العلاقات السياسية بين أخستان والأتابكة ، فعلى لاتعدى
ما ذكره الراوندى ، من أن السلطان مسعود قد أرسل إبلدكز مع طائفة من الجيش
صوب أران ، فتمكن - فى مدة وجيزة - من الاستيلاء على أران ، وكنجه ،
وشروان ، وباكو^(٢) . ويبدو أن هذا قد حدث قبل عام ٥٤٧ هـ ، الذى توفى فيه
السلطان مسعود .

وليس عندنا بعد ذلك ، ما يدل على أن إبلدكز ، قد حارب أخستان أو
استولى على جزء من ممتلكاته .

ولعلنا نرى بعد هذه النظرة السريعة ، أنحكام شروان لم يلعبوا دوراً
كبيراً فى توجيه الحوادث فى القرن السادس الهجرى ، وأن الحوادث هى التى
أثَّرتَ فيهم - بحكم موقع شروان الجغرافى - وإن لم يكونوا هم قد أثروا فيها إلى
حد كبير .

أما نظامى فقد ذكر أخستان ومدحه ، فصوّره فى صورة الملك القوى ،
والبطل العظيم فقال : « إنه قائد جيش الملوك ، ومقدم السلاطين ، ملك العالم
الأوحد ، صاحب العرش ، ورب البياض والسواد ، ذو الجلال والقدرة ، أى جلال

(١) نظامى : إلبى ومجنون ، ص ٣٨ .

(٢) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٥١٢ . وقد ورد ما يشبه هذا فى نص نقله
هادى حسن فى كتابه فلسكى الشروانى ، ص ٣٥ . عن نسخة خطية من كتاب أحسن
التواريخ ، يفيد أن إبلدكز قد استولى على كل من كنجه وشروان .

الدولة والدين ، وهو أبو المظفر أعظم الملوك ، وزينة ملك الأقاليم السبعة ^(١) .
ثم بين عراقة أصله في قوله : « إنه من نسل بهرام ، فهو مشرق الوجه ،
وهو ابن منوچهر العظيم ، وإن الملك متوارث في هذه للطائفة منذ القدم ، فهم
يتوارثون العرش كابراً عن كابر ، منذ عهد آدم ^(٢) » .

وطبيعي أن هذا الكلام من مبالغات الشعراء ، فهو لا يتفق مع التاريخ
الذي يثبت أن أختان لم يكن عظيماً تلك العظمة التي صورها الشاعر .

والهم أن هذا للمسكر لم يكن - رغم ضعفه - هادئاً ، بل كان مسرحاً
لكثير من الحروب والمنازعات ، شأنه في ذلك شأن غيره من المسكرات التي
ألمنا بها .

ونختم حديثنا عن الناحية السياسية - في ذلك العصر - بعرض معسكرين
كانت لهما - إلى جانب صبغتهما السياسية - صبغة دينية ، وهما : المعسكر السني
ممثلاً في العباسيين في بغداد ، والمعسكر الشيعي ممثلاً في الإسماعيليين في إيران ،
لنرى صلتها بسير الحوادث .

(١) سرخيل سپاه تاجداران سر جملة جملة شهر ياران
خاقان جهان معظم مطلق ملك الملوك عالم
دارنده تخت پادشاهی دارای سییدی و سیاهی
صاحب جهت جلال و تمکین یعنی که جلال دولت و دین
تاج ملکان أبو المظفر زیننده ملک هفت کشور
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ٣٠)

(٢) بهرام نژاد و مشتری چهر در صدف ملک منو چهر
زین طائفة تابدور أول شاهیش به نسل در مسلسل
نطفه اش که رسیده گاه برگاه تا آدم هست شاهر شاه
(نفس المرجع والصفحة)

الفصل الثالث

المعسكرات النسي والتبعية

١ — العباسيون في بغداد:

إذا ألقينا نظرة على معسكر العباسيين - في القرن السادس الهجري - نجده ضعيف الشأن ، مختل الأوضاع ، فقد طغى فيه نفوذ الوزراء ، والأسماء ، وحكام الدول ، التي طفت على سطح الخلافة العباسية .

وكان نفوذ السلاجقة قوياً نافذاً ، فقد كان ظهورهم فترة متميزة في التاريخ الإسلامي ، إذ أنه أدى إلى ثلاثى هيبة الخلافة ^(١) ، بحيث أصبح الخليفة صورة جوفاء ، وألموبة في أيدي الولاة ، وصار لا يملك حرية التصرف حتى في شئونه الخاصة ، وظل وضع الخلفاء على هذا النحو من الضعف ، إلى أن زالت الدولة العباسية على يد المغول .

وكثيراً ما كان النزاع يَشُبُّ بين الخلفاء وسلاطين السلاجقة ، ويؤدي إلى قيام حروب بين الطرفين . ففي عام ٥٢٩ هـ ، شتت نيران الحرب بين المسترشد بالله العباسي ، والسلطان مسعود السلجوقي ، وانتهت بهزيمة الخليفة وأسرته ، وبقائه حبيساً في مراغة ، إلى أن هجم عليه جماعة من الاسماعيليين قتلوه ومثلوا به ^(٢) . وبيع ابنه الراشد بالخلافة ، فتوجه مسعود إلى بغداد ، حيث تجدد النزاع بين مسعود والراشد ، وسواء أكان سبب النزاع مطالبة مسعود للراشد بضريبة

(١) Lane-Poole : Mohammedan Dynasties, p. 139.

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ، البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٧٤ - ١٧٨ ، مجمل القصص والتواريخ (مجهول المؤلف) ص ٤٥٣ - ٤٥٤ ، حمد الله مستوفى قزويني : تاريخ كزنده ، ص ٤٦٥ .

كبيرة^(١) ، أم رغبة الراشد في الأخذ بثأر أبيه^(٢) ، فإن الحرب قامت فعلاً بين الطرفين ، وحاصر مسعود بفسداد خمسين يوماً ، بينما أمر الخليفة بجذف اسم السلطان السلجوقي من الخطبة ، ولكن الدائرة دارت عليه في النهاية ، فاضطر إلى الفرار إلى الموصل ثم هرب منها إلى مراغة ، ودخل مسعود بفسداد ، وعين المفتي خليفة ، وأصبحت في يده كل أمور الدولة . ثم توجه - بعد ذلك - لقتال الخليفة ، فهزمه في مراغة ، ولكن الخليفة هرب إلى أصفهان ، حيث قتلته الاسماعيليون^(٣) .

وهكذا نرى كيف تدخل السلاجقة في شئون الدولة العباسية وسيطروا على خلفائها ، وكيف سعى المسترشد والراشد إلى حتفهما ، حينما ناصبها السلطان السلجوقي العداء .

وقد ظل مسعود صاحب الكلمة العليا ، إلى أن توفي ، في عام ٥٤٧ هـ ، فانهز الخليفة المفتي فرصة وفاته لينتفس الصمداء ، وحاول أن يستعيد استقلاله السلجوب ، ولكن الحرب لم تلبث أن قامت بينه وبين السلطان محمد في عام ٥٥١ هـ ، فقد رفض المفتي ذكر اسم محمد في الخطبة ، فتقدم إلى بفسداد وحاصرها ، ولكن أهلها استماتوا في الدفاع عنها ، كما ثارت الاضطرابات في آذربيجان ، فاضطر محمد إلى رفع الحصار - كما مر - وبذلك زال الخطر السلجوقي عن بفسداد ، وانتصر الخليفة العباسي ، وكان أول من حكم مستقلاً عن سيطرة سلاطين السلاجقة منذ عهد المنتصر^(٤) .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ، ص ١٧ ، الجنباني : تاريخه (الباب الثامن عشر) .

(٢) صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٠٨ ، ابن النظام الحسيني : العراصة ، ص ١١٩-١٢١ ، الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٣) المراجع السابقة ، ونفس الصفحات المذكورة .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٦٣ .

غير أن روح النذر لم تلبث أن سيطرت على أبناء المفتي ، فلم يكد يشرف على الموت - في عام ٥٥٥ هـ - ويعين ابنه المستنجد خليفة له ، حتى ادعى ابنه الأصغر أبو علي الخلافة ، فانقسم الناس قسمين ، وثارت الاضطرابات في بغداد ، وحينئذ دبرت والده «أبي» على هذا مكيدة لقتل المستنجد ، ولكنه علم بما دبر له في الخفاء ، فاحتاط للأمر ، ففشلت الحيلة ، وسجن أبا علي وأمه ، وتولى الخلافة أحد عشر هاما^(١) .

كما سيطرت روح النذر على الأمراء وكبار رجال الدولة ، فقد حدثنا التاريخ أنه بعد موت المستنجد في عام ٥٦٦ هـ ، خلفه ابنه المستضيء بالله . ولكن أمير أمرائه قطب الدين قياز اغتصب السلطة منه ، وتصرف في كافة أمور الدولة ، ثم أراد - في عام ٥٧٠ هـ - القبض على الوزير رشيد الدين العطار ، الذي لجأ إلى الخليفة ، وحينئذ أمر قياز بنهب بيت الوزير ، بل ذهب به اعتداده بسلطته إلى السير - على رأس العامة - إلى قصر الخليفة محاولاً القبض على العطار ، وسمع الخليفة صياح العامة فأطل عليهم وصاح فيهم : « أيها الناس : لقد تجاوز قياز حده ، فأمواله - الآن - لكم ، ودمه لنا » فلما سمع العامة كلام الخليفة هاجوا ، ونحووا إلى بيت قياز ، الذي قرّ إلى الموصل ، ليتجنب غضبهم ، ولكنه هلك في الطريق من شدة الحرارة والعطش^(٢) .

وقد توفي المستضيء بالله في عام ٥٧٥ هـ ، خلفه ابنه الناصر لدين الله ، غير أن الاضطرابات كثرت وانتشرت في الممالك الإسلامية ، فكانت الحروب لا تخذل حتى تشعل بين أفراد البيت السلجوقي ، وبين السلاجقة والأنابكة ، وبين الأنابكة والكرج ، وبين السلاجقة وملوك خوارزم - كما مرّ - وكان الخليفة الناصر يشترك في بعضها أحياناً ، فيؤيد خصماً على خصم ، فقد رأينا كيف أبد

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) خواند أمير : دستور الوزراء ، ص ٩٤ - ٩٥ .

قول أرسلان ضد السلطان السلجوقي ، ومكّنه من الانتصار عليه ، وقد امتدت خلافته إلى أن شهدت سقوط الأتابكة ، وبدء هجوم الفول ، فإن النقود التي حفظت لنا عن عصره تدل على أنه كان حياً إلى عام ٦٢١ هـ ^(١) ، ويكاد يكون من الثابت أنه توفي في عام ٦٢٢ هـ ^(٢).

وهكذا نرى أن مصكر العباسيين السفى كان مزعماً مضطرباً ، لأن الخلفاء كانوا يمثلون - في أغلب الأحيان - دوراً ثانوياً في توجيه الحوادث في القرن السادس الهجرى ، ولكنهم كانوا قوة روحية ، لها أثرها في حياة الناس ، فقد كانوا سنين ، تلتف حولهم قلوب أهل السنة ، في جميع أقطار العالم الإسلامى ، ويحاول الولاة أن يحصلوا على تفويض منهم بالخلافة ، فكانت شخصيتهم الروحية أقوى بكثير جداً من شخصيتهم السياسية .

وقد كان نظامي سنياً ، فن الطبيعى أن يُشيد بأهل السنة ، وأن يتعلق قلبه بالعباسيين ، وأن يكثر - في منظوماته - من ذكر أئمة أهل السنة والإشادة بفضلمهم ^(٣) .

٢ - الاسماعيليون في إيران :

وإذا تركنا المصكر السفى ، إلى المصكر المناهض له من الناحية المذهبية ، فإننا نجد - في إيران - مثلاً في الاسماعيليين الذين كانوا - في ذلك الوقت - في أوج قوتهم ونشاطهم ، وكانوا يلعبون دوراً خطيراً ، أثر في حياة الناس تأثيراً ملحوظاً .

(١) Lane-Poole : Catalogue of Arabic Coins at Cairo, p. 104.

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٧٦ ، حافظ أبو : زبدة التواريخ ،

ص ٢٢٢ ب ، ابن الوردى : تاريخه ، ص ١٧٤ .

(٣) سأحدث عن هذا بشئ من التفصيل فيما بعد ، في أثناء الحديث عن مذهب

نظامى الدين .

وقد أخذت قوة الاسماعيليين تظهر وتزداد في عصر ملكشاه السلجوقي ،
ثم تمكن زعيمهم حسن الصباح ، من الاستيلاء على قلعة الموت - في عام ٥٤٨٣ هـ -
وجعلها مقراً لطائفته ، وانضم كثير من الناس إليهم ، فتويت بذلك شوكتهم ،
ولم يلبثوا أن تمكنوا من فتح كثير من قلاع خراسان ، كما فتحوا أكثر قلاع
فهرستان ، فأصبحوا معسكراً قوياً يُخشَى خطره ، ويستطيع أن يوجه سير الحوادث ،
خصوصاً في القرن السادس الهجري .

وقد وصل الاسماعيليون نسبهم بمعمر الصادق ، الامام السادس من أئمة
الشيعة ، غير أنهم - فيما يبدو - تَصَرَّفُوا في العقيدة ، فزادوا ونقصوا في أحكام
الإسلام ، حتى أبطلوها جميعاً ^(١) ، مما جعل خصومهم يسمونهم للملاحدة لما أحدثوه
في أصول الدين من تحوير غيرها بل ألغائها ^(٢) .

وقد اعتبر الاسماعيليون كل من يقف في سبيل نشر مذهبهم كافراً يجب
قتله ، ففسكوا - لذلك - كثيراً من الدماء ، وَتَسَبَّبُوا في قتل عدد غير قليل من
الغلفاء والقضاة والوزراء ، وحاولوا قتل كل من يخالفهم في الرأي ، حتى أخذوا
الرهب في قلوب الناس ، وكانوا مصدر قلق فكري لهم .

ومهما يكن من شيء ، فقد تظاهر حسن الصباح - في أول أمره - بالورع
والنقوى والتسك بمبادئ الدين ، وحاول أن يستفيد من المازعات التي سادت
بين أفراد البيت السلجوقي ، في توطيد دعائم معسكره حتى صار قوياً مرهوب
الجانب ، ثم أخذ يُنفِذُ آراءه في إباحة سفك دماء المخالفين ، والاستيلاء على
أموالهم ، بعد وفاة ملكشاه ، فزاد نشاط الاسماعيلية في عهد بركيارق ، وعمد ،

(١) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) للرجع السابق ص ٢١٩ ، البيضاوى : نظام التواريخ ، ص ٨٣ ، الكريم
الأصمرائى : مسامرة الأخيار ، ص ٤٧ - ٤٨ .

وسنجر ، وكان أشد ما يكون في العصر الذي عاش فيه نظامي .

وقد جعل حسن الصباح ولاية عهده لوزيره بزرگ أميد ، الذي خلفه بعد موته في عام ٥١٨ هـ ، فتدنى مبادئه ، ولم يستطع السلطان سنجر القضاء عليه ، بل إنه اضطر إلى التنازل له عن بعض حقوقه في الري ، وطبرستان ، وقزوین ، فتطلمت قوته ، واتسع نفوذه ^(١) ، وهو الذي تسبب في قتل الخليفة العباسي المسترشد بالله .

وتوفي بزرگ أميد ، في عام ٥٣٢ هـ ، خلفه ابنه محمد ، وكان مخلصاً لمثل سابقه ، فأمر بقتل عدد كبير من الحكام والأشراف قتل في عهده الخليفة الراشد ، كما قُتل قاضي قهستان ، وقُتل داود بن السلطان محمود السلجوقي غيلة في تبريز ^(٢) .

وقتل الاسماعيليون في عهده « جوهر » حاكم الري ، خلفه عباس ، وكان أحد عماليكه ، وقيل إنه اجتهد في قتلهم حتى أهلك عدداً كبيراً منهم ، وإنه بنى من رءوسهم مناراً أذن عليه المؤذنون ^(٣) .

وكان الاسماعيليون يقتلون الخلفاء والولاة ، حتى روى أنهم احتفلوا أسبوعاً بمقتل الخليفة الراشد ^(٤) .

وتوفي محمد بن بزرگ أميد في عام ٥٥٥ هـ ، خلفه ابنه الحسن الذي كان أعلى مرتبة من أبيه في التعصب ، فأول أحكام الإسلام وأطلق للناس العنان ، يفعلون ما يشاءون ، وصنّف كتباً كثيرة تتعلق بمذهبهم ، كانت مملوءة بالخرافات ، والألفاظ المصولة ، وادّعى أنه كان لا ينطق عن الهوى ، وإنما هو وحى يوحى إليه ،

(١) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٥ .

(٢) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٩٥ ، صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ١١٤ .

(٣) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٩٢ .

Darab : Makhzanol Asrar , p. 85.

(٤)

فراق قوله في أمين العامة ، واستطاع أن ينشر مبادئه بينهم ، فادعى أن التكاليف الشرعية قد رُفِفت عن الناس . فرفع عنهم الصوم ، وأباح لهم الخمر لأنها كالماء لا تضر من شربها ، كما أباح لهم الزنا ، مادام برضا طرفين يسود بينهما الحب . وقد انتشرت هذه التعاليم في سيستان ، وقهستان ، فقوى أمر الاسماعيليين في عهده إلى أن توفي في عام ٥٦١ هـ ^(١) ، خلفه ابنه محمد الذي لم يكتف بتعاليم والده ، بل أسبغ على نفسه صفات الألوهية ، فكان إذا أرسل إلى ملك رسالة تحدث عن نفسه بقوله : « الخالق الرحمن القادر » ^(٢) . وأرسل رسله إلى كل مكان في العالم الإسلامي لقتل الحسكام والأشراف ، الذين وقفوا حجرة عثرة في سبيل نشر المبادئ الاسماعيلية ^(٣) ، قتل الكثير .

وقد ساعده على تنفيذ سياسته ضعف الدولتين العباسية والسلجوقية ، وطول مدة حكمه الذي امتد إلى عام ٦٠٧ هـ ، وقيل إن ابنه كان مخالفاً لأرائه وتعاليمه الدينية ، فدس له السم ليتخلص منه ^(٤) .

وقد اتهم الاسماعيليون في عهده بقتل قزل أرسلان أتاك بك آذر بيجان ^(٥) ، كما قتلوا مسعود بن علي وزير خوارزمشاه ، في عام ٥٩٦ هـ ^(٦) . وهكذا نلاحظ أن نشاط هذه الطائفة قد ازدادت خطورته في النصف الثاني من القرن السادس الهجري .

وتعتبر هذه الفترة أمم فترة في حياة نظامي ، فقد نظم في خلالها جميع منظوماته ، واتصل بكثير من الحوادث عن قرب ، ولاشك أنهم كانوا مصدر فزع ورعب

(١) الشبانكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٦—٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٥) حمد الله مستوفى قزوینی : تاریخ کریمه ، ص ٤٧٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ١٠٤ ، ابن الوردي : تاريخه ج ٢ ، ص ٧٩ .

له ولنيره من السنين ، وربما أثر هذا الرب في تصرفاته ، وقد ظهر كرهه لم حيناً حذر بهراً مشاه حاكم أرزنجان ، منهم ، فقال : « إن راية اسحق عالية بفضل ، وعدوه - إن وُجد - اسماعيلي »^(١) .

وقد انهار معسكر الاسماعيليين على يد هولاء كوالقوى ، الذي أمر بتعطيم جميع قلاعهم - وخصوصاً الموت وميمون در - كما أمر باستئصال شأقتهم^(٢) . وكان ذلك في عام ١٦٥٤ هـ ، كما ضبطه الكريم الأقسرائي بيتين ، ترجمتهما : « لما أصبحت سنة العرب أربعة وخمسين وستائة - قام خورشاه ملك الاسماعيليين ، من على عرشه ، في فجر يوم الأحد الموافق غرة ذى القعدة ، ووقف ذليلاً بين يدي هولاء كوالقوى »^(٣) .

ومهما يكن من شيء فإن معسكر الاسماعيليين كان يُشيع العرب ، ويساعد على الاضطراب .

ولعلنا أدركنا بعد استعراض مختلف المعسكرات ، التي تتصل بموضوع دراستنا أن الأحوال السياسية في عصر نظامي كانت قلقه غير مستقرة ، تبت على الحواف والتشتت وبليلة الأفكار ، مما جعل حياة الناس مضطربة مهددة ؛ فأشاع فيهم النفاق ، وحُيِبَ بعضهم في العزلة والانزواء .

ونكتفي بهذا القدر ، في الناحية السياسية ، لنعرض للنواحي الأخرى من اجتماعية ، وفنية ، ودينية ، ونرى مبلغ تأثيرها بالأحوال السائدة في ذلك العصر .

(١) هذه ترجمة قول نظامي في مخزن الأسرار ، ص ٣٣ :

رايت اسحق أزوعا ليست ضدش اكرهست سماعيليت

(٢) العباسكارى : مجمع الأنساب ، ص ٢٢٨ - ٢٣١ .

(٣) ذكر الكريم الأقسرائي هذين البيتين في مسامرة الأخبار ، ص ٤٧ - ٤٨ وها :

سال عرب چوشد وينجا چهار سال يكشني بود غره ذى قعدہ بامداد
خورشاه پادشاه سماعيلان ز تخت برخاست پيش تخت هولاء كوايستاد

الفصل الرابع

النواحي الاجتماعية والفنية والدينية في عصر نظامي

١ — الناحية الاجتماعية :

امتاز القرن السادس الهجري بكثرة ما حدث فيه من التغيرات ، نتيجة لقيام بعض الدول وسقوط البعض الآخر ، وقد رأينا كيف اشتد أوار الحروب بين هذه الدول ، بلا انقطاع تقريباً . وطبيعي أن هذه الحالة كانت لها آثارها في حياة الناس الاجتماعية ، فقد جعلتها متقلبة غير مستقرة .

كما كانت لسيطرة العنصر السلجوقي ، على إيران والعراق وما جاورهما من الأقطار الإسلامية ، آثار واضحة في الحياة الاجتماعية ، فقد كان السلاجقة عنصراً جديداً ، يخالف السامانيين في أنهم لم يألفوا حياة المدن والاستقرار من قبل^(١) . وكان سلاطين السلاجقة الأولين غير مثقفين ، مما جعلهم في احتياج إلى كثير من الموظفين ليستعملهم في المهام المختلفة^(٢) ، فبرزت بذلك طبقة الموظفين وازداد نفوذ بعض أفرادها تبعاً لأهمية مناصبهم ، أولصلتهم بالسلطان السلجوقي .

وكانت علاقة السلاطين بالجيوش معقدة للغاية ، فقد أدت سيطرة السلاجقة إلى وفود عدة قبائل - من عنصرهم - إلى إيران وغيرها من الممالك الإسلامية ، واضطرب السلاطين - أحياناً - إلى إعطاء أفراد هذه القبائل مرتبات مثل الجنود . ولكنها كثيراً ما كانت مصدر فتنة وقلق ، خصوصاً في الوقت الذي

(١) نظامي عروضي سمرقندي : چهار مقاله ، ص ٢٣ - ٢٤ ، بهار : سبك

شناسی ج ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦

(٢) برتلس : نظامی شاعر آذربایجان العظیم ، ص ١٣ .

كان السلاطين يحرمون أفرادها من مرتباتهم^(١) ، فكانت القبائل تساعد على ازدياد الحالة سوءاً واضطراباً .

ومن الظواهر الاجتماعية الجديرة بالملاحظة - في ذلك العصر - ظهور أهمية المدن ، وازدياد تلك الأهمية بمرور الزمن ، حتى صارت لبعض المدن شخصية واضحة مستقلة لها مقوماتها ومميزاتها ، ككشرون ، وتبريز ، ومراغة ، كما ظهرت أهمية النغور ، كآرزنجان وكنجه وما شابههما ، لأن هذه النغور كانت تؤدي واجباً دينياً مقدساً ، هو صد أعداء الإسلام ، من الكرج والروم ، عن الديار الإسلامية مما أضى عليها وعلى حكائها أهمية كبيرة ، وجعل ولاية النغور موضع تقدير المسلمين ومدح الشراء والكتباب .

وقد تبع هذا ظهور عدة طبقات في كل مدينة ، كالعظماء ، والأشراف ، والتجار ، والعمال ، والصناع ، والفقراء ، وقد كثرت طبقة الصناع في بعض المدن ، وكانت الصناعات تناسب مع كل مدينة .

ويبدو أن الصوفية قد وجدوا مرتعاً خصباً بين طبقات العمال والصناع والفقراء ، فنشروا تعاليمهم بينهم ، وضموا الكثيرين منهم إلى صفوفهم^(٢) . وكانت إحدى فرق الصوفية ، وهي فرقة « الأخية » ، تستعمل السلاح كوسيلة لأخذ حقها ، وإصلاح المجتمع ، مما جعلها أكثر تشبهاً مع نفسية سكان النغور ، فانضم كثير منهم تحت لوائها^(٣) .

وطبقي أن هذه الحالة قد جعلت طبقة الصوفية تظفر باحترام الناس والحكام ، فارفع شأن رجالها ، وعظم تأثيرهم في حياة الناس .

(١) برتلس : نظامي شاعر آذربيجان العظيم ، ص ١٤ .

(٢) للرجع السابق : ص ١٥ .

(٣) سيأتي الحديث عن فرقة الأخية فيما بعد لأن نظامي كان في أغلب الظن

وكان لا انتشار تعاليم الصوفية أثر في إنماء الشعور بحب الوحدة والانزواء ، بسبب حالة القلق التي سادت حياة الناس ، فجعلتهم لا يهتمون لبعضهم البعض ، فشاع الشك وعدم الاخلاص وانعدمت المثل الأخلاقية القوية ^(١) . وهكذا أثرت الناحية السياسية في حياة الناس الاجتماعية ، وكيفية حساب مقتضياتها .

٢ - الناحية الفنية :

وأقصد بالفن - هنا - الفن بمعناه الواسع ، الذي يشمل الأدب ، والنقش ، والتصوير ، والصنعة والمعمار ، وما شابه ذلك . والملاحظ أن الفن قد راج في ذلك العصر ، رواجاً واضحاً ؛ فقد ارتقى فن النقش ، والتصوير ، والصنعة ، والمعمار ، في العصر السلجوقي ، لأن السلاجقة كانوا يشقون الفنون الجميلة ويرعونها ، وقد امتد تأثيرهم ، في هذه الناحية ، إلى عصر الممقولات ^(٢) .

وقد كان لبداءة السلاجقة أثر في رواج الفنون ، فقد شغفوا بالمباني الفخمة ، والنقوش الجميلة ، واللوحات المزخرفة ، التي كانت ترضى ذوقهم وتسد حاجتهم النفسية . ويبدو أنهم كانوا قد تعلموا - قبل فتحهم لإيران - فن الصنعة والمعمار من الغزنويين ، وكان سلاطين السلاجقة أنفسهم يحسون الفنون ويشتقون عليها ^(٣) ، فبقيت روائع الفن الإيراني منذ عهد السلاجقة ، ويمتد كثير من العلماء أن الفن الإسلامي ، قد وصل إلى أعلى درجاته في عهدهم ، وأن الآثار الباقية ، منذ ذلك العهد ، قليلة النظر في تاريخ الفن الإيراني ^(٤) .

(١) سأتناول هذه المسألة بشيء من التفصيل في أثناء الحديث عن الناحية الدينية

(٢) كريستى ويلسن : تاريخ صنایع ایران (ترجمه فریار) ، ص ١٤٢ .

(٣) M. S. Dimand ; A Handbook of Mohammadan Art, p. 173.

(٤) كريستى ويلسن : تاريخ صنایع ایران ، ص ١٤٢ .

ولم يظل الفن حياً مقروناً بالشق والابتكار في داخل إيران وحدها ، بل بسطت فتوح السلاجقة أصول الفن الإيراني إلى سواحل البحر الأبيض وشمال إفريقيا ، مما جعل آثار الفنون الإيرانية تُرى في مصر ، وسورية ، بعد ذلك بعدة قرون^(١).

وقد امتاز الفن عامة بميله إلى حب التفنن والتصنع ؛ فوضحت هذه الظاهرة في شعر نظامي ، كما أخذ كثيراً من استعاراته من الفنون الجميلة . أما الناحية الأدبية ؛ فقد ظهر فيها لون جديد من ألوان الأدب ، يمكن أن نسميه أدب المدينة .

فالملاحظ أن الآداب ، في القرون التي سبقت ذلك العصر ، كانت تنقسم إلى قسمين :

١ - الأدب المكتوب ، أو أدب الطبقات الحاكمة .

٢ - الأدب الشفوي^(٢) ، أو أدب الشعب .

ثم ظهر نوع جديد ، هو أدب المدينة ، أتبعته ظاهرة جديدة ، هي ظهور المدينة كبيئة مستقلة لها خصائصها ، وكان هذا النوع قوياً في القرن السادس الهجري . وقد تنبه القدماء أنفسهم إلى هذه الظاهرة ، فقسّموا الآداب بحسب المدن ، فسوفى في لباب الأبواب - مثلاً - قد قسم الشعراء بحسب المدن والأقاليم . فذكر نظامي ضمن شعراء قم ، وهذا هو عين ما فعله لطفعلی بيك في آنشكده .

وقد اتخذت آداب المدن صورة واضحة مميزة في عصر نظامي ، لأن حكام المدن اجتهدوا في جمع الشعراء والكتاب حولهم ، حتى يظفروا بمدحهم والتنفق بفضائلهم .

(١) كريستى ويلسن : تاريخ صنایع ایران ، ص ١٤٣ .

(٢) برتلى : نظامی شاعر آذربایجان العظیم ، ص ١٦ .

ولكن آداب المدن كانت تحت تأثير آداب البلاط ، فكان شعراء المدن وكتابتها يستعملون نفس الأسلوب - الذى يُستعمل فى مدح السلاطين - فى مدح حكام المدن ، بنفس الطريقة تقريباً ، غير أن شخصية المدينة ، وما فيها من عادات وتقاليد ، كانت تظهر فى آثارهم بين الحين والحين ^(١) .

وأكبر الظن أن الآداب السلطانية قد بقيت - فى العصر السلجوقى - دون تغيير كبير ، بينما شاعت اللغة الفارسية فى الهند وآسيا الصغرى ، ولكن السلاجقة لم يهجرُوا لغتهم ، بل كانوا يستعملونها فى مجالسهم الخاصة ، ومع ذلك فقد ظلت الفارسية من علامات الطبقة الحاكمة ، وظهرت أهميتها فى بلاد كانت فيها آداب قومية كبلاد الأرمن وبلاد الكرج ، فظهرت آثارها فى تلك الآداب ^(٢) .

ويبدو أن شعر البلاط قد راج فى شروان رواجاً كبيراً ، فقد حرص حكام شروان على جمع الشعراء حولهم للإشادة بذكورهم ، حتى يشتهروا عن طريقهم ، وكان أبو الملاء السكنجوى يعتبر رئيس الشعراء الذين أحاطوا بمنوچهر ثم بابنه اخستان من بعده ^(٣) .

ولعل مما يؤسف له ، أن ديوان أبى الملاء ليس بين أيدينا ، وإنما توجد نماذج من شعره فى كتب التقذاكر ، ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة عظيمة فى ذلك البلاط .

غير أن حياة شعراء البلاط لم تكن خالية من المشكلات فقد أشهم أبو الملاء بأنه أعطى معلومات عن البلاط لأعداء شروان ، وقد بذلك عطف البلاط ، ولم يُجَدِّدِ دفاعه عن نفسه شيئاً ، فأخذ يتحدث عن ضياع الحقيقة وانعدام الوفاء ، فى وقت كان فيه فى الخامسة والخمسين من عمره ، وهكذا يبدو أن شعراء

(١) لن أسرف فى ذكر الأمثلة والشواهد مكتفياً بما ورد فى شعر نظامى مما سيرد ذكره .

(٢) برتلى : نظامى شاعر آذربيجان ، ص ١٦-١٧ .

(٣) أمين رازى : هفت إقليم ، ص ٥٢١ .

البلاط كثيراً ما كانوا يقومون بأدوار سياسية .

وقد أثّرت روح العصر في إبراز ظاهرة هجاء التلاميذ لأسانذتهم ، والوشاية بهم ، فرأينا الخاقاني تلميذ أبي العلاء يهجو أستاذه ويشي به في البلاط ، ويتهمه بأن له علاقات بالاسماعيليين ، حتى يجد لنفسه طريقاً في البلاط . وقد آل أمر الخاقاني نفسه إلى السجن فأثّر في مجرى حياته ، بعد ذلك ، تأثيراً كبيراً .^(١) كما كان فلسفي الشرواني موضع هجوم أنير الدين اخسيكتي وأديب صابر ، وانهى أمره بالسجن أيضاً ، وقد روى أنه خرج من السجن هيكلاً عظيماً فأدّى هذا إلى مرضه وسرعة وفاته .^(٢)

ولعل ماحدث لـ الخاقاني وفلسفي الشرواني كان له أثره في نفس نظامي ، فسكان كثيراً ما يشير إلى خطورة خدمة البلاط كما سيأتي .

وكان للأتابكة شعراء وكُتّاب ، ومن أم شعرائهم مجير الدين البيلقاني ، غير أن شعره ضائع ، فلا نستطيع تقدير درجته الشعرية تقديرًا دقيقاً ، وإن كان أمير خسرو اللهلوي يَمَصلُّه على الخاقاني ، ويعتبره أشعر منه .^(٣)

وقد كان مجير الدين بشعربما في حياة البلاط من كذب وزيف ونفاق ، ويمتقد أن الإنسان يجب أن يكون كالعود يعطى سكرًا في حياته ، ويُهدِرُ نغمًا حلواً بعد وفاته .

وكانت القصيدة هي النموذج الشعري لشعراء البلاط ويعتبر أنوري و خاقاني من أبداع شعراء هذا الفن .^(٤)

(١) أمين رازی : هفت إقليم ، ص ١٥١٠ ، ب .

(٢) للرجع السابق : ص ٥١٧ .

(٣) للرجع السابق ، ص ١٥٢٥ ، ب ؛ ويقول محمد باقر إصفهاني في روضات الجنات ، ص ٧٨ ، إنه كان تلميذ خاقاني ونظامي .

(٤) لا أجد ضرورة للاسراف في ذكر الأمثلة ، لأنني أتناول الناحية الأدبية ، كوسيلة تساعد على فهم نظامي وشعره وتكفي معرفة الاتجاهات الأدبية بصفة عامة مختصرة ، ويعتبر شعر نظامي ، الذي سيرد الحديث عنه ، أوضح شاهد على روح عصره .

وشعر البلاط إن وصف بشيء ، فإنما يوصف بأنه الشعر الذى تختفى فيه شخصية الشاعر إلى حد كبير ، لتظهر شخصية المدوح واضحة جلية .

أما الأدب كصناعة ؛ فقد امتاز بما امتاز به الفن عامة ، فى ذلك العصر ، من ميل إلى التفنن ، فالشاعر أو الناثر كان لا يكتفى بصب أفكاره فى قوالب جميلة من الألفاظ ، بل كان يحاول أن يرسم على هذه القوالب من النفوش والزخارف ما يجعل منظرها رائعاً بديعاً ، فامتلاً الأدب بالحسنات اللفظية والتشبيهات والاستعارات والكنايات وماشابهها ، وراقت هذه الأشياء فى أعين الناس فأكثر الشعراء والكتاب منها ، وطلعت على بعض الأشعار ، فجعلت فهمها صعباً مما سأحدث عنه ، فى أثناء الحديث عن مزايا فن نظامى .

وقد تأثرت الناحية الأدبية بالناحية الدينية ، فلعرض لهذه الناحية الأخيرة لنرى مبلغ تأثيرها فى سابقاتها .

٣ — الناحية الريفية :

تأثرت الحياة الدينية ، فى القرن السادس الهجرى ، بما ساد الحياة السياسية من اضطراب وتشتت ومنازعات ، فكان من أهم ظواهرها شيوع التعصب والانحرافات ، وكثرة النزاع بين الفرق الإسلامية المختلفة ، وعداوة أهل العلم بعضهم لبعض الآخر ، وغلبة الجفاف على المباحث العلمية والفلسفية ، واستخدام العلم والفلسفة أداة للمجادلات المذهبية ، وجعل المباحث العلمية محدودة داخل نطاق الإحساسات المذهبية .^(١)

وكانت هذه الأوضاع سبباً فى انحراف العلم عن محوره الحقيقى ، الذى هو البحث عن حقائق الأشياء ، فشاع ضيق النظر ، وأصبحت الحكمة والفلسفة خادمتين لمجادلات أصحاب المذاهب ومفاظراتهم .

(١) قاسم غنى : تاريخ تصوف در اسلام ، ص ٤٦٤ .

وقد بدأت هذه الظواهر تتضح في القرن الخامس الهجري ، حتى ثار النزالي - في أواخر ذلك القرن - في وجه الفلاسفة ، وأخذ في تسفيه أحلامهم وتكفيرهم في كتابه « تهافت الفلاسفة »^(١) . كما ذكر القفطي أن معاصري عمر الخيام تناولوه بالقدح في دينه ، حتى ترك نيشاپور وذهب إلى الحج ، وكان - بعد رجوعه من مكة - يحنى أسرارهم ويتظاهر برعاية ظواهر الشرع^(٢) .

وعلى هذا الأساس يحسن أن نُلِمَّ بهذه الأشياء بصورة مختصرة منذ القرن الخامس الهجري ، قبل أن نعرضها في صورتها في القرن السادس ، لأن جذورها تمتد إلى ذلك القرن .

لعل من الأشياء الجديرة بالملاحظة - في القرن الخامس - رواج سوق الأشاعرة ، وكثرة الحروب بين أهل السنة والشيعة ، فقد فتح كل فريق منهم مدارس ، ورتَّب مجالس للدرس . وكان هدف كل منهم رواج المذهب الذي يتبَّعه ، والانتصار على أعدائه .

وقد كثرت الفرق الإسلامية ، وحاولت كل فرقة تخريب مدارس الفرقة الأخرى ، وكانت تعتبر ذلك العمل قرْبى إلى الله ، كما حاول كل فريق أن يسفك دماء مخالفيه ، حتى يظفر بالثبوت من الله .

وقد اشتد النزاع المذهبي بين الشيعة ، والسنة ، والأشاعرة ، والمعتزلة ، والاسماعيلية ، كما ظهر النزاع بين مذاهب أهل السنة المختلفة ، وخصوصاً بين الشافعية ، والحنفية ، وكان النزاع بين هذه المذاهب المختلفة يتطور إلى درجة الحرب أحياناً^(٣) .

وقد ذكر ابن الأثير - في حوادث عام ٤٠٧ هـ - شيئاً عن قتل الشيعة

(١) النزالي : تهافت الفلاسفة ، ص ٣ - ٤ .

(٢) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) قاسم غنى : تاريخ تصوف در إسلام ، ص ٤٦٨ .

بإفريقية ، كما أشار - في حوادث عام ٤٠٨ هـ - إلى النزاع بين أهل السنة وأهل محلة السكرخ الشيعة ، ثم تحدث عن النزاع بين السنة والشيعة ، وتخريب السنين منازل الشيعة وأبينتهم حتى قبور كاظمين ، وذلك في حوادث عام ٤٣٣ هـ ، وذكر مثل هذا النزاع في حوادث عام ٤٤٤ هـ ، وقال إنه امتد إلى عام ٤٤٥ هـ . مما يدل على أن الاضطراب السياسى قد حاله اضطراب دينى ، ونزاع مستمر بين الفرق الإسلامية ، وأصحاب المذاهب المختلفة ، وقد ساعد هذا بدوره على بلبلة الأفكار وتفرق المسلمين ، وغلبة موجة التعصب ، التى بلغت أقصى قوتها فى القرن السادس الهجرى للتصل ببحثنا .

ولكن فرقة واحدة بقيت بعيدة من التعصب إلى حد ما ، ألا وهى فرقة الصوفية ، فقد كان الصوفية يمتازون بسلامة الفكر والعفة والأخلاق المحمودة ، كما كان أفق تفكيرهم أوسع بكثير من غيرهم من المتعصبين ، فأكبرهم هذا حُب كثير من الناس وأخذ نفوذهم يزداد ويقوى ، وبدأ يظهر فى الأدب منذ القرن الخامس ، ثم ازداد حتى أصبح له نوع من الشمول فى القرن السادس ، واستمر بعد ذلك فى القرنين السابع والثامن ، حتى كدنا لا نجد شاعراً غير معنى باصطلاحات التصوف والعرفان .

ويمكن أن نحس بهذا الأثر إذ قارناً بين أدب القرن الرابع مثلاً ، وأدب القرون التالية ، وخصوصاً القرن السادس ، فقد كان أدب القرن الرابع خالياً من الصنعة والتكلف سهل الفهم ، كما كان خالياً - تقريباً - من المعانى المجازية والاستعارات والسكنايات الإشرافية والصوفية ، ومن شطحات هؤلاء ، فى حين أنه امتلأ بهذه الأشياء منذ القرن الخامس ، فأبعدته عن فهم جمهور العوام ، وبعض الخواص ، وقد ازداد نفوذ التصوف فى الشعر ، حتى أصبحت نعمة جزء كبير منه مسعدة من التصوف .

وقد يبدو هذا طبيعياً ؛ لأن التصوف مذهب والشعر لسان القلب ^(١) .
ومن المقرر أنه ليس للعقل والاستدلال طريق إلى فضاء المشق والشوق ،
الذى يسبح فيه خيال الصوفى ، فواضح - إذآ - أن اللغة التى نستطيع أن نترجم
عن هذا هى لغة المشق والإحساسات أى الشعر ، ويرى البعض أن صياغة
الشعر ممزوجاً بالأفكار الصوفية هى التى أعطته رونقاً ، وكانت سبباً فى إنتاج أجمل
الأشعار الفارسية ^(٢) .

وقد كان الصوفية موضع احترام الناس والأمراء والسلاطين ، لبدءهم عن
المجادلات المذهبية . فقد رُوِيَ أن السلطان محمود الترنوى زار الشيخ أبالحسن
الخرقانى عند توجهه إلى الرى ^(٣) . كما رُوِيَ أن السلطان طغرل السلجوق ذهب
لزيارة بابا طاهر الريان فى همدان ^(٤) . وما ذلك إلا لأن الصوفية كانوا يصنفون
تعاليمهم بالصنفة الدينية ، ويزهدون فى الدنيا ، وحطامها الزائل ، ويتبدون عن
مصاحبة الملوك والأمراء وأصحاب الجاه والباطان ، راضين بالزهد والقناعة . كما
كانوا لا يتدخلون فى النزاع بين الفرق المختلفة مستعملين سياسة السلام مع الجميع ^(٥) .
وقد اشتد النزاع بين الفرق فى القرن السادس ، وأدكت نيرانه الحروب
الصليبية ، وضعف مركز الخلافة الإسلامية ، وتشكيل حكومات شبه مستقلة ،
ونزاع أمراء الإيالات المختلفة بعضهم مع البعض الآخر ، مما أدى إلى خراب
الممالك الإسلامية فى النهاية ، وانقراض الخلافة على يد المغول فى القرن السابع
المجرى . وقد أدى كل هذا إلى انعدام المثل الأخلاقية .

(١) قاسم غنى : تاريخ تصوف در إسلام ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧٢ .

(٣) السمعانى : الأنساب (نسب الخرقانى) ، ص ١٩٥ ؛ العطار : تذكرة الأولياء ،

نیمة دوم ، ص ١٥٩ - ٢٠٠ ؛ غلام سرور : خزينة الأصفياء ، ص ٥٢٤ - ٥٢٦ .

(٤) الراوندى : راحة الصدور ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٥) قاسم غنى : تاريخ تصوف ، ص ٤٧٣ - ٤٧٥ .

وقد استفاد الصوفية من هذه الأوضاع ، فبنوا تساليهم الدينية ، التي تهدف إلى تهذيب النفوس ، فأصبح الغرض من البحث العلمى - فى القرن السادس - هو الوصول إلى السعادة الأخروية ، وكان شعار المتعلم « أول العلم معرفة الجبار وآخره تفويض الأمر إليه ^(١) » .

وقد أشاع النزاع بين الفرق التعصب وضيق النظر بصورة واضحة غالبية ، فالكتب والأشعار التي حُفِظَتْ لنا عن هذا القرن ، تدلُّ على أن كُتَّابه وشعراءه كانوا - بصفة عامة - متأثرين بما شاع فى عصرهم ، فكان التظاهر بالفضل مصحوباً بالغرور النفسى ، إلى غير ذلك من مظاهر ضيق النظر ، واضحا فى آثارهم .

كما كانت لنفوذ العلوم الدينية ، وشيوع المباحث المذهبية ، ومعرفة شعراء الإيرانيين وكتابتهم باللغة العربية وآدابها ، أثرٌ واضح فى محاولة تقليد اللغة العربية ، ومحاكاة فنونها .

وقد تجلّت هذه الظاهرة فى القرن السادس أكثر مما سبقه من القرون ، فإن شعراء القرن الرابع وكُتَّابه لم يكن لهم نفس التعمق ، الذى لاحظناه فى القرن السادس ، رغم معرفتهم التامة باللغة العربية ، وتأثرهم بالفكر العربى .

ومن خصائص هذا القرن - أيضاً - الغلو والمبالغة فى الموضوعات المذهبية ، كحمد الله والثناء عليه ، ومدح الرسول وأصحابه ، وذكر المعراج ووصف البراق . نلاحظ ذلك فى أشعار نظامى ، وخاقانى ، وجمال الدين بن عبد الرزاق ؛ ونضرب مثلاً بنظامى ، فقد استغرق ذِكْرُ هذه الأشياء أكثر من ثلاثين صفحة من منظومته الأولى « مخزن الأسرار » أى مايقرب من سدسها .

كما أدّى اضطراب الأوضاع فى الممالك الإسلامية إلى تَرْكُزُ الروح المعنوية ، وخوف الناس ، وتوقعهم الموت أو الأسر ، مما أدّى إلى فساد الأخلاق وانعدام

(١) قاسم غنى : تاريخ تصوف ، ص ٤٨٢ .

الفضائل كما ذكرنا ، فأصبحنا نجد أغلب شعراء ذلك القرن يُكثرون من الحديث عن انعدام المروءة ، وضياع الوفاء ، وانقلاب الأوضاع ، وإبدال الأمانة بالخيانة ، والهبة بالعداوة ، والإنسانية بالجفاء ، وتحيز العلماء ، واجتلاء الفضلاء ، ويقتنون الاختلاط ، ويدعون إلى الوحدة والانزواء .

فهذا عبد الواسع الجبلى - مثلاً - يقول : « نُسِخَ الوفاء ، واندمت المروءة ، ولم يبق منهما إلا الاسم ، كالعنقاء والسكبياء ، لقد صارت الأمانة خيانة ، والدكاء سفهاً ، والصداقة عداوة ، والإنسانية جفاء ، وانكسرت آداب الخلق جميعها ، بسبب هذا العالم البخيل ، والقلك عديم الوفاء ، فكل عاقل قد امتنع فأتى زاوية ، وكل فاضل قد صار مبتلى بداهية ^(١) » .

وكان من علامات ضيق النظر ، اشتغال الشعراء والكتاب - غالباً - بالمسائل الشخصية للناحية ، لا بالمسائل العامة العظيمة . فعنى الشعراء بالجزئيات وشُغِفُوا بذيءٍ طريقة مخالفينهم ، وصرفوا أوقاتهم وتفكيرهم في المجاء والقبح ، وراج بين الشعراء مدح النفس ، وإظهار الفضل ، والعلم ، والفرور ، والمفاخرة ، وأمثال هذه الأشياء مقرونة بالشكوى من بقاء قدر الشاعر مجبولاً ، وشغلت هذه المسائل جزءاً كبيراً من أشعار الشعراء في ذلك العصر .

فهذا نظامى يقول في الفخر : « إني - بفضل الماني - ملكٌ لملوك الفضل ، قد أحاطت شهرتي بالآفاق كإحاطة السماء ؛ فصوت شعري العالى هو ناقوس

(١) هذه ترجمة قول عبد الواسع الجبلى :

منسوخ شد مروت ومعدوم شد وفا وزهر دو نام ماند چو سيمرغ و كيميا
شد راسق خيانت و شد زيركي سفه شد دوستى عداوت و شد مردمى جفا
كشته است بار كونه هم رسماى خاق زين عالم نېره و كردون بى وفا
هر عاقل بزاوية مانده محتجن هر فاضلى بداهيه كشته مبتلا
(قاسم غنى : تاريخ تصوف ، ص ٤٨٧)

صیق الرّنان ، وقلی یفزو العالم وكأنه علم فاتح ، وقد ضارعت عظمی عظمه الملك
کیقباد ، وجاوز نفوذی عنان السماء ، فأنا مؤید الکلام فی عالم الفصاحة ،
ماطرق أحد غیری باب السعادة ، إن مکاتباتی تُشرّف ابن مقلة ، ونظمی یُحیّر
ابن هانی ، فانظر إلی أشعاری إذا أردت أن تعرف لغة مضر ، وأی عجب أن
تری حدیثاً عذباً من فصیح لسان مثل ۱۲.. أنا - والله - فخور بهذا الفن ، لأنه
لم یکن هناك نظم بهذه الطائفة ، وشر بهذه الفصاحة . فشمعی کالصدف الحر ،
و کالجوهر النقی ؛ غیر أئی معذب - لیلاً ونهاراً - من فاسق ، إنه حاسدی ، وهو
غیر شریف . ولسوف یُزَمّ وینسحب ، کالنجم الیمانی ^(۱) .

وهذا خاقانی الشروانی یقول : « لیس ملک الکلام ملک أفضل منی ،
فقد سلت الفصاحة - فی العالم - عنانها لی ، فأنا روح القدس لم یم المعانی
المذراء ، وأنا ملک عالم المعانی ^(۲) » .

(۱) هذه ترجمة قول نظامی :

ملك الملوك فضلم بغضيلت معاني
نفس بلند صوتم جرس بلند صیق
سرهمتم رسیده بکلاه کیقبادی
قلم جهان نوردم علم جهان ستانی
بولایت سخن در که مؤید الکلام
برحشتم گذشته زبرندجوزجانی
بمکاتبات تقزم شرف آرد ابن مقلة
زده کسی بجزمین در صاحب القرانی
بلسان مضر خواهی بلسان من نظر کن
زمفالات نظم غلط افتد ابن هانی
متفاخرم بدین فن بخدا وچون نباشد
چو صدف حلال خوارم چو گهر حلال زاده
ولد الزنا است حاسدمم آنکه اختر من
ولد الزنا کش آمد چو ستاره یمانی
(نظامی : کنجینه کنجوی ، ص ۱۷۴ - ۱۷۹)

(۲) هذه ترجمة قول خاقانی :

نیست لاقلم سخن را بهتر از من یادشا
در جهان هم این سخن را می مسلم شد مرا
مریم بکر معانی را من روح القدس
عالم ذکر معانی را من فرمان روا
(قاسم غنی : تاریخ تصوف ، ص ۴۸۹)

كما أوجدت روح المصير شيئاً من السأم ، قال الناس إلى شيء من الصلح . وكان شيوخ الصوفية ، ومن يخذو حذوهم من الشعراء ، يحاولون القيام بهذه المهمة ، ليُفدِّهم من التعصب والجفاف ، فوَجِدَتِ الدعوة إلى الصلح والإصلاح بين « أهل الحال » ومذهب « المشق والحبة » وطريقة « الصلح والصفاء » وعقيدة « وحدة الوجود » من رجال الصوفية ، وبين الشعراء كسنائي والمطار من شعراء الصوفية ، وعند نظامي الكنجوي الذي كان يميل إلى مذهبيهم ؛ فكانوا دعاة إصلاح وصفاء ، وعدل ووفاء . وقد وصلت هذه الدعوة إلى أسمى درجاتها في القرن السابع الهجري بفضل جلال الدين الرومي .

وهكذا وجدنا الصوفية وأمثالهم ، عاملاً ملطفاً في ذلك الجو المُلتمِّ بالأحداث المختلفة والتيارات المتعارضة ، ورغم أنهم كانوا يجنحون في أمثالهم إلى التلميذات الفلسفية ، ويتناولون المسائل المتصلة بالفلسفة وعلم النفس ، كأبحاث المتعلقة بحقيقة الله والعالم ، والمعرفة ، وعلة الخلق ، وربط الحادث بالقديم ، ووحدة الوجود ، والروح والبدن ، والعالم الصغير ، والعالم الكبير ، وأمثالها ، إلا أنهم لم ينسوا طريقتهم التي تعتمد على الذوق ، والمكاشفة ، والوجد ، والحال ، والوجدان ، والشعور . فلم يكن عجيباً - إذأ - أن يرد التصوف باب الأدب فيجعله حراً طليقاً مثله ، حتى أصبحنا نجد الشعر الذي نشأ في كنف السلاطين ، وتأثر بهم ، قوة وضعفاً ، يصير حراً ، محط القبول ، بعد أن اصطليح بصبغة الصوفية ، فظهرت بذلك روائع من الشعر ، وأصبح الشعراء من غير الصوفية يطرقون الموضوعات غير الصوفية ، فيحرصون على تلوينها بلون التصوف .

وهرع كثير من الناس إلى حظيرة التصوف بعد أن رأوا جور الزمان وقسوته وقد تجلَّى هذا بصورة أوضح في القرن السابع الهجري ، حينما اشتد هجوم المنول ، فقد كُثِرَت مجالس الصوفية ، وأقبل الناس عليها ، وكان يذهب إليها ناس لم يكونوا صوفية ، وإنما كانوا أصحاب قلوب وذوق ، قرَّوا من جور الزمان إلى ساعة في

صحبة الصوفية بقلب فارغ^(١). فظهر - في ذلك القرن - بعض كبار الصوفية ، من أمثال محي الدين بن العربي ، وجلال الدين الرومي ، وسمدي الشيرازي ، الذين وصلوا إلى درجة النضج والكمال .

وقد ظهرت الاصطلاحات الصوفية في أشعار نظامي كصدي لروح عصره ، ونتيجة لتأثير الناحية الدينية في الأدب ؛ ذلك التأثير الذي سوف يساعدنا - إلى حد كبير - على فهم شعره .



ونكتفي بهذه الإمامة اليسيرة بمصر نظامي من نواحيه السياسية ، والاجتماعية ، والفنية ، والدينية . وسنحاول أن نرى أثرها - مجتمعة - في الشاعر ، فلا شك أنه - كغيره من أبناء عصره - قد تأثر بما كان في ذلك العصر من عوامل وموجبات في نشأته ، وتعليمه ، ومذهبه في الحياة ، فتفاعل معها سلبياً أو إيجابياً ، وظهر أثرها واضحاً في شعره .

فلنترك هذه البيئة العامة لنلم بيئة الشاعر الخاصة ، ونتحسس ما فيها من مؤثرات وموجبات ، ثم نرى مدى تعاونها ، مع البيئة العامة ، في التأثير في نفس الشاعر وشعره .

(١) قاسم غني : تاريخ تصوف ، ص ٥٠١ .

الباب الثاني

بيئة نظامي الخاصة

الفصل الأول

البيئة الجغرافية

١ - تحديد البيئة الجغرافية التي ولد فيها نظامي :

يحدّرني ، أن أحدّد بيئة الشاعر الجغرافية ، قبل التحدث عنها ، فقد اختلف فيها ؛ فقليل إنها كنجبه ، كما قيل إنها قم^(١) .
وأرجح أن نظامي وُلِد في كنجبه وعاش فيها إلى أن قضى نحبه ، ثم دُفِن بها ، وأن والده كان من أهل قم ، فأصل الشاعر قمّي ، ولكنّ البيئة الجغرافية التي نشأ فيها ، هي كنجبه .

ومما يرجح أنه وُلِد في كنجبه ، ما روي من أن والده هاجر من قم ، لأنه كان - فيما يبدو - سنياً ، بينما كان أهل قم من غلاة الشيعة^(٢) ، ثم نزل في

(١) ذكر أمين رازي في هفت إقليم ، (الإقليم الرابع) ؛ ورضا قليخان هدايت ، في كتابيه : جمع الفصحاء ، ص ٦٣٧ ، ورياض العارفين ، ص ١٤٩ ؛ وابن يوسف شيرازي في فهرست كتابخانه مدرسه عالي سبيلار ، جلد دوم ، حاشيه ص ٥٢٤ . أن نظامي لم يولد في كنجبه ، وإنما ولد في مدينة قم ، أو في نغريش ، أو في فراهان من توابع قم ، ثم رحل والده إلى كنجبه حيث قضى أغلب حياته فيها ، واشتهر بها ، وما دام الذي يعنيها هو تحديد بيئة الشاعر الجغرافية ، فإن هذا لوصح يدل على أن بيئة كنجبه ، هي التي أثرت في نظامي أكثر من غيرها ، لأنه عاش فيها أغلب حياته ، فهي الجدير بالدراسة .

(٢) ذكر القزويني في آثار البلاد ، ص ٢٩٧ . أن أهل قم كانوا بطلون في الشيعة ، ثم أورد قصة تبين تصبهم فقال : « حكى أنه أتاهم في بعض الأحوال وال منى وقال لهم : بلغني لشدة محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسمون أولادكم بأسمائهم ، فإن لم تأتونني منكم من اسمه عمر وكنيته أبو بكر لأفعلن بكم ، فداروا في

کنجه ، دار الإمارة فی إقليم أَران ، وتزوج من الأكراد^(١) ، وظل مُقيماً فی
کنجه حيث ولد نظامی من أم كردية^(٢).

وقد أشار الشاعر إلى إقامته فی کنجه ، مبیناً أن أصله من قم ، فقال :
« ولو أني مضیع - کالدر - فی بحر کنجه ، إلا أني من مدينة قم ، فی إقليم
قہستان ، قد اشتہرتُ بأنني من قرية « تا » بتفرش التابعة لقم^(٣) ». ولكن
هذين البيتين غير موجودين فی النسخ القديمة^(٤).

جميع اللدنية وقتشوا ، ثم اتوا بواحد أفرع ، كریه اللقاء ، معوج الأعضاء ، وكان
أبوه غريباً ساكن قم ، فكناه أبا بكر . فلما رآه الوالی غضب وشتهم . وقال :
إنما كنيتموه أبا بكر لأنه سمج ، وهذا دليل على بفضلك لصحابة رسول الله . فقال
بعض الظرفاء منهم : أيها الأمير اصنع ماشئت ، فإن قرية قم وهواها لا تأتي بسورة
أبي بكر أحسن من هذا . فضحك الوالی وعفا عنهم .

(١) كان الكرد منتشرين حول کنجه حيث كانت أسرة الشداديين الكردية
تحكم کنجه حتى عام ٤٦٨ هـ ؛ ولا يزال الكرد موجودين فی کنجه إلى وقتنا هذا

كما يقرر مينورسكي فی مقاله التي كتبها فی :
Bulletin of the shool of Oriental and African Studies, vol. XII, part 2., 1948, p. 442.

(٢) لطفعلی بك : آنشكده ، ص ٢٤٢ ؛ عبد النبي قزويني : ميخانه ، ص ١٠ .

(٣) نظامی : إقبالنامه ، ص ٢٩ . وهي ترجمة قوله :

چو در كچه در بحر کنجه كم ولى از قہستان شهر قم
بتفرش دهی هست تا نام او نظامی از آنجا شده ناجو
وبروى البيت الأول رواية أخرى هي :

چو در كچه در بحر کنجه كم ولى از فراهان شهر قم
وهی لا تثير ، فيما يهدف إليه الشاعر ، شيئاً .

(٤) دستكردي : مقدمه كنجينه كنجوى ، ص ٦٦ ؛ برتلس : نظامی شاعر
آذربيجان العظيم ص ٣٩ ، حيث يقول إن نسخة « اسكندرنامه » الخطية
الموجودة فی باريس لا تحتوي على هذين البيتين ، رغم أنها مؤرخة بعام ٧٩٣ هـ .
وهی تعتبر أقدم نسخة خطية لهذه المنظومة .

كما ذكر أن أصله من العراق المجبى ، فقال : « عقدت كنجبه تلايبي ، مع أن كنز العراق من نصيبي . ولقد نادى الدنيا بصوت مرتفع : أيها الغلام أي كنجبه تكون ، وأي نظامي ؟ ! » (١) .
فهو يستنكر أن يكون أصله من كنجبه ، ويؤكد أنه من العراق المجبى ، ولكنه مضطر إلى الإقامة في كنجبه .

وطبيعي أن يمدح نظامي العراق ، ويشيد بفضل ، فنجده يقول : « إن صوتاً عراقياً قد جاوز الفلك ، مطلقاً رفعة شأن العراق » (٢) .
ويقول أيضاً : « ليكن العراق سعيداً ، فإن صوت فضله قد صار عالياً » (٣) .
وهذا يؤيد ما رجحته من أن الشاعر كان في الأصل (٤) ، ولكنه لا يدل دلالة قاطعة على أنه وُلِدَ في تلك الناحية ، ولا ينفي أن يكون قد وُلِدَ في كنجبه وأقام فيها ، لأنه يشكو من شدة تعلقها به .

ومما يكن من شيء ؛ فإن الشيء الثابت الذي لم يَرْتَقِ إليه شك ، هو أن نظامي قد عاش في كنجبه أغلب سني حياته ، ولم يتركها إلا في القليل النادر ، وأنه ظلَّ بها إلى آخر لحظة من عمره . ولذلك فإن كنجبه قد أثرت — بما فيها

(١) نظامي : مخزن الأسرار ، ص ١٨٥ . وهي ترجمة قول الشاعر :
كنجبه كره كرده كريان من بي كرهى كنجج عراق آن من
بانك برآورد جهان كاي غلام كنجبه كدام است ونظامي كدام ؟ !

(٢) نظامي : خسرو وشيرين ، ص ٣٦١ . حيث يقول :
عراق وار بانك از چرخ بگذاشت باهنگ عراق اين بانك برداشت

(٣) نظامي : شرفنامه ، ص ٥٣ . حيث يقول :

عراق دل افروز با دارجند كه آواز فضل از او شد بلند

(٤) هذا ما يميل إليه قزويني في ميخانه ، ص ٩ ؛ وواله داغستاني في رياض الشعراء ، ص ٤٨٠ ؛ وشبلى النعماني في شعر المعجم ج ١ ، ص ٢١٦ ، وشمس الدين سامي في قاموس الأعلام (باللغة التركية) ج ٦ ، ٤٥٨٩ .

من عوامل - في توجيه الشاعر أكثر من غيرها ، فهي التي تهمننا في بحثنا ، وتتصل بدراستنا .

٢ - كنج وما في يئترها مع عوامل :

يبدو أن كنج كانت من المدن الكبيرة ، في إقليم أران^(١) ؛ فقد أصبحت عاصمة هذا الإقليم ، بعد اضمحلال بردعة^(٢) ، وصارت عاصمة الدولة الشدادية ، التي حكمت من عام ٣٤٠ هـ إلى أن أزالها ملكشاه في عام ٤٦٨ هـ ، ثم أسند أمر كنج إلى محمد ابن ملكشاه . كنا كانت دار الإمارة في عهد قرا سقر أمير آذربيجان^(٣) .

ويهمنا أن نعرف شيئاً عن كنج في القرن السادس الهجري ، الذي عاش نظامي فيه .

وقد حدثنا التاريخ ، أنه في عام ٥٣٣ هـ^(٤) ، أو ٥٣٤ هـ^(٥) ، أصبحت كنج بزلازل شديدة^(٦) ، خَسَفَتْ بها وبأعمالها ، فباد من أهلها عدد كبير^(٧) ،

(١) عربت كلمة كنج فصارَتْ جزيرة وقد وصفها ياقوت في معجم البلدان ، ج ٣ و ٤ ، ص ١٥ ، من الجزء الثالث ، فقال : « إنها أعظم مدينة بين شروان وآذربيجان ، وهي التي يسميها العامة كنج ، وبينها وبين بردعة ستة عشر فرسخاً . خرج منها جماعة من أهل العلم » .

(٢) The Encyclopaedia of Islam. vol. 2. Art. Gandja

(٣) برتلس : نظامي شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٤ .

(٤) البنداري : مختصر تواريخ آل سلجوق ، ص ١٩٠ ، صدر الدين الحسيني : أخبار الدولة السلجوق ، ص ١١٣ .

(٥) ابن الأثير . الكامل ج ١١ ، ص ٥١ .

(٦) يبدو أن الزلازل كانت كثيرة الوقوع في كنج ، مما جعل نظامي يشير إليها في أشعاره ، كما سيأتي .

(٧) يقول البنداري إنه باد من أهلها ثلثائة ألف ، بينما يذكر ابن الأثير أنه هلك منها مائة و ثلاثون ألفاً .

وأن ديمتريوس ، مالك الكرج ، قد استفاد من هذه الكارثة ، فأغار عليها وحل بابها . غير أن قراستقر لم يلبث أن بنى المدينة من جديد ، فاستعادت جمالها القديم ^(١) .

ولما توفي قراستقر أصبح جاولى الجاندار حاكماً على أَران وآذربيجان ، غير أن كنجيه لم تلبث أن أصبحت تحت حكم ايلدكز وابنائيه ، أتابكة آذربيجان ، وصارت من المدن الجليّة في غرب آسيا ، حتى وجدنا ابن الأثير يُسمّيها أم بلاد أَران ^(٢) .

وقد كانت كنجيه - فضلاً عن ذلك - ذات موقع جغرافي مهم ، من الناحية الحربية ، إذ كانت من الثغور الإسلامية المواجهة للكرج ، وطبيعي أن هذا الموقع قد أضفى عليها أهمية « استراتيجية » كبيرة ، فكانت - دائماً - عرضة لغارات هؤلاء الكرج السكفار في نظر أهلها ^(٣) .

وقد استنبح هذا أن تكون كنجيه من المدن الحصينة ، حتى تستطيع الوقوف في وجه الأعداء ، وأن يُعجّد أهلها البطولة ، ويمارسوا الأسلحة ، ويميلوا إلى الحرب ^(٤) .

وكان أهل كنجيه كثيراً عددهم ، قوية شوكتهم ، كما كانت عندهم شجاعة عظيمة ، من طول ممارستهم للحرب مع الكرج ^(٥) .

وقد زاد في حماسهم نفّازهم إلى الحرب على أنها واجب ديني مقدس ، وجهاد في سبيل الله .

(١) برتلس : نظامي شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٥١ .

(٣) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٧٦ ، حمد الله مستوفى قزويني : نزهة

القلوب ، ص ١٦٠ .

وكانوا - إلى جانب ذلك - أهل السنة والجماعة ، وأهل صلاح وخير وديانة^(١) . وكان عندهم تعصب لمذهبهم السني ، حتى إنهم كانوا لا يتركون أحداً يسكن بلدهم ، إن لم يكن على مذهبهم واعتقادهم ، حتى لا يشوش عليهم مذهبهم واعتقادهم^(٢) .

وإذا تركنا هذه الناحية . إلى الناحية الناحية ، فإننا نجد لها ملائمة لخلق جو من الحياة المستقرة للتحضرة ، فقد كان هواؤها منمشاً ، ومأواها عذبا^(٣) . وكان بها نهر يسمى قرداس ؛ كان يحيطه من ناحية ولايه الكرج ، وكان يجري ستة أشهر ، كما كانت فيها قناة ينزل إليها من طريقين ، أحدهما يُعرف بباب القبرة ، والآخر يعرف بباب البردة^(٤) .

وكانت - على مرحلة منها - قلعة هرك تحوطها رياض ، ومياه ، وأشجار ، ويرق نسيمها في الصيف ، فيقصد بها أهل كنجها ، حيث كان لكل أهل بيت فيها موضع حتى تُكسّر سَوْرَة الحر ، ولأعيان كنجها بها دور حسنة^(٥) . وكانت القلعة على نهر يقال له دروران ، ينزل من جبل يقال له مُرّا ، يطوله الضباب ، وهو شامخ جداً^(٦) .

وطبيعي أن وجود الماء ، وملاءمة الجو ، قد ساعدا على كثرة الظهيرات ، ووفرة الفلاحة بها^(٧) . فكان فيها فواكه كثيرة^(٨) كاللوز^(٩) ، كما وُجد بها

(١) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) زين العابدين شرواني : بستان السياحة ، ص ٤٨١ .

(٤) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٥) نفس المرجع والصفحة .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

(٧) نفس المرجع والصفحة .

(٨) حمد الله مستوفى قزويني : نزهة القلوب ، ص ١٦٠ .

(٩) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٥١ . حيث يقول : « ليس في جميع الدنيا

إلا بها ، وهي شبيهة بالنوت الشامي إلا أنها مدورة تنفع في أمراض الكبد » .

شجر التوت ، الذى ساعد على تربية دود القز ، وعمل الإبريسم^(١) ، فأصبح لأهلها يد باسطة فى هذه الصناعة^(٢) ، وأصبح يُجلب منها إلى سائر البلاد الإبريسم الجيد ، والأطلس ، والثياب التى يقال لها الكنجى ، والمعجم يسمونها القطنى ، والمائم الخرز ونحوها^(٣) .

وقد ساعد رواج الصناعة ، على رواج التجارة ، فكثُر فى كنفه الصناع والتجار^(٤) . وكانت تصدر المصنوعات إلى بلاد الكرج وما جاورها ، فيُسَر هذا فرصة اتصال أهلها بالشعوب غير المسلمة ، والاستفادة مما عندها ؛ من حضارة ، وعلوم ، ومعارف^(٥) .

وقد ساعد وجود المذهب السنى ، وميل الأهالى إلى التمسك بالدين ، ووجود طبقات متعددة ، كالزراع ، والصناع ، والعمال ، والتجار ، على تهيئة تربية صالحة لتعاليم الصوفية ؛ فانتشر شيوخ الصوفية بين الناس ، وقاموا بإرشادهم وهدايتهم ، عن طريق تعليمهم أصول دينهم .

وقد اشتهر نظامى بأنه كان من مريدى أخى فرج الزنجانى ، أحد شيوخهم^(٦) .

(١) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٢) وردت فى أشعار نظامى تشبيهات واستعارات كثيرة استمدت صورها من صناعة الحرير ، مما يدل على رواج هذه الصناعة إلى درجة أثرت فى الشعراء ، وجعلتهم يستمدون من صورها فى أشعارهم .

(٣) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٥١ .

(٤) برتلى : نظامى شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٤ .

(٥) كان نظامى كثيراً ما يذكر أنه استعمل المراجع غير العربية والفارسية فقله استفاد من موقع كنفه الجغرافى ، واتصالها بالشعوب غير المسلمة ، فأحاط بما عندهم من مراجع ، أو استفاد من علماء تلك الشعوب ولو عن طريق المشافهة .

(٦) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ ، لطفلى بك : آنشكده ، ص ٢٤٢ .

ورغم أن معلوماتنا عن أخى فرج هذا ليست كثيرة^(١) ، إلا أنه يبدو أن كلمة «أخى» تشير إلى مذهب معين ، كان منتشرًا بين القوم .

وقد ذكر ابن بطوطة شيئاً عن «الأخية الفتيان» فقال : إن واحداً من أخى ، وإنهم بجميع البلاد التركانية الرومية ؛ في كل بلد ، ومدينة ، وقرية ، وإنه لا يوجد في الدنيا أشد احتفالاً بالرباء من الناس مثلهم ، ولا أسرع منهم إلى إطعام الطعام ، وقضاء الحوائج ، والضرب على أيدي الظلمة ، وقتل الشرطة ، ومن لحق بهم من أهل الشر . وإنهم كانوا يعملون ويكسبون ، ويشتررون الأشياء ، ثم يحملونها إلى زواياهم ، ليكرموا الرباء ، ويضيفهم ، حتى يعادروا المدينة ؛ ثم ذكر أنه كان لم لباس خاص ، يهمن منه أن كل واحد منهم كان يشدُّ - إلى وسطه - سكيناً في طول ذراعين^(٢) .

ويبدو من وصف ابن بطوطة ، أنهم كانوا جماعة خاصة ، وكانوا يهدفون إلى تقديم المساعدة للآخرين ، ضد الحكام الظالمين ، كما كانوا نزاعين إلى إصلاح الحكام بالقوة ، إذا احتاج الأمر إليها .

وقد تكون هؤلاء الأخية الفتيان - الذين وصفهم ابن بطوطة ، وكانوا منتشرين ، في عصره ، في آسيا الصغرى - صلةً بالأخية ، الذين انتشروا في كعبه في عصر نظامي ، وكان منهم أخى فرج الزنجاني الذي كان الشاعر أحمد مردييه .

وعما يجهلنا ترجع هذا ، أن نعمة الفتوة ، التي كان الأخية يعبدونها ، تشبه

(١) ذكر أمين رازي في هفت إقليم ، ص ٤٨١ ب . شيئاً عن أخى فرج الزنجاني ، ولكنه لم يزد على قوله « إنه كان مريد الشيخ أبي العباس النهاوندی ، وإنه توفي في عام ٥٥٧ هـ ، وأن قبره في زنجان » . وقد ذكر جنيد شيرازي اسمه في شد الإزار ، ص ٢٤٢ .

(٢) ابن بطوطة : رحلته ، ج ١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

نمرة القوة التى مال إليها أهل كنجه ، فراجت بينهم ، مما يجعلنا لا نستبعد أن مذهبا كهذا يمكن أن ينتشر فى كنجه .

وإن القارئ لشعر نظامى ليحس بتمجيده للقوة ، وتأييده لمرّة الفتوة ، فهو يقول مثلا : « لماذا تعرض نفسك للصدمات ؟ ولماذا ترضى بكل جفاء ؟ كن قويا شاعنا كالجليل ، وقابل لين العالم بالخشونة ؛ لأنك لو نسجت الحرير ، أو كنت كالسوسن ، فإنك سوف تشرب الماء العكر ، حتى من الأرض الصافية ، فالدلة لا تؤدى إلى تقليل الاضطهاد ، وتحمل الجور يورث الدل ، فكن كالشوك حربته فوق كتفه ، حتى تستطيع أن تضم مجموعة الورد إلى صدرك ، فإن الظلم والاضطهاد يقصمان ظهر القوى ، ويتسببان فى القضاء على الإنسان » (۱) .

فهذه الدعوة إلى عدم الرضا بالظلم ، ودفعه بالقوة ، والحث على التسليح ، تشبه ما كان يهدف إليه « الأخية الفتية » ، الذين ذكرهم ابن بطوطة بعد نظامى بقرنين تقريباً . ونصيحة الشاعر بأن يكون الإنسان شاكى السلاح ، تشبه تسليح الأخية ، لتنفيذ أغراضهم بالقوة إذا دعت الحاجة إلى استعمالها .

ولقد طالت القوة طابع أهل كنجه ، حتى إن المغول حينما هاجموا كنجه ، فى عام ۶۱۸ هـ ، لم يستطيعوا التغلب على حصونها القوية كما أثبت أهلها شجاعتهم فى حروب كثيرة ضد الكرج . واستطاعوا - فى عام ۶۲۲ هـ - أن يثوروا ضد الدولة

(۱) نظامى : لیلی و مجنون ، ص ۵۳ - ۵۴ . وهى ترجمة قوله :

کردن چه نهی بهر قفای	راضی چه شوی بهر جفای
چوکوه بلندپشتی کن	بازم جهان درشتی کن
چو سوسن اگر حریر بافی	دردی خوری از زمین صافی
خواری خلل درو فی آرد	بیدادگشی زبونی آرد
میباش چو خار حربه بردوش	تاخرمن کل گشی در آغوش
نیروشکن است حیف ویداد	از حیف بمرید آدمیزاد

الحوارزمية ، ويقضوا على نفوذها في كنجبه ، بعد أن كانت المدينة قد خضعت لتلك الدولة^(١) .

وقد مال أهل كنجبه إلى النشاط ، وحب العمل ، وعدم الإخلاد إلى الكسل ، وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان الأخية يدعون إليه ، ويطبقونه هم في أنفسهم . وكان نظامي - كما سيأتي - كثير التحدث عن وجوب العمل ، وضرورة كسب القوت بالجهد والسكفاءة .

بقي أن نذكر أنه قد قضى على كنجبه - نهائياً - في عام ٦٣٢ هـ ، حينما استولى المغول عليها وأحرقوها ، كما ضُمَّتْ إلى روسيا في عام ١٨٠٤ م . ولا يزال قبر نظامي قريباً منها ، حيث يبعد كيلومترين أو ثلاثة عنها^(٢) .

وفي مكان كنجبه القديمة ، وعلى بعد ثلاثة كيلومترات غرباً ، بُنيت مدينة جديدة ، سُمِّيت اليزاببول ، التي هي الآن كبروف آباد^(٣) .

وهكذا نجد أن بيئة كنجبه الجغرافية كانت زاخرة بكثير من العوامل الموجبة .

وفي جو كنجبه هذه ، وُلِدَ نظامي ونشأ ، وأمضى مدة عمره إلى أن قضى نحبه ، فلا بد أنه تأثر بكل ما في بيئته الجغرافية من عوامل ؛ في نشأته ، وتعليمه ، ونظرته إلى الحياة ، وفي رسم مُثُلِهِ الْعُلَمَاءِ ، وقد ظهر هذا الأثر مُصَوِّراً في شعره .

* * *

وندع البيئة الجغرافية ، لنلم بالبيئة الماثلية ، ونرى ما فيها من عوامل ، تفاعل الشاعر معها ، إلى جانب تفاعله مع عوامل بيئته الجغرافية .

-
- (١) أمير خواند : روضة الصفا (الجزء الرابع) ، خواند أمير : حبيب السير ، ص ١١٧ ، أمير يحيى قزويني : لب التواريخ (الفصل التاسع) .
(٢) اسكندر بيك تركاني : تاريخ عالم آراي عباسي ، ص ٤٩٨ .
(٣) برتلي : نظامي شاعر آذربيجان العظيم ، ص ٢٥ .

الفضل الثاني

البينة العائلية

إذا ما أردنا أن نتناول بيئة نظامي العائلة بشيء من الدرس ، لنكتشف ما فيها من عوامل وموجّهات ، نجد أن معلوماتنا عنها تقتصر عن الوصول إلى مثل هذا الهدف ، لأن المصادر المختلفة لا تكاد تذكر شيئاً بشئ غلة ، أو بسد رمقا ، لمن يريد أن يتناول هذه الناحية بالبحث والتحصيل ، كما أن الشاعر نفسه لم يشر - فيما نظمه من شعر - إلى هذه الناحية إلا بإشارات عابرة ، في مواضع قليلة ، لا تكفي لإعطاء صورة واضحة .

وقد يكون السبب في ذلك ، أن عائلة الشاعر لم تكن كنجوية الأصل ، وإنما كانت نازحة ، فلم تكن - فيما يبدو - كبيرة العدد . وأنا أعرض إشارات الشاعر ، لنرى ما قد يمكن استنباطه منها .

أشار نظامي إلى والده ، يوسف بن زكي بن مؤيد ، إشارة ترجع أنه توفّي منذ وقت ، ليس بالقصير ؛ لأن الشاعر حاول أن ينسى الحزن ويتركه ، مما يدلّ على أن الوفاة لم تكن حديثة ، فهو يقول : « إذا كان أبي ، يوسف بن زكي بن مؤيد ، قد مات بسنة الجدة ، فاذا أصنع أنا مع حكم القضاء ١٩ ... إنه القضاء المادل ، وليس جوراً ، فكيف أتألم ١٩ ... أي أب بقي منذ آدم ، حتى أطالب بدم أبي من العالم ١٩ ... إني حينما نظرت إلى الآباء الراحين ، قطعت عرق الأبوة من قلبي » (١) .

(١) نظامي : ليلى ومجنون ، ص ٤٨ - ٤٩ . وهي ترجمة قوله :
كر شد پدرم بسنت جد يوسف بسر زكي مؤيد =

وهو لا يزيد على ذلك شيئاً ، فلا يشير إلى عمل والده ، أو المكانة التي كان يحتلها في المجتمع في ذلك الوقت .

غير أننا نكاد نحس بمكانة والده من إشارته إلى والدته ، على أنها كانت بنت أحد رؤساء الكرد ، حينما يقول متحسراً على وفاتها : « لقد توفيت والدي ، رئيسة الكرد ، ولكن حنان الأمومة ما زال ماثلاً أمام عيني ، فن أدعوه لنصرفي بكثرة العويل ، حتى يبيدها إلى بالبكاء ! ؟ ... إن النعم أكثر من أن يُحتمل ، فهو كالسوء المفرق ، أعلى من قامة الإنسان ، فكأس النعم مفعمة تكني لأن أشرب منها ألف جرعة ، ولا وسيلة لعلاج هذا الحزن ، وهذا الألم المفرط إلا محاولة النسيان ^(١) » .

وهذه الإشارة إلى والدته على أنها بنت أحد رؤساء الكرد ، إن دلت على شيء فإنما تدل على أنها كانت من عائلة محترمة ، كاتدل على أن والده كان ذا مكانة ، حتى استطاع أن يصاهر أحد رؤساء الكرد . ولم يذكر نظامي من أفراد عائلة والده أحداً غير والده .

أما عائلة والدته ، فذكر من أفرادها - غير والدته - خاله السيد « عمر » ، وصورة حزنه على وفاته في قوله : « لقد كانت وفاة خالي - السيد عمر - وبالاً على

= بادور بداورى چه كوشم دوراست نه جورچون خروشم
باقى پدر چه ماند از آدم تاخون پدر خواهم ز عالم !!
چون در پدران رفقه ديدم عرق پدرى زدل بريدم
(١) نظامى : ليلى و مجنون ، ص ۴۹ . وهى ترجمة قوله :

گر مادر من رئيسه كرد مادر صفتا نه پيش من مرد
از لابه گرى كرا كنم ياد تا پيش من آردش بفر ياد
غم بيشتر از قياس خوردست گردابه فزون ز قد مردست
زان بيشتر است كاس اين درد كازا بهزار دم توان خورد
با اين غم و درد بي كناره داروى فرامشيت چاره

فقد بُحَّ صوتي من كثرة العويل ، وأصبحت أخشى أنا الموت ، فإن شدة جزعي قد تقوده إلى » ^(١) .

وهذه الإشارة إلى خاله ، وتلقيبه بلقب « السيد » تؤيد مارجنانه من أن عائلة والدته كانت رفيعة الشأن ، كما تدل على مكانة خاله في قومه . وهي ترجع - أيضاً - أن أفراد عائلة والدته ، كانوا على مذهب أهل السنة ، والدليل على ذلك تسمية خاله باسم عمر ، لأن هذا الاسم لا يمكن أن يوجد بين الشيعة . وهذا يرجح بالتالي أن عائلة نظامي كانت سنية المذهب ، وإلا ما صاهرت أسرة سنية .

وإذا استعرضنا من صاهرم نظامي نفسه ، نستشف من الأسرة التي كونها هوشينكا ، قد يساعدنا على فهم بيئته العائلية ، فإننا لانكاد نجد - فيما قاله - شيئاً يلقى ضوءاً كاشفاً على هذه الناحية ، فنظامي قد تزوج ثلاث مرات ، وأشار إلى زوجاته الثلاث ، ولكنه لم يذكر إلا أن زوجته ماتت ، نُحْرِمَ بقدها شريكاً مخلصاً ، ومؤنساً ملهماً جليلاً .

وكانت أولى زوجاته قبجاقية تدعى « آفاق » أرسلها إليه حاكم دربند ، ويبدو أنها كانت جارية أهديت إليه ، مما جعله لا يتحدث عن حبسها ونسبها ، ويكتفي بالإشارة إلى جهالها وشدة تعلقه بها .

ويظهر أنه أحب هذه الزوجة حباً عنيقاً سيطر على قلبه ، وملك عليه حواسه ، ونطق به في شعره ، فتجده - في أول منظومة « خسرو وشيرين » - قد تحدث حديثاً مطنباً عن العشق ^(٢) ، فقال : « ليس أفلاك محراب غير العشق ،

(١) نظامي : ليلي ومجنون ، ص ٥٠ . حيث يقول :

گر خواجه عمر که خال من بود خالی شدنش وبال من بود
از تلخ گساری نواله ام در نای کلوشکت ناله ام
میترسم از این کبود زنجیر کافضان کنم اوشود کلوگیر

(٢) نظامي : خسرو وشيرين ، ص ٣٣ - ٣٥ .

ولیس للعالم حیاةٌ إلا فی أرض العشق . . . فالإنسان الذی خلا قلبه من العشق ذلیل؛ وهو میت ولو كانت فی جسمه مائة روح»^(۱).

ثم ختم حدیثه بالإشارة إلى عشقه هو لآفاق فقال: «لما رأیتُ نفسی فاقد الحیاة - بدون العشق - بستُ قلباً لأشتری روحاً، وملأتُ الدنیا بغرامی، فأنتُ المقل، لأتعلق بقصة العشق، وأدیتُ للعالم صلاة العشق»^(۲).

وقد توفیتُ هذه الزوجة فی ریمان شبابها، ففجع الشاعر بوفاتها حتی إنه أثبت هذه الوفاة فی منظومته «خسرو شیرین»، فذكرها بعد إشارته إلى وفاة شیرین مشوقة خسرو، التي كانت تشبه مشوقته فی جاهلها وقتنتها؛ فقال فی حسرة وألم: «إنه من فرط العبوة، بمثل هذه القصة، لیُخَيِّلَ إلیک أنك تقرأ خرافة، نجب فیها إسالة الدموع المرة علی شیرین، لأنها كانت قصيرة العمر، كالوردة التي عصفت بها الراح فی يوم نضارتها، لقد كانت جملة كعشوقی القبحاقية حتی لیُخَيِّلَ للإنسان أنها نفسها كانت کآفاق، التي كانت فتاة میمونة، عاقلة، أرسلها إلى حاکم دربند»^(۳).

(۱) نظامی: خسرو و شیرین، ص ۳۳. حیث یقول:

فلك جز عشق عمرابی ندارد جهان بی خاك عشق آبی ندارد

کسی کز عشق خالی شد فسر دست گرش صدجان بود بی عشق مردست

(۲) المرجع السابق، ص ۳۵. إذ یقول:

چو من بی عشق خود راجان ندیدم دلی بفروختم جانی خریدم

ز عشق آفاق را پردود کردم خرد را دیده خواب آلود کردم

کر بستم بعشق این دامستان را صلاهی عشق در دادم جهان را

(۳) المرجع السابق، ص ۲۹ - ۳۰. حیث یقول:

تو کز عبرت بدین دامستان مانی چه پنداری مگر افسانه خوانی

در این افسانه شرطت اشک راندن گلابی تلخ بر شیرین فشاندن

بحکم آنکه آن حکم زندگانی چو گل برباد شد روز جوانی

سبک رو چون بت قبحاقی من بود گمان افتاد خود کآفاق من بود

همایون پیکری تنزو خردمند فرستاده بمن دارای دربند

ویظهر أن هذه الزوجة قد توفيت في عام ۵۸۱ هـ ، حينما كان الشاعر على وشك الفراغ من نظم « خسرو وشرین » ، وأنها هي التي رَزَقَ منها ابنه الوحيد « محمد » .

وقد تزوج الشاعر - بعد وفاتها - زوجة ثانية توفيت في أثناء نظم « لیلی وجمنون » في عام ۵۸۴ هـ ، فتزوج زوجة ثالثة توفيت ، في عام ۵۹۹ هـ ، في أثناء نظم « اقبالنامه » ، ويبدو أن الشاعر قد تعلق بها لأنه يعبر عن وفاتها بقوله : « فلما جعلتُ ميفي مصدرًا للنور ، أبدتها عينُ السوء عن ناظري ، فسرقتها الموت ، حتى لكأنها لم تمش أبدًا ، فإذا أقول إلا أن أدعو أن يرضى الله عنها ، نظير ما لقيتُ على يديها من سعادة^(۱) » .

وقد أشار نظامي إلى زواجه الثلاث متعجبًا من حظه ؛ فهو لا يكاد يحكي قصة قديمة ، حتى يقدّم عروسًا قربانًا ، فقال : « إن لي - من النظم - طامًا عجيبًا ، فكيف أحكي القصص القديمة ؟! . . . في ذلك العيد الذي ينبغي أن أقدم فيه الحلوى ، أقدم عروسًا جميلةً قربانًا ، فيينا كنتُ أصنع حلوى « شيرين » أفرغتُ الدار من صانعة الحلوى ، وحينما أنشأتُ سورًا حول كنز « لیلی وجمنون » نثرتُ هناك جوهرًا آخر ، والآن وقد انتهى العرس ، أودع إلى رضوان عروسًا أخرى ، ولا أدري كيف أنظم قصة الروم والروس وأنا أحمل حزن ثلاث عرائس ؟! إن الأفضل ألا أستحضر الحزن القديم ، وأن أطيّب وقفي بهذه القصة^(۲) .

(۱) نظامي : اقبالنامه ، ص ۶۰ - ۶۱ . إذ يقول :

چو چشم مرا چشمه نور کرد ز چشم منش چشم بد دور کرد
رباينده چرخ آنچنانش ربود که گفتم که تابود هرگز نبود
بخشنودني کان مرا بود از او چگويم خدا باد خشنود از او
(۲) مرا طالعی طرفه هست از سخن که چون نوکم داستان کهن
در آن عيد کان شکر افشان کنم عروسی شکر خنده قربان کنم

نظامى - رغم أنه تزوج ثلاث مرات - لم يذكر شيئاً يتعلق بنسب إحدى زوجاته أو حسبها ، وإنما تناول ناحية الجلال في الزوجة ، وأظهر الأسف على وفاتها .

وقد توفيت زوجاته جميعهن قبل وفاته ؛ ويبدو أنهن توفين في مئة الصبا ، وريمان الشباب ، لأن الشاعر قد عبّر عن كل واحدة منهن بكلمة عروس .

وإذا تركنا زوجات الشاعر إلى ابنه محمد ، فإننا لا نجد في إشاراته إليه ما يدل دلالة واضحة على نوع التربية التي ترباها ، كما لا نجد فيها شيئاً يكشف عن مكانة الشاعر وعائلته ، والعوامل التي كانت موجودة في بيئته العائلية ، وأثرها في توجيه التربية ، فرغم أن الشاعر قد أشار إلى ابنه في مواضع كثيرة ، إلا أنه كان يتحدث بلسان الأب الناصح الذي يزجى النصيح لابنه ، بين حين وآخر .

وقد خاطب الشاعر ابنه - لأول مرة - حينما كان الابن في السابعة من عمره ، فقال : « تَطْلُعُ يَا ذَا السِّبْعِ سَنَوَاتٍ ، يَا قِرَّةَ الْعَيْنِ إِلَى مَقَامِكَ فِي قَابِ قَوْسَيْنِ »^(١) ، أنا رَبِّيتُكَ ، والله هو الذى منح الرزق ، فليكن اسم الله - لا اسمى - هو الذى يراك . اضحك في مرحلة الطفولة هذه بسرور ، كما ضحكنا نحن بعض الوقت ، حينما يصير هلاكك بداراً ، سيضىء جلالك النجوم . لا تشغل بالعلوم

==	چو حلوى شیرین همی ساختم	زحلوا کرى خانه برداختم
	چو برگنج لیلی کشیدم حصار	دگر کوهری کردم آنجا تثار
	کتون نیز چون عهد عروسی بسر	برضوان سپردم عروسی دگر
	ندانم که باداغ چندین عروس	چگونه کنم قصه روم و روس
	به ار نارم اندوه پیشینه پیش	بدیدم استان خوش کنم وقت خویش

(نظامى : اقبالنامه ، ص ٦١)

(١) الشاعر هنا يقتبس من قول الله تعالى في سورة النجم آية ٨ - ٩ : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » .

الثافية ، بل اشتغل بالعلم الإلهي في صورة تجعل الفضلاء يقولون : ما أعقل ابن نظامي^(۱) .

ثم نصح ابنه - للمرة الثانية - في « ليلي ومجنون » حينما كان الابن في الرابعة عشرة من عمره ، فقال له : « ياذا الأربعة عشر عاماً .. ياقرة العين .. يا من وصلت إلى درجة تستطيع أن تتعلم فيها علوم الكونين ... حينما كنت في السابعة من عمرك ، كنت كالوردة التي تزهر في الرياض . والآن وقد بلغت الرابعة عشرة ، صرت كالمرور ، فرفعت رأسك إلى السماء فلا تجلس غافلاً ، فليس - الآن - وقت اللعب ، بل وقت العمل والرفعة . فاطلب العلم ، وحاول الرفعة ، حتى يشاهدوا ازدياد فضلك يوماً بعد يوم ، إن وقت الصغر هو وقت تحصيل العلم ، لأن الشجر الممسك يخلو من الثمر ، وسوف لا تستفيد من أنك ابني في المقام الذي يتطلب المظلة ، فكن كالأسد قوياً بنفسك ، وكن - بنفسك - فاضلاً ، وإذا طلبت الجاه فتمسك بالسبب ، وعامل خلق الله بالأدب ، ولا تنقل عن ذكر الله ، وأنت تفعل شيئاً ، وعامل بشوق ، حتى لا تفشل في عملك . إنك إذا تمست كنت - يا بني - بهذه النصيحة ، فسوف تقوى بنصح أبيك . ورغم أي ألم فيك طموح السيادة ، وأسدش منك آداب الفصاحة ، إلا أنني أنصحك ألا تتورط في فن الشعر ، لأن أحسنه أكذبه ، فلا تطلب الرفعة عن طريق هذا الفن ، لأنها خُتِمَت بنظامي ، ولو أن مرتبة الشعر عالية ، إلا أنني أنصحك أن تطلب العلم المفيد ،

(۱) بین ای هفت ساله قرة العین
منت پروردم و روزی خداداد
درین دور هلالی شاد می خند
چو بدر انجمن گردد هلال
قلم درکش بهری کان هوائست
بناموسی که گوید عقل نامی
مقام خویشتن درقاب قوسین
نه بر تو نام من نام خدا باد
که خندیدم مامم روزی چند
برافروزد انجم را جمالت
علم برکش بملی کان خدائست
زهی فراترانه فرزند نظامی
(نظامی : خسرو و غیرین ، ص ۴۳۰)

مغالول - فی هذه الدنيا - أن تعرف نفسك ، وأن تعلم تشریح باطنك ، فإن ذلك هو العلم الذي یضی الخاطر ، فالتی قد قال (العلم علان . علم الأبدان ، وعلم الأبدان) فی هذين المدين رائعة الطیب ، وصاحبها إما فقیه ، وإما طیب فكن طیباً بذكاء عیسی ، لا طیباً قاتلاً للناس ، وكن فقیهاً بدخراً الطاعة ، لا فقیهاً محتالاً ، فإذا صرت كليهما عظمُت ، وأصبحت محترماً أمام الجميع ، فتصير ذا عهدین ، وتصبح ذا مهدین . ومغالول أن تعرف معنى كل صحيفة تقرؤها معرفة تامة ، لأنك حينما تبلغ السكال فی العلم ، سوف تصبح حسن الذکر عند الجميع ، وإذا اشتغلت فی عمل ، مغالول التخصص فیہ ، ولو كان حقیراً ، فلأن تكون حائك سروج ماهر ، فإن ذلك أفضل من أن تكون صانع قلنسوات غیر متخصص . وإن القول منی والعمل منك ، ولا یلیق أن تجلس بدون عمل «^(۱) .

(۱) ای چارده سال قرة العین بالغ نظر علوم کونین
آروز که هفت ساله بودی چون کل بیچمن حواله بودی
واکنون که بیچاره رسیدی چون سرور اوج سرکشیدی
غافل منشین نه وقت بازیست وقت هنراست و سرفرازیست
دانش طلب و بزگی آموز تا به نگرند روزت از روز
نام و نسبت بخود سالی است نسل از شجر بزگ خالی است
جائیکه بزگ بایدت بود فرزندی من نداشت سود
چون غیر بخود سپه شکن باش فرزند خصال خویشتن باش
دولت طلبی سبب نسکه دار باخلق خدا ادب نسکه دار
آنجا که فسانه سگالی از ترس خدا مباش خالی
آن شغل طلب زروی حالت کز کرده نباشد خجالت
کردل دهی ای پسر بدین پند از پند بدر شوی برومند
گرچه سر سروریت بینم و آیین سخنوریت بینم
در شعر میبچ و در فن او چون اکذب اوست احسن او
زین فن مطلب بلند نامی کان ختم شد است بر نظامی
نظم ارچه برتبت بلند است آن علم طلب که سودمند است =

ونظامی - فی نصحه - یبدو فی صورة الوالد المحب الذی یمتحن ابنه الحسنان والمطف ، ویمحاول أن یرسم له طریق السیر فی الحیاة ، ویوجهه الوجهة الصالحة التي یعتقد أنها ترفعه عند الله والناس .

وهو یری أن اسمی هدف یجب أن یسمى ابنه إلیه ، ویمحاول أن یدرکه ، هو أن یصیر طیباً وفقیهاً فی وقت واحد ، ولا ندری ما إذا كانت هذه التریبة هی التي كانت تفضلها عائلته عامة ، أم أن هذا کان رأى نظامی الشخصی ! ...
ومهما یکن من شیء ؛ فإن الشاعر لم یزد شیئاً علی النصح الطیبی ، الذی یوجّهه کل والد إلی ابنه فی أول درجات النضج ، مدفوعاً بعاطفة الأبوة ، فکل والد یمتی أن یکون ابنه مجدداً مستقیماً ، وأن یصل إلی اسمی درجات العلم والرفعة .

وقد ظلّ ابن نظامی حیاً حتی نظم الشاعر منظومته الأخيرة « إقبالنامه »
وكان شاباً فی ذلك الوقت ، فقد أشار نظامی إلی أنه قد أرسل « إقبالنامه » مع ابنه

== در جدول ابن خط قیاسی میکوش بخوشتن شناسی
تصریح نهاد خود بیاموز کاین معرفتی است خاطر افروز
پیغمبر گفت علم علان علم الأديان وعلم الأبدان
در ناف دو علم بوی طیب است وأن هردو فقیه یا طیب است
میاش طیب عیسوی هشی أمانه طیب آدمی کش
میاش فقیه طاعت اندوز أمانه فقیه حیل آموز
کر هردو شوی بلند کردی پیش همه ارجمند کردی
صاحب طرفین عهد باشی صاحب طرف دومهد باشی
میکوش بهرورق که خوانی کان دانش را تمام دانی
در علم چوتو تمام کردی نزد همه نیکنام کردی
بالان گری بخایت خود بهتر ز کلام دوزی بد
گفتن زمن از تو کار بستن بی کار نمیتوان نشستن

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۴۵ - ۴۷)

إلى أتابك الموصل عز الدين مسعود ، وذلك فى عام ٦٠٧ هـ . فقال : « خرجت جوهرتان من بحرى ، أخاء بريقهما وجهى ، نالت إحداها عصمة مريم ، وأشرق على الثانية نور عيسى ، فهذه - فى الحسن - كالبدر المنير ، وتلك - فى الإشراق - كالشمس بلا نظير ، فأنا أرسل - إلى باب الملك - عبدین هندیین ، اسم أحدهما مقبل ، واسم الآخر إقبال ^(١) ، لأن الصندوق محفظ للياقوت ، والعروس المحبوبة المدلفة تحسن أن يكون أخوها هو حاجبها » ^(٢) .

ويبدو أن هذا الابن قد توفى بعد ذلك بقليل ، فى أواخر عام ٦٠٧ هـ ، أوفى أوائل عام ٦٠٨ هـ ، أى قبل وفاة أبيه الذى توفى فى عام ٦٠٨ هـ ، كما سيأتى . فقد وردت قطعة شعر رثى نظامى فيها ابنه ، وقد بلغ الحزن والجزع به كل مبلغ ^(٣) . ومن بدرى ١٩ فلمل وفاة ابنه كانت من الأسباب التى ساعدت على تحطيم الشاعر ، فتوفى فى نفس العام .

وهكذا لا نجد فى إشارات الشاعر إلى ابنه إلا النصع والثناء .

(١) ظن شبلى نعمانى فى كتابه شعر العجم ، ج ١ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ . أن لنظامى بنتاً ، وأن الشاعر أرسلها مع أخيها إلى عز الدين مسعود ، وكان اسمها «إقبال» واستدل على هذا بما ورد من قوله الشاعر . ويبدو أن القصد من «إقبال» هنا هو «إقبالنامه» إحدى أجزاء قصة الاسكندر ، لا بنت نظامى كما توهم شبلى .

(٢) دو گوهر برآمد ز دریاى من فروزنده از رویشان رای من
یکى عصمت مریعى یافتنه یبى نور عیسی براو تافتنه
بخوبى شد این يك چو بدر منیر چو شمس آن بروشن دلی بی نظیر
بنوبتگه شه دو هندوى نام یکى مقبل و دیگر اقبال نام
فرستادهام هر دو را زردشاه كه یاقوت را درج دارد نگاه
عروسی كه بامهر مادر بود به ابرده دارش برادر بود

(نظامى : إقبالنامه ، ص ٢٨٥)

(٣) حوفى : لباب الألباب ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

ورغم أن العوامل الموجبة التي في بيئة نظامى العائلية ليست واضحة المعالم تمام الوضوح ، إلا أنه يبدو أن عائلته لم تكن فقيرة معدمة ، وإلا ما استطاع والده أن يرتبط برباط المصاهرة ، مع أسرة كردية محترمة ، وما تمكن نظامى من الانقطاع سنوات عديدة لتلقى العلوم المختلفة ، ومن البقاء وقتاً طويلاً في كنجبه ، يرسل مدائمه إلى الولاة ، ويقدم منظوماته لهم ، دون أن يحاول التردد عليهم ، وكان لا يصل إليه عطلة في أغلب الأحيان ، ومع ذلك فقد كان يدعو إلى الاحتكاف ، وإلى أن السلامة في البعد عن الحسكام ، ويشيد باعتكافه هو ، وعزوفه عن خدمتهم ، مما يرجح أن الشاعر لم يكن محتاجاً ، بل كان عنده مال ، إن لم يكن وفيراً فقد كان كافياً - على كل حال - لسد حاجته ، ودفع الموز عنه ، والأخذ بيده بسيداً عن ذلّ الاحتياج ، وقيد الفاقة .

* * *

والآن وقد ألمنا بالعوامل التي في عصر الشاعر وبيئته ، نعرف بالشاعر نفسه ، لنلس مدى تأثير هذه العوامل مجتمعة ، في الشاعر ، وشعره .



أصل هذه الصورة محفوظ في مكتبة ليننجراد
وقد رسمت لنظامي بيد أحد الرسامين المهرة القدماء .
(منظومة ليلي ومجنون نشر دستكردي بين ص ٢٤ و ٢٥)

الباب الثالث

التعريف بنظامي

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

اسم الشاعر وكنيته وتخلصه وناريخ ولادته

كان اسم الشاعر إلياس^(١)، ولقبه نظام الدين^(٢)، وكانت كنيته أبا محمد؛ فهو نظام الدين أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكي بن مؤيد الكنجوي^(٣)، وكان تخلصه الشعري «نظامي».

(١) يذكر ابن يوسف شيرازی في فهرست کتابخانه مدرسه عالی سپهسالار ج ٢، حاشیه ص ٥٢٤. أن اسم الشاعر: «ویس» ويستدل على ذلك ببيت لنظامي، يقول إنه موجود في النسخ القديمة، وهو قول نظامي:

یارب تو مرا که ویس نامم در عشق محمدی تمام
ولیکن البیت ورد فی «للی و مجنون» الی نشرها دستگردی، ص ٣٥. هكذا:

یارب تو مرا کاویس نامم در عشق محمدی تمام
وقد فسر دستگردی هذا البيت، في مقدمة كنجينه كنجوي (ص و). فقال: ان الشاعر لم يقصد أن اسمه كان «ویس» وإنما كان يقصد أنه أصبح في عشقه لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم کاویس القرنی، وأصبح جديراً بأن يطلق عليه اسم «أویس».

ويبدو أن هذا التفسير صحيح، لأن الشاعر صرح باسمه على أنه إلياس. واتخذ من مطابقة مجموع حروف هذا الاسم - بحساب الجمل - لأسماء الله تعالى دليلاً على حفظه من صروف الدهر ولم يشر إلى «ویس» ولو كان اسمه كذلك لصرح به في هذه المناسبة؛ مما يجعلني أرجح أن اسم الشاعر كان «إلياس» وليس «ویس».

(٢) هذا هو الرأغ، ولكن حاجي خليفة يذكر لقب الشاعر في كشف الظنون، ج ٢، ص ١٦٣٨. على أنه جمال الدين.

(٣) يذكر دولتشاه في تذكرة الشعراء، ص ١٢٨. اسم والده نظامي على أنه «أبو يوسف» ولكن الشاعر صرح بأن اسم والده «يوسف».

وقد صرح الشاعر باسمه وتخلصه في منظومته « ليل ومجنون » فقال : « إذا
خطوت خطوة في طريق نظامي ، فإنك ترى واحداً وألفاً ؛ أما كلمة إلياس فإنه
إذا أُسْطِطَ من مجموعها مجموع (ألف و باء) ، صار مجموع حروفها تسعاً وتسعين ^(١) ،
فالواحد والألف حصني ، والتسع والتسعون سلاحي تجعلني خلواً من المتاعب ، وآمناً
من المشقات ^(٢) » .

كما أشار الشاعر إلى كنيته بذكر ابنه محمد ، وصرح باسم والده وجده فيما
سبق ؛ أما تخلصه بنظامي ، فقد تردد مرات كثيرة في كل منظومة .

* * *

وإذا ما تركنا هذا إلى تاريخ ولادته ، فإننا لانجد - فيما نظمه الشاعر -
ذكراً صريحاً لهذا التاريخ ، وقد أدى هذا إلى اختلاف الذين تَمَرَّضُوا لدراسة
نظامي في تحديد تاريخ ولادته اختلافاً شديداً ، يربو على الثلاثين عاماً .
وإل السبب في ذلك أنهم حاولوا استنباط تاريخ ولادته من تاريخ وفاته ، الذي
بلغ اختلافهم في تحديده إلى ما يزيد على ثلاثين عاماً كذلك .
وقد كادوا يجمعون على أن نظامي تُوُفِيَ في منتصف الرابعة والستين من عمره ،

(١) الشاعر هنا يذكر مجموع الحروف التي تتكون منها كلمتا نظامي وإلياس
مع إسقاط مجموع (ا ، ب) من مجموع إلياس وذلك بطريقة حساب الجمل
المعروفة ، ليجعل مجموع حروف اسمه مساوياً لمجموع أسماء الله الحسنى ، ويتخذ منها
نوعاً من التيمن والبركة .

(٢) در خط نظامي ار نهی کام
ی بی عدد هزار و یکنام
وإلياس کالف بری زلامش
هم با - نود و نه است نامش
زینکونه هزار و یک حصارم
باصد کم یک سلیح دارم
هم فارغم از کشیدن رنج
هم آیمش از بریدن رنج
(نظامي : لیل ومجنون ، ص ٤٤)

مستشهدین بماورد فی آخر منظومه « اسکندر نامه » من آیات یدوانها من نظم شاعر آخر . وهذه الآيات نصف اللحظات الأخيرة من حياة الشاعر ، وقد أثبتنا المتحل بعد ذكر موت الحكماء السبعة في قصة الإسكندر ، فقال : « حينما تمت هذه القصة ، عزم نظامی - أيضاً - على الرحيل ، ولم يمض على هذا وقت طویل ، فقد طويت صحائف تاریخ عمره ، وكان یزید ستة أشهر على ثلاثة وسبعين عامًا حينما دقَّ الطبول إيذانًا بالرحيل ، ثم ذكر أحوال الحكماء السابقين ونام كما نام الحكماء ، وقد أخبر رفاقه - في وقت الرحيل - حينما عن الطريق ، وحينما عن الدليل ؛ ثم ضحك وقال : إن الفُتَّار قد أُلْغِيَ في رحمته ، فأبعدوا عنا متاعبكم ، فأنتم وهذه الدنيا ، ونحن والجنة ؛ وفي أثناء هذا الحديث أخذته العباس ، حتى لِيُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّهُ لم يَعِشْ أبداً » ^(۱) .

وعلى هذا الأساس استنبطوا تاریخ ولادته من تاریخ وفاته ، فيؤخذ مما ذكره دولتشاه أن الشاعر وُلِدَ في عام ۱۳۰۳ هـ ^(۲) ، وما ذكره لطفعلی بيك

(۱) نظامی چو این داستان شد تمام
بهزم شدن نیز برداشت گام
نه بسی روزگاری بر این برگذشت
که تاریخ عمرش ورق در نوبت
فزون بودش مه زشست و سه سال
که بر عزم ره برده ز د دوال
چو حال حکیمانه پیشینه گفت
حکیمان بختشد و او نیز خفت
رفیقان خود را بگناه رحیل
که از راه خبرداد و گاه از دلیل
بغندید و گفتا که آمرزگار
بآمرزشم کرد امیدوار
زما زحمت خویش دارید دور
شما و این سرا ماودار السرور
درین گفتگو بد که خوابش ره بود
تو گفتی که بیداریش خود نبود
(نظامی : اقبالنامه ، ص ۲۷۹ - ۲۸۰)

(۲) دولتشاه : تذکرة الشعراء ، ص ۱۳۱ . فقد ذکر تاریخ وفاة الشاعر على أنه ۵۷۶ هـ ، وقد وافقه في هذا حاجی خليفة في كشف الظنون : ج ۱ ، ص ۸۷۱ .

أنه وُلِدَ في عام ٥٢٣ هـ^(١) ، وما أثبتته خواند امير أنه وُلِدَ قبل عام ٥٣٢ هـ^(٢) . كما يستفاد مما ذكره رضا قليخان أن الشاعر وُلِدَ في عام ٥٣٣ هـ^(٣) ، وما قرَّره صاحب « جهان آرا » أنه وُلِدَ في عام ٥٣٤ هـ^(٤) ، وما نقله صاحب « صبح صادق » أنه وُلِدَ في عام ٥٣٨ هـ^(٥) ، وما ذكره تقي كاشي أنه وُلِدَ في عام ٥٤٣ هـ^(٦) .

هذا عدا تواريخ أخرى استنبطها من تعرضوا لدراسة الشاعر^(٧) . وإن

(١) لطفعل بك : آتشكده ، ص ٢٤٢ . فقد ذكر تاريخ وفاته على أنه

٥٨٩ هـ .

(٢) خواند امير: حبيب السير ، ص ١١٢ . فقد ذكر أن الشاعر كان معاصراً للسلطان طغرل السلجوقي ، وأنه أتم إسكندرنامه في عام ٥٩٢ هـ ، وكان عمره قد تجاوز الستين .

(٣) رضا قليخان : مجمع الفصحاء ، ص ٦٣٧ . ورياض العارفين ، ص ١٤٩ . كما أورد هذا حاجي خليفة في كشف الظنون : ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٤) هذا يبدو مما نقله ريو في فهرست المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطاني ، ص ٥٦٤ . نقلاً عن جهان آرا ، ورقة ١١١ ، فقد ذكر أن الشاعر توفي في عام ٥٩٧ هـ .

(٥) تربيت : دانشمندان آذربيجان ، ص ٢٨٤ . نقلاً عن « نتائج الأفكار » و « صبح صادق » ، حيث ورد أنه توفي في عام ٦٠٢ هـ ، وقد ورد في حبيب السير ، حاشية ، ص ١١٢ . أن صاحب « نتائج الأفكار » ينقل عن « صبح صادق » أن نظامي قد أتم إسكندرنامه في عام ٥٩٧ هـ ، وعاش بعدها خمس سنوات ، وتوفي في عام ٦٠٢ هـ ، وهو نفس ما ذكره معصومعلي شاه في طرائق الحقائق ، ص ٢٧٩ . (٦) مولوى أغا علي أحمد علي : هفت آسمان ، ص ٢٩ . نقلاً عن تقي كاشي الذي ذكر - في تذكرته - أن الشاعر توفي في عام ٦٠٦ هـ .

(٧) من الذين تعرضوا لضبط تاريخ ولادة الشاعر دستگردى في مقدمة كنجينه كنجوى ، ص ١١٢ ، ولم يقطع برأى . وإنما حصر تاريخ ولادته بين ٥٣٤ هـ و ٥٤٠ هـ ، أما باخر في كتابه « حياة نظامي وآثاره » (بالألمانية) ص ٦ ، وبراون =

كانت بعض المصادر المهمة لم تُشر إلى هذه المسألة من قريب أو بعيد^(١).
وهكذا يجد الباحث نفسه تائهاً في بحر متلاطم الأمواج ، من الأقوال المخطئة التي لا يتفق أكثرها مع إشارات الشاعر نفسه إلى سنه ، في مواضع مختلفة من منظوماته ، كما لا يتفق مع تواريخ إنعام هذه المنظومات ، ومن قُدِّمَتْ لهم من الولاة الذين حدّدوا التاريخ سنى حكمهم .

وأرجح أن نظامي وُلِدَ في عام ٥٣٩ هـ ؛ لأن إشارات الشاعر إلى سنه في مناسبات مختلفة تحملنا نرجح هذا التاريخ .

فقد ذكر الشاعر في « إسكندرنامه » أنه بلغ الستين من عمره ، فقال :

== في كتابه : تاريخ إيران الأدنى (بالإنجليزية) ج ٢ ص ٤٠٠ - ٤٠١ ، وبرتس في كتابه : نظامي شاعر آذربيجان العظيم (بالروسية) ص ٢٦ ، فقد رجحوا أن الشاعر ولد في عام ٥٣٥ هـ ؛ وأما داراب - في مقدمته لترجمة مخزن الأسرار إلى الإنجليزية - فقد حاول إثبات أن الشاعر ولد في عام ٥٤٠ هـ ، وأن هذا التاريخ هو الصحيح دون غيره ، بينما رجح ابن يوسف شيرازي في فهرست كتابخانه مدرسه عالی سبهار ، ج ٢ ص ٥٢٤ . أنه ولد في عام ٥٤٧ هـ .

(١) كنا نطمح في الحصول على معلومات دقيقة عن تاريخي ولادة الشاعر ووفاته وكل ما يتعلق به من عوفى في « باب الألباب » ، والقزويني في « آثار البلاد » وما من المصادر الأساسية في هذه الناحية ، ولكننا لم نظفر بشيء ، فلم يذكر عوفى في باب الألباب ، ج ٢ ، ص ٣٩٦-٣٩٧ . قليلاً أو كثيراً يتعلق بهذه المسألة ، بل إنه ذكر منظومات الشاعر متفرقة غير مرتبة ، وأغفل ذكر « هفت يسكر » ؛ أما القزويني في آثار البلاد ، ص ٣٥١ . فقد ذكر أن للشاعر توفي بقرب عام ٥٩٠ هـ ، الشيء الذي يثبت التحقيق خلافه ، ولم يشر إلى منظومات الشاعر على أنها مجموعة وإنما ذكرها على غير ترتيب ، وأغفل منها « إسكندرنامه » .

ولعل عدم جمع منظومات الشاعر بعد وفاته بزمان قصير ، وبقاؤها متفرقة هو السبب في كل هذه الاختلافات ، كما أن هجوم القول وما أعقبه من اختلال في أحوال الممالك الإسلامية عامة ، وفي إيران خاصة ، قد يكون من الأسباب التي جعلت أبناء الشعراء تسمى هذه التعمية الشديدة .

« لم يفتقر حالى رغم أن عمرى قد بلغ الستين ^(۱) » .

ويبدو أن الشاعر قد أتم هذا الجزء من منظومته في عام ۵۹۹ هـ ، لأنه قال بعد ذلك بقليل : « إن الدنيا في اليوم العاشر من شهر إيار لتسعة وتسعين عاماً بعد الخمائة ^(۲) » .

فإذا كان الشاعر في عام ۵۹۹ هـ في الستين من عمره ، فإن هذا يرجح أنه ولد في عام ۵۳۹ هـ .

كما ذكر نظامى في منظومته الأولى « مخزن الأسرار » أنه تجاوز الأربعين فقال : « إن صديقاً يلزمك الآن ، فلا تخدع نفسك ، ولا تقرأ الآن دروس سن الأربعين » ^(۳) .

ويبدو أن الشاعر قد أتم « مخزن الأسرار » في عام ۵۸۱ هـ ، لأنه دعا الرسول إلى الاستيقاظ بعد أن نام خمائة وسبعين عاماً ليُصلَح فساد العصر فقال : « كفى نوم سبعين وخمائة عاماً ؛ أسرع إلى مجلسنا لأن اليوم قد تقدم » ^(۴) .

(۱) بخصت آمد اندازه سال من نکشت از خود اندازه حال من
(نظامى : اقبالنامه ، ص ۲۹۰)

(۲) جهان را بردهم روز بود از إيار نود نه گذشته زیانصد شمار
(المرجع السابق ، ص ۲۹۲)

وقد روى بنفس الرواية في خمسة نظامى طبع كلكته ص ۱۹۰ ، ريو : فهرست المخطوطات الفارسية في المتحف البريطانى (بالإنجليزية) مخطوطة Add. 16, 782. foll. 117.

(۳) يار کنون بایدت افسون غوان درس چهل سالگی اکنون غوان
(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ۴۹)

(۴) یانصد وهفتاد بس أيام حواب روز بلنداست بمجلس شتاب
(المرجع السابق ، ص ۲۷)

وقد روى هذا البيت رواية ثانية غيرت فيها كلمة سبعين «هفتاد» إلى خمسين =

وقد توفي الرسول في عام ١١ هـ ، مما يدل على أن هذا النظم كان في عام ٥٨١ هـ ، أى في الوقت الذي كان الشاعر فيه قد تجاوز الأربعين من عمره ، كما ذكر هو ؛ وهذا يؤيد مارجحناء من أن نظامي ولد في عام ٥٣٩ هـ ، ويطمئنا إلى أن هذا التاريخ هو أقرب التواريخ إلى الحقيقة .

* * *

وندع هذا نتحدث من نشأة الشاعر .

== « بنجاه » كما روى رواية ثالثة تغيرت فيها الكلمة نفسها إلى ثمانين « هشتاد » ولكن الرواية الأولى ، التي سبقت ، هي الأصح لأننا لو قبلنا الثانية فإن تاريخ تمام « مخزن الأسرار » يكون ٥٦١ هـ ، كما أننا لو قبلنا الثالثة ، فإن هذا التاريخ يصير ٥٩١ هـ ، وهلا التاريخين يتناقض مع تاريخ إتمام منظوماته الأخرى التي تلت « مخزن الأسرار » كما يتناقض مع إشارات الشاعر إلى سنه .

الفصل الثاني

تأه نظامی

نستطيع أن نفهم من أسرار نظامي، أنه نشأ نشأة دينية، متأثراً بوسط كنيسته الذي عاش فيه، فقد قرّر هو أنه كان متديناً منذ شبابه فقال: «لم أُنشأ منذ شبابي - على باب أحد غيرك اقربى منك»^(١).

ولذلك وجدناه في «مخزن الأسرار» أولى منظوماته، كثير التحدث عن التفكير والمراقبة، والانقطاع للعبادة، كما وجدناه نزاعاً إلى ما يقوم به المتصوفة من الجلوس جلسة تفكير، في حالة مراقبة، فهو يصوّر انحناؤه، ووضع رأسه على ركبتيه، كعلامة للتفكير، وحينئذ تنكشف له الأسرار، فينظر بعين القلب ويدرك الحقائق، وذلك في قوله: «وضعتُ رأسي فوق ركبتي، وأشرق وجهي بنور الله، فصارتُ مرآة القلب فوق الركبة، فطرحت مرآة النظر، ونظرت في مرآة القلب، لأرى من أي أواع التجلي يأتي الفيض الإلهي»^(٢).

ثم بين أن الزاهد حين يضع رأسه فوق ركبتيه، ويتفكر، تتجلى أمامه الحقائق بالتدريج، حتى يحيط بالمالين، فهو يحطّ بروحه ثم يبينها على

(١) چون بعد جوانی از برتو بر درکس زرفتم از درتو

(نظامی: هفت پیکر، ص ٥)

(٢) فرق بزیر قدم انداختم وز سر زانو قدمی ساختم

گشته زبیر روشنی روی من آینه دل سر زانوی من

منکه باین آینه پرداختم آینه دیده در انداختم

تا ز کدام آینه تابي رسد باز کدام آتشم آبی رسد

(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٣٢)

اساس جديد قوى ، يستطيع أن يُسَخَّر به الفلك ، فقال : « حينما يحمل الزاهد ركبتيه مسنداً للرأس ويصبح جسمه كالحلقة ، يسبح قلبه في المألن ، وفي أثناء هذه الجلسة يُعَاطَمُ روحه ، ثم يبينها من جديد ، وحينذاك يستطيع أن يسخر الفلك ، وأن ينجي نمار التعبد أضغافاً مضاعفة » (۱) .

فنظامى يتحدث بطريقة المتصوفة وأسلوبهم منذ بداية أشعاره ، مما رُجِّحَ تفلنل التدثن في قلبه ، وأنه نشأ مُحِبّاً للعبادة والتقوى .

ويبدو أن نظامى كان إذا جلس للتفكر ، أَمِنَ فى الجلوس حتى يصل إلى الحقيقة ، غير أن طريقه كان وعراً ، ولذلك فإنه يعتقد أن أحداً غيره لا يستطيع سلوك هذا الطريق ، فيقول : « كثيراً ما مكثتُ رأسى فوق ركبتي ، حتى أهدى إلى الطريق ، وقد قطعت المرحلة عن طريق اليقين . فاسلك نفس الطريق الذى سلكته (فهو الطريق الوحيد إلى الحقيقة) . واسكنك لست أهلاً لهذا الطريق ، فاحترس ، وأترك أمر نظامى لنظامى » (۲) .

وقد وصف الشاعر لنا خلوتين جلس فيهما تحت رعاية القلب ، فى حالة تفكير ومراقبة ، حتى انجملت الحقائق أمامه . وشعر بالسعادة تغمره ، وبلذة

- (۱) چون سر زانو قدم دل کند در دوجهان دست حمایل کند
آید فروش بسلام قدم حلقه صفت پای و سر آرد بهم
درخم این حلقه که چستش کند جان شکند باز درستش کند
گاهی از آن حلقه زانو قرار حلقه نهد کوش فک را هزار
گاهی بدین حلقه فیروز رنگت مهره یکی ده بدر آرد ز چنگت
- (نظامى : مخزن الأسرار ، ص ۴۲ - ۴۳)

- (۲) بسکه سرم بر سر زانو نشست تا سر این رشته بیامد بدست
این سفر از راه یقین رفته ام راه چنین رو که چنین رفته ام
محرم این ره تونه زینهار کار نظامى بنظامى گذار
- (الرجع السابق ، ص ۶۲)

ما سکت علیہ حواسہ ^(۱) وَاخذ یصف المراحل الّتی مرّ بها ، ففی أوّل الجلّسة جرّده القلب من کلّ شیء ففسی العالم وما فیہ ، وتفرّغ بکلّیتہ للعبادة والتفکر وهو یصوّر ذلک فی قوله : « حیثا بدأت العبادة جرّدت راضی من العالم ، فصرت متصلاً بجمله ، وازددت تملّقا به حتّی وصلت العبادة إلی أسمى درجاتها ، واقطعت عن العالم وما فیہ ^(۲) » .

ثم سيطر القلب علی نظامی فأصبح رائده ، وقائد طریقہ ، وشریکاً له فی غمّه ، ومشفقاً علیہ فی شتونه ، رغم أنہ کان یلاحظ منه تصصیراً . وفی ذلک یقول الشاعر : « لقد کان القلب متعلّقا بنا فی هذه الحالة ولو أنه لیس إلیها ، إلا أنه کان ربّ شتونا ، فهو قائد طریق فی العالمین ، وإلا ما شارکنی النعم ، ورغم أنہ لم یُشاهد منی استعداداً کبیراً ، إلا أنه لم ینزع عنی شفقتہ ^(۳) » .

وقد استمر نظامی فی هذه الحالة ، یرتقی من منزلة إلی منزلة أرفع ، حتّی وصل إلی درجة الکشف ، فأدرك الحقیقة ، وصار مقرباً .

ویبیدو من إشارات الشاعر أنه قضی ستین عدیة من عمره ، فی عبادة الله علی هذا النحو ، فهو یحدث فی منظومته الثانیة « خسرو وشیرین » عن انزوانه ،

(۱) نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۵۳ — ۷۰ .

(۲) راضی من چون آدب آغاز کرد از گره نه فلکم باز کرد
گرچه گره در گرهش بود جای برنگرفت از سراین رشته پای
تاسراین رشته بجائی رسید کان گره از رشته بخواهد برید
(المرجع السابق ، ص ۵۳)

(۳) خواجه مع القصه که در بندماست

گرچه خدا نیست خداوند ماست
شحنه راه دوجهان منست گرنه چرا درغم جان منست
گرچه بی ساز ندارد زمن شفقت خود باز ندارد زمن
(نفس المرجع والصفحة)

وكيف أن حديثه كان متصلاً بالسماء يهتك حجب السكواكب ، ولم يكن له صديق غير الله ، فيقول : « في تلك المدة التي انزويت فيها ، كنت قد وصلت الحديث بالسماء ، فأحياناً كنتُ أقطع أبراج السكواكب ، وأحياناً كنتُ أهلك ستر اللانكّة ، وكان لي صديق واحد هو الله ، عرفته بروحي ، وتفانيتُ في عبادته بكل جوارحي ^(۱) » .

وكان يتعبد بطريقة خاصة ، هي أن يعتكف أربعين يوماً ^(۲) ينقطع فيها عن الناس . وقد تمّ هذا بهذه الطريقة خمسين مرة ، في مدة أربعين عاماً ، وفي ذلك يقول : « لا تضع أصابعك على الورق الملوث ^(۳) بعد أن اعتكفت خمسين مرة في أربعين عاماً » ^(۴) .

نمّا أكد أنه لم يترك العبادة حتى آخر حياته ، فقال في آخر منظوماته « إسكندرنامه » مخاطباً ربّه : « إنك في الليل وفي النهار ؛ في المساء وفي الصباح ، مقدّم في ذاكرتي على كل شيء ، فحينما أحاول النوم في الليل ، أجد في نسيحك أولاً ، وحينما أستيقظ من النوم في منتصف الليل أدهوك وأذرف الدموع ؛ فإذا ما أصبح الصباح ، سلكتُ طريق إليك ؛ وأنت ملجئ طول

(۱) در آن مدت که در رابسته بودم سخن با آسمان پیوسته بودم

کمی برج کواکب می بریدم کمی ستر ملایک می دریدم

یگانه دوستی بودم خدائی بعد دل کرده باجان آشنائی

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۳۵)

(۲) كانت هذه الطريقة تسمى « چله » أي الأربعينية . وهي أن يظل العابد

معتكفاً أربعين يوماً يتعبد ويتفكر ، فلا يخرج ، ولا يتصل بأحد .

(۳) يقصد بالورقة الملوثة قصة « خسرو و شیرین » فهو يردع نفسه عن نظم قصة

عشق بعد أن تبد كل هذه الأوقات الطويلة .

(۴) پس از پنجاه چله در چهل سال مزن پنجه در این حرف ورق مال

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۳۶)

اليوم حتى المساء ، لأننى أطلب منك المعونة ليلاً ونهاراً ، فلا تخزنى فى هذه الدنيا ، كما أرجو أيها الإله العادل ، أن أصير - بعد الاحتياج - غنياً ، فأى معبود يُعبد - عن طريق المبودية - مثلك ؟ .. ! إننى أرجو أن يُخلّد اسمى فى الدنيا ، وتُفقر ذنوبى فى الآخرة » ^(١) .

وقد جملة هذا يخشى الله ، ويسأله الغفران والرحمة . فيخطبه قائلاً :
« عاملنى بلطفك ، ولا تعاملنى بمدلك » ^(٢) .

ولذلك ؛ فقد حاول الشاعر الاستفادة من وقته ، فلم يضيعه عبثاً ، بل قضاه فى تحصيل العلوم المختلفة ، فنشأ محباً للعلم والدراسة ، وقد تجلّى هذا فى شعره ، وقرر هو أنه لم يَمِ ليلة قبل أن يفتح باباً من أبواب العلم والمعرفة ، فقال : « لم أقطع العمر باللعب ، فقد كان لى عمل آخر غير الطعام والنوم ، ولم أتم ليلة - على فراشى - مسروراً ، قبل أن أفتح - فى تلك الليلة - باباً من أبواب الحكمة » ^(٣) .

(١) شب وروز درشام ودر بامداد
چو اول شب آهنگ خواب آورم
چو در نیم شب سر برام ز خواب
وگر بامدادست راحم بخت
چو خواهم ز تو روز و شب یاوری
چنان دارم ای داور کار ساز
پرستنده کز ره بسدگی
درین عالم آباد گردد بگنج
(نظامی : شرفنامه ، ص ۷)

(٢) بفضل خویش کن فضل مرا یار
بعدل خود مکن با فضل من کار
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۹)

(٣) پیازی نبرم جهان را بسر
نختم شی شاد بر بستری
که شغلی دگر بود جز خواب و خور
که نگشادم آتش ز دانش دری
(نظامی : شرفنامه ، ص ۸۷)

وقد جعله هذا يطلع على علوم كثيرة مختلفة ، ولكنها جميعها لم تُصَرِّفْهُ عن هدفه الأسمى ، وهو عبادة الله ، بل كانت تزيدهُ إيماناً بقدرة الله وعظمته ، وبأن الله ربُّ كل شيء ، فيزداد تعلقاً به وقرباً منه ، فهو يقول : « لقد قرأتُ كل دقائق النجوم ، والعلوم الخفية ، وفَتَّشْتُ عن السر في كل ورقة اطلمت عليها فلما وجدتكَ محوَّت الأوراق ، فقد رأيتُ الجميع يولون وجوههم نحو الله ، ورأيتُكَ أنت رب الجميع » ^(۱) .

وقد أثرت هذه النشأة الدينية في الشاعر ، وفي شعره ، فبحسبته لا يعتقد في التنجيم - رغم أنه درس علم النجوم - بما نلسه في قوله : « كيف يأتي الخير والشر من النجم ، وهو نفسه عاجز عن الخير والشر ؟ ! ... فلو كان النجم يهب السعادة ، لكان كيقباد من نسل منجم ! ... أي منجم استطاع أن يحصل - بتنجيمه - على كنز ؟ ! ... إنك قد تملئ - دون وساطة النجوم - كنزاً لمن لا يعرف عدد النجوم وهل هي سبعة أم خمسة ! ... » ^(۲) .

والشاعر وإن كان قد أكثر من الحديث عن الخمر ، إلا أنه لم يقصد بها الخمر المادية ، وإنما قصد بها الخمر المعنوية ، التي كان يشعر بالذتها من عبادة الله ، ونسيان النفس ، حينما يكون ساقبه وعد الله ، وصبوحة الفناء فيه . فقد أقسم بالله أنه لم يَكُوِّثْ شففيه بالخمر مدة حياته فقال : « لا أعتقد أيها الخضر المبارك

(۱) هر چه هست از دقیقه های نجوم باسکایک نهفته های علوم

خواندم و سر هر ورق جسم چون ترا یافتم ورق شستم

همه را روی در خدا دیدم در خدا بر همه ترا دیدم

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۵)

(۲) بدو نیک از ستاره چون آید که خود از نیک و بد زبون آید

گر ستاره سعادتی دادی کیباد از منجمی زادی

کیست از مردم ستاره شناس که بگنجینه ره برد بقیاس

تو دمی بی میانهی آنرا گنج که نداند ستاره هفت از پنج

(الرجع السابق ، ص ۴)

أن قصدي من الشراب الخمر ، إنني قصدت - بتلك الخمر - الغيبوبة ، وزينتُ
الحفل بتلك الغيبوبة ، لأن لي سابقاً من وعد الله ، وصباحاً من الخلوات ،
وشراباً من الغيبوبة ؛ وإلا فقسماً بالله أنني - منذ وُجِدْتُ - لم أَلَوْثُ شفتي
بالخمر ؛ وليجعل الله كل حلال حراماً عليّ إذا كان حلقى قد لَوَّثُ بالخمر «^(۱) .
كما جعلت هذه النشأة الدينية الشاعر يتحنّن في شعره ، فيتنفّ بالفضيلة ،
ويُفَضِّلُ الشر الذي لا يتعارض مع الشرع ، والذي يُصَوِّرُ أسمى الأهداف
الدينية ويَجَمِّبُهَا ، فهو يقول : « إذا لم يجعلك الشرع مشهوراً فلا تُرَشِّحْ نفسك
للشر ، لأن الشرع يحمل الشر يصل بك إلى سدرة المتعّي ، ويمنحك حكومة
ملك المعاني ، فيصل شعرك عن طريق الشرع إلى مكان ، يصل ظلك فيه إلى
الجوزاء »^(۲) .

ولذلك ؛ فقد أحدثت محاولته نظم بعض قصص العشق نزاعاً شديداً بين عقله
الظاهر ، وعقله الباطن ؛ أويبته كإنسان ذي عاطفة تتذوق العشق والجمال ،
وكرجل عابد متديّن، معتبر حديث العشق لغواً يصرفه عن عبادة الله ، إن لم يفسد
عليه هذه العبادة .

(۱) نینداری ای خضر پیروز پی که از می مرا هست مقصود می
بدان ییخودی مجلس آراستم
صبح از خرابی می از ییخودیست
بی دامن لب نیالوده ام
حلال خدایست بر من حرام
(نظامی : شرفنامه ، ص ۳۸)

(۲) تانکند شرع توراً نامدار نامزد شعر مشو زینهار
شعر توراً سدره نشانی دهد سلطنت ملک معانی دهد
شعر تو از شرع بدانجام رسد کنز کورت سایه بجوزا رسد
(نظامی : غزلن الأسرار ، ص ۴۴)

وقد صور الشاعر هذا النزاع في صورة عاتب عتب عليه حينما شرع في نظم قصة « خسرو شیرین » ؛ فأخذ يذكر باعتكافه الطويل المتكرر ، ويلومه على محاولته إحياء رسوم الزردشتيين ، وفي هذا يقول الشاعر : « دخل المَلِمَ بالسَّر ، في حالة عتاب ، فلامني لوماً شديداً (قائلًا) : أحسنت يا مَلِكاً في عالم المعاني ، ويا عاهلاً في مُلك الكلام . . . لا تضع أصابعك على هذا الورق الملوث ، بعد أن اعتكفت خمسين مرة في أربعين عاماً ؛ ولا تُفطر بمظلم جيفة بعد هذا الصوم الذي قُمتَ به ، اطرح من يدك خداع المشركين ، ولا تنظم الأباطيل كما فعل الزدشتيون ... انظم في توحيد الله ، فإن لك شهرة (في هذا الميدان) .. لماذا نحمي رسوم الجوس ؟ ... إن العرفاء يمدُّون قلبك ميّثاً ، ولو أن الزردشتيين يعتبرونه حياً » ^(۱).

وهكذا نرجح أن نظامي نشأ نشأة دينية ، وأن هذه النشأة أثرت فيه وفي شعره تأثيراً كبيراً ، وحاولت أن توجهه وجهات معينة في نظم الشعر ، وقد ظل تدبُّهُ ملازماً له طوال حياته .

ونترك هذا النعرض ثقافته وألوانها المختلفة .

(۱) در آمد سرگرفته سرگرفته	عتابی سخت با من دررفته
که احسن ای جهاندار معانی	که در ملک سخن صاحبقرانی
پس از پنجاه چله در چهل سال	مزن پنجه در این حرف ورق مال
دین روزه چوهستی پای برجای	بمردار استخوانی روزه مگشای
.....	
فرب بٹ پرستان بفکن آزمشت	فسون خوانی مکن چون زند زردشت
.....	

در توحید زن کاوازه داری	چرا رسم مغان راتازه داری
سخندانان دل ترا مرده داند	اگر چه زند خوانان زنده خوانند

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۳۶)

الفصل الثالث

ثقافة نظامي

يبدو من أعمار نظامي أنه كان ذا ثقافة واسعة ، فكان ملماً بالعلوم الرائجة في عصره ؛ من دينية وغير دينية .

أما ثقافة الشاعر الدينية ، فإن شمره يدل على أنها كانت واسعة شملت دراسة القرآن والحديث ، والإلمام بما في كتب السيرة فهو يشير إلى قصة الحجر الذي ألقى على الرسول صلى الله عليه وسلم فكسر إحدى أسنانه ، فيقول : « إن جوهره لم يجرح قلب الحجر ، فلم كسر الحجر جوهره » (١) .

ويذكر قصص الأنبياء ويتخذها وسيلة لتقريب أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان خاتمهم وأفضلهم ، وأنه لولاه ما خلق الله لأفلاك .

وهو يبدأ بقصة نوح وما حدث من طوفان ، فيقول : « لقد وصل نوح الظمان إلى ماء الحياة ، ولكنه أخطأ عين ماء فحدث الطوفان » (٢) .

ويشير إلى قصة إبراهيم ، ، وما قيل من أنه زلَّ الحكة ثلاث مرات ، (٣)

(١) كوهراً أو چون دل سنكي نخست سنك چرا كوهراً اوراشكست

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٢١)

(٢) نوح كه لب تشنه بمیوان رسید چشمه غلط کرد و بطوفان رسید

(انرجع السابق ، ص ٢٩)

(٣) يقال إن إبراهيم قد زلَّ الحكة ثلاث درات : الأولى حينما نظر نظرة في النجوم فقال إلى سقيم وقد ورد ذكرها في سورة الصافات ، آية ٨٨-٨٩ (فظر نظرة في النجوم فقال إلى سقيم) . والثانية لما رأى الشمس بازعة فقال هذا ربّي وقد جاء ذكرها في سورة الأنعام ، آية ٧٨ (فلما رأى الشمس بازعة قال هذا ربّي هذا أكبر) والثالثة حينما سألوه عن حطم الأصنام فقال: (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) سورة الأنبياء ، آية ٣-٦ .

فبقول : « لما أکثر إبراهيم النظر ، اختلف به الرأى فزل وسط الطريق ، فى ثلاثة مواضع » (۱) .

ویدکر داود وقیثارتہ مستعملاً اصطلاحات موسیقیة ، فبقول : « لما أصبح صدر داود ضيقاً صاغ له لحناً يناسبه » (۲) .

ویشیر إلى قصة يوسف وإلقائه فى البئر ، فبقول : « لم ير يوسف فى البئر شيئاً غیر الحبلى والدلو » (۳) .

کما یشیر إلى قصة الخضر وعثوره على ماء الحياة فى قوله : « لوى الخضر عنانه بعد هذا السفر الشاق ، فابتلّ ذبله ، فعثر على عين الماء » (۴) .

ویشیر إلى قصة موسى ورغبته فى رؤية الله ، فبقول : « لم يستفد موسى شيئاً من طلبه رؤية الله ، فخرّ صمّاً » (۵) بسبب قوله : ربّ أرنى أنظر إليك » (۶) .

(۱) مهد إبراهيم چو رای اوفتاد نیم ره آمد دوسه جای اوفتاد

(نظامی : محزون الأسرار ، ص ۲۹)

(۲) چون دل داود نفس تنگ داشت در خور ابن زیر ، بم آهنگ داشت

(نفس للرجع والصفحة)

(۳) يوسف از آن چاه عیانى ندید جز رسن ودلو نشانى ندید

(للرجع السابق ، ص ۳۰)

(۴) خضر عنان زین سفر خشک تافت دا من خود ترشده چشمه یافت

(نفس للرجع والصفحة)

(۵) ورد ذكر هذه القصة فى سورة الأعراف ، آية ۱۴۳ « قال رب أرنى أنظر

إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى

ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صمّاً ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول

المؤمنين » .

(۶) ضمن نظامی هذا المعنى فى قوله ، فى محزون الأسرار ، ص ۳۰ :

موسى از این جام تہى دید دست شیشه بگپنایه أرنى شکست

ويذكر قصة المسيح ومجيئه إلى الدنيا بدون والد، مما أثار التهم حول والدته ^(١)، فيقول: «لقد جاء المسيح بهذه الطريقة (دون والد) فكان بذلك مصدر تهمة لوالدته ^(٢)».

ويجتم بأن الرسول هو خاتم الأنبياء الذي من أجله خُلق كل شيء، فيقول مخاطباً الرسول: «لقد كُنْتَ السبب في خلق الفلك، فقد أَلْقَيْتَ ظلك عليه. وأنت خاتم النبيين، فقد خُتِمَ كتبهم باسمك، كما انتهت - بزمانك - خطبة النبوة ^(٣)».

وكان نظامي إلى جانب معرفته قصص الأنبياء - مُلمّاً بالتاريخ الفارسي القديم؛ وإنْ نظمه لقصتي «خسرو وشيرين» و«بهرام گور» لأكبر دليل على ذلك. هذا فضلاً عن ذكره أسماء كثير من ملوك الفرس القدماء، وبعض الوقائع التي حدثت في عصورهم.

أما اطلاع الشاعر على الفلسفة فيتضح من ذكره آراء الفلاسفة، ومناقشته لها، وإظهار رأيه هو، في كثير من الأحيان.

فقد أورد - في قصة الإسكندر - آراء الحكماء السبعة في أصل العالم، والخلق الأول، فقال إن «أرسطو» يرى أنه «الحركة»؛ بينما يرى «تھالس» أنه «المادة الأصلية»؛ ويعتقد «بُلِيناس» أنه «الأرض» فهي الطلسم الأول؛ ويرى «سقراط»

(١) يشير إلى ماورد في سورة مريم آية ٣٨ «يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا» وهي التي تورد الاتهام.

(٢) عزم مسيحهانه بدين دانه بود كو زدرون تهق خانه بود
(نظامي: مخزن الأسرار، ص ٣٠)

(٣) هم توفلك طرح در انداختي سايه براين كار برانداختي
مهر شد اين نامه جنوان تو ختم شد اين خطبه بدوران تو
(نفس للرجع والصفحة)

آن «السحاب»؛ و عیمل «فورفوروس» إلى أنه «للادة التي تحولت من فیض الله»؛ و یعطی «هرمس» وصف العالم، ثم یقول: «إنه ليس معلوماً لديه كيف خُلق»؛ و یری «أفلاطون»: «أن الله خلق مواد متفرقة»، لأنه لو كانت هناك مادة أصلية لكانت أزلیة. و یختم الإسكندر بقوله: «إن الشيء الوحيد الذي یمكن أن یُقبل كحقیقة هو أن العالم قد خُلق، وأن الله موجود، وأنه واحد قادر»^(۱).
وقد ذكر نظامی رأیه - بعد إيراد هذه الآراء، وهو أن أول شيء خلقه الله هو «العقل»، ثم افتخر بأن الخضر نصحه بألا یذكر رأی الفلاسفة، مادام یستطیع إظهار فلسفته. فقال: «خلق الله العقل أولاً، وأیظ العین بنوره... وقد جاءنی الهاتف المسمی الخضر، غترقاً القبة الخضراء، فأوصل إلى السلام، وجلس بعد السلام إلى جواری، وعلأ رأسی كلاماً، ثم قال لی بصوت لطیف: لا تسند هذه الكلمات الدقیقة إلى السنة الفلاسفة، فأنت أعرف بالسر منذ الأصل، فلماذا تُسند الكلام إلى الفلاسفة، وتدع الكلام اللطیف لتلك المظام النخرة؟!... لانأكل خبزك على مائدة الآخرين، وضع هذا الخبز اللذيذ فوق مائدتك أنت»^(۲).

(۱) نظامی: إقبالنامه، ص ۱۲۰ - ۱۳۱.

(۲) نخستین خرد را پدیدار کرد ز نور خودش دیده یدار کرد

.....

هانا کاین هاتف خضر نام که خارا شکافت و خضرا خرام
درودم رسانید و بعد از درود بکاخ من آمد ز گنبد فرود
دماغ مرا بر سخن کرد گرم سخن گفت با من باواز نرم
که چندین سخنهای خلوت سگال حوالت مکن بر زبانهای لال
نومیخاری این سرور را بیخ و بن بر آن فیلسوفان چه بندی سخن
چرا بست باید سخنهای نفس بر آن استخوانهای پوسیده مغز
بخوان کسان بر غور نان خویش شکینه نه بر سر خوان خویش
(نظامی: إقبالنامه، ص ۱۳۲ - ۱۳۳)

كما كان الشاعر الملم كافٍ بعم التنجيم ، فقد ذكر مصطلحات هذا العلم ، في مواضع كثيرة من شعره ، فذكر أولاً الجسطى الذى وضعه بطليموس ^(١) .

كما أشار إلى الأسطورة القديمة القائلة بأن الأرض يحملها حوت ، فذكر سمكتين إحداهما فى أعلى - وهى النجم الذى فى بحر الحوت - وأخرى فى أسفل ^(٢) .

ثم قال إن شعره روحانى ، لأنه مرتبط ببرج الميزان ، وكل من يرتبط بهذا البرج يكون روحانياً ؛ كما قرّر أن السحر الحلال قد أصبح قوته فطنى سحره على سحر هاروت ، ولذا فهو حى بالشعر ، وهو سحره ^(٣) .

وأخذ يشير إلى السكواكب والنجوم ، فى كل منظومة من منظوماته ، ويحاول أن يحكمها فى بعض الأشياء ، كما سيأتى .

ويبدو أن الشاعر كان ملماً بعم الهندسة ، فقد ذكر اصطلاحات هذا العلم فى مناسبات مختلفة . فهو يقول : « لقد أصبحت مقيداً فى المدينة كالنقطة فى الدائرة » ^(٤) .

وهو يستعمل الهندسة فى بيان كيفية خلق العالم ، مبتدئاً بالنقطة فيقول : « كان الألف هو أول حركة صدرت من تلك النقطة التى اختلفت كتاباتها ،

(١) يبدو هذا فى مدح نظامى لـ ا. امشاء ، حيث يقول فى مخزن الأسرار ، ص ٣٢ :

خضر سكندر منش چشمه راى قطب رصد بند مجسطى گشای

(٢) گوش دوماهی زبر وزیر تو شد صدف گوهر شمیر تو

(الرجع السابق ، ص ٣٤)

(٣) زهره ابن منطقه میرا نیست لاجرمش منطق روحانیست

سحر حلال سحرى قوت شد نسخ کن نسخه هاروت شد

شکل نظامی که خیال منست جانور از سحر حلال منست

(الرجع السابق ، ص ٤٦)

(٤) من که درین دایره دهر بند چون کره قطعه شدم شهر بند

(الرجع السابق ، ص ٣٢)

فما رسم الفرجار معه خطأ آخر ، تكون من الخطئين شكلٌ بسيط ، فإذا أحاطت ثلاثة خطوط بشيء كوّنت شكلاً آخر ؛ فانطط أحياناً قائم وأحياناً منبسط ، وقد صيّرت الخطوط الثلاثة الجسم قائماً . وبهذا الترتيب تستطيع أن تعرف العالم من البداية إلى النهاية ^(۱) .

كما يبدو أن الشاعر قد قرأ شيئاً من كتب الطب ، فهو لا يفتأ يذكر الاصطلاحات الطبية ، والأدوية المختلفة ، ويشير إلى العناصر الأربعة ، في مناسبات متعددة ؛ فهو - مثلاً - يصور شمول الظلام بأن الليل قد سرخ من كثرة التفكير ، حزناً على فراق الشمس ، فاحتاج إلى دواء مُسهل ، وكان هذا الدواء من التراب ، فالتهم الليل الأرض ، فصار التراب منفضاً له ، وبذلك عمّ الظلام السكون ، وفي ذلك يقول : « لقد صنع الليل المفكر - من شدة حزنه - معجوناً مسهلاً من التراب ، فصار التراب له كنفوس المسيح ^(۲) ، فأضاف نيران حزنه ومرضه ، وامتزجت الشربة بالمرض ، فساد الظلام جميع الأرجاء ^(۳) » .

وكان نظامي - فضلاً عن هذا كله - متصلاً بالحياة اليومية ، ملء بما كان

(۱) أزان نقطه که خطش مختلف بود نخستین جنبشی کامد آلف بود
بدان خط جو ندگر خط بست پرکار بسیطی زان دوی آمد پدیدار
سه خط چون کرد بر مرکز محیطی بحسم آماده شد شکل بسیطی
خطاست آنکه بسیط آنگاه اجسام که ابعاد تنش کرده اندام
توان دانست عالم را بغایت بدین ترتیب از اول تا نهایت
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۱۱)

(۲) القصود بنفس المسيح « قم ياذن الله » .

(۳) از پی سودای شب اندیشه ناک ساخته معجون مفرح ز خاک
خاک شده ناد مسیحای او آب زده آتش سودای او
شربت ورنجور بهم ساخته خانه سودا شده پرداخته
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۴۷)

هند القوم من عادات ، ورسوم ، وتقاليد اجتماعية ، فهو حينما يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رحمة للعالمين ، بصور ذلك في صورة تدل على إلمامه ببعض الألعاب الرياضية ، وكيفية أدائها ؛ فيذكر لعبة الكرة التي تسمى « البولو » فيقول « لقد صنعوا كرة القبول منذ الأزل ، ووضعوها في وسط ميدان القلب ، فتقدم آدم اللاعب الجديد ، ليأخذ الكرة ؛ بمضربه وجرى حصانه خلف الهدف ، ولكن الكرة سقطت بعيداً عن الهدف فتحنى جانباً ^(١) » .

كما ذكر الكرة وما يتعلق بها ؛ من مضرب ، وميدان لعب ، حينما دعا الرسول إلى الاستيقاظ لإصلاح الدنيا ، فقال : « قم ، وتصرف أحسن من الفلك لأنه لا يصنع شيئاً ، فاعمل أنت عملاً مصلحاً ، فخط سهر الفلك ميدان عملك ، وكرة الأرض في ثنايا مضربك ^(٢) » .

كما أشار إلى بعض التقاليد التي اتبعت في عصره ، فذكر تقليداً اتبعته قبائل الترك ، هو وضع علامة تشبه الهلال فوق خيامهم ، فقال في وصف الياسين : « إن الياسين التركي قد ارتفع في الهضبة حتى أوصل هلال خيمته إلى الثريا ، بينما جاء الورد إلى معبد الأسرار ، كما بد هندی ^(٣) جاء إلى الصلاة » ^(٤) .

(١) كوی قبولی ز ازل ساختند در صف میدان دل انداختند

آدم نوزخه درآمد پیش تابرد آنکوی بچوکان خویش

بارکیش چون عقب خو شه رفت کوی فروماند و فرا کوشه رفت

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٢٩)

(٢) خیزوبه از چرخ مداری بکن او نسکند کار توکاری بکن

خط فلك خطه میدان تست کوی زمین درخ چوکان تست

(المرج السابق ، ص ٣٠)

(٣) يشبه الياسين بالترك في البياض ، كما يشبه الورد بالهندود في الحمرة .

(٤) ترك ممن خيمه بصحرا زده ماهچه خيمه بثریا زده

لا به باتشكه راز آمده چون مغ هندو بهاز آمده

(المرج السابق ، ص ٥٦)

وشبه صموبة نظم الشعر بطريقته هو ، بصناعة الحبل الذى تكون أجزاؤه موزعة بين الفم ، واليدين ، وأصابع القدم ، فقال : « أيها الفلك . متى يخلصون هذه القند المحسكة من يدك ؟ ... لقد انتقل العمل من اليد إلى أصابع القدم ، فأحلل هذه القندة من صناعة الكلام ^(۱) » .

كما أشار إلى عادة بيع الماء بالخبز ، فقال ينمى على الشراء ييمهم الشعر - وهو ثمرة القلب - رخيصاً : « إن ثمرة القلب يجب أن يبيعوها غالية ، فتى تصهر ماء حتى يبيعوها بالخبز ؟ ... ^(۲) » .

والملاحظ أننا نحس بهذه الثقافة الواسعة المتنوعة ، ويلمأه بالعلوم الشائعة في عصره ، وصرفته بعبادات العصر وتقاليده من منظومته الأولى « مخزن الأسرار » : مما يرجع أنه قضى وقتاً طويلاً منقطعاً للدراسة والتحصيل إلى جانب تَعَمُّدِهِ . وقد قرَّرَ هو أنه كان يعمى في البحث والتقصى ، ويتحمل المشاق في سبيل الوصول إلى الحقيقة العلمية ، فذكر في « هفت پيكر » أنه تكلف جهداً كبيراً ، في جمع المادة المتعلقة بالموضوع ، فبحث في السكتب القديمة المبعثرة في أنحاء العالم المختلفة ، من عربية وفارسية ، كما استفاد من الممزق منها ، ثم درس ما جمعه واختار منه ما يلائم موضوعه . فقال : « لقد اجتهدتُ في هذه المنظومة ، أن تكون جمالاً من نوع غريب ، فبحثت في السكتب القديمة النادرة التي كانت مبعثرة في أرجاء العالم ، من عربية وفارسية ، من نسخ البخارى والطبرى ، ومن النسخ الممزقة الأخرى التي وجدتُها مملوءة بالمعلومات القيمة ،

(۱) أى فلك از دست توجون رسته اند این گره هاى که کر بسته اند
کارشد از دست بانگشت پای این گره از کار سخن واکشای
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۴۳)

(۲) میوه دلرا که بجای دهند کی بود آن که بنای دهند
(نفس للرجع والصفحة)

وقد جمعت كل ورقة وقمت في يدي في حقبة ، واطلمت عليها ، حتى هضمتها ، ثم اخترت ماراتني منها ^(۱) .

كانه حينما أراد نظم قصة لإسكندر ، وحد الطريق وهرأ أمامه ، فقد كانت المادة مبعثرة ، غير موجودة في كتاب واحد ، حاول الاستفادة من الكتب المختلفة ، كما استفاد من المراجع اليهودية والنصرانية واليهودية ، فاختار أحسن ما فيها عن طريق الترجمة من لغة إلى لغة ، ثم نظم ما وجدته صحيحاً منها ؛ وفي ذلك يقول : « حينما أردت نظم هذه القصة ، كان الطريق وعراً ، والمادة كثيرة ، فلم أر آثار ذلك الملك المتجول مجموعة في سجل واحد ، بل كانت المادة كالسكنوز ، مبعثرة في كل نسخة ، وأخذت مادة من كل نسخة ، وصببتها في قالب جميل من الشعر ، فضلاً عن استفادتي من التواريخ اليهودية والنصرانية واليهودية الحديثة . وقد حاولت أن أختار من كل مادة أحسنها ، ومن كل كتاب خير ما فيه ، ثم أحطت بمادتي كالسكنز ، لأصوغ من تلك الجواهر جوهرة كلية نقية ، فترجمت من لغة إلى أخرى ، لأن الإلمام بما في لغة واحدة لا يكفي ، فن يعرف لغة واحدة لن يكون قادراً على النقد ؛ ثم عرضت - على مسرح الشعر - كل ما وجدته صحيحاً من تلك النفائس ^(۲) » .

(۱) جهد کردم که در چنین ترکیب
بازجستم ز نامه های نهان
زان نسخهای که تازیست و دری
در سواد بخاری و طبری
وز دگر نسخها پراکنده
هر دری در دینی آکنده
هر ورق کاو فتاد در دستم
همه را در خریطه بستم
چون از آن جمله در سواد قلم
گشته سر جمله ام گزیده بهم
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۷)

(۲) چو میکردم این داستان بسیج
سخن راست رو بود وره پیچ پیچ
آزهای آن شاه آفاق کرد
ندیدم نگاریده در یک نوردد =

وهذا يدل على أن الشاعر قد استفاد من قرب كنجبه من اليبشات غير
 المسلة ، فاطلع على ما عند أهلها ، من علم ومعرفة .
 ورغم أن ما أورده نظامی عن الإسكندر لا يتفق كله مع الحقيقة التاريخية ،
 إلا أنه يدل على ما بذله الشاعر ، من جهد وعناء ، في الإطلاع والبحث ، ومحاولة
 الإلمام بكل شيء مهما كلفه ذلك من تعب ووقت ، وانقطاع للدراسة والتحصيل .
 هذا بالإضافة إلا إنه كان ينظم قصة ، تمزج فيها الحقائق بالأساطير .
 وأغلب الظن أن الإلمام بهذه العلوم المختلفة التي انصكت صور منها في
 شعره ، كان نتيجة لإتقانه اللغتين العربية والفارسية ، فقد اجتهد المسلمون - في
 العصر العباسي - في أن ينقلوا كتب العلم ، من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية
 مما جعل هذه اللغة ضرورية لطلاب العلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وكان
 الشراء والكتابة العرب منهم والفرس يعرفون - في ذلك العصر - اللسانين
 العربي والفارسي غالباً ، حتى سُمي كثير منهم « أصحاب اللسانين » مما يرجح
 إتقان نظامی للفتين معاً ، وقد أثبتت اقتباسات الشاعر من القرآن والحديث
 والحكم والأمثال العربية ، إحاطته السكاملة باللغة العربية ، وهي التي هيأت له
 توسيع ثقافته ، وجعلها مختلفة الألوان .

وندع هذا الحديث عن ثقافة نظامی ، لنلم بأخلاقه ومذهبه في الحياة .

==	سخنها که چون گنج آکنده بود	بهر نسخی در پراکنده بود
	زهر نسخه برداشتم مایه ها	برو بستم از نظم پیرایه ها
	زیادت ز تاریخهای نوی	به ودی و نصرای و بهلولی
	گزیده زهر مایه نقر او	زهر پوست پرداختم مغز او
	زبان در زبان گنج پرداختم	از آن جمله سر جمله ساختم
	زهریک زبان هر که آ که بود	ز بانسی ز یغاره کوته بود
	در آن پرده کز راسق یاقم	سخن را سر زلف بر تاقم

(نظامی : شرفنامه ، ص ۹۹)

الفصل الرابع

أفزون نظامی ومذهب فی الحياة

١ - أفزون نظامی :

كان نظامی - كما يبدو من شعره - ذا خلق قويم ، ونفس نبيلة ، متسامحة حتى مع أعدائه ، الذين كانوا يحسدونه ؛ فقد وجدناه يدعو لمن يحسده ، فيقول : « لم تكن لمن يحسد نظامی ، نفس بلا تأوه ، وعين بلا دموع » ^(١) .

كما أن الشاعر لم يخرج في قصصه عن حدود الفضيلة ، فصور - في منظوماته - الطهر والعفاف ، ورعاية الفضيلة ؛ مما جعل لها نعمة واحدة .

وكان في رثائه لزوجاته مثلاً للزوج الخالص الحب ، الذي ينظر إلى زوجته نظرتة إلى الشريكة الخالصة ، والمشوقة الملممة ؛ فرغم أنه تزوج ثلاث مرات ، إلا أنه لم يجمع بين زوجتين في وقت واحد ، بل إنه كان من أنصار الاقتران بواحدة ؛ وهو ينصح بذلك فيقول : « تكفيك زوجة واحدة فقط ، لأن الرجل الذي له قرينات كثيرات ، يعتبر وحيداً ، إذ أنه يفقد حبهن » ^(٢) .

ويرى أن يفنى كل من الزوجين في حب الآخر . لأن هذا له أثر مفيد في الأبناء ، فيقول : « لقد صار الزمان مختلف الألوان ، لأن له سبعة آباء وأربع

(١) کسی کو بر نظامی میرد رشک نفسی بی آه بیند دیده بی اشک

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ٤٤٦)

(٢) یکی جفت ترا پس بود که بسیار کسی مرد بیکس بود

(نظامی : اقبالنامه ، ص ٥٩)

أصمات^(۱)، فإذا أردت أن يكون لابلنك لون واحد . فاتحد مع أمه في قلب واحد^(۲) .

وقد لاحظنا - في أثناء نصيح نظامي لابته - أنه كان يبدو في صورة الوالد المحب ، الذي يمنح ابنه الحنان والمطف ، وينصحه محاولاً أن يطرد عنه اليأس والحزن ، ويخلق فيه المرح والأمل ، ويغرس في قلبه الإيمان بالله والتوكل عليه ، ويرسم له طريق السير في الحياة ، ويلقنه درساً في الأخلاق الفاضلة ، وفي كيفية معاملة الناس ، ويشجعه على كسب رزقه بالعمل الشريف ، وينصحه إذا عمل عملاً أن يتقنه ، ويدعوه إلى الاعتصام بعزة النفس ، والكرامة .

ولقد كان هذا صدى لما في نفس الشاعر من عزة نفس ، نلصقها بقوله مهيياً للإنسان أن يترك الذلة والتزلف : « إلى متى تتذلل مثل الثلج المذاب ، ومثل الفار الميت في الماء ۱۹^(۳) ... » .

ويدعوه إلى ترك خدمة الملوك فيقول : اترك خدمة الملوك ، فالخدمة تذهب السكرامة ، وتجنب صحبة الملوك كتجنب القطنه الجافة النار المحرقة ، فإن البعيد عن تلك النار آمن ، وإن تكن مملوءة بالنور^(۴) .

(۱) يبدو أن الشاعر يقصد بقوله « سبعة آباء » السكواكب السبعة ، ويقول « أربع أصمات » العناصر الأربعة .

(۲) أز آن مختلف رنگ شد روزگار که دارد پدر هفت و مادر چهار
چو يك رنگ خواهی که باشد پدر چو دل باش يك مادر يك پدر
(نظامی : إقبالنامه ، ص ۵۹)

(۳) تا چند چو بخ فرده بودن در آب چو موش مرده بودن
(نظامی : إلی و مجنون ، ص ۵۲)

(۴) بگذار معاش پادشاهی کآوارگی آورد سپاهی
از محبت پادشاه به پرهیز چون پنبه خشک از آتش تیز
زان آتش اگر چه پر نور است ایمن بود آن کسیکه دورست
(المرجع السابق ، ص ۵۴)

وهو لذلك يقرر أنه لا يجيد خدمة الملوك فيقول : « لا أجيد خدمة الملوك ، ولا أعرف السجود إلا لله » ^(۱) .

وهكذا أثرت النشأة الدينية في أخلاق نظامي ، فظل محافظاً على تدينه وأخلاقه الفاضلة بعد اتصاله بالولاة ، فلم تديرها الأحوال المختلفة ؛ وقد لازمه الدين والخلق طوال حياته ، فأنزراً إلى حد كبير - فيما اتجه من مذهب في الحياة .

* * *

۲ - مذهب نظامي في الحياة :

إن الشيء الذي لا شك فيه ، هو أن نظامي كان من الناحية الدينية سقي المذهب ، فهو يطب - في كل منظومة من منظوماته - في مدح الرسول والخلفاء الراشدين ، فيقول مثلاً : « حينما أكمل نهاء الشرع من جوانبه الأربعة ، صار منيعاً إلى الأبد » ^(۲) .

ويؤكد هذا المعنى ويوضحه في قوله : « كان « الصدّيق » إماماً بصدقه ، وقد جاوز قدرُ الفاروق « عمر » الفرقدن ، وكان الشيخ الخجول التقي « عثمان » زميلاً لأسد الله « علي » ، وقد كان الأربعة من معدن واحد ، كريحان شرب من ماء واحد ، فصار ملك الدين موطداً بفضل هؤلاء الخلفاء الأربعة ، كالبيت الذي يهياً بأركان الأربعة » ^(۳) .

(۱) ندائم كرد خدمتهای شاهي مکر لحق سجود صبحگاهی

(نظامي : خسرو وغيرین ، ص ۲۴)

(۲) سرای شرع راجون چار حدیست بنابر چار دیوار ابدیست

(الرجع السابق ، ص ۱۱)

(۳) صدیق بصدق پیشوا بود فاروق زفرق هم جدا بود

وان میر حیاتی خداترس باشیر خدای بود مهندس

هر چار زیك نورده بودند ریحان يك آنخورد بودند

زین چار خلیفه ملك شد راست خانه به چهار حد میامت

(نظامي : لیلی و مجنون ، ص ۱۱)

ثم يقول : « ليس في تقوام شك ولا ريب ، وليس - في هؤلاء الأربعة - أحدٌ ^(١) مصيباً » ^(٢) .

ولا تكاد منظومة من منظومات الشاعر تخلو من مثل هذا المديح . وقد أثبت حبه للخلفاء الراشدين جميعاً ، في قوله : « إذا كان قلبي عامراً بمحب علي ، فليست أخلو من حب عمر ، كأحب أبا بكر وعثمان ، فهما كالشمع والمصباح اللذين يضيئان طريق الشرع ^(٣) » .

ومادام الشاعر سنياً ، فن الطبيعي أن يوافق الأشاعرة في تفكيرهم ، وقد

(١) حاول بعض غلاة الشيعة أن يتخذوا من هذا البيت دليلاً على تشيع نظامي . وقد قال دستگردي في مقدمة كنجينه كنجوي ، ص ٦ : « إن هذا البيت إذا كان من نظم الشاعر فإنه يثبت تشيعه لأنه ترجمة للعبارة التي وردت في محاضرات الراغب الإصفهاني ، وهي : « مر ابن المدلل يقوم فسلم عليهم ، فلم يجيبوه ، فقال لهم لعلكم تظنون ما يقال في من الرفض . إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من نقص واحد منهم فهو كافر وامرأته طالق . قال بعض من كانوا معه من شيعة : وبك ما هذه اليقين ؟ قال : أردت بقولي من نقص واحد منهم علي بن أبي طالب وحده » وم يمترون مقصود الشاعر هنا يشبه مقصود ابن المدلل وهو أن علياً فقط هو الذي لا شك في تقوامه . وحاول دستگردي أن يجد مخرجاً من هذا المأزق ، فراح أن البيت ليس من نظم الشاعر وقال إنه غير موجود في النسخ القديمة .

وأرى أن مقصود الشاعر واضح لا لبس فيه ، فهو يمدح الخلفاء الأربعة دون تمييز أو ترجيح ، ويؤكد أنهم جميعاً نفاة لا شك في قلوبهم ، وأنهم جميعاً منزهون عن العيوب ، ولكن يبدو أن الشيعة قد حاولوا أن يتخذوا هذا البيت دليلاً على تشيع نظامي ، وقد ظهرت هذه المحاولة حق في الكتب المتأخرة مثل : الذريعة إلى تصنيف الشيعة لآقا بزرگ الطهراني ، ص ٢٥٦ .

(٢) در پاکیشان نه شك نه ریبی زین چهار یسکی نداشت عیبی

(نظامی : لیلی مجنون ، ص ١١)

(٣) بمهر علی کرچه حکم یم ز عشق عمر نیز خالی نیم

همیدون در این مفر روشن دماغ أبو بکر شمعست وعثمان چراغ

(نظامی : شرفنامه ، ص ٢٤-٢٥)

كانت سوقهم رائجة في عصره ، فلعل الشاعر قد تأثر بهم ، لأننا نجد بواقفهم في بعض المسائل المذهبية ، ويخالف المعتزلة . فهو يوافق الأشاعرة في القول بإمكان رؤية الله بالعين المجردة ، أي بعين الرأس ، مع التنزيه عن الزمان والمكان ؛ وهو - في وصف المراح - يميل إلى أن الرسول قد رأى الله بعين الظاهر ، فيقول : « إن القول المستحسن هو أن الرسول رأى الله منزهاً عن الصورة والمكان ، لأن الله يرى ، فيجب ألا يُحجب رؤيته عن العين ، وقد عَمِيَ من لم يقل بالرؤية .. وقد رآه النبي بعين الرأس لابعين القلب ؛ ولكن الرؤية - في تلك الليلة - كانت منزهة عن الزمان والمكان ، فكل من شاهد قد وجد طريقاً من جهة ليست مكانية ^(١) » .

وهو يكرر هذا المعنى ، مؤكداً أن الرسول رأى الله ، وسمع كلامه ، فيقول : « كان الله - في وقت الرؤية - منزهاً عن المكان ، فقد نصب العرش في مكان خاص ، بعيداً عن الكونين ، ودنا الرسول فكان قاب قوسين ، فكان يرى حضرة ذي الجلال ، ويدرك سر كلام الحق ^(٢) » .

وقد وافق نظامي الأشاعرة في قولهم بأن الإنسان مجبور في كل أعماله ؛ من

(١) مطلقاً أز آنجا كه پسندید نیست	دید خدارا و خدا دید نیست
دیدنش از دیده نباید نهفت	کوری آنکس که بدیدن نگفت
دید پیغمبر نه بجشمی ذکر	بلکه بدین چشم سر این چشم سر
دیدن آن پرده مکانی نبود	رفتن از راه زمانی نبود
هر که در آن پرده نظرگاه یافت	از جهت بی جهت راه یافت

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۲۰)

(٢) بازار جهت بهم شکستی	از زحمت فوق و تحت رستی
خرگاه برون زده ز کونین	در خیمه خاص قال قوسین
هم حضرة ذو الجلال دیدی	هم سر کلام حق شنیدی

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۵)

خیر و شر ، فلا اختیار له فیما یفعل ، فقال : « إني أعیش فی هذه الدنيا ، ویدی بمسکة بقبضة الفلک »^(۱) .

وقرر أنه سواء أ كان خیراً أم شریراً ، فإن ذلك قضاء علیه لا اختیار له فیہ ؛ فقال : « لقد عَجَبْتُ طینتی - التي أوجدتها من التراب - بالطیب والخلیث ، فإذا كانت نفسی خیرة أو شریرة ، فإن قضاءک هو الذي کتب هذا علی »^(۲) .
وردّد هذه النعمات و مواضع كثيرة من منظوماته .

وقد لاحظنا أن نشأة الشاعر الدينية جعلته يؤثر العزلة ، ویتخذ الاعتکاف - للتفکر والعبادة - مذهباً له و الحیة ، مُقَدِّماً - فی ذلك - التصوفة . وأنه أكثر من الاعتکاف حتی ظر السکثیرون^(۳) أن الشاعر عاش طيلة حیاته فی عزلة وازواء ، فلم یحاول الانصال بحکام عصره ، أو التردد علی بلاطهم مادحاً ، متزلفاً ، طامساً فی العطاء ؛ بل لقد بالنموا و وصف عزله إلى درجة أنهم رووا أن الحکام التمسوا القرب منه . فلتبرک به ، و التشرّف بالودود فی حضرته . و هم - فی ذلك - يشبهونه شیوخ الصوفیة^(۴) .

(۱) پای فرو رفته بدن خاک در با فلکم دست بغفراک در

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۳۲)

(۲) سرشت مرا کافریدی ز خاک سرشته تو کردی با پاک و پاک

اگر نیکم و گر بدم در سرشت قضای تو ای نقشه در من نبشت

(نظامی : شرفنامه ، ص ۱۲)

(۳) دولتشاه : تذکرة الشعراء ، ص ۱۲۸ ؛ القزوينی : آثار البلاد ، ص ۳۸۵ ؛

جامی : نجات الأنس ، ص ۵۴۷ ، و اله داعستانی : ریاض الشعراء . ص ۸۴۰ ؛

راضی تبریزی : زیة التواریخ (الورقة التي قبل الأخيرة) ؛ علیشیر نوائی : محاسن

الفائس ، ص ۳۵۲ ؛ عبد النبي فروینی : میخانه ، ص ۱۰ ؛ میر تقی کاخی : خلاصة

الأفکار ، ۱۴۶۰ ؛ ۱ ؛ أمين رازی : هفت إقليم (الإقليم السابع) .

(۴) یروی دولتشاه فی تذکرة الشعراء ، ص ۱۲۸ - ۱۲۹ . أن الأتابک قزل

آرسلان زار نظامی لیتحنه ، فمرف الشاعر ذلك ، فأظهر له کرامة من عالم النیب ،

فقرأ . یجلس علی عرش مرصع بالجواهر ، وقد أحاط به مائة ألف من الخدم والجنود =

أما نزوع الشاعر إلى الزهد والاعتكاف ، فقد قَسَرَتْه لنا نشأته الدينية التي تحدَّثنا عنها ، في عصره حروب ومنازعات تُحِبُّ النَّاسُ في الاعتكاف ؛ ولا يضي هذا أن الشاعر كان صوفياً .

ونحن نرجع أن نظامي لم يكن صوفياً ، بل كان ميَّالاً إلى الخلوة والتمبذ ، فلم يكن مقيداً بما يقتيد به الصوفية - عادة - من اجتماع ، وخرقة ، وغناء . كما نرجع أن هذا الميل قد فرضته عليه الظروف التي أحاطت به ، فإكان الشاعر ليجانح في الانصال بالحكم وأهوانهم لو أن أحداً قر به إليه ، بل إنه كشاعر ، كان يتبنى ذلك حتى يذيع شعره ، وينشر ذكره ب تلك الوسيلة التي لم يكن أمام الشعراء غيرها . ونحن نحس من مدح الشاعر للولاية والحكام أنه حاول ذلك ، فقدم لهم

= والتملن والحجاب والندماء ، فهت الأتابك ، وتقدم لتقبيل قدم الشيخ ، وحينذاك خرج نظامي من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ؛ فرأى الأتابك شيخاً مسناً يجلس على باب غار ، وأمامه مصحف ، ودواة ، وقلم ، ومسبحة ، وعصا ، وبضع أوراق ؛ فقبل الأتابك يده بتواضع ، وصار يعتقد فيه اعتقاداً كبيراً منذ ذلك الوقت .
وقد روى هذه القصة - أيضاً - لودي في مرآة الخيال ، ص ٣٤ - ٣٥ - وأغا على أحمد على في هفت آسمان ، ص ٣٧ ؛ ولطفعل ييك في آتشكده ، ٢٤٢ ، ومير حسين سنبل في تذكرته ، ص ٣٤٣ .

وقد شاعت بين للشرقين فكرة أن نظامي شاعر صوفي كما يبدو من مقالة لكشفسكي التي كتبها عن « مخزن الأسرار » ضمن « عدة مقالات حول نظامي » باللغة الروسية ، ص ٩٥ . قلا عن كريمسكي في كتابه « تاريخ آداب إيران وفلسفة الدراويش » .

أما القصة التي سبق ذكرها فقد اعتدنا أن نسمع أمثالها حول الأشخاص الذين يمتازون بصفات بارزة ، من حرية وعقلية ودينية . فهؤلاء الأبطال كل في ناحيته ، يكونون محالا خصباً لأن تروى حولهم مثل هذه القصص التي تبالغ في تجسيم ما عندهم من تلك الصفات البارزة ، وهي قصص يلب الخيال فيها دوراً كبيراً .

منظوماته ، وأسرف في مدحهم ، واسكنهم لم يلتفتوا إليه ، ولم يفكر أغلبهم في دعوته ، لانشغالهم عنه بالحروب والمنازعات .

والشاعر يقرر أنه لم يجد من يقدره ، فيقول : « إنني أعيش في ظلام دامس دون مصباح يضيء لي الطريق ، كليل لا يجد حديقه يأوي إليها ، رغم أني مزجت دم كبدي بالكلام ، فأججت نارا للشربم للكبد »^(١) .

وهو يدعو نفسه إلى السكوت لأن الدنيا لا تسمع ، فيقول : « اسكت يا نظامي واختم هذه القالة ، فإذا تقول لدنيا تضع القطن في الأذن »^(٢) .

ويبدو أنه كان يرسل مدائحه إلى الولاة ، فهو حينما يمدح بهرامشاه يبين أن هذا ليس أول مدح فيقول : « لقد كان قصدي أن أجدد - في هذين الشهرين - المهد بخدمة الملك »^(٣) .

كما يبدو أن الشاعر كان يظهر عدم رغبته في الذهاب إلى حضرة الولاة ، إذا لم يدع ، أما إذا دُعِيَ فإنه كان يلبى فرحاً مسروراً ، ويكفي أن نصور فرحه حين دعاه قزل أرسلان ، فإنه لم يتباطأ لحظة واحدة ، ولم يتعلل بحجة للمرأة ، بل غمرته موجة من الفرح عبّرها في قوله : « قفزتُ من مكاني لأذهب إلى خدمة الملك ، وسوّتُ الدابة في الصحراء مسرعاً ، وطفقت أرقص في الجبال والصحاري ، وكنتُ أسابق الحر الوحشية في العدو ، وأسبق الطير في الطيران ، ولم أشبع من الرقص طول الطريق ، وكانت الدابة التي تحمّي أكثر مني رقصاً ، وقد قطعتُ

(١) من بچین شب که چراغی نداشت بلب آں روضه که باغی نداشت

خون جگر با سخن آمیختم آتش از آب جگر انگیختم

(نظامی : غزون الأسرار ، ص ٤٨)

(٢) نظامی بس کن این گفتار خاموش چه کوئی باجهان پنه در گوش

(نظامی : خسرو وشیرین ، ص ٤٢٩)

(٣) بود بسیجم که در این یکدوماه تازه کنم عهد زمین بوس هاه

(نظامی : غزون الأسرار ، ص ٣٨)

الطريق ساجده. أنا أشكر أ ، وكنت أمضى كالفرجار ، أدور حول الطريق ، فكنت أسمع الدعاء لذلك في كل منزل نزلت فيه ، وفي كل مرحلة قطعتها ، وكنت أنا أدعوه - في كل مرحلة - دعاء جديداً ، كما كنت أشكره بالقرب من كل عين شربت منها ماء جديداً ، وكان نسيم الدولة يأتي من كل جبل ونهر لتحتي ، بفضل لطف الملك . وكانت رائحة عدله ، تفوح مسكية من كل شبر وطنته قدمي ، فلما أرحت نفسي من عناء السفر ، قبلت الأرض بين يدي الملك^(۱) .

وهكذا نجد أن الشاعر وإن كان قد عاش في عزلة وانزواء ، وأظهر موله إلى الاعتكاف ، وتمجيد له ، وأكثر من الحديث عن عزلته ، في صورة توحى بأنه قد اتخذ العزلة مذهباً له في الحياة ، إلا أنه لم يكن عازفاً عن الاتصال بالحكام ، غير أن عدم دعوة أغلبهم له هي التي حالت دون خروجه من كنفه ، وخلقت في نفسه هذا الميل إلى الانزواء ، وهذا التمجيد له ، كما أوجدت كثرة الحديث من الظلم وعدم التقدير .

(۱) بجزمت خدمت شه جسم از جای
 برون راندم سوی صحرا شتابان
 ز کوران تک ربودم در دویدن
 ز رقص ره نمیشد طبع سیرم
 همه ره سجده میبرد قلم وار
 بهر منزل کسز آن ره میبردم
 بهر چشمی که آبی تازه خوردم
 نسیم دولت از هرکوه ورودی
 زمشکین بوی آن حضرت بهر گام
 چو بر خود رنج ره کوتاه کردم
 زمین بوس بساط شاه کردم
 (نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۵۰ - ۴۵۱)

وَمَا يَرَحُّ أَنْ الشَّاعِرُ كَانَ بِتَصَلِّ بِأُولَآءِ وَرَهَائِهِمْ ؛ أَمْ نَفْسُهُ قَدَّرَ أَنَّهُ اخْتَارَ
قِصَّةَ « خُسْرُو وَشَرِین » اقتروج « بین الناس » ، وَلِتَحْوِزَ إِعْجَابَ « أُولَآءِ » ، لِأَنَّهَا مِنْ
المَوْضُوعَاتِ الْمَحْبُوبَةِ إِلَى نَفُوسِ النَّاسِ حُبًّا . فَاقْتَضَاهَا بِؤْدَى ، إِلَى ذُبُوعِ شَهْرَتِهِ
وَالْوَصُولِ بِاسْمِهِ إِلَى دَرَجَةِ الْخُلُودِ الَّتِي كَانَ يَنْسُدُهَا . وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ فِي تَبْرِيرِ نَظْمِهِ
لِهَذِهِ الْقِصَّةِ : « لِمَاذَا أَتَيْتُ نَفْسِي فِي قِصَّةِ الْمَشَقِّ ، وَعِنْدِي كَنْزٌ كَخَزَنِ الْأَسْرَارِ ؟ ! » .
لأنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ فَرْدٌ فِي الْعَالَمِ الْيَوْمَ لَا يَمِيلُ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْقِصَصِ ^(۱) .
فَالْوَاقِعُ أَنَّ الْغَارُوفَ هِيَ الَّتِي شَجَعَتْ نَظَامِي عَلَى الْعِزْلَةِ ، أَمَّا الشَّاعِرُ نَفْسُهُ
فَلَمْ يَكُنْ عَازِفًا عَنِ النَّاسِ ، أَوْ عَنِ الْإِتِّصَالِ بِالْحِكَمَاءِ .

وَنَحْتُمُ تَعْرِيفَنَا بِالشَّاعِرِ ، بِذِكْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِوَفَاتِهِ وَمَدْفَنِهِ .

(۱) مرا چون مخزن الأسرار کنجی چه باید در هوس پیمود رنجی
ولیکن در جهان امروز کس نیست که او را در هوس نامه هوس نیست
(نظامی : خسرو و شرین ، ص ۳۲)

الفصل الخامس

وفاة نظامي ومرفه

أرجح أن نظامي توفي في عام ٦٠٨ هـ^(١) . فقد كان - فيما يبدو - حياً في عام ٦٠٧ هـ ، حينما قدّم « خردنامه وإقبالنامه » للقاهر عز الدين مسعود ، حاكم الموصل ، الذي ولى أمرها في ذلك العام^(٢) . وقد أطنب الشاعر في مدح هذا الحاكم ، وبين أنه حاكم الموصل ، فقال : « إنه حاكم الموصل بالحكمة والروية ، وهو ملك الملوك بالرجولة »^(٣) .

(١) سبقت الإشارة إلى اختلاف المراجع في تحديد تاريخ وفاة نظامي اختلافاً كبيراً ، يربو على الثلاثين عاماً ، يمكن حصره في اللدة ما بين ٥٧٦ هـ و ٦١١ هـ . وقد ناقشت هذه المسألة في أثناء محاولة تحديد تاريخ ولادة الشاعر ، وسنرى أن الدلائل الموجودة في شعر نظامي ترجح أنه توفي بعد عام ٦٠٧ هـ ، وأن أغلب التواريخ التي ذكرت ليس صحيحة .

(٢) يذكر الحافظ أبو عبد الله الذهبي ، في تاريخ الإسلام الذهبي ، ص ٨٤ ، وأبو الفدا ، في تاريخه ، ص ١١٩ ، وابن الوردي ، في تاريخه ، ص ١٢٨ ، وابن العماد الحنبلي ، في شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٢٤ . أن القاهر عز الدين مسعود قد خلف أباه أرسلان شاه - الذي توفي في عام ٦٠٧ هـ - في حكم الموصل وأنه كان في السادسة عشرة من عمره . ويضيف ابن العماد الحنبلي أن القاهر كان مشهوراً بالملاحة والعدل والسباحة . ويذكر ابن يوسف شيرازي في فهرست كتابخانه مدرسة علي سبهار ، جلد دوم ، ص ٥٣٠ . أن وزيره عماد خوي كان يعرف بنظام الملك الثاني .

(٣) طرف دار موصل بفرزانكي قدر خان شاهان بمروانكي

(نظامي : إقبالنامه ، ص ٣٠)

وقد صرح الشاعر باسمه ، ووصفه بالنطية والبطولة ، فقال : « إنه قائد الأبطال
والغزاة ، الملك عز الدين القاهر ، ذو العرش والتاج ، إن شعاره في الدولة كشعار
طغرل تكين ، وهو أبو الفتح مسعود بن نور الدين » ^(١) .

وقد ورد هذا المديح في أكثر من نسخة خطية قديمة ^(٢) . مما يبرِّج أنه
من نظم الشاعر ، وأن المدح هو حاكم الموصل ، القاهر عز الدين مسعود بن
نور الدين أرسلان .

ومما يؤيد ذلك أن الشاعر مدح وزيره حماد الدين خوي ، وبيَّن أنه - في
حسن تدبيره - أفضل من نظام الملك ، وزير ملكشاه السلجوقي المشهور ، فقال :
« إنه وزير أحسن - في التدبير - من نظام الملك ، وقد اشتهر بلقب (كفي الكفاة)
ولما كان الملك مساوياً في العظمة للملكشاه ، فإنه يجب أن يكون نظام الملك الثاني
وزيراً له » ^(٣) .

وقد أشار نظامي إلى موت نور الدين أرسلان والد هذا الحاكم ، فقال :
« مادام الملك أرسلان ^(٤) قد توفي ، وتوسَّد التراب ، فإنه لا يمكن نظم الشعر ؛

(١) سر سرفرازان وگردنكشان ملك عز دين قاهر شاه نشان
بطغراي دولت چو طغرل تكين أبو الفتح مسعود بن نوردين
ورد هذا المدح في مخطوطة Add. 276. B كاذ كرريو ، في فهرست المخطوطات
الفارسية بالمتحف البريطاني ، ج ٢ ص ٥٦٨ .

(٢) نفس المرجع والصفحة فقد وردت الأبيات في مخطوطة Add. 16 780. Fol. 214
ومخطوطة Add. 46613. Fol. 267. B

(٣) وزيری بتدبير بیش از نظام باکفی الکماتی برآورده نام
چوشه چون ملکشه بود دستگیر نظام دوم باید اورا وزیر
(نظامی : إقبالنامه ، ص ٢٨٢)

(٤) ظان داراب في مقدمة ترجمته « مخزن الأسرار » إلى الإنجليزية ، ص ٥٦ .
أن المقصود من أرسلانشاه هو قول أرسلان الذي توفي في عام ٥٨٧ هـ ، وتجب
من رثاء الشاعر له بعد مضي وقت طويل ورجح أن الأبيات نظمت في تاريخ =

الهم إلا إذا ساعدتني دولة الملك ، فأوحت إلى بقول جديد «^(۱) .

فهذه اللقائين ترجيح أن الشاعر توفي بعد عام ۹۰۷ هـ .

أما الأبيات المتحللة التي وردت و آخر « إقبالنامه » ، والتي تفيد أن الشاعر توفي بعد إتمامه نظم قصة الاسكندر ، وأنه كان - في ذلك الوقت - يزيد ستة أشهر على ثلاثة وستين عاماً ، كما مرّ ، فيبدو أنها تدل على عمر الشاعر حينما أتم القسم الأخير من « اسكندرنامه » ، أي أنه أتم هذا القسم في عام ۹۰۳ هـ . وما يساعدنا على ترجيح أن « اسكندرنامه » تمت بعد عام ۹۰۰ هـ ، أن الشاعر وصف زلزلاً حدث في ذلك العام وشمل مصر ، والشام ، والجزيرة ، والروم ، وصقلية ، وقبرص ، والعراق ، كما ذكر ابن الوردي^(۲) ، ويبدو أنه شمل كنجبه التي كانت الزلازل تحدث فيها من وقت لآخر .

وقد صور الشاعر هذا الزلزال في صورة تشبه ما ذكره ابن الوردي فقال :
« لقد رزق ذلك لزلزال السماء ، طلمت المدن تحت الأرض ، وقد وقع في الحمل والصحرَاء بدرجة جملة الفبار يتعاهز عنان السماء . فصارت الأرض مضطربة مثل السماء ، تتأرجح من لب الدهر^(۳) » .

== ساق وأن الظنومة قدمت لصرة الدين أبي بكر أتابك آذربيجان ، لا لمز الدين مسعود ، ولكن الأبيات صريحة في أن المقصود هو نور الدين أرسلان أبو عز الدين مسعود ، أتابك الموصل ، الذي ذكر اسمه قبل ذلك .

(۱) جوشاه أرسلان رفت ودر خاك خفت

سخن چون توان در چنین حال گفت

مگر دولت شه کند یاری در آرد بمن تازه گفتاری

(نظامی : إقبالنامه ، ص ۱۲)

(۲) ابن الوردي : تاريخه ، ص ۱۲۲ .

(۳) أن از آن زلزله کآسمان را درید شد آن شهرها در زمین ناپدید

چنان لرزه افتاد در کوه و دشت که گرد از گریبان گردون گذشت

زمین گشت چون آسمان بی قرار معلق زن از بازی روزگار

(نظامی : إقبالنامه ، ص ۳۲)

وبعد أن صور الشاعر البلاد التي شملها الزلزال صور شدته في كنجته في قوله : « لم يصدر عن جماعات النساء ، والرجال ، والشبان ، والشيب - بسبب هذا زلزال - إلا صوت نغير الموت »^(١) .

وبيدرو أن الزلزال حدث في أثناء نظم القصة ، وكان شديداً إلى درجة أثرت في الشاعر ، وجملته يَشْتَعِبُهُ وَثَنًا خَفُوضَةً . ويدهي أن وصف الزلزال كان بعد وقوعه ، في عام ٦٠٠ هـ .

وعلى هذا لا يبدو بعيداً أن « الإسكندرنامه » تمت في عام ٦٠٣ هـ ، غير أنه نظراً لاضطراب الأحوال ، لم يستطع الشاعر تقديم باقي القصة لنصرة الدين أبي بكر ، أتابك آذر بيجان في ذلك الوقت ، كما قدّم القسم الأول منها ، فانتظر حتى تسبح الفرص .

وقد سمحت له فرصة - في عام ٦٠٧ هـ - حينما تولى القاهرة عز الدين مسعود أمر الموصل ، فوَلَّى وجهه شطر الموصل لعله يجد في الحاكم الجديد نصيراً ومشجعاً ، فقدم المنظومة له ، وأرسلها مع ابنه الشاب ، الذي توفي بعد ذلك بقليل . أما المدة التي تقع بين ٦٠٣ هـ و ٦٠٧ هـ ، فقد حيت فيها أبناء الشاعر ، لكبر سنه ، وضمفه ، وازنوائه .

وقد ورد أن الشاعر عاش خمس سنوات بعد إتمامه قصة الإسكندر^(٢) في عام ٦٠٣ هـ ؛ مما يرجح أنه توفي في عام ٦٠٨ هـ ، أي بعد أن أدرك حكم القاهرة عز الدين مسعود ، حاكم الموصل .

ولعل موت ابنه في وقت كان هو فيه شيخاً محطماً قد أثر في الشاعر ، فتوفي بعده بقليل ، في نفس العام .

(١) زچندان زن ومرد ورنه وير برون نامد آوازه جز نغير

(نظامی : إقبالنامه ، ص ٣٣)

(٢) خواند امیر : جیب السیر ، حایه ، ص ١١٢ . نقل عن صبح صادق ، وقد

سبق ذكره .

ومهما يكن من شيء ؛ فإن نظامى لم يمّت قبل عام ١٦٠٨ هـ ، أى أنه توفى في التاسعة والسعين من عمره .

أما الحديث عن الموت والاستعداد للرحيل بعد إتمام « اسكندرنامه » - الذى كان سبباً فيما نجمه من اختلافات ؛ في تحديد وفاة الشاعر ، وولادته ، ومدة عمره - فلعله كان صدق اسكندر سنّ الشاعر ، وضعف جسمه ، وقد كرّره في مناسبات كثيرة ، كان فيها أقلّ هرمًا وأصغر سنًا ، فكان يقول إن جسمه قد ضعف ، وأصبح في حاجة إلى الراحة التى يقصد بها الموت ^(١) .

* * *

وقد توفى نظامى في كنجه ودفن بها ، وكانت له مقبرة ظلت قائمة بضع سنوات بعد إلحاق كنجه بروسيا ^(٢) ، ثم تهدّمت ؛ وتم بناؤها مرة أخرى

(١) تحدث الشاعر عن الموت ، ورغبته فيه ، في « لىلى وجنون » ص ٧ - ٨ ، و « هفت پیکر » ، ص ٤ - ٥ ، و « شرفنامه » ، ص ٣٢ - ٣٨ .

(٢) بمن رأوا مقبرة نظامى رأى العين حاج فرهاد ميرزاى معتمد الدولة ، كابدكر في كتابه هداية السبيل ، ص ٢٠ . وكان سفره في عام ١٢٩٢ هـ - ١٨٨٣ م ، وقد خربت المقبرة بعد ذلك بالتدريج حتى أصبحت في صورة كومة من التراب ، وكانت قرب مدينة كنجه القديمة ، وعلى بعد فرسخ من كنجه الحالية ، وقد نشر ارتوله مقالاً بالروسية تحت عنوان « قبر نظامى » ونشر معه صورتين لبقايا المقبرة ، كما أشار إليها اسكندر منشى تركانى ، في تاريخه « عالم آراى عباسى » ، ص ٩٨ وما بعدها ، على أنها بقرب كنجه . وقد ورد في كتاب « سفرنامه ناصر الدين شاه قاجار » أنها قرب اليزابتبول وهو الاسم الذى سميت به كنجه بعد انضمامها إلى روسيا ، كما ذكر أنها كانت خربة جدا في عام ١٨٧٣ م ، وهذا يشبه ما ذكره باكيخانوف ، في « كلستان إزم » بالروسية ، ص ١٦٥ .

وقد أعطى شيليكسن ، في كتابه « آثار الفن المعمارى في عهد نظامى » ، بالروسية ، ص ٤٩ - ٥٠ . وصفاً لهذه المقبرة وماتم فيها من ترميمات إلى أن تهدمت نهائياً . وفي عام ١٩٢٣ م تكونت هيئة من علماء كنجه عرفت باسم « جماعة نظامى » . وقد استطاع أعضاءؤها - بعد الحفر والتنقيب - أن يخرجوا مابقى من عظام

في عام ١٩٤٠ م ، في نفس المكان الذي كانت فيه القبرة القديمة ، أوى بالقرب من مدينة كنجبه القديمة ، ثم دُفِنَتْ فيها عظام الشاعر بصفة نهائية ^(١) .



والآن وقد لسنا مافى عصر نظامى من تيارات موجبة ، وما فى يبقته من عوامل مؤثرة ، وعرفنا به ، على ضوء هذه المؤثرات ، نستطيع أن ندرس شعره ، الذى كان نعمة لهذه الأشياء جميعها ، فقد انمكت فيه أضواؤها . فكان تعبيراً عنها .

وقد خصصنا لذلك الكتاب الثانى من هذا البحث ، حيث ندرس شعر الشاعر دراسة نقدية مقارنة ، محاولين أن نجسم مبرلة نظامى بين شعراء الفارسية ، وأن نبرز مزاياه الشعرى .

== الشاعر، ثم أعادوا دفه فى مدينة كبروفاباد فى قبر تحوطه حديقة ، وهذه المدينة تبعد فرسخين عن كنجبه القديمة ، كما يبدو مما ذكره دستكردى ، فى مقدمة كنجينه كنجوى ، ص ٢٠ . نقلا عن مقالة ترجمها خلخالى ، عن جريدة « ينكى فكر » التركية عددى ٢٥٦ - ٢٥٧ لسنة ١٩٢٣ م .

وظلت عظام الشاعر فى هذه المقبرة إلى أن تم بناء مقبرته الجديدة ، فنقلت إليها . ونشر دستكردى صورة للمقبرة الجديدة فى مقدمة كنجينه كنجوى ، ص ١ . وقد كتب عليها بالتركية :

Segh Nisami Gencali, Ilyas Yusuf Oglu «Nisamaddin» T. Tey. 535 vef. 599

وترجمة هذه العبارة « الشيخ نظامى الكنجوى إلياس بن يوسف (نظام الدين) ولادته ٥٣٥ هـ ، وفاته ٥٩٩ هـ ، وقد ضبطت تاريخى ولادته وفاته فياسبق ، وناقشت الأقوال المختلفة التى وردت فيها .

(١) كتاب جمية آذربيجان القديمة (بالروسية) ، مقالة سيسوف ، ص ١-٢٧ .

الكتاب الثاني

شعر نظامي

- ١ - منظوم مخزنه الأسرار
- ٢ - خبر ووشيرين
- ٣ - ليلي وخنوده
- ٤ - هفت ييكر
- ٥ - إسكندرنامه
- ٦ - ديوانه نظامي
- ٧ - فن نظامي

تمهيد

خلف نظامى خمس منظومات ، يقرب مجموع أبياتها من ثلاثين ألف بيت من الشعر ، الأهمى : « مخزن الأسرار » و « خسرو وشيرين » و « ليلى ومجنون » و « هفت بيكر » و « اسكندر نامه » . كما خلف ديوان شعر بقى منه ألفا بيت تقريباً ^(١) .

وقد نظم الشاعر منظوماته الخمس بطريقة المثنوى ، مما يجعل من الضرورى التعريف بهذا الفن ، قبل دراسة المنظومات نفسها .

١ - فن المثنوى :

يُعتَبَرُ فن « المثنوى » من الفنون التى اخترعها العجم ، وقد أخذه العرب عنهم وسموه « المزدوج » كما أخذوا فن « الرُبَّاعى » الذى يُسمَّى « الثوبيت » ^(٢) . وقد عُرِفَ « المثنوى » بأنه الشعر الذى يُبنى على أبيات مستقلة مُقَامَةً ، وسمَّى المثنوى لأنه تلزم قافيتان لكل بيت ^(٣) ؛ أى أنه الشعر الذى يُبنى فيه

(١) لم تحفظ النسخ الخطية الموجودة من ديوان نظامى أكثر من ألفى بيت ، بينما يقول دولتشاه فى تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ . إنه كان يبلغ عشرين ألف بيت .
(٢) مولوى أعا على أحمد على : هفت آسمان ، ص ٤ . نقلاً عن صاحب الميزان الوافى .

(٣) هذا تعريف شمس الدين محمد بن قيس الرازى فى كتابه المعجم فى معايير أشعار المعجم ، ص ٣٠٨ . وهو يتفق مع التعريفات التى وردت فى غيره من الكتب ونضرب مثلاً بما نقله مولوى آغا على . فى هفت آسمان ، ص ٤ . عن صاحب الميزان الوافى الذى يقول : « إن المثنوى عند العجم هو الأبيات التى تتفق فى الوزن ، ويوافق كل مصراع منها المصراع الآخر ، المحاذى له ، فى القافية » ، كما نقل تعريف صاحب « بدائع الأفكار » وهو « المثنوى فى اللغة أن يقولوا شيئاً يكون منسوباً إلى مثنى أى اثنين اثنين ، وفى الاصطلاح الشعرى أن يكون كل مصراع منه مستلزماً قافية وبذلك تكون لكل بيت قافيتان ، ويسمونه - أيضاً - المزدوج » .

مصراعاً كل بيت ، ويكون البيت مستقلاً - من حيث القافية - عن البيت الذي يسبقه أو يليه .

وقد أكثر شعراء الفارسية من نظم « الثنوى » في سبعة أوزان : اثنين من المهرج ، واثنين من الرمل المسدس ، وواحد من السريع ، وواحد من الخفيف المسدس ، وواحد من المقارب الثمن^(١) ؛ ولم ينظموا « الثنوى » في الأبحر الكبيرة مثل الرجز التام ، والمهرج التام ، وأمثالها^(٢) .

وقد اختار الفرس هذا الفن لنظم المنظومات الحساسة والفنائية ، ويبدو أنهم فعلوا ذلك ليفروا من قيود القافية الموحدة ، في منظومات طويلة قد تصل إلى آلاف الأبيات ، مما يجعل وجود قافية موحدة شيئاً يكاد يكون مستحيلاً . فالشاعر الذي ينظم بطريقة « الثنوى » حر غير مقيد بوحدة القافية ، لأن كل بيت يعتبر قائماً بذاته ، من حيث القافية .

وقد سبّب هذا سهولة ويسراً ؛ فأصبح هذا الفن يصلح لوصف مناظر الطبيعة ، وتصوير الإحساسات المتنوعة ، كما يصلح لكتابة القصص والوقائع التاريخية ، وتصوير جوانب الحياة من فردية واجتماعية ، لأن الشاعر لا يكون مقيداً بعدد معين من الأبيات تفرضه عليه القافية الموحدة ، بل يكون حراً طليقاً ينظم أى عدد من الأبيات يشاء ؛ وهكذا وجدنا المثنويات المطولة التي بلغ عدد الواحدة منها آلافاً من الأبيات ، فصارت المنظومة أشبه شيء بالكتاب العلمي حسن التأليف .

ويمكن تقسيم المثنويات إلى الأقسام التالية .

١ - الحساسة أو التاريخية ، مثل « شاهنامه » لفردوسي ، و « اسكندرنامه » لنظامي .

-
- (١) مولوى آغا على : هفت آسمان ، ص ٥ . نقلاً عن صاحب الميزان الوافي ، وعن مجمع الصنائع ، وهفت قلزم ، ودرياي لطافت ، ومخزن العوائد .
(٢) مولوى آغا على : هفت آسمان ، ص ٥ . نقلاً عن صاحب كشف الاصطلاحات .

- ٢ - الفرامية ، مثل « خسرو و شیرین » لنظامی .
- ٣ - القصصية ، مثل « هفت پیکر » لنظامی ؛ و « هشت بهشت » لأمیر خسرو الدهلوی .
- ٤ - الأخلاقية ، مثل « حديقة الحقائق » لسنائی ؛ و « مخزن الأسرار » لنظامی .
- ٥ - التصوفية الفلسفية ، مثل « مثنوی مولانا جلال الدين الرومی » ؛ و « جام جم » لأوحدی الراغی ^(١) .
- وقد اشتهر كل بحر من الأبحر التي نُظِمَ فيها « المثنوی » بصلاحيته لبعض الموضوعات .
- فبحر المزج مناسب لإظهار الألفة والمساقة ، وقد نُظِمَت منظومتا « خسرو و شیرین » و « لیلی و مجنون » لنظامی في هذا البحر ، لأن فيه سببين وودأ ، فهو يعطى شيئاً من اللحن ، مما جعل الأهازيج من أملح الفناء ^(٢) .
- وبحر المتقارب يصلح للموضوعات الحماسية ، بسبب تقارب أوتاده وأسبابه مما جعل نغماته تشبه صوت الشجمان ودق الطبول ، ورنين الأسنة ، وهو لذلك مناسب لتحريك أهصاب الجنود .
- وبحر الرمل يلائم حالات الفرح والحزن ^(٣) ، بينما يصلح بحر الخفيف لحالات الرقص والحركات الخفيفة ؛ بسبب قصر مقاطعه ^(٤) .

(١) شبلى نعمانی : شعر النجم ، ج ٤ ، ص ١٧٥ .

(٢) تربيت : مقالته عن « مثنوی و مثنوی گویان » ، مجله مهر ، سال پنجم ، مردادماه ١٣١٦ ، ص ٢٢٧ .

(٣) من المثنويات التي نظمت في بحر الرمل « مصباح رشیدی » في التجرد والتصوف .

(٤) من المثنويات التي نظمت في بحر الخفيف « هفت پیکر » لنظامی .

م ١٠ - نظامی

أما بحر السريع فيناسب وصف الإحساسات القلبية^(١)؛ وذلك بسبب كثرة أسبابه ، وقلة أوتاده ، مما يعطى سرعة وسهولة لنغمة الأبيات^(٢) .
وقد نُظِّمَتْ مثنويات عديدة قبل منظومات نظامى . نذكر منها « وامق وعذراء » للمعمرى ، و« شاهنامه » و« يوسف وزليخا » لغردوسى ، و« ويس ورامين » لغهر الدين السكركانى ، و« حديقة الحقائق » لسنائى ، و« مصباح رشيدى » لرشيد الدين الطوطا ، و« تحفة العرقين » للخاقانى .
ثم جاء نظامى فنظم خسته التى سبق ذكرها ، وهى تسمى أحياناً « السكنوز الخمسة »^(٣) .

وقد وُصِفَ نظامى بأنه إمام فن المثنوى ، لأنه قلَّد كثيراً ، كما قيل :
إن الصنعة والإحكام والدقة فى الفن القصصى قد انتهت إليه^(٤) ؛ غير أننا لا نستطيع أن نَقْبِىَنَّ مكانة الشاعر بين شعراء هذا الفن إلا إذا انتهينا أولاً من دراسة منظوماته دراسة نقدية مقارنة ، يحسن أن تسبقها معرفة النسخ الخطية الموجودة منها ، وترتيبها فى النظم .

* * *

٢ - النسخ الخطية الموجودة من نظم نظامى :

لعل من الأشياء التى تساعد على دراسة شعر نظامى ، وجود نص منظوماته الخمس فى كثير من النسخ الخطية ، فضلاً عن أنه طُبِعَ مرات عديدة .
وقد تَكَثَّرَتْ كُتُبُ القهارس بذكر النسخ الخطية الموجودة من الخمسة ،

(١) من المثنويات التى نظمت فى بحر السريع « مخزن الأسرار » لنظامى .
(٢) تربيت : مقالة « مثنوى ومثنوى كويان » مجله مهر ، سالنجم ، مردادماه

١٣١٦ ، ص ٢٢٧ .

(٣) هذه ترجمة للتسمية الفارسية « پنج كنج » .

(٤) عبد الوهاب عزام : ما كتبه متعلقاً بالأدب الفارسى فى كتاب : قصة الأدب فى العالم ، ج ١ ، ص ٤٤٠ .

ووصفها ، وإيراد الأبيات الأولى من كل منظومة ، هذا عدا الأبيات التي تشير إلى تاريخ إتمام كل منها ، ومدح من قدمت له .
والملاحظ أن كل نسخة من النسخ الخطية تشتمل - غالباً - على منظومات الشاعر الخمس ، مما يدل على أنها - كلها - قد جُمِعت في مجلد واحد ، وظلت كذلك إلى أن انفصلت أخيراً ، فطُبِعت كل منظومة منها على حدة .
وبما يجدر ذكره أن هذه النسخ الخطية كثيرة منتشرة في مكتبات الشرق ^(١) والغرب ^(٢) ، ولكن أغلبها قد كُتِبَ في تواريخ متأخرة .

(١) ابن يوسف شيرازي : فهرست كتابخانه مجلس شورای ملی ، جلد سوم ،
وفهرست كتابخانه مدرسه عالی سپهسالار ، جلد دوم (ماذكر فيهما خاصاً بجمعة
نظامي) . كما توجد نسخ خطية في مكتبة ملك بطهران (الفهرست غير مطبوع) .

Abdul Muqtadir : Cat. of Arabic and Persian Manuscripts
in the oriental public library at Bankipore pp. 48 - 57;

Radawi and Saheb : Cat. of Persian Manuscripts in the
Buhar library p. 223 - 226;

A. Sprenger: A Cat. of Arabic, Persian, and Hindustani
Manuscripts of the library of King Oudh, 519- 528.

Browne : A Cat. of Persian Mss, in the library of the (٢)
University of Cambridge, pp. 303-307 :

Rieu: a) Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. pp. 564 -
577; b) Supplement to the Cat. of the Persian Mss. in the
Brit. Mus. , pp. 153 - 155;

H, Ethé : Cat. of the Persian Mss. in the Library of the India
Office, pp. 595 - 599;

Victor Rosen : Les Manuscrits Persans de l. Institut des
Langues Orientales, pp. 171 - 173 ;

Blochot: Bibliothèque Nationale Cat. de Manuscrits Persans
Tome Troisième pp. 52-99;

Jackson and Yohannan : A Cat. of Persian Mss. (Cochran
Collection) pp. 49 - 58.

وإذا استعرضنا النسخ الخطية الموجودة نلاحظ أنها قد كُتِبَتْ في القرن التاسع الهجري ، أو بعد ذلك في خلال القرون الثلاثة التالية ، حتى القرن الثاني عشر ، مما يرجح أن منظومات الشاعر بقيت مبعثرة بعد وفاته أكثر من قرنين من الزمان ، قبل أن تتناولها أيدي النساخ بالجمع والنسخ .

غير أننا نجد دستكردي يقرر أنه اعتمد - في نشره للمنظومات الخمس - على ثلاثين نسخة خطية مكتوبة فيما بين القرنين السابع والحادي عشر الهجريين ^(١) ، مما يشعر بأنه كان يمتلك - في مكتبته الخاصة - أقدم النسخ الخطية الموجودة من نص الخمسة ، غير أنه - كما ذكرت - لم يصف أية نسخة من النسخ التي اعتمد عليها ، وكان عليه أن يعرف بها كإفعل أصحاب كتب الفهارس . وتوجد نسخة خطية في دار الكتب المصرية ^(٢) مخطوطة بقلم فارسي ، أولها على بالذهب ، وهي تقع في ٣٥٠ ورقة ، في كل صفحة منها ٢١ سطراً ، طولها ٣٢ سم ، وعرضها ٢٠ سم ، ولكن تاريخ كتابتها غير مذكور ، فلا ندرى في أي قرن كُتِبَتْ .

وقد وصف ريو كثيراً من النسخ الموجودة بالمتحف البريطاني بلندن ، وهي نسخ كُتِبَتْ بعضها في القرن التاسع الهجري ، وبعضها الآخر في القرنين العاشر والحادي عشر ، كما اشتمل بعضها على منظومة واحدة مثل مخطوطة Add, 19500 ، ومخطوطة Add, 23458 ، فإنهما تحتويان على « مخزن الأسرار » فقط .

أما النسخ التي كُتِبَتْ في القرن التاسع ، فقد ذكر ريو اثنتين منها في الفهرست ، وهما : مخطوطة Add, 7729 ، وقد وصفها بأنها مكتوبة بالخط النسخ الفارسي الصغير ، وعدد أوراقها ٣١٦ ورقة ، طولها ٧٠ سم ، وعرضها ٥٠ بوصات ،

(١) يذكر دستكردي هذا في مقدمة « مخزن الأسرار » وفي خاتمة « خسرو وشيرين » ، ص ٤٦٠ . ويكرره في كل منظومة .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٠ أدب فارسي .

كتب في كل صفحة منها ٢٢ سطراً ، طول كل سطر ٣٠ بوصة ؛ وقد تمت كتابتها في شوال من عام ٨٠٢ هـ .

تم نسخة Add, 25900 وعدد أوراقها ٣١٦ ورقة . طولها ٧٠ بوصة وعرضها ٧٠ بوصة وعرضها ٤٧٥ بوصة ، تحتوي كل صفحة منها على ٢٥ سطراً ، طول كل سطر ٣٦٢٥ بوصة .

كما ذكر ريو اثنتين في ملحق القهرست وما : مخطوطة Or, 2834 ، وعدد أوراقها ٣٧٤ ورقة ، طولها ١٠٢٥ بوصة ، وعرضها ٦٢٥ بوصة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ١٩ سطراً ، طول كل سطر أربع بوصات ، وقد تمت كتابتها في عام ٨٩٥ هـ .

ومخطوطة Or, 2931 وعدد أوراقها ٥٠٤ ورقة طولها تسع بوصات وعرضها ست بوصات ، وقد كتب في صفحة ٢١ سطراً ، طول كل سطر ٢٥ بوصة . كما ذكر مولوى عبد المقدر نسخة خطية تحت رقم 37 No. كتبت في القرن التاسع ؛ عدد أوراقها ٣٣٧ ورقة طولها ٦٠ بوصة وعرضها ٧٥ بوصة ، وفي كل صفحة منها ٢١ سطراً ^(١) .

وذكر « إته » مخطوطة تمت كتابتها في عام ٨٩٤ هـ ^(٢) .

وهذه هي أقدم للنسخ الخطية التي بين أيدي الباحثين ؛ وإن كنت قد اعتمدت في هذا البحث ، على «خمس نظامي» التي نشرها دستكردي متفرقة ، لأن النص الذي نشره يعتبر من أصح النصوص المنشورة ؛ فقد قارن - فيما يبدو - بين نصوص نسخ خطية كثيرة قبل أن ينشر النص الذي بين أيدينا .

M. Abdul Muqtadir : Cat. of the Arabic and Persian Mss. (١)
in the Oriental public library at Bankipore, pp. 48 - 58.

H. Ethé : Cat. of the Persian Mss. in the library of the (٢)
India Office, vol. I, pp. 595 - 597.

كما أننى حققتُ رواية بعض الأبيات المتعلقة بتاريخ نظم كل منظومة ،
والأبيات التى ساعدت فى إثبات ما يتعلق بولادة الشاعر ووفاته ، فقارنتُ بين
روايات النسخ الخطية المختلفة ، ورَجَّحتُ رواية منها معتمداً على بعض القرائن
التاريخية ، أو على الأدلة الموجودة فى شعر الشاعر .

• • •

٣ - ترتيب محمد نظامى :

بقى أن نعرف ترتيب منظومات الشاعر لبنى دراستنا على أساسه ، والمرجعُ
أن نظامى قد نظم « مخزن الأسرار » أولاً ، ثم « خسرو وشيرين » ، ثم « ليل
ومجنون » ، ثم « هفت پيكر » ، ثم « الاسكندرنامه » .

فقد صرح هو بهذا الترتيب ، فى قوله : « انتهتُ نحو « مخزن الأسرار »
أولاً ، فلم أتباطأ فى ذلك العمل ، وأسلتُ منه الشهد ، ثم مزجته « بشيرين
وخسرو » ، وتَصَبَّتُ - بعد ذلك - الخيمة فى الفضاء ، وطرقت باب عشق
« ليل ومجنون » فلما انتهيت من هذه القصة ، أسرعت نحو « هفت پيكر » ،
والآن ، وعلى بساط الفصاحة ، أدقُّ طبول حظ « الاسكندر » ^(١) .

وهذا الترتيب هو الذى أثبتته النسخ الخطية الموجودة بين أيدينا ، واتفق
عليه أغلب الباحثين ^(٢) ، مما لا يدع مجالاً للشك فيه .

(١) سوى مخزن آوردم أول بسیج که سستی نکرد در آن کارهیج
وزو چرب وشیرینی انگیختم بشیرین وخسرو در آمیختم
وازا نجاسرا پرده بیرون زدم در عشق لیل ومجنون زدم
وزین قصه چون باز پرداختم سوى هفت پيكر فرس تاختم
کنون بر بساط صحن پروری زخم کوس اقبال اسکندری
(نظامی : شرفنامه ، ص ۷۸ - ۷۹)

(٢) ذکر باخر فى کتابه : حیاة نظامی وآثاره (بالألمانية) ، ص ۶ - ۷ . أن =

ونسكتفى بهذا التمهيد لندرس منظومات الشاعر حسب ترتيبها في النظم ،
فهيذا « بمخزن الأسرار » .

« اسكندرنامه » هي المنظومة الرابعة للشاعر ، وأن « هفت پيكر » هي الخامسة ،
واستشهد بأبيات وردت في آخر « شرفنامه » ، ص ٥٢٨ . ينصح الشاعر فيها ابنه
ويصرح بأنه قد بلغ السابعة عشرة من عمره فيقول :

وزين هفده خصل آوريدن بدست شده هفده ساله بدينسان كه هست
وقال باخر : إن ابن نظامي كان في الرابعة عشرة من عمره في أثناء نظم « ليلي
ومجنون » التي رجع أنها تمت في عام ٥٨٤ هـ ، مما يدل على أن « اسكندرنامه » تمت
في عام ٥٨٧ هـ .

وقد قلده في ذلك براون في كتابه تاريخ إيران الأدبي (بالانجليزية) ج ٢ .
ص ٤٠٠ . بينما بين دستگردى أن الأبيات ملحقه فذكرها في الحاشية ، لأنها غير
موجودة في النسخ القديمة .

وأغلب الظن أن تلك الأبيات التي نصح الشاعر فيها ابنه قد نظمت مستقلة
غير مرتبطة بمنظومة معينة ، فإن توجيه النصح من أب شاعر كنظامي لابنه لا يتقيد
بمنظومة بالذات ، وإنما يوجه من حين لآخر ، ويكرر في مختلف المناسبات ، ومن
الجاز أن الأبيات أضيفت إلى المنظومة ، فألحقها النساخ بها دون أن تكون جزءاً
منها . ومما يرجح ذلك ماورد في شعر الشاعر نفسه ، وفي « شرفنامه » نفسها ،
من أن المنظومة قدمت في عام ٥٩٧ هـ ، ثم تقديم « خردنامه وإقبالنامه » أي باقي
« اسكندرنامه » لعز الدين مسعود أنابك الموصل الذي بدأ حكمه في عام ٦٠٧ هـ .
هذا فضلاً عن إضافة الأبيات التي تصور أيام الشاعر الأخيرة إلى « اسكندرنامه »
مما يرجح أنها آخر منظومات الشاعر ؛ وأن « هفت پيكر » ليست آخر المنظومات
كما قرر باخر ، وقلده براون .

البَّائِبُ الْأَوَّلُ

منظومة مخزن الأسرار

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

دراسة حول منظومة مخزن الأسرار

نُظِمَتْ منظومة « مخزن الأسرار » في بحر السريع . وهي تقع في ٢٢٦٠ بيت من الشعر .

وهي أولى منظومات الشاعر^(١) ، وأرجح أنه أتمها في عام ٥٨١ هـ ، ثم قدمها لفسر الدين بهرامشاه بن داود ، حاكم أرزنجان .

وقد اختلف الباحثون في تاريخ إتمام هذه المنظومة اختلافاً يصل إلى ثلاثين عاماً ؛ فقرر ريو^(٢) أن إحدى النسخ الخطية تحتوي على بيتين ، ثبت نظامي فيها أنه أكل المنظومة في عام ٥٥٩ هـ ، فيقول : « إن الحقيقة بالحساب الدقيق هي أن المنظومة قد تمت في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ، تسعة وخمسين وخمسمائة عام مضت منذ الهجرة إلى وقتنا هذا^(٣) » .

(١) ليس معنى أن « مخزن الأسرار » أولى منظومات الشاعر أنه لم يكن ينظم شعراً قبلها ، فلا بد أن الشاعر كانت له محاولات شعرية كثيرة قبل أن يقدم على نظم منظومة مطولة أربت على ألفي بيت ؛ ولعل ديوانه الذي صرح بأنه قد جمعه في عام ٥٨٤ هـ ، هو ثمرة تلك المحاولات الشعرية التي قام بها في وقت شبابه ، لأن الملاحظ أن الشعراء العظام الذين أقدموا على نظم منظومات مطولة مثل الفردوسي ، وسنائي ، ونظامي وأمثالهم لم يشرعوا في مثل هذا العمل قبل سن الأربعين - غالباً - حينما يكون الشاعر قد تكامل ، فأتم تحصيل العلوم المختلفة واستكمل تجاربه في الحياة ، كما تكون ملكته الشعرية قد نضجت نضوجاً تاماً يؤهله للقيام بعمل كهذا .

Rieu: Cat. of Perian Mss. in the Brit. Mus. vol. 2. p. 565. (٢)

(٣) بود حقيقت بشمار درست بیست و چهارم ز ربیع نخست

از که هجرت تا این زمان بانصد وینجاه و نه افزون بر آن

(نقل ريو هذين البيتين عن مخطوطة Or. 1216, Fol. 31. بالمتحف البريطاني)

وهذا التاريخ لا يمكن أن يكون صحيحاً ، فقد كان الشاعر - في ذلك الوقت - في العشرين من عمره ، بينما صرح هو - في مخزن الأسرار - بأنه قد جاوز الأربعين . كما أن المعلومات التي تبدو في ثنايا المنظومة تجعلنا نستبعد إمكان تحصيل مثلها في سن العشرين .

ورجح باخر^(١) - وتابعه براون^(٢) - أن المنظومة قد اكملت في عام ٥٦١ هـ ، وأنها قدمت لايلدگز آتابك آذربيجان ، وأن الذي ذكره الشاعر ليس شخصاً آخر غير ايلدگز .

وهذا خطأ فاحش ، لأن الشاعر صرح بأن ممدوحه يحكم في آسيا الصغرى ، فقال : « نُظِمْتُ منظومتان^(٣) من أجل حاكين ، وقدمت كل منهما لحاكم اسم بهرامشاه ، استخرجت الأولى الذهب من منجم قديم ، بينما استخرجت الثانية الدر من بحر جديد ، وقد رفعت الأولى علم الفزنوى ، بينما مُهرت الثانية بخت الروى^(٤) » .

(١) Bacher: Nizamis Leben und Werke p. 16 .

(٢) Browne: A. Literary History of Persia, vol. II, p 400.

(٣) يقصد نظامى بقوله هذا منظومى « حديقة الحقائق » لسنائى التى قدمت للسلطان بهرامشاه بن مسعود الفزنوى ، ومنظومته « مخزن الأسرار » التى قدمها لبهرامشاه بن داود حاكم أرونجان .

(٤) نامه دو آمد ز دو ناموسگاد هردو مسجل بدو بهرامشاه

آن زرى از كان كهن ريخته وى درى از بحر نوانگيخته

آن بدر آورده ز غزفى علم وى زده برسكه روى رقم

(نظامى: مخزن الأسرار ، ص ٣٧)

وقد أخطأ باخر في ترجمة كلمة « نامه » فترجمها على أنها بمعنى « خطاب » وزعم أن نظامى رفض عرض أميرين أرسل كل منهما إليه خطاً ، وكلمة « نامه » هنا بمعنى « كتاب » أو « منظومة » وليست بمعنى خطاب كما توهم باخر .

فهذا يرجع أن نظامی قصد بمده بهرامشاه الرومی حاکم آرزنجان ، لا ایلدکز حاکم آذربيجان ؛ مما یُبین أن التاريخ الذى رجّحه باخر غير صحيح لأن الشاعر كان - فى عام ۵۶۱ هـ - فى الثانية والعشرين من عمره ، بينما ذكر باخر نفسه أن الشاعر كان فى سن الأربعين ، فى أثناء نظم « مخزن الأسرار »^(۱).

وقد ذكر باخر - أيضا - أن مخطوطة درسدن تثبت أن منظومة « مخزن الأسرار » قد تمت فى عام ۵۵۲ هـ ، وَرَدَّ هو هذا التاريخ ، وبديهى أنه غير صحيح فقد كان الشاعر - فى ذلك الوقت - فى الثالثة عشرة من عمره .

ونشر دستكردى - فى آخر مخزن الأسرار - أبحاثاً قرر أنها ملحقه ؛ ومى تشير إلى تاريخ إتمام هذه المنظومة حيث يقول الشاعر : « حَلَقَ طائر القلم بعيداً عن الكتاب ، ثم نشر جناحيه عليه ، وأحى رأسه ونثر الدر ، وختم « مخزن الأسرار » ، وكانت الحقيقة بالحساب الدقيق أن المنظومة تمت فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول .. وقد مضى اثنان وسبعون وخمسةائة عام ، منذ الهجرة إلى وقتنا هذا »^(۲).

وهذا التاريخ ليس دقيقاً - فى أغلب الظن - لأنه لا يتلاءم مع إشارة الشاعر إلى أنه قد جاوز الأربعين .

كما أن هناك نسخة خطية تثبت أن المنظومة تمت فى عام ۵۸۲ هـ ، حيث

(۱) Bacher : Nizamis Leben und Werke, p. 12 - 13 .

(۲) مرغ قلم نامه پرواز کرد بر سر قرطاس دو پر باز کرد
بای ز سر کرد وز لب درفشاند مخزن اسرار پشایان رساند
بود حقیقت بشمار درست بیست و چهارم ز ربيع نخست
از که هجرت تا این زمان پانصد و هفتاد و دو فزون بر آن

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۸۵)

يقول الشاعر: «قد مضى اثنان وثمانون وخمسمائة عام منذ الهجرة إلى وقتنا هذا»^(١).
وقد رجح ريو أن منظومة «مخزن الأسرار» لم تتم قبل عام ٥٧٥ هـ
بكثر؛ بينما رجح دستكردي^(٢) أنها تمت في عام ٥٧٢ هـ؛ ومال برتلس^(٣)
إلى أنها تمت في الفترة ما بين ٥٧٢ و ٥٧٥ هـ.
وهذه التواريخ كلها ليست دقيقة، لأن الشاعر صرح بما يفيد أن المنظومة
تمت في عام ٥٨١ هـ، فقال إنه قد مضى سبعون وخمسمائة عام منذ وفاة
الرسول^(٤).

ومحتمل أن الرسول قد توفي في عام ١١ هـ، مما يرجح أن المنظومة تمت
في عام ٥٨١ هـ، وأن هذا التاريخ هو أقرب التواريخ إلى الصحة.
ويبدو أن الذي أوقع الباحثين في هذا الاضطراب هو أنهم اعتمدوا على
البيت^(٥) الذي يُنسب تاريخ إتمام المنظومات، دون مراعاة القرائن الأخرى،
كإشارة الشاعر إلى سنة في أثناء نظمها، أو المدة التي مضت على وفاة الرسول
صل الله عليه وسلم.

(١) أز كه هجرت تا این زمان پانصد و هشتاد و دوفزون برآن
(Rieu: Cat. of Persian Mss. in the Brit. Mus. vol. 2. p. 566.)

(٢) دستكردي: مقدمة كنجينة كنجوى، ص ٤٤.

(٣) برتلس: نظامي شاعر آذربيجان العظيم، ص ٣٩.

(٤) پانصد و هشتاد بس أيام خواب روز بلندست بمجلس شتاب
(نظامي: مخزن الأسرار، ص ٢٧. وقد سبق ذكر هذا البيت وترجمته)

(٥) لعل السبب في اختلاف روايات هذا البيت هو عدم وجود فرق من ناحية
الوزن الشعري بين خمسين «نجاه» وسبعين «هفتاد» وثمانين «هشتاد» كما
لا يوجد فرق بين اثنين «دو» وواحد «يك» وتسعة «نه» فلو وضعت كلمة
مكان الأخرى لإباحت تفسير في الوزن، ولعل رواية البيت إن كان من نظم
الشاعر هي:

از كه هجرت تا این زمان پانصد و هشتاد و يك فزون برآن

وقد قدم الشاعر منظومته إلى حاکم آرزنجان وأسرف في مدحه كما مر ، ثم بين أن عمله جديد مبتکر ، وليس تقليداً ، حتى يقدره الحاکم حق قدره .

ويبدو أن الشاعر كان ممجياً بعمله ؛ ولذلك نجده يقدم منظومته وهو واثق من أنها ستقبل وتقدر ، فيقول مخاطباً الحاکم : « إني أضع على مائدتك هذا الطعام الشهى من الشعر ، قبل أن تمسه يد شخص آخر ، فإذا وجدته لذيقاً كلّ هنئاً ، وإلا . . فليمع الله طعمه من فك (۱) » .

كما يبدو أن المنظومة قد حازت إعجاب بهرامشاه ، فأثاب الشاعر بسبعة فقدره أنه أرسل إليه جائزة مميّنة هي عبارة عن خمسة آلاف دينار ، وخمسة أحصنة مسرجة ، وثوباً من الوبر ، وخمسة بقال ، وملابس فاخرة مرصعة بالجواهر ، على يد رسول لائق (۲) .

والكن الشاعر لم يشر إلى شيء من هذا في « مخزن الأسرار » ، أو في منظوماته الأخرى .

ومما يمكن من شيء ؛ فإننا لا نستطيع أن نحمكم على منظومة « مخزن الأسرار » وقدرها حق قدرها ، ونذكركم ببلغ صدق الشاعر ، قبل أن ندرسها دراسة مقارنة ، فنكتفي بهذه الدراسة حول المنظومة ، لنأخذ في دراسة المنظومة نفسها .

(۱) خوان ترا این دو نواله سخن دست نکردست برو دست کن
 کر نمکش هست بخور نوش باد ورنه زیاد تو فراموش باد
 (نظامی مخزن الأسرار ، ص ۳۷)
 (۲) ابن الیعی : مختصر سلجوق نامه ، ص ۲۱-۲۲ .

الفصل الثاني

مخبرات مخزن الأسرار

تشتمل منظومة « مخزن الأسرار » على مقدمة طويلة تستغرق أكثر من ثلث الكتاب - تحدثت نظائرها فيها عن موضوعات مختلفة - تتلوا عشرون مقالة تعالج جميعها المسائل الأخلاقية ، وتعتبر كل مقالة أساساً لفصل تتلوا مؤكداً الفرض الذي تهدف إليه المقالة في شيء من الشرح والتوضيح .

أما المقدمة ؛ فقد تحدث الشاعر فيها عن حمد الله ، والثناء عليه ، وابتدأ منظومته باسم الله ، فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، مفتاح باب كنز الحكيم ، فاسم الله فاتحة الفكرة وخاتمة القول ، فليكن به البدء والختام ، فالله موجود قبل جميع الكائنات ، وهو أكثر بقا ، من جميع الخالدين ^(١) » .

ثم صور قدرة الله ، وبين أن جميع المخلوقات مدينة بوجودها لفضل الله وعظمته ؛ وخطبه بقوله : « يا من خَلَقْتَ جميع الكائنات بفضل قدرتك ، وقوى الإنسان الضعيف بقوتك ^(٢) » .

وأخذ يتوسل إليه طالباً العفو والمغفرة ، فقال : « اصفع عن الذنب فإننا

-
- (١) بسم الله الرحمن الرحيم هست كليلد در كنج حكيم
فأعنه فكركت وختم سخن نام خدايست بر او ختم كن
بيش وجود همه آيندگان بيش بقاي همه يابندگان
(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٢)

- (٢) اي همه هستي ز تو پيداشده خاك ضعيف از تو توانا شده
(الرجع السابق ، ص ٧)

معتزون بالتقصير ، وهَيَّيْ لنا طريق التوبة فنحن ملتجئون ببابك ^(١) .
وانتقل الشاعر إلى مدح الرسول ، فخطابه بقوله : « كُنْتُ نَبِيًّا حِينَمَا بَدَأَ
الْخَلْقَ الْأَوَّلَ ^(٢) ، ثُمَّ خُتِمَتِ النَّبِيُّوَةُ بِكَ ^(٣) » .
ثم ذكر معراج الرسول ^(٤) ، وأطنب في مدحه في أربعة نموت ^(٥) ، انتقل
بعدها إلى مدح بهرامشاه ^(٦) ، وبيان فضل كتابة ^(٧) ، وأتبع ذلك بالحديث عن
فضل الكلام ، وترجيح الشعر على النثر ^(٨) ، وختم المقدمة بالحديث عن حالات
المراقبة تحت رعاية القلب ، في خلوتين كانت لهما ثمراتهما ^(٩) .
ثم تأتي بعد ذلك عشرون مقالة ، ترمي جميعها إلى هدف واحد تقريباً ،
هو تمجيد العدل ، ودم الظلم ، والقدوة إلى أن يسود الإنصاف والوفاء بين الناس
في دنيا فانية خداعة ، سوف تمضي سريعاً ، ولا يبقى للإنسان إلا ما قدمت يداها ،
مِمَّا سَنَقْبَلُهُ بِمَدِّ عَرْضِ الْمَقَالَاتِ الْعَشْرِينَ وَقَصَصِهَا ، فَلْنَعْرِضْهَا فِي شَيْءٍ
من الاختصار .

* * *

- (١) درگذر از جرم که خوانده ایم چاره ما کن که پناهنده ایم
- (نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١١)
- (٢) يشير الشاعر إلى الحديث القائل « كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ » .
- (٣) كُنْتُ نَبِيًّا چو علم پیش برد ختم نبوت بمحمد سپرد
- (الرجع السابق ، ص ١٢)
- (٤) للرجع السابق ، ص ١٤-٢٠
- (٥) للرجع السابق ، ص ٢١-٣٢
- (٦) للرجع السابق ، ص ٣٢-٣٦ . وقد سبق ذكر صورته .
- (٧) للرجع السابق ، ص ٣٦-٣٩ . وقد سبقت الإشارة إليه .
- (٨) للرجع السابق ، ص ٣٩-٤٦ .
- (٩) للرجع السابق ، ص ٤٦-٧٠ . وقد سبقت الإشارة إليهما .

۱ - المقالة الأولى

في خلق آدم

خصص نظامي المقالة الأولى للحديث عن خلق آدم ، فقال إنه لم يكن هناك إنسان قبله - يعبد الله ، ويسبح بحمده ^(١) ؛ فهو أبو البشر ، وأول مَنْ فُتِحَ باب الوجود ، وأسبق البشر إلى تعمير الأرض ، بينما كان الجن يسكنونها قبله ^(٢) .

ثم بين أن آدم خَلِقَ ليكون خليفة في الأرض ، وأنه قد عصى ربه في الجنة ، ثم تاب ، وهبط منها إلى الأرض ليعمرها ^(٣) .

وأخذ الشاعر يمددُ مزايا آدم مستشهداً بالآية الكريمة « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » ^(٤) ، وبالحديث القدسي « خُمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً » ^(٥) .

واتخذ ذلك وسيلة للحديث عن صفات الإنسان ، فقال : « إنه كدر نسبة للجسم المخلوق من الطين ، ونقى بفضل الروح الطاهرة ، ومَحَكٌ لأنه موضع

(١) أول كائن عشق برسقى نبود در عدم آوازه هسقى نبود

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٧١)

(٢) مقبلي أزرکنم عدم ساز کرد سوی وجود آمده ودر باز کرد

باز پسین طفل پری زادگان پیشترین بشری زادگان

(المرجع السابق ، ص ٧١)

ولعل الشاعر يشير بذلك إلى الآية الكريمة « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » سورة الحجر ، آية ٢٧ .

(٣) آن بخلافت علم آراسته چون علم اقتاده وبرخاسته

(نفس المرجع والصفحة)

(٤) سورة البقرة ، آية ٣١ .

(٥) علم آدم صفت پاک أو خمر طینه شرف خاک او

(نظامي : مخزن الأسرار ص ٧١)

الابتلاء بالثواب وللعقاب ، وَذَهَبَ لَأَن الله أَحْسَنُ تصويره ، وصراف لَأَنه يُمَيِّزُ بين الخير والشر ^(١) .

ثم شرح الشاعر كيف عصى آدم ربه فعوى ؛ فقد أسره ربه ألا يقرب هو وزوجته شجرة معينة ، ولسكنهما أكلًا منها ، فهبطا من الجنة إلى الأرض ليعمرها ، وقد أجل ذلك في قوله : « لَمَّا أُغْرِمَ آدَمُ بِشَرِّ الشَّجَرَةِ ، تَرَكَ الْجَنَّةَ وَسَكَنَ هَذِهِ الْأَرْضَ ، فَبَذَرَ فِيهَا بَذْرَ الْوَفَاءِ ، وَنَشَرَ الْعَدْلَ ، نَمَّ أَوْرَثْنَا إِيَّاهَا » ^(٢) .

وختم نظامي هذه المقالة بدعوة الإنسان إلى ترك الظالم ، والتوكل على الله ، وفعل الخير دائماً ، وترك المعاصي ، واتباع أوامر الله ، فقال : « نَحْرُ أَوَامِرِ اللَّهِ ، وَاعْمَلْ بِهَا ، وَاعْتَرَفْ بِخَطْئِكَ » ^(٣) .

ثم أورد « قصة ملك يائس ظفر بالمغفرة » ... وهي أن ملكاً عادلاً رأى آخر ظالماً - في الحلم - فسأله عما فعل الله به - بعد موته - نتيجة لما اقترفه من جور واستبداد ، فأجاب الظالم بأنه لم يجد - بعد وفاته - من يعتمد عليه من الكائنات ، ايتوسط له عند ربه ، أو يهديه سواء السبيل ، « فَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ شَفِيعَةً - فِي قَلْبِ أَحَدٍ نَحْوِهِ ، وَلَمْ يَوْجَدْ شَخْصٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ - يُحْسِنَ الظَّنَّ بِهِ » ^(٤) فارتش

(١) آن بگهر هم کدر و هم صبی هم محک و هم زر و هم صیرفی

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٧١)

(٢) جون زبی دانه هوسناک شد مقطع این مزرعه خاک شد

.....

نغم وفادر زمی عدل کشت وقتی این مزرعه برمانوشت

(الرجع السابق ، ص ٧٤)

(٣) نیکی او بین و بران کارکن بر بدی خویشتن إقرار کن

(الرجع السابق ، ص ٧٦)

(٤) در دل کس شفق از من نبود هیچکسی را بکرم ظن نبود

(نفس الرجع والمفحة)

کالصفصاف ، و خجل ، واستولى اليأس على قلبه ، ونقض يده من الاعتماد على الناس ، وتوكل على الله ، وخطبه بقوله : « أنا المسكين الذى أصبحت خجلاً منك ، فاصفح عني ، واغفر ذنبي ، رغم أني لم أنبع أوامرك . . . لا تُردني عن بابك كما ردّني الجميع ، فإما أن ترحمني ، وتتصرف في أمري تصرفاً يخالف تصرف الناس ، وإما أن تؤدّبني فتلقني في النار » ^(۱) . ثم قال الظالم : « فلما رأى الله خجلي وندمي ، ساعدني ؛ وصادف دعائي فيض كرمه ، فغفر ذنبي ، وأقذني » ^(۲) . وقد علّق الشاعر على ذلك بقوله إن كل كلمة تنبث عن الشعور بالندم ، والرغبة في التوبة ، يتقبلها الله ، ويُنقذ صاحبها يوم القيامة .

ثم دعا إلى ترك الظلم ، وأورد ماقاله الظالم نفسه ، بأن من يفعل مثقال ذرة شراً يره يوم الحساب ، وأنه اختار هذا المسلك طيلة حياته ، فلم يورثه إلا امتلاء ميزانه بالسيئات ، فيجب أن يقلع الإنسان من الظلم لأنه ضئيف ، وحتى بنفس واحد ، ونصح الإنسان بفعل الخير دائماً ، وبين له ثمرة ذلك في قوله : « قدم كل مائلك في هذه الدنيا ، وانزع الطمع من نفسك ، وافعل الخير ما استطعت ، حتى تصير خالياً من الذنوب ، في يوم القيامة الذي هو أم الأيام » ^(۳) .

(۱) کی من مسکین بتودر شرمسار از خجلان در گذر و در گذار

گرچه ز فرمان تو بگذشته ام رد مکم کز همه ردگشته ام

یا ادب من بشراری بکن یا بخلاف همه کاری بکن

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۷۷)

(۲) چون خجل دید زیاری رسان باری من کرد کسی بیکسان

فیض کرم را سختم در گرفت بار من افکند و مرا برگرفت

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) هرچه در این پرده ستانی بده خود مستان تابتوانی بده

تا بود آروز که باشد بهی گردنت آزاد و دهانت تهی

(نفس المرجع والصفحة)

وختم نصحه قائلا : « لا يكن مال اليتيم في رقبك ، ولا تحمل وزر المعجزة ،
واترك هذه الدنيا القانية للوثة ، وخذ زاد طريقك كالغراب ، أو اعزل الصالح ،
كنظامي ^(۱) » .

وهكذا ختم الشاعر المقالة والقصة بترديد الدعوة إلى ترك الظلم ، واتباع
العدل ، والنزود من الدنيا بالعمل الصالح ، الذي يفيد يوم القيامة .

* * *

۲ - المقالة الثانية

في العدل ورعاية الإنصاف

خاطب الشاعر - في أول المقالة الثانية - الإنسان بأنه أفضل مخلوقات الله ،
وأكرمها ، لأن كل مافي الوجود مُسَخَّرٌ له ، فقال : « إن الشمس التي تتقد ناراً ،
تُسَرُّ حينما تبصر وجهك ، وإن القمر إذا دَقَّ فصار هلالاً كشمرك ، يبتسم إذا
رأى طلعك ^(۲) » .

ونصح الإنسان بالتفاؤل ، قائلا : « انظر إلى العالم بقول لأنك لست ضعیفًا ،
ولا تحمل همًا ، لأنك لست عبداً للعالم ، وكن متواضعا مع الجميع ، ولا تعتمد
على أحد ^(۳) » .

(۱) وام یتیمان نبود دامت
بارکش پیره زنان گردنت
باز هل این فرش کهن بوده را
طرح کن این دامن آلوده را
یاچو غریبان بی ره توشه گیر
یاچو نظمی ز جهان گوشه گیر

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۷۸)

(۲) سینه خورشید که پر آتشست
روی تو می بیند از آن دلخوشست
مهمه که شود کاسته چون موی تو
خنده زند چون نسگرد روی تو

(المرجع السابق ، ص ۷۹)

(۳) عالم خوش خور که زکس کم نه
غصه مخور بنده عالم نه
با همه چون خاک زمین پست باش
وز همه چون باد تمی دست باش
(نفس المرجع والصفحة)

ثم تحسر الشاعر على بُعْدِ الناس عن دينهم ، فقال : « أين الدين ١؟ .. أين الديانة ١؟ . أين نحن وأين الأمانة ١؟... »^(١) .

ودعا إلى العدل والإحسان ، لأن الحسنه تضاعف بعشر أمثالها : « إن الله الذي يهبك زاد الطريق ، يتقبل منك الحسنه الواحدة ، ويعطيك عشرة »^(٢) .
ثم انتقل إلى الدعوة إلى ترك الظلم فقال : « إن الملك لا يوجد بالظلم ، وإنما يمكن أن يوجد بالعدل والإنصاف »^(٣) .

وخاطب الإنسان بقوله : « إن المملوكه تخلد بعدلك ، وإن الأمور تستقر بإنصافك »^(٤) .

ثم أورد « قصة نوشيروان مع وزيره » وهي أن الملك نوشيروان خرج للصيد ومعه وزيره وحاشيته ولسكنه ضل الطريق ، وابتعد عن حاشيته ، ولم يبق معه إلا وزيره .

ثم أبصر طائر ين - من البوم - يتحدثان ، فسأل الملك وزيره عما يقوله كل طائر للآخر ، فأجاب الوزير بأن حديثهما يدور حول مصاهرة ، توشتك أن تتم بينهما ، فطائر منهما يريد أن يتزوج ابنة الطائر الآخر ، الذي يطلب منه المهر قرية خربة ، فيجيبه الأول بأنه مادام الملك في هذه الصورة فإنه يستطيع أن يقدم له ألف قرية خربة .

(١) کو خبر دین و دیانت کجاست ما بکجائیم و امانت کجاست ١؟ ..

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٧٩)

(٢) آنکه ترا تو شه ره میدهد از توییکی خواهد و ده میدهد

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) رسم ستم نیست جهان یافتن ملک بإنصاف توان یافتن

(المرجع السابق ، ص ٨١)

(٤) مملکت از عدل توهود پایدار کارتو از عدل تو گیرد قرار

(نفس المرجع والصفحة)

ثم يصور تأثر أنوشيروان في قوله . « لقد عض - من الظلم - إصبع الندم ، وقال : انظر كيف وصلت أنباء الظلم إلى الطيور ، انظر كيف أحللت - بظلمي - اليوم محل الآدميين ؛ ويلي من غافل يحب لدنيا ۱۹ .. يكفى هذا القدر الذي اقترفته يداى كم أخذت أموال الآخرين بالقوة ، غافلا عن الموت ووحدة القبر !... إلى متى أمد يدي بالظلم ۱۹ .. انظر كيف أظلم نفسي !... إن الله قد أعطاني الملك حتى لا أفعل مالا يحسن عمله .. لقد غطى الله رأسي بالذهب ، ولكنى أفعل الأشياء التي لم يأمر بها ، فلماذا أشوه اسمي بالظلم ؟! .. أظلم ... ويلي !... إننى لأظلم إلا نفسي ^(۱) . »

وقد تحول نوشيروان منذ تلك اللحظة من ظالم إلى عادل : « فلم يكذب يصل إلى معسكره حتى عم عدله أنحاء المملكة ^(۲) »

* * *

(۱) زين ستم انگشت بدنجان گزید
جور نگر کز جهت خاکیان
ای من غافل شده دنیا پرست
مال کسان چند ستانم بزور
تاکی وکی دست درازی کنم
ملک بدان داد مرا کردگار
من که مسم را بزرا ندوده اند
نام خود از ظلم چرا بدکنم

گفت ستم بین که بهرغان رسید
جغد نشانم بدل ماکیان
بس که زخم بر سر این کار دست
غافل از مردن و فردای گور
بسر خود بین که چه بازی کنم
تا نکنم آنچه نیاید بکار
میکنم آنها را که قمروده اند
ظلم کنم وای که برخود کنم

(مخزن الأسرار ، ص ۸۳)

(۲) چونکه بلشکرگه وراثت رسید
بوی نوازش بولایت رسید
(الرجع السابق ، ص ۸۴)

۳ - المقالة الثالثة

في حوادث العالم

يتحدث نظامي - في المقالة الثالثة - عن الدنيا ، فيقول : « إن الدنيا لم تغفر ، رغم أنه قد مضت سنون كثيرة من عمرها ، فما زالت الأرض هي الخضم القوي ، وما زال الفلك ظالماً قاطعاً للرقاب ^(١) » .

ويعصور غدر الدنيا فيقول : « من يمتنى صداقة الدنيا !؟ .. لِمَنْ أوفت حتى تفي لنا !؟ ... لقد صار تراباً كل من عاش على التراب ، فكيف يدرك الإنسان ، ما تحبسه الدنيا !؟ .. ^(٢) » .

ثم يقرر أن الإنسان لا يسلم من حوادث الزمان ؛ فيقول : « ليس الإنسان خالياً من هموم الحوادث ، وليس آمناً منها في البركان أم في البحر ^(٣) » .

وهو - لذلك - يدعو الإنسان إلى ترك الغفلة بعد أن وصل إلى مرتبة البلوغ والتأمل ، فيقول : « الغفلة جميلة قبل مرتبة التأمل ، فما أجمل الغفلة في ذلك الوقت ! ... أما إذا بلغ نظر العقل غايته ، فإن دولة السرور تنتهي ، وتصبح الغفلة ضرباً من الجنون ، وليست من الحكمة في شيء ^(٤) » .

(١) سال جهان گرچه بسی درگذشت از سرمویش سرموئی نگشت

خاك همان خصم قوی گردنست چرخ همان ظالم كردن زنست

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ۸۵)

(٢) صحبت گیتی که نمنا کند با که وفا کرد که باما کند

خاك شد آن كس که برخاك زیست خاك چه داند که درین خاك چیست

(المرجع السابق ، ص ۸۶)

(٣) آدمی از حادثه بی غم نیند بر تر و برخشك مسلم نیند

(المرجع السابق ، ص ۸۷)

(٤) پیشتر از مرتبه عاقلی غفلت خوش بود خوشا غافل =

نم يدعو إلى الوفاء ، فيقول : « ما أساس الأدب ؟ بذر الوفاء . . . وما حق الوفاء ؟ رعايته . . . إن الزارع الذي يتعهد هذه البذرة ، سوف يأكل من ثمرها يوماً ما ^(١) » .

ويتبع المقالة بقصة « سليمان والفلاح » وهي أن سليمان توجه مرة إلى الصحراء ، فوجد فلاحاً قد بذر الحب في رقعة من تلك الصحراء الفسيحة ، فنبتت من كل حبة سنبلة .

وقد تأثر سليمان لرؤية الفلاح ، فلم تكن لديه آلات لحرث الصحراء ، أو ماء لسقي الأرض حتى تنبت النبات ، فنصحته ألا يتمب نفسه في الزراعة وهو غير مستعد لها ، فلن يستطيع أن يحصد شيئاً من تلك المزرعة المحرقة .

وقد أجاب الزارع الفقير بأنه فارغ القلب مما يتعلق بهذه الأرض ، فهو لا يفكر في أمر الماء ، وما عليه إلا أن يبذر الحب ، وعلى الله الإنبات ، وقال إنه يأكل من عرق جبينه قائماً بما قسم الله له ، وفتر ذلك بقوله : « إنني لأحمل هم ملك أو ولاية ، وتكفيني هذه السنابل مادمت حياً ، وهذا هو الذي يُبَشِّرُنِي بأن الله سوف يعطيني عن كل حبة سبعائة حبة » ^(٢) .

ثم قال : « إن مرتبة الإنسان في الدنيا على حسب قدره فيها ، فيجب على

== جون نظر عقل بغايت رسيد دولت شادی بنهايت رسيد
غافل بودن نه زفر زانگيست غافل از جمله ديو انگيست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٨٧)

(١) تخم ادب چيست ؟ وفا کاشتن حق وفا چيست ؟ نگه داشتن
برزرگر آن دانه که می پرورد آيد روزی که آزو برخورد

(الرجع السابق ، ص ٨٨)

(٢) نيست غم ملك وولايت مرا تا منم اين داه كفايت مرا
آنكه بشاوت بخودم ميدهد دانه يكي هفتصدم ميدهد

(الرجع السابق ، ص ٩٠)

المشتغل بالأمور أن يكون صبوراً ، فلا يضجر سريعاً ^(۱) .
 وختم الشاعر بقوله عن نفسه : « لا أطمع في العظمة قبل الوصول إلى مرتبة
 النضج ، ولذلك فإنَّ تحمُّلَ المشاق قد أصبح من عادات نظامي ^(۲) » .

* * *

٤ - المفارقة الرابعة

في رعاية الرعية

يذم الشاعر - في أول القالة الرابعة - الإنسان الذي يتجرّد عن المروءة ،
 ويفترّ بملك لابني لأحد ، وبعمر يقف ، وبشير إلى مافعله رابعة العدوية ، فقد
 قصت ذوابيتها ، ومزّقت ثيابها لتصنع حبلاً تستعين به في إخراج قدر من الماء
 من بئر ، لتسقى كلباً عطشاً ، ويدعو الشاعر مثل هذا الإنسان إلى الخجل من
 مثل هذه المرأة ، لأنه أقل منها مروءة وشهامة ، وينصحه قائلاً : « لا بد للعقل
 من الفضل ، وليس هناك أفضل من العدل ^(۳) » .

ثم يقول تبعاً لذلك : « لا يجب أن يظهر الإنسان إلا الجوهر الطيب ، فإنه
 المعدن الذي يمكن أن يستفيد منه لأن الظلم غير مأمون المواقب ، فالظالم يريق
 ماء وجهه ، ودماء الآخرين ^(۴) » .

(۱) هست در این دایره لاجورد مرتبه مرد بمقدار مرد

دولتی باید صاحب درنگ کز قدری ناز نیاید بشنگ

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۹۰)

(۲) ناز نگویم که زخامی بود نازکشی کار نظامی بود

(المرجع السابق ، ص ۹۱)

(۳) کردن عقل از هنر آزاد نیست هیچ هنر خو بتر آزاد نیست

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) جز کهر نیسک نباید نمود سود توان کرد بدن مایه سود

نیست مبارک ستم انگیزتن آب خود وخون کسان ریختن

(المرجع السابق ، ص ۹۲)

و یکرّر النصّ بالتزام العدل ، فبقول : « اَعْدِلْ وَاخْذَرْ قِيَامَ النَّاسِ فِي نَصْفِ اللَّيْلِ لِلنِّظَامِ ، وَلَا تَحْتَقِرْ قِيَامَهُمْ ، لِأَنَّهُ آثَارُهُ ، إِذَا أَصَابَ دَعَاؤُهُمُ الْمَدْفُ (۱) » .

وهو لذلك يخاطب قائلا : « أَبْعِدْ سَهْمَ الظُّلَمِ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، حَتَّى لَا تَنْصِيبَكَ سَهَامُ دَعَائِهِمْ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ؛ فَإِنَّ الْمَدْلَ أَسَاسَ الْمَلِكِ ، وَالتَّعْلُقَ بِالدُّنْيَا هُوَ سَبَبُ الظُّلَمِ ، فَكُلُّ مَنْ يَمْدُلُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يُعَمِّرُ آخِرَتَهُ (۲) » .

ثم يورد « قصة المعجوز والسلطان سنجر » وهي أن عجوزاً شكت إلى السلطان سنجر ظلم رجاله ، وأخذت تُبَيِّنُ لَهُ عَاقِبَةَ ظُلْمِهِ ، فَقَدْ أَدَّى إِلَى خَرَابِ الْمَمْلَكَةِ وَتَحْطِيمِهَا .

ثم خاطبته قائلة : « يَا عَبْدَ عَبْدِ وَتَدْعِي الْمَلِكَ ، لَسْتَ مَلِكاً لِأَنَّكَ تُخَرَّبُ ، إِنَّ الْمَلِكَ هُوَ الَّذِي يُنْظِمُ الدَّوْلَةَ ، وَيَرْعَى الرِّعْيَةَ ، حَتَّى يَطْلُعَ الْجَمِيعُ أَمْرَهُ ، وَيَضْمَعُوا حَبِيهَ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَفْئِدَتِهِمْ (۳) » .

(۱) دادکن از همت مردم پتوس نیمشب از تیر تظلم پتوس
 همت از آنجا که نظرها کند خوار مدارش که اثرها کند
 (نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۹۲)

(۲) تیغ ستم دورکن از راهشان تاغوری تیر سحرگاهشان
 دادگری شرط جهاندارست شرط جهان بین که ستمکارست
 هرکه درین خانه شبی دادکرد خانه فردای خود آباد کرد
 (نفس المرجع والصفحة)

(۳) بنده ودعوی شاهی کنی شاه نه چونکه نباهی کنی
 شاه که ترتیب ولایت کند حکم رعیت برعایت کند
 تا همه سر بر خط فرمان کنند دوستیش در دل و جان نهند
 (المرجع السابق ، ص ۹۴)

وهي - لذلك - تنصحه بقولها : « ارفع يدك عن ظلم الفقراء حتى لا تهيبك
سهام دعايهم ^(١) » .

ثم تقول له : « اعلم أنك ملك ، بأن تغليب عن الظلم ، وتأسو جراح
المصابين ^(٢) » .

وهكذا يحتم الشاعر المقالة والقصة مُردداً نفس النيات التي تدعو إلى مراعاة
العدل ولوفاة ، وتجنب الظلم ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا .

* * *

٥ - المقالة الخامسة

في وصف الهرم

يتحدث نظامي - في المقالة الخامسة - عن الهرم ، فيظهر الحزن على
نغماته ، حينما يقرر أن الشباب قد تولى بأيامه الجليّة ؛ فيقول : « الشباب حلوا
رغم أنه كالنار المشبوبة ، أما الهرم فمر مذاق ^(٣) » .

ثم يقول : « إن عهد الشباب قد انتهى فلا تنم ، وقد جاء الليل . . . وهذا
هو السحر ، فلا تنم ^(٤) » .

ويُتبع ذلك بالحث على العمل قائلاً : « كل القرب ولا تأكل خبز البخلاء ،

(١) دست بدار از سر بیچارگان تا نفوری یاسج غمخوارگان

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٩٤)

(٢) شاه بدانی که جفا کم کنی کر دیگران ریش توهرم کنی

(الرجع السابق ، ص ٩٦)

(٣) گرچه جوانی همه خود آتشست پیری تلخست وجوانی خوشست

(الرجع السابق ، ص ٩٨)

(٤) عهد جوانی بسر آمد مخپ شب شد واینگ سحر آمد مخپ

(نفس الرجع والصفحة)

لست ذليلاً ، فلا تتحمل ثمانية الأذلاء ^(١) .

ثم يورد « قصة صانع آجر مُسِينٌ » وهى أن شيخاً كان يعيش فى الشام ، ويكسب قوته من صناعة الآجر ، وكان الناس يستعملون آجره فى بناء لحودهم ، مُتَّبِعِينَ به ، ومعتقدين أن ذنوبهم سوف تغفر ، مهما كانت هذه الذنوب كثيرة .

وذات يوم جاءه شاب ، وأخذ يفتقد عمله ، ويقول له إن صناعة الآجر مذلة ، وينصحه بترك هذا العمل ، لأن رزقه سيصل إليه بدونه ، فضلاً عن أنه شيخ كبير ، فيجب أن يترك هذا العمل للشباب .

وقد أجابه الشيخ راجعاً إليه أن يترك الفضول والجرأة ، ثم قال له : « إننى أأخذ هذه الحرفة ، حتى لا أمد يدى - أمامك - لسؤال بوما ^(٢) . »

ونصحه بالإقلاع عن الاتقاد ، فتأثر الشاب اللأم من كلام الشيخ ، وانصرف باكياً من فرط التأثر .

ثم دعا الشاعر نفسه إلى ترك الدنيا والعمل للآخر فقال : « يا نظامى ! إلى متى تطرق باب الدنيا ؟! . . . استيقظ ، واطرق - إذا طرقت - باب الدين ^(٣) . »

* * *

(١) خاك خورونان بخيلان مخور خاك نه زخم ذيلان مخور

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٠٠)

(٢) دست بدین پدشه کشیدم که هست تا نکشم پیش تو بکروز دست

(للرجع السابق ، ص ١٠١)

(٣) چند نظامی در دینی زنی خیز و در دین زن اگر میزنی

(نفس الرجع والصفحة)

٦ - المقالة السادسة

في الاعتبار بالموجودات

ينظر الشاعر - في المقالة السادسة - إلى السكون نظرة فيها تأمل واعتبار ، ويقرر أن كل مافي السموات والأرض قد سُخِّرَ لخدمة الإنسان ، فهو أكرم المخلوقات عند الله ، وهو الموجود الذي لا يستغنى العالم عنه ، ولذلك فهو يحاط به بقوله : « ليس للعالم ساكن مثلك ، إن طيور الأرض ترزق بالحلب من أجلك ^(١) » . وينصحه باتباع القلب حتى يرتفع شأنه ، فيقول : « اتبع القلب حتى تصير ساطعاً ، فتسيطر على العقل والعقل والروح ^(٢) » .

ويدعوه إلى تحمل العناء متعبداً حتى يصل إلى بر السلامة ، فيقول : « تحمل العناء في الليل البهيم ، فكلما كثرت التعب زادت العناية الإلهية ، فإن كل من وصل - من أهل الوفاء - إلى منزلة ، قد وصل إليها عن طريق العناء ، لأن نزول البلاء عافية للأنبياء ، فالبلاء هو الذي يجلب لك العافية ^(٣) » .

ثم يورد قصة « كلب وصياد وتغلب » وهي أنه كان يوجد صياد حاد البصر ، خبير بمسالك الصحراء ، وكان له كلب قوى ، سريع العدو ، يماونه في الصيد ، ويلازمه في السفر ، وقد أفاد منه كثيراً ، فأحبه حباً شديداً ، وكان الكلب

(١) نیست جهانرا چوتو همخانه مرغ زمینرا زتو به دانه

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٠٢)

(٢) بده دل باش که سلطان شوی خواجه عقل و ملک جان شوی

(المرجع السابق ، ص ١٠٣)

(٣) بار عناکش بشب قیرگون هرچه عنایش عنایت فزون

ز أهل وفا هرکه بجائی رسید بیشتر از راه عنائی رسید

نزل بلا عافیت انبیاست وآتیه ترا عافیت آید بلاست

(المرجع السابق ، ص ١٠٤)

مخلصاً في خدمة سيده ، فكان يحرسه إذا نام ، ويساعده على كسب قوته في أثناء النهار .

وذات يوم ضاع الكلب ، فحزن الصياد على فقدته حزناً شديداً ، ثم استعان بالصبر ، فصبر صبراً جليلاً ، ولكن ثعلباً جاءه ساخراً وقال له : كيف تصبر ؟! . لقد كان كلبك يُعتَبَر كل شيء بالنسبة إليك ، خيانتك متوقفة على وجوده . ثم نهكهم عليه قائلاً : إن عندك من صيده ما يكفيك شهرين ، فقم وكل فقد استرحت من دهن أعضائنا ، فلن تأكل ثعلباً سميناً بعد الآن ، فلم يحزن ؟! .. فأجابه الصياد بقوله : إن الليالي حبابي بالأحداث ، وإن الهم والسرور لا يخلدان في هذه الدنيا ، وإن العز والقل ، والأجمل والأفلاك ، والراحة والهناء ، تدور جميعها في مجلة واحدة . إن قلبي سعيد بهذا الهم ، لأن مجيء الهم دليل على أن في إثره سروراً ، لأن بعد العسر يسراً ، حقيقة أن كلبي قد ضاع ، ولكنني واثق من أنه سوف يعود لي بهيئته مثلك .

وبينما كان الصياد مسترسلاً في حديثه ، ثار غبار من بعيد ، ثم ظهر الكلب المفقود ، ودار حول صاحبه ، ثم قال : « لقد رجعت متأخراً بعض الوقت ؛ ولكن يجب أن يعلم الثعلب أنني عُدْتُ قوياً كالأسد .

ثم ينصح الشاعر فيقول : « إن كل من يعطى اليقين في عمله ، تكون السعادة خاتمة له ، فابحث عن طريق اليقين في كل قصد ، فليس هناك طريق أفضل منه فلو ثبتت قدمك على طريق اليقين ، فإنك تستطيع أن تأتي بالمجزات ؛ فتخرج الغبار من البحر ، والماء من النار ^(١) » .

(١) هرکه یقینش یارادت کشد خاتم کارش بسعادت کشد

راه یقین جوی زهر حاصلی نیست مبارکتر آیین منزلی

گر قدمت شد یقین استوار گردد زدریا نم از آتش برآر

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٠٧)

نمّ يقول : « إن أهل اليقين طائفة أخرى ، فهم الرأس ونحن القدم ^(۱) » .
 ويدعو إلى عدم التفكير في أمر الرزق لأنه مقسوم منذ الأزل ، فيقول :
 « حينما خلق الله صورتنا قسم لنا الرزق منذ الأزل ، وقد أرسل رزقك معك ،
 فكل في الدنيا ، مامنحه الله إياك ، فهما تصب إنسان في طلب الرزق ، فإنه لن
 يأكل أكثر من نصيبه للمقسوم » ^(۲) .
 وختم الشاعر نصيحته بقوله : « حاول أن تعتقد أن الرزق والجاه لا يزيدان
 بكثرة التعب والجهد ، فإن سميك يجب أن يخالفه توفيق الله ، حتى تصبح عزيزاً ،
 غنياً عن العالم كله » ^(۳) .

* * *

۷ - المائة السابعة

في فضل الإنسان على الحيوانات

يكرر نظامی - في المقالة السابعة - الحديث عن فضل الإنسان ، وتسخير
 مافی الوجود لخدمته ، لأن قدر الإنسان أسمى مما يتصور الإنسان نفسه ، ثم ينصحه
 بأن يكون شريفاً في أعماله ، فيقول : « كن - كالطائر الميمون - شريف العمل ..

- (۱) أهل یقین طائفه دیگرنده ماهمه پائیم گر ایشان سرند
 (نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۰۷)
 (۲) صورت ما را که عمل ساختند قسمت روزی بأجل ساختند
 روزی از آنجا فرستاده اند آن خوری اینجا که تراداده اند
 گرچه در این راه بسی جهد کرد بیشتر از روزی خود کس نخورد
 (المرجع السابق ، ص ۱۰۸)
 (۳) جهد بدین کن که بر اینست عهد روزی ودولت نغزاید بجهد
 تا شوی از جمله عالم عزیز جهد تو میباید وتوفیق نیز
 (نفس المرجع والصفحة)

کُل قَلِيلًا ، وَتَسْكُم قَلِيلًا ، وَأَقْل الْأَذَى » ^(۱) .

ویدعو إلى تطهير الجسم ، فيقول : « اجعل جسمك أكثر طهارة من روحك ، بأن تتكف أربعين يومًا » ^(۲) .

ثم ينصح بالرياضة الروحية - على طريقة الصوفية - فيقول : « إن قدر القلب ، ومزلة الروح لا يمكن الحصول عليهما إلا بالرياضة ، فأضف إلى الطبايع صفاء الرياضة ، واستخرج بالرياضة خير ما في النفس الإنسانية ، حتى تصل عن طريقها إلى تكوين شخص مُهذَّب من شخصك الذي ليس شيئًا » ^(۳) .

ثم يورد قصة « أفريدون والفرزال » وهي أن أفريدون خرج يومًا للتنزه مع بعض رجاله ، ثم توجه إلى مرعى للصيد ، فرأى غزالًا صغيرًا ، أحبه جماله ، وتناشق أعضائه ، فأغرم به ، وعدل عن صيده ، بعد أن كان قد استعمل لذلك وهكذا نجما الحيوان الضعيف من القتل وعاش حرًا طليقًا .

ويُتبع الشاعر ذلك بالنصح بأن يترفع الإنسان عن الصغائر ، ويتطلع إلى العُزُل العليا ، فيقول : إذا أراد الإنسان الصيد ، فيجب أن يصيد شيئًا عظيمًا ، حتى يسمو ، ويشتهر بهذا الصيد .

ويختتم نصحه بقوله : « إن مساعدة الناس أساس الرجولة ، وشرف

(۱) چون تو هائی شرف کار باش کم خور و کم گوی و کم آزار باش

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۰۹)

(۲) جسمت پاکتر از جان کنی چونکه چهل روز بزندان کنی

(للرحم السابق ، ص ۱۱۰)

(۳) قدر دل و پایه جان یافتن جز ریاضت نتوان یافتن

سم ریاضت بطبايع - پار زر طبیعت بریاضت برآر

تا زریاضت بمقامی رسی کت بکسی درکشد این ناکسی

(نفس الرجوع والصفحة)

الإنسانية ، فليس في نظر الحكماء أفضل من المساعدة ، في حفظ على الوفاء ، وحاول ألا تنقضه » ^(۱) .

* * *

۸ - المقالة الثامنة

في بيان الخلق

يتحدث الشاعر - في هذه المقالة - عن كيفية خلق العالم ، فيقول : « قبل أن تضع قدمك في هذا الطريق ، كان العالم مملوئاً بالشكر ، وكانت الأيام واليالئ غير حبالى بالأحداث » ^(۲) .

فلما خلقَ الإنسان امتلاً العالم بالمتاعب والذنوب ، ولذلك فهو يخاطبه بقوله : « يا من أصبح كل ماعل الأرض في تعب بسببك ، إن مكانك يحسن أن يكون تحت الأرض ، مثل الكنز » ^(۳) .

وينبئ على الإنسان ، لأنه يُضَيِّع وقته في اللهو والتمتع ، فيقول له : « لاجرم أنك في الدنيا أسير المطبخ ، وستكون يوم القيامة علفاً لجهنم » ^(۴) .

(۱) صورت خدمت صفت مرد میست خدمت کردن شرف آدمیست

نیست بر مردم صاحب نظر خدمتی از عهد پسندیده تر

دست وفا در کر عهد کن تانوشی عهد شکن جهد کن

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۱۳)

(۲) تا تو درین ره نهادی قدم شکر بس داشت وجود از عدم

فارغ از آبتنیست روز وشب نامیه عنین وطیعت عزب

(المرجع السابق ، ص ۱۱۴)

(۳) ای ز تو بالای زمین زیر رنج جای تو هم زیر زمین به چو گنج

(المرجع السابق ، ص ۱۱۶)

(۴) لاجرم اینجا دغل مطبخی روز قیامت علف دوزخی

(المرجع السابق ، ص ۱۱۸)

نم یقول : « لو عاش شخص بالطعام كثيراً ، عاش كل من يأكل أكثر عمراً أطول . فإن الطعام يُمَظِّل عقلك عن العمل المنتج ، ولكن الحرص هو الذى يدفعك إلى التسكاب عليه ، وإنى أخشى أن يروق الطعام فى نظرك ، فيلغى عقلك ، فتصير أسير شهواتك ^(۱) » .

ثم یورد قصة « بائع فاكهة وتعلب » وهى أن بائع فاكهة كان يسكن البين وكان يستعمل ثعلباً صغيراً لحراسة دكانه ، وكان الثعلب ذكياً يحفظ متاع سيده ، ويرعاه جيداً ، حتى تغلب عليه نشال ، فأنامه ، ثم سرق المتاع .

وعلق الشاعر على هذا بقوله : « إن كل من يسلم نفسه للنوم فى هذا الطريق سوف يفقد كل شيء فى الحياة ^(۲) » .

* * *

۹ - المقالة التاسعة

فى ترك المشروبات الدنيوية

يُذَكِّرُ الشاعر الإنسان - فى هذه المقالة - بقصر عمره ، وسرعة انقضائه ، وينصحه بأن يتزود لآخرفته ، وأن يرسل هذا الزاد أمامه ، حتى ينفعه إذا ما وصل ، ويضرب المثل بالنحل والتمل - فى بعد النظر - ويدعو الإنسان إلى ادخار قوت

(۱) گر بخورش بیش کسى زیستى هرکه بسى خورد بسى زیستى

.....

عقل تو باخورد چه بازار داشت حرص ترا برسر اینکار داشت

.....

ترسم از این پیشه که پیشت کند رنگ پذیرنده خوشت کند

(نفس المرجع والصفحة)

(۲) هرکه در این راه کند خوابگاه با سرش آزدست رود با کلاه

(نظای : مخزن الأسرار ، ص ۱۱۹)

غده مثل هذه الحشرات ، فيقول : « إن الإنسان للناقل إذا لم يكن أعمى ، فإنه ليس أقل من هذا النمل ، وذلك النحل ^(۱) » .

ثم يقول : « إن كل المخلوقات - غير الإنسان - بعيدة النظر ، تدخر زادها وما ينفعها في مستقبلها ، فيجب أن يتفكر الإنسان في عاقبته ، لأن عاقبة هذا النفس-كبر منيدة . « فنحن وإن كنّا قد خُلِقْنَا من تراب إلا أننا جواهر لأننا أصحاب قلوب ^(۲) » .

وينصح بأن يتفكر الإنسان في السر من خلقه قائلا : « انظر في أى طريق يقع منزلك ، وفكر في مجيئك إلى هذه الدنيا ، وفي ذهابك منها ، وما السر في مجيئك ؟ وما الحكمة في ذهابك ؟ ^(۳) » .

ويشير إلى أن الإنسان كان - قبل هبوطه إلى الأرض - في عالم جميل ، ثم هبط إلى الأرض ، وإن يدوم عليها كثيراً ، بل إن حاله في تدبير وتبدل ، ويجب أن يلحق بالمعالم العلوى مرة أخرى ، فيجب أن يتبع نصيحة أبيه آدم ، فيترك الدنيا والآثام ، ويعمل للآخرة ، ويتفكر في حقيقته ، فيحمل عباه . « فنحن قد خُلِقْنَا للعمل ، لا للقليل والقال ^(۴) » .

ثم يقول : « إن الإنسان يجب ألا يسر بالحيء إلى الدنيا لأنه يعرف أن في

(۱) آدمی غافل اگر کورنیست کمتر از آن نحل و ازین مورنیست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۱۹)

(۲) ما که ز صاحب خبران دلم گوهريم ارچه زکان کلیم

(المرجع السابق ، ص ۱۲۰)

(۳) منزل خود بین که کدامست راه و آمدن و رفتن از این جایگاه

ز آمدن این سمرت رای چیست باز شدن حکمت از اینجا چیست؟

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) ملازی رنج پدید آمدم نر جهت گفت وشنید آمدم

(المرجع السابق ، ص ۱۲۲)

إثر المجيء الرحيل منها ، وليس هناك شيء في المجيء أو الرحيل ، وسيأتي اليوم الذي نعود فيه إلى الحياة مرة أخرى في الآخرة . « فركب العبور الوحيد في هذه البادية هو الدين ؛ فهو الوسيلة الوحيدة للنجاة ^(١) » .

وينصح بعد ذلك قائلا : « اطلب للفرقة وعلى الله القبول ، ولا تسلم كل شيء - للقدر ^(٢) » .

ثم يذكر « قصة زاهد نقض توبته » فيقول إنه كان يوجد زاهد معتكف للتعبد ، وكان يندب حظه المأثر ، فقد أصبح أسير المباداة والتسبيح ، فسرفت القبلة كل أوقانه ، وصار من سكان بيت الدراويش ، فلا علاقة له بهذه الدنيا الحقيرة ، رغم أنه لم يستفد من هذا المسلك شيئا ، وهو يعزو سلوكه هذا الطريق إلى القضاء ، فهو الذي جملة زاهداً .

ولسكن قلبه يحبه بأنه لا يجب أن يكمل كل شيء للقضاء لأنه ، وألفأ مثله لا يساوون أمام القضاء حبة شعير ، ثم ينصحه بأن يحاول غسل ذنوبه ، دون تعلل بالأعذار ، فلا يحاول ارتكاب المعاصي في أثناء حياته في هذه الدنيا ، وبيّن له طريق النجاة في قوله : « اهجر نومك قبل أن يُنيمك الموت ، وتزود قليلا من هذه الدنيا الفانية ، فليس جميلا أن تنام حيا وميتا ^(٣) » .

* * *

(١) مركب ابن باديه دينست وبس چاره ابن كارهمين است وبس
(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ١٢٣)

(٢) عذر زخود دار وقبول از خدای جملة ز تسليم قدر درمياي
(نفس المرحع والصفحة)

(٣) تا نبرد خوابت ازو گوشه کن اندکی از بهر عدم توشه کن
خوش نبود دیده بخواب در زنده ومرده بيك خواب در
(المرجع السابق ، ص ١٢٤)

۱۰ - المقالة العاشرة

في ظهور آخر الزمان

يستمر الشاعر - في هذه المقالة - في الحديث عن تبدل الأرض والأفلاك ،
وعدم بقائها على حال واحد ، وأن الساعة ستقوم « فَنَزَلُ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ
زَلْزَالًا شَدِيدًا ، لِأَنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ^(١) » وحينذاك تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرِ
الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَتُدَكُّ الْأَرْضُ دَكًّا ، وَتَطْوَى السَّمَاءُ كَطَيِّ السَّجْلِ
لَا سَكْنَ ، وبذلك « أَسْتَرْجِعُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ مِنْ مَتَاعِنَا ، وَتُطَهَّرَانِ مِنْ ذُنُوبِنَا ،
وَيَسْكُنُ الْعَالَمُ ، فَلَا يَسْمَى خَلْدَمَتُنَا ، فَأَمِنْ الْأَرْضِ مَكْرَنَا ^(٢) » .

ثم يخاطب الشاعر الإنسان الذي أَرَهَقَ الْأَرْضَ بأفعاله السيئة ، فيدعوه إلى
ترك متاع الدنيا ، وتطهير النفس ، لأن الأحداث سرىماً متحدث ، ولن يستطيع
أى إنسان أن ينجو من الموت ، فيجب أن يعترف الإنسان بهجرته ، وهو لذلك
ينصحه بقوله : « إِبْكْ وَاقِفْ عَلَى رَأْسِ شَعْرَةٍ ، فَلَا تَتَمَسَّكْ بِهَا ، وَحَاوِلْ أَنْ
تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا تَخْرُجُ الشَّعْرَةُ مِنَ الْمَجِينِ ^(٣) » .

ثم يُبَيِّنُ الشاعر عيوب العالم ، فيقرر أن كل شيء في الدنيا ناقص معيب ؛
فالشمس شرارة من جهنم ، والقمر قاصر لأنه يعتمد على الشمس ، والسحاب

(١) در طبقات زمی افکندہ یم زلزلة الساعة شيء عظیم

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۲۴)

(٢) رسته شود هر دوسر از درد ما پاک شود هر دوره از گرد ما

هم فلك از شغل تو ساکن شود هم زمن از مكرتو آيين شود

(المرجع السابق ، ص ۱۲۵)

(٣) بر سر موئی سر موئی مگير ورنه برون آي چو موئی از خمير

(المرجع السابق ، ص ۱۲۷)

يعتمد على بخار الماء . وَيُجِيلُ الميوب في قوله : « العالم مملوء بالمعيوب ،
ولكنك لا تنظر إلى عيوبه مطلقاً ^(١) » .

وينصح أن يشغل الإنسان بعيوبه عن عيوب الناس ، وأن ينظر إلى
محاسن الناس فقط ، وأن يترفع عن تقصّي عيوبهم ، فيقول : « ارفع عينك عن
عيوب الآخرين ، وفتش في نفسك ، واعرف عيوبك ، ففي كل شيء فضل
وعيب ، فترفع عن النظر إلى الميوب ، حتى تصير فاضلاً ^(٢) » .

ثم يورد « قصة عيسى » ، وهي أن عيسى كان يمر في سوق فأبصر كلباً ميتاً
مُلغى في الطريق ، وقد التفت حوله جمع من الناس ، فأخذ كل منهم يذكر عيباً
من عيوبه ، فقال واحد منهم : إن رائحته تسبب صداع الرأس ، وقال الثاني :
إنه يسبب عى العين ومرض القلب ، وكان كل من يتحدث منهم ينتقد
الكلب ، فلما وصل عيسى إليهم ، نصحهم بعدم ذكر الميوب ، والنظر إلى
المحاسن فقط ، وتعديدها ، فلا ينبغي أن يضحك الإنسان من مصيبة الآخرين ،
ونصح قائلاً : « لا تفتش عن عيوب الآخرين ، ولا تعدّد محاسنك ، بل تأمل
في نفسك ^(٣) » .

ثم قرّر أن الأفلاك التهمة حجب لميوب الإنسان ، وكل ما في الدنيا لفتته ،
وسوف يبقى جميعه .

(١) خانه پر عیب شد اینکارگاه خود نکنی هیچ بعیش نگاه

(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۲۸)

(٢) دیده ز عیب دیگران کن فراز صورت خود بین و درو عیب ساز

در همه چیز هنر و عیب هست عیب مبین تاهنر آری بدست

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) عیب کسان منکر و احسان خویش دیده فروکن بگریبان خویش

(المرجع السابق ، ص ۱۲۹)

وقد صَوَّرَ ذلك في قوله : « كل مافی الدنیا من قديم إلى حدیث ، لن یساوی - حینا یغنی - شعیرتین ، فلا تَحْمِلْ مِمَّ الدنیا ، واستیقِظْ أیها السید ، وإذا حلتته ، فدع نصیب نظای ^(۱) » .

* * *

۱۱ - المفالة الحادیه عشره

فی غدر الدنیا

یبدأ نظای هذه المقالة بقوله : « اسْتَقِظْ وَاطْوِ بِساط الفلك ، فلیس هناك وفلا فی هذه الدنیا ^(۲) » .

ثم یتحدث عن غدر الدنیا ، فیقول : « لا تَتَوَقَّعْ أَنْ تصل إلى هدفك بحبك للدنیا ، ولا تبث عن خصلة الإنصاف بین خصالها ، فلیمَّ تَعَرَّضْ متاعك لهذا الموج الماتی ؟...! ^(۳) » .

وَيُعَدِّرُ من غدر الدنیا قَبِیْهِنَّ أَنْ كنز الوفاء والأمان لیس موجوداً فی هذه الأرض ، فالدنیا لا تُدَلِّلُ الإنسان أبداً ، فیلجب أن یسحب یده من مصاحبتهما ، والاعتماد علیها ، فلیس هل مائدة الدنیا شیء ، اللهم إلا كؤوس ملوثة ، فكل من یعتمد علیها تسكون عاقبه الخسارة ، فهی بریق زائف ، وسراب

(۱) جمله دنیا ز کهن تابشو چون گذرند دست نیرزد دوجو

انده دنیا محور ای خواجه خیز ور تو خوری بخش نظای بریز

(نظای : مخزن الأسرار ، ص ۱۳۰)

(۲) خیر وبساط فلکی در نور زانکه وفا نیست درین نخته نزد

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) نقش مراد از در وصلش مجوی خصلت انصاف ز خصلش مجوی

بای درین بحر نهادن که چه ۱۲ بار درین موج کشادن که چه ۱۱

(نفس المرجع والصفحة)

خادع ، وهى تفرُّ الإنسان فيتملق بها ، فيميش مفتوناً بها ، حتى يصيبه نوم الغفلة والاضطراب ، ولذلك فالشاعر ينصح قائللاً « اجْعَلْ الآخرة دار مقامك ، واهجر هذه الدار الخربة ^(۱) » .

وبرى أنه يجب أن يترك الإنسان الدنيا ويقيمها لأنه لم يستفد شيئاً من علاقته بها ، فينبى أن يهملها حتى يعيش سعيداً ، وأن يُجهز زاد الآخرة ، فيقول : « إن طريقك طويل ، ومنزلك بعيد ، فجهز زاد الطريق ، ومثونة المنزل ^(۲) » .

وهو يعتقد أن الدنيا دار الشياطين ، لأنها تمتص عصارة السكبد من كل مَنْ يتملق بها ، فيتحوّل قلبه دماً ، فلن تستطيع قافلة القلب أن تسير فى هذا الطريق الذى يُذيبُ القلب ... قَاتِبْ لَدُنْيا الملوّدة بالثم .

ولذلك يكرّر الدعوة إلى تركها ، ويُحذّر من الانسكاباب عليها ، فيقول : « إن كل من يَتَّبِعِ هواه فى هذه الدنيا ، تُحرق كبده ، ويصير مرموماً دائماً ^(۳) » .

ويدلل على رأيه بقوله : « ماذا تفعل بهذه الوردة النابتة من جهنم ، استيقظ وانرك جهنم ، وتوجه إلى الجنة ، فإن الدهر يتعقبك ، ويمسك بيدك ، ويحاول أن يضللك ، وهكذا حتى تموت ، فتسكون عاقبتك وخيمة ، كشميرك من الناس ، وما دمت ستعود إلى التراب مرة أخرى ، فحاول أن تعبر الدنيا بسلام ، ولا تحاول أن تحفر حفرة لأحد ، فبكثيراً ما طمعت الدنيا غيرك تحت قدمها ، فقد فى كل

(۱) خلوت خود ساز عدم خانه را باز گذار این ده ویرانه را

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۳۱)

(۲) راه تو دور آمد ومنزل دراز برک ره وتوشه منزل بساز

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) هرکه درین بادیه باطبع ساخت چو نجگرافسرد وچو زهره گداخت

(المرجع السابق ، ص ۱۳۲)

من عليها ، دون أن يصلوا إلى أهدافهم ، فلا تتعلق بهذه الدنيا التي محصولها الشوك ، ولا تحاول الإقامة في مكان ليس مُخَصَّصاً لإقامتك ... إنه مكان مخيف ، فإذا تفعل فيه ؟! .. إن الدنيا منزل فاني ، فلا تتوقع بقاءها ، وقد بانق خريف عمرها ، فلا تنتظر ربيعها ^(۱) .

ثم يورد قصة « عابد صاحب نظر » وهي أن عابداً سرّاً على حديقة يانعة فرآها مكاناً مزيّناً خلاباً ، ولكنه أدرك بفطنته أنها تقوم على الكذب والخداع ، لأن الملكة - التي هي فيها - يسودها الظلم ، وأحسّ بأن أزهار الحديقة ملوثة بالدماء ، وأنها ترتعش خوفاً على نفسها ، وأن الأشجار تهتز من الفساد والجور ؛ وأيقن أنها سوف تتبدل سريعاً ، وتصبح خاوية على عروشها ، وأن دولة الظلم سوف تزول قريباً .

ثم سرّ العابد على هذه الروضة بعد بضعة أشهر ، فرأى نواح الغربان مكان البلبل والروض ، ورأى جهنم مكان الجنة ، وأدرك أن الملكة قد خربت ، فذهبت الخضرة ، وأصبحت الزهور كومة تراب . « فنظر العابد إليها نظرة عابرة ،

(۱) تاچکنی این گل دوزخ سرشت	خیز و بده دوزخ و بستان بهشت
تا شود این هیکل خاکی غبار	پای بیایست سپرد روزگار
عاقبت چونکه بمردم کند	دست بدست زمیان کم کند
چونکه سوی خاک بود بازگشت	بر سر این خاک چه باید گذشت
زیر کف پای کسی را مسای	کوچو تو سودست بسی زیر پای
کس بجهان در زجهان جان نبرد	هیچکس این رقه - پادان نبرد
پای منه بر سر این خارخیز	خویشان از خارنگه دارخیز
آنچه مقام تو نباشد مقیم	بیمگی شد چه کنی جای بیم
منزل قانیست قرارش مبین	باد خزانیت بهارش مبین

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۳۲ - ۱۳۳)

وسفر منها واعتبر ، وبكى على حاله ^(۱) . وقال إن كل من عليها فان ، فكل من خرج من التراب سوف يعود إليه في النهاية ، فليست أمامه وسيلة غير التوبيد والاعتكاف ، وهكذا « نظر العابد بعين البصيرة فعرف ربه ، وأدرك قدر نفسه ^(۲) » ثم يفسح بأن يحاول كل إنسان أن يعرف هذه الحقيقة ، فيدرك قدره نفسه ، ويعرف ربه ، لأن المسلم إذا كان خالياً من الفيض ، يصبح كالجوسي . ويرى أن الإنسان يجب ألا يكون أقل من ذلك العابد ، وأن يترك الدنيا فلا يتعلق بها ، وألا يتكبر ويفتر ، وأن يستيقظ ويتعبد ، ويعمل للآخرة . ويختتم نصيحته بقوله : « اجتهد حتى تنجو من العبودية ، وتخلص - كنظامي - من أسر الشهوات ^(۳) » .

* * *

۱۲ — المفاتحة الثانية عشرة

في وداع الدنيا

بكرّر الشاعر - في هذه المقالة - دعوته إلى أن يستيقظ الإنسان ، وبودع الدنيا ليهيئ لنفسه حياة أسمى في الآخرة ، وأن يخشع ويبكى ، حتى يتعرض قلبه لفيض الله ، لأن الإنسان أعجز من أن يحافظ على شجرة واحدة ، فليس أمامه غير طريق المدم ، ولذلك فهو يخاطبه بقوله : « ما دُمْتَ لا نستطيع أن نحفظ شجرة واحدة ، فليس أمامك غير طريق المدم ، فقد تولى الأصدقاء والظرفاء ...

(۱) پیر در آن تیزروان بنگریست بر همه خندید و بخود برگریست

(نظامی : غزن الأسرار ، ص ۱۳۴)

(۲) چون نظر از بینش توفیق ساخت عارف خود گشت و خدارا شناخت

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) کوش کرین خواجه غلامی ره یاجو نظامی ز نظامی ره

(المرجع السابق ، ص ۱۳۴)

مع من تجلس وقد تولى الرقاء ؟! . . . إن الطبع يميل إلى اللاطفة ، ولكن كيف تكون اللاطفة مع الوحدة والانفراد ؟! . . . فالأجدر أن يبحث الإنسان الطاهر عن صديق مماثل له في هذه الدنيا المظلمة ، ويجب أن تنشر ذلك قبل أن تذهب من الدنيا ، وأن تُخَفِّفَ من أحمالك ، حتى تصل إلى الجنة سريعاً^(۱) .

نم بنصح بالعمل للآخرة ، لأن الدنيا عديمة الفائدة ، وأن يحاول ألا يكون هدفاً لفلک الدوار ، حتى لا يصب عليه فدايقه ، ويرى أن الوسيلة الوحيدة هي خروج الإنسان عن دائرته الضيقة ، والبحث عن طريق النجاة ، وهو يرشد إلى هذا الطريق في قوله : « لا تحاول أن تقوم بأى عمل قبل أن تستعد وتُنَبِّتَ قدمك في الطريق المؤدية إليه ، وقبل أن تؤمِّنَ طريق رجوعك ، فإن معرفة الطريق تحفظ من الزلل^(۲) » .

ویدعو الإنسان إلى أن یبْیَّءَ لنفسه فرصة النجاة دائماً ، وإن كان لا یستطیع النجاة من قبضة القضاء ؛ وهو - لذلك - یُنَبِّئُ الإنسان إلى ترك الغفلة ، والعمل للآخرة ؛ فیقول مخاطباً إياه : « خذْ زادك من الدین ، لأن الإقامة فی الدنیا

(۱) چونکه ترا محرم یکوی نیست جز بعدم رای زدن روی نیست
طبع نوازان و ظریفان شدند با که نشانی که حریفان شدند
گرچه بسی طبع لطیفی کند باتن تنها که حریفی کنند
به که بجوید دل پرهیزناک روشنی آب درین تیره خاك
تا نرسد تفرقه راه پیش تفرقه کن حاصل معلوم خویش
رخت رها کن که گران روکی کز سبکی زود بمنزل رسی
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۳۵)

(۲) تا نکی جای قدم استوار پی منه در طلب هیچکار
در همه کاری که گرانی نخست رخنه بیرون شدنش کن درست
شرط بآود دیده بیه داشتن خویشان ازچاه نگه داشتن
(المرجع السابق ، ص ۱۳۶)

قصيرة ، واحلّ معك الماء لأن الطريق جاف ^(١) . ويكرر الحديث عن ضرورة تخليص النفس من هموم الدنيا ومتاعها ، والانقفاع بِنُصْح العارفين . ثم بورد قصة « حكيّمين متنازعين » وهي أن حكيّمين متساويين في درجة العلم تناقشا في مسائل الحكمة ، واحتدمت المناقشة بينهما ، دون أن يصلا إلى شيء ، فقد تمسك كل منهما بقوله ، وسفّه رأى صاحبه ، وحاول أن يستأثر لنفسه بالفضل ، ويصبح وحيد وهره في العلم ؛ ولما بلغ التمصّب للرأى ميله ، حاولا أن يحسما النزاع عن طريق التحدى ، فتحدى كل منهما صاحبه أن يشرب شربة السم التي يقدمها له ، دون أن يتأثر بالسم . فتركا النزاع ، وخرجا في منتصف الليل عازمين على الرحيل ، لينفذ كل منهما تحديه ، حتى يتبين أيهما أقوى من صاحبه ، وأقدر على تحمل شربة الآخر ، فيصير مُلّاك الحكمة من نصيبه ؛ فأعدّ أولهما شربة سم من صدا الحجارة السوداء ، وقدمها لصاحبه ، فشربها ثم شرب شيئا ضد السم ففجأ من الموت . أما الثاني فقطف وردة من روضة ، وقرأ عليها سحرا ، ثم قدمها لصاحبه فكانت أكثر تأثيرا من السم ، فقد خشي منافسه من الوردة ، وغلب عليه الخوف فمات . « فبينما أخرج الأول السم من جسمه بالملاج ، مات الثاني بوردة من الوهم ^(٢) » .

ويعاق الشاعر على القصة بقوله : « إن كل وردة ملونة في الحديقة قطرة من دم قلب الإنسان ، وحديقة الدهر التي أنت ربيعها ، دار غم أنت نقوشها ^(٣) » .

(١) توشه زدين بر كه عمارت كست آب ز چشم آر كه ره بی نمت

(نظامی مخزن الأسرار ، ص ١٣٧)

(٢) آن بجلاج از تن خود زهر برد و آن بيسكى گل ز توهم ببرد

(المرجع السابق ، ص ١٣٩)

(٣) هر گل رنگين كه يباغ زميست قطره از خون دل آدميست

باغ زمانه كه بهارش توئی خانه غم دان كه نكاش توئی

(نفس للرجع والصفحة)

ثم يكرر النصيح بترك الدنيا وأوهامها ، وعدم التمسك بها لأنها فانية ، فحوادث الدهر تحرق كبد الإنسان ، وتلهيه حتى يفنى عمره ، فيجب عليه أن يتفكر ويبكى ، حتى تكون عاقبته النجاة ، فيثقل ميزانه يوم القيامة . كما يكرر أن الوسيلة الوحيدة هي التمسك بالدين ، فيقول : « إن الدين هو الذى يَفْقُو ساعدك ، و يَرْجِّع كفة ميزانك ، فليس هناك رجا . فاضل حر ، ارتبط بالدنيا ولم يذق همها ، فإذا كانت لك أحلام في الدنيا ، فَخَذِّها لك وأعط الدين لنظامي ^(١) » .

* * *

١٣ - المقالة الثالثة عشرة

في ذم العالم

يبدأ الشاعر هذه المقالة بزم العالم ؛ فيقول : « انظر إلى هرم العالم وضيقه ، حتى لا تخدع بلون شبابه ^(٢) » .

وهو يعتقد أن الظاهر الذى يراه الإنسان جميلاً يخفى وراءه حقيقة محزنة ، فَيُخَيِّلُ للإنسان أنه وردة قد يكون نارا ، وما يراه قبلة ، قد يكون صليبا ، وهكذا . فلا ينبغي أن يخدع الإنسان بالظواهر ، بل عليه أن يستعد ويجهز نفسه للآخرة لأنه ان يحمل معه إلا ما أعده ، وكل شئ سيقضى بعد ذلك ، وسيستحيل الإنسان

(١) دين كه قوى دارد بازوت را راست كند عدل ترازوت را
هیچ هنریشه آزاد مرد در غم دنیا غم دنیا نخورد
چونكه بدنیاست تناسرا دين بنظامی ده و دنیا ترا
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٤١)

(٢) پری عالم نگر و تنگیش تا نفریبی بچوان رنگیش
(نفس المرجع والصفحة)

تراباً ، فيجب أن يتجرد من الدنيا ، فلا يعبدها ، والشاعر ينصح قائلاً : « احقر الذهب ، فضع عليه قدمك ، ولا تَمُدَّ إليه يدك ، حتى لا تصير عابداً للذهب ، كنهرك من الناس ، فإن الذهب الذي لا يهيم سبيل النجاة في الآخرة ، يكون هو والزرنيخ سواء ^(١) » .

وهو يرى أن الملوك - الذين يحصلون على الذهب بقوة الحديد - كالحدادين ، وأن عاقبتهم ستكون وخيمة ، فإن قارون لما كثّر ذهبه اختل ، فسكن ذلك سبباً في هلاكه ؛ وهو - لذلك - يقول : « ولو أن مَنَحَ الذهب جميل كمنح الحياة ، إلا أن عدم أخذه ظمأ أفضل من ذلك الإغطاء ^(٢) » .

وينصح بأن يترك الإنسان الحرص وهو يريد الذهب ، وأن يعطيه عن طيب خاطر ، حتى يُسَكِّنَ روحه ، ويهب نفسه السعادة .

ويختم المقالة بالدعوة إلى ترك حب الذهب ، لأنه خداع ، يقود إلى التهلكة ، وإن بدا براقاً جميلاً .

ثم يورد قصة « حاج وصوفى » وهى أن رجلاً عزم على الحج ، وكان معه مبلغ من المال يزيد على حاجته ، ففكر فى إيداعه لدى رجل صوفى مشهور بالزهد والورع والتقوى ، ثم توجه إلى الرجل وأودع عنده ماله وثقاً وأمانته ، ومطمئناً إلى أنه سيرد إليه ماله عقب رجوعه من الحج ؛ وسافر الرجل إلى الحجاز ، ولسكن نفس الصوفى حَدَّثَتْهُ أن ينفق المال ، فأنفقه فى الطعام ، ولم يُبْقِ منه شيئاً . ولما رجع الحاج ، توجه إلى الصوفى ، وطلب منه نقوده ، فأخبره بأن نفسه

(١) پای کرم بر سر زر نه نه دست تا نخواستند چو کل زر پرست

زر که بر او سکه مقصود نیست آن زر وزرنيخ بنسبت يکيست

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ١٤٢)

(٢) دادن زر گر همه جان دادنست ناستدن بهتر از آن دادنست

(المرجع السابق ، ص ١٤٣)

سوّات له إتفاق الدنانير الذهبية ، فأنتقمها ، وهكذا أغرى ذهبه قلبه حتى حطمه ، وأظهر الصوفى الندم ، وطلب المذرة حتى عفا الحاج عنه ، ونصحه بأن يتوقف فلا يمد يده إلى أموال الناس .

واسكن الحاج قرّر أن الأمانة قد انعدمت من هذه الدنيا ، مما عبر عنه الشاعر ؛ فى قوله : « لا يوجد قلب قط خال من الحرص والحسد ، كالا يوجد شخص أمين على وجه هذه الأرض ^(١) » .

وذم الدنيا فى قوله : « الدنيا دار عيب ، فاغتم منها زادك ، وتمسك بالدين ، واعتزلها جانباً ^(٢) » .

وهو يعتقد أن الطمع والحرص هما سبب البلاء ، ولذلك فقد ختم القصة بالدعوة إلى تجنب الطمع وتطهير النفس .

* * *

١٤ - المقالة الرابعة عشرة

فى ذم الغفلة

يمود الشاعر - فى هذه المقالة - إلى مخاطبة الإنسان الغافل الذى يفرح بالطعام والشراب كالحیوانات ، دون تفكر فى عظمة الوجود والخلق ، ويقرر أن الغفلة لاتنصر عن المارفين ، فيقول : « يأتى العمل من العارفين بالله ، أما الغافلون فلا يحملون هم الدنيا ^(٣) » .

(١) هیچ دل از حرص و حسد پاک نیست معتمدی بر سر این خاک نیست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۴۶)

(٢) منزل عیسیست هنر توشه رو دامن دین کبر و فرا کوشه رو

(نفس المراجع والصفحة)

(٣) از بی صاحب خیرانست کار بی خبرانرا چه غم از روزگار

(للمرجع السابق ، ص ۱۴۷)

نم بنصح قائلا: « لماذا تنام؟! .. تهيأ للعمل ، وأدّه بإتقان .. لماذا تنام مثلا وقد وقفوا لك بالمرصاد؟! .. إن العارفين لم يفعلوا كما فعلت^(۱) » .

ويدعو إلى أن يفكر الإنسان في غده ، ويعتبر بعجزه ، فينبه عقله ، ويُعده للعمل ، فلولا امتياز الإنسان بشرف العقل لأصبح كالحوانات ، فيجب أن يتبع الإنسان العقل ، فلا يعصى أوامره ، ولا يلغيه حتى لا يصير مجنوناً ، كما ينبغي ألا يشمله ، فإن الحمر الحلقة في كل مقام ، قد حرمت لمدواتها للعقل ، ولأنها تذهب الكرامة ، فيجب على الإنسان العارف أن يعتمد عن شرب أى شيء حتى لا يجهل كل شيء ، وألا يتبع هواه ، وأن يعتمد عن الحانات ، وينصح الشاعر الإنسان بالنواضع ، وترك الأنانية ، والسكف عن الأذى ، فيقول: « لست شوكا حتى ترع رأسك للصعود ، كن كالزهر عطراً ماعماً ، ولست طفلاً ؛ فلا تركن إلى اللعب ، ولست محتداً ؛ فلا تتوقع الدوام^(۲) » .

وهو يمتد أن نهار العمر قد أوشك على الانقضاء ، فقد بعدت الشمس وأصبح الظل كثيراً ، والنور قليلاً ، فيجب أن يعتمد الإنسان عن الظل ، وأن يحاول أن يحطمه كنور نصباح ، وبذلك تطهر نفسه ، وفي ذلك يقول الشاعر : « إذا استطعت أن تبعذ الظلال عن نفسك ، فإن عيوبك ستبدها كما تبده الظلال^(۳) » .

(۱) بر سر کار آئی چرا خفته کار چنان کن که پذیرفته

مست چه خسی که کین کرده اند کار شناسان نه چنین کرده اند

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۴۸)

(۲) خارنه کالج کرائی کنی به که چو گل بیسر و پائی کنی

طفل نه پای پیازی مکشی عمر نه سر بدرازی مکشی

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) کرتوزخود سایه توانی برید عیب تو چون سایه شود ناپدید

(المرجع السابق ، ص ۱۴۹)

ثم يكرر دعوة الإنسان إلى التطهر ، وتركية النفس ، وتنظيفها من أدران الذنوب ، لينقل ميزانه يوم يُحْضَرُونَ كل شيء أمامه ، فن يحمل متقال ذرة خيراً يره . ويؤكد أن الله يؤيد الحق والاستقامة ، فيقول : « أينما يرفع الحق أعلامه يتأيّد بقوة الله تعالى ^(١) » .

ويختتم مقاله بالدعوة إلى الاستقامة ، واتباع الحق ، حتى ينجو الإنسان من اللطم ، ويحفظ من السوء .

ثم يورد قصة « ملك ظالم مع رجل صادق القول » ؛ وهي أنه كان يوجد ملك ظالم ، يضطهد الرعية كالْحِجَاج ^(٢) ، وكان عيونه يخبرونه بكل مافي الدولة ، فجاءه أحد جواسيسه ذات صباح ، وأخبره بأن فلاناً الشيخ قد اغتابه في الخفاء ، وصوّر ظلمه ، وسفكه لدماء ؛ فغضب الملك ، وصمم على قتله ، فأمر بإعداد النطع الذي سيقتله عليه ، وأعد العدة لقتله ، ثم أرسل في طلبه ، فتوضّأ الشيخ ، وحمل كفته ، وتوجه إلى الملك فواجهه بالتهمة الموجهة إليه ، وسأله عن مبلغ صحتها ، فلم يذكر الشيخ التهمة ، بل قرر أنه قال أسوأ مما سمعه الملك ، لأن الشعب كله مهذّب بالفناء نتيجة لأعماله ، بعد أن خَرَبَتْ المملكة ، وقال إنه صرّاته ، فإذا أظهرت المرأة صورة الإنسان قبيحة ، فيجب أن يصلح نفسه ، لأن يحطم المرأة .

فلما سمع الملك كلام الشيخ اتعظ به ، فأصلح نفسه ، وصار عادلاً ، والشاعر يصور ذلك في قوله : « لما تأكد الملك من صدقه ، أدرك مبلغ اعوجاج نفسه ، فقال لرجاله : دعوا حنوطه وكفته ، وقدموا له خلقتنا . وألق عن الظلم ، فصار ملكاً عادلاً ، عطوفاً على الرعية ^(٣) » .

(١) راسق آنجا كه علم برزند يارى حق دست بهم برزند
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٥٠) .

(٢) يقصد الشاعر الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٣) چون ملك از رامتیش پیش دید راسق او کشری خویش دید
گفت حنوط و کفنش بر کشید غالیه و خلعت ما در کشید
از سر ییدادگری گشت باز دادگری گشت رعیت نواز
(المرجع السابق ، ص ١٥١) .

ثم ينصح الشاعر ألا يخفى الإنسان صراحته عن أحد، لأن الصراحة واجبة؛
فوجب أن يكون الإنسان صريحاً - رغم أن الحق مر - لأن الله يؤيد الصريح
بروح منه ، وفي ذلك يقول الشاعر : « إذا تمسكت بالصراحة والصدق في القول
فإن الله ينصر مقالك »^(١) .

* * *

١٥ - المقالة الخامسة عشرة

في ذم الحساد

يبدأ الشاعر - هذه المقالة - بقوله إن الدنيا لا تدوم على حال واحد ؛ ففي
كل لحظة يحدث شيء غريب ، فالدنيا مملوءة بالألحان الجميلة ؛ ولكن الإنسان
لا يعرف كيف يعطب منها ، وبحر الحياة مملوء بالدرر ؛ ولكنه لا يستطيع أن
ينوص فيه ، ويستخرج الدرر منه ؛ فالتدر ليس بمجمل ، ويمكن الإنسان أن يرتفع
إلى منزلة جبريل ؛ لأن فضل الله واسع ، فاعليه إلا أن يسلك طريق الله حتى
يصل إلى السمادة ؛ فإذا اجتهد في السير في هذا الطريق استطاع أن يصل إلى
منزلة أعلى ، وإلى درجة أرفع . والناس يتفاوتون في هذا ؛ فطائفة أمهر من طائفة ،
ولا دخل لهم والشباب في ذلك .

والشاعر يرى أن منزلة الإنسان تملو كلما تقدم به السن ، وأن الحساد وحدهم
هم الذين يزدادون سوءاً كلما بلغوا من العمر عتياً ؛ فالهرم منهم لا يمتد إلى الشباب
بفضل ، لأن شهد الشاب يتحول إلى سم زعاف في فمه . « فالشيوخ لا ينصفون
الشباب إلا قليلاً ، ولا يعجبون بهم إلا نادراً »^(٢) .

(١) چون بسخن راستی آری بجای ناصر گفتار تو باشد خدای

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٥١)

(٢) در کهن انصاف نوان کم بود پیر هواخواه جوان کم بود

(المرجع السابق ، ص ١٥٣)

وبوضح الشاعر ذلك بقوله : « إن الورد نبات شاب مما جعل فيه الراحة ،
أما الشوك فنبات مُسِنَّ ، ففيه الجراحة ^(۱) » .

ثم يقرر أن الشيوخ كالتقويم القديم الذي لا يُستعمل الآن ، وأن روحه
العالية كروح يوسف ، فلن نستطيع الدُّثاب أن تؤذيه ، وأن جرح الشيوخ ضعيف
مهما بلغ .

وهو يصور الشباب في قوله : « إن الشباب كله حكمة ، ولو أن فيه شيئاً من
التمور - أحياناً - يجعل الشاب يحب التفاخر ، كالورود التي تقلد النصفصاف ، أو
كالهنود الذين يدعون البياض ؛ ولكن - رغم الشباب - أنثر الحكمة دائماً ،
وأفوق الشيوخ في ذلك ^(۲) » .

ثم يدعو الشاعر الإنسان إلى أن يترك الغرور ، وأن يحارب هوى النفس ،
وأن يكون نصيراً للحق أبناً وجد . لأن نظرة الإنسان إلى الأشياء قد تتغير بتغير
سنه ، ومبالغ نضجه ، فيجب أن يُحسِّن اختيار أصدقائه ، لأن « الدو العاقل خير
من الصديق الجاهل ^(۳) » .

ثم ينصح بترك الأنانية والحق ، والتقاط الحكمة أبناً وجِدَتْ ، وبشرح

(۱) كل كه نوآمد همه راحت دروست

خار حکم کن شد که جرات دروست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۵۳)

(۲) گرچه جوانی همه فرزانیگست هم نه یکی شاخ زدیوانگیست

یا معنی چند که بیدی کنند دعوی هندو بسپیدی کنند

منکه چوکل گنج فشانی کنم دعوی پیری بجوانی کنم

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) دشمن دانا که بی جان بود بهتر از آن دوست که نادان بود

(للرجع السابق ، ص ۱۵۴)

ذلك في قوله: « لا نحاول أن نعرف من أي عشب نبت التعصب ، وانظر إلى حالاته ، وإلى ابن آفيل ، وسلم نفسك للفضل ، لا الادعاء الكاذب ، وكن صيداً للفضل أينما وُجد ^(١) » .

كما ينصح بدم الاعتراض على صنع الله ، فيقول : « احترس ، فلا تعترض على صنع الله ، حتى لا تُضرب بسوط إبليس ، فكل من لم يعترف بقضاء الله وحكمه ، ستكون عاقبته البوار ^(٢) » .

ثم يورد قصة « أمير شاب مع أعداء مسنين » وهي أنه كان يوجد في مرو- أمير شاب ، معتدل القامة ، حسن الطامة ، وكان رجال دولته مُسنين ، فاختلّفوا معه ، مما أدى إلى اضطراب الدولة ، وفساد الأحوال ، وقلق الأمير ، وخوفه . وذات ليلة ذم الأمير مهموماً ، فجاء والده حُلماً ، ونصحه بالقضاء على رجال دولته المسنين ، حتى تستقر الأحوال ، وتستقيم الدولة ، فيسند بها ، وتسد به . فلما استيقظ الأمير من نومه أمر بقتل رجال دولته المسنين ، وأحل محلهم شباباً قوياً ناهضاً ، وبذلك بنى الدولة على أساس جديد قوي .

ويوافق الشاعر على قتل كل من يعيث بآمن للدولة ، ويمسك صفو استقرارها ورفاهيتها ، لأن الأغصان الجديدة لا تثبت - كما ينبغي - إلا إذا قُطعت الأغصان القديمة ، فيجب أن يُطهر ماء النهر ، حتى ينبت للأنصاف رائحاً . ثم ينصح الشاعر بأن يحسن الشاب استعمال شبابه ، فيقول : « أخرج ذلك

(١) فی منکر کز چه کیا میرسد در شکرش بین که کجا میرسد
دل بهرنده نه بدعوی پرست صید هنرمش بهرجا که هست
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۵۳)

(٢) محتسب صنع مشو زینهار تا بخوری درّه إبليس وار
هر که نه بر حکم وی إقرار کرد چرخ سرش در سر إنکار کرد
(نفس المرجع والصفحة)

السيف من غلانه لحظة ، فإلى متى تتلفه يا مخالف ۱۹... إن الشباب منك الرحمن ،
وليس من نصيب هذه الدنيا الفانية اللوثة ، وما دام ماسكاً لله فيجب أن تبذل
كل ما في وسعك ، وأن تكون قاضياً في كل ما تفعل ^(۱) .

ويحتم بمدح الفضيلة والكرم ، فيقول : « إن عطاء الدولة الذين ظفروا بالجاه
والثروة ، قد عمّروا آخرتهم بالكرم . فإن بذرة الكرم تنبت نباتاً حسناً ، يصير
محصوله زاداً للآخرة ^(۲) » .

* * *

۱۶ — المقالة السادسة عشرة

في سرعة السير

يبدأ الشاعر — هذه المقالة — بدعوة الإنسان الضعيف ، إلى الإقلال من
الغرور ، فلا يدعى المظلة وهو لا يملك أسبابها ، كما ينصحه بالكف عن الأذى ،
ويجمل ذلك في قوله : « لستَ سيفاً فلماذا تتبادى في جرح الناس ۱۹ . ولستَ
طبلًا ، فلمَ هذا الضجيج الكثير ۱۹... ^(۳) » .

وينصح الإنسان بالغتبه ، وعدم الانقياد للشيطان ، لأنه حتى ذو عقل ، وليس

(۱) يكتفى آن تيغ بر آر از غلاف چند غلافش کنی ای برخلاف
آن نفس از حقّه این خاک نیست این حق آن هم نفس پاک نیست
پیش همین کس همگی پیچی کش نام کرم بر همه خویشی کش
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۰۰)

(۲) دولتیان که آب و درم یافتند دولت باقی ز کرم یافتند
تخم کرم کشت صلاحت بود چون برسد برگه قیامت بود
(الرجع السابق ، ص ۱۰۶)

(۳) تیغ نه زخم بی اندازه چیست کوس نه اینهمه آوازه چیست ۱۹
(نفس للرجع والصفحة)

میتا ، فـیجب أن یکون نشیطاً له مضاء کضاء السیف ، ویحسن أن یتـرک التعلق بالدنیا ، ویسلك طریق المشق الحقیقی ، حتـی یفوز بـطاء الله ، ویملل ذلک بأن من قبلنا قد ذهبوا دون أن یجنوا من حبهم للدنیا شیناً ، فـیقول : « لقد عاش قبلنا ناسٌ لم یعوانوا فی طلب الجاه والثروة ، فانظر . ماذا أفادوا من ذلک الجاه ؟! لقد كانت فائدتهم مؤقتة ، فقادتهم إلى الفـوایة . فاجدواها ؟! ... »^(۱) .

ثم یقرر أن الإنسان سوف یعود إلى التراب مرة أخرى ، لأنه خلق منه ، وحينئذک سیخرج بعيداً عن دائرة الجاه والثروة ، مهما طال مقامه فیها ، فـیجب أن یتـرک الغرور حتـی یستطیع أن یسرع فی السهر ، ویکنه الوصول ، لأنه لیس طائرأ ؛ فلن یتـمکن من الطیر إلا إذا صار ربانیاً ، فلإنسان هو المسئول عن تخلفه وتقصيره ، ولا ذنب لـدھر فی ذلک ، مما یوضعه الشاعر فی قوله : « شربت السم . فما ذنب السم ؟ وارتکبت الجرم . فما تقصیر الدھر ؟! ... لا تـسب الدھر أیها الرجل اللیب ، لأنه لم یـجـرنا علی شیء »^(۲) .

ثم یمین أن الدھر قد حاول أن یخلق من کل منا إنساناً كاملاً ، ولـکننا لم تستجب له ، فلا یجب أن نلتق الهموم علیه ، لأن کل شیء یتوقف علی مبلغ قابلية الإنسان ، واستعداده للاستجابة والعمل ، وإن کان یرى أن الحظ — ایضاً — یلعب دوراً کبیراً فی إنجاح العمل ، وأن سوء الحظ قد یجعل الإنسان فی الحفیض ، کما أن حسن الحظ قد یرفع صاحبه إلى السـماکین ، ولـکن لا بد من العمل والجد ، فالعظـمة لا تنفق مع اللب ، ولم یصل من وصلوا إليها إلا بالسعی ، والجد ، ومواصلة ،

(۱) پیشتر از مادگران بوده اند کسز طلب جاه نیاسوده اند
حاصل این جاه بین که تا چه بود سودبد اما بزبان شد چه سود؟! ..
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۵۷)

(۲) باده تو خوردی گنه زهر چيست جرم تو کردی خلل دهر چيست؟!
دھر نکوهی مکن ای نیک مرد دھر بجاهی من وتو بد نکرد
(المرجع السابق ، ص ۱۵۷)

الحمل ، فيجب أن يسلك الإنسان سبيلهم ، وأن يسترشد بقلبه ، ولا يدعه مجالاً للأهواء المتباينة ، كما ينبغي عليه أن يترك الحرص لأنه يبعد القناعة ، ويقرر أن الدنيا واسعة ، ولكن فكر الإنسان ضيق ؛ ثم ينصح بأن يسخر الإنسان الدنيا بعدم التفكير فيها ، لأنها ألد أعدائه ، ويوضح ذلك بقوله : « إن كل مافي هذه الدنيا مملوء بالمعيب ؛ فلا تطلب الصداقة من المدو ، ولا تحاول أن تحصل على ماء الحياة من سم الأفي^(١) » .

ثم يورد قصة « طفل مجروح » وهي أن طفلاً خرج للعب مع بعض رفاقه ، وجري فزئت قدمه ، وكسر وسط ظهره ، حتى أوشك على التلف ، فارتاع أصحابه ، وفكروا في حيلة يتخلصون بها من الحرج أمام أبيه . « فقال أكثرهم صداقة له : يجب أن ندفنه في الحفرة التي زئت فيها قدمه ، حتى لا يُكشَف أسره ، فنخجل أمام أبيه^(٢) » . ولكن أحدهم - وكان عدواً له - ذهب إلى والده وأخبره بما حدث لابنه ، حتى لا يُتهم هو بتدبير ما حدث .

ويختم نظامي القصة بقوله : « إن كل من يحمل جوهر العلم قادر على تدبير جميع أموره ... فمن يستطيع أن ينتصر على الفلك ؟ . إنه ذلك الشخص الذي يمكنه أن يضع قدمه عليه^(٣) »

(١) در دوهتر نامه این نه دیر نیست یکی صورت معنی پذیر

دوستی از دشمن معنی مجوی آب حیات ازدم آفغن مجوی

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۵۹)

(٢) آنکه ورا دوسترین بود گفت درین چاهیش بیاید نهفت

تانشود راز چون روز آشکار تانشویم از پدرش شرمسار

(المرجع السابق ، ص ۱۵۹ - ۱۶۰)

(٣) هرکه درو جوهر دانائیست بر همه چیزش توانائیست

بند فلك را که تواند کشاد آنکه بر او باتواند نهاد

(المرجع السابق ، ص ۱۶۰)

۱۷ - المقالة السابعة عشرة

في العبادة والتجرد

يبدأ الشاعر - هذه المقالة - بلوم الإنسان ؛ لأنه يهمل نفسه ، وينسى ربه ، حتى يمرض جسمه ، وتشتق روحه ، وهو - في نفس الوقت - أناني يقبأه بنفسه وقوته ، ويظل غافلاً إلى أن تفارقه الحياة ، ثم ينصحه قائلاً : « لا تفرص على الدنيا ، ولا تطمع فيها ليس لك ، فإن قوة الدنيا وغدورها فوق طاقتك ، وإن قلبها أكبر من أن يقوى عليه ميزانك ^(١) » .

كما ينصحه بالرياضة والقناعة ، لأن الذين حرموا كنز الحقيقة هم الذين يحرصون على الدنيا ، أما الإنسان القانع الذي يرضى بحكم القضاء ، فإن يملك - فوق رأسه - تاج الرضا والسرور ، لأن الإنسان كلما قلّ ماله قلّ حسابه ، وقلت متاعه ؛ والشاعر يدعو إلى التجرد من الدنيا والتخفف من الأعباء ، فيقول : « إن الدنيا كالأمواج المهلكة ، فتخفف من الأعباء حتى تنجو سريعاً . . فخلص روحك ، وألق الأحمال في الماء ^(٢) » .

ثم يكرر النصيح بعدم التكالب على الدنيا ، ويوضح سبيل ذلك في قوله : « اعتدل في الأكل والنوم ، وفذّش عن الكنز العظيم في الخرابات ، ولا تعشق أكل الميتة كالحدأة ، بل انفر من الدم كالغراب ، فإذا تطهر جسمك من دماء

(١) چون خم گردون بجهان در میبچ آتجه نه آن تو بآن در میبچ
زور جهان بیش ز بازوی تست سنک وی افزون ز ترازوی تست
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۶۰)

(٢) موج هلاکت سبکتر شتاب جانیر وبار در افکنن بآب
(المرجع السابق ، ص ۱۶۱)

الفیر ، فإنك تأمن أن ينهش آكل الميتة لحك^(۱) .

والشاعر يعتقد أن كثرة الأكل تमित القلب ، وتؤثر في الأخلاق ، ونشل حركة العقل ، وهو لذلك ينصح بالتزام حد الاعتدال حتى في الضحك ؛ « لأن للضحك حيناً يخرج في غير وقته ، يكون البكاء أفضل منه^(۲) » .

ويرى أن المؤمن العاقل يحب أن يكون معتدلاً ، فيكون بين الخوف والرجاء ، يغم من الخوف أحياناً ، ويتسم من الرجاء أحياناً أخرى ؛ واجتماع الحزن والفرح ليس مستحيلاً ، لأن الليل يعقبه النهار دائماً ، وكل شيء زائل لا دوام له ، فيجب أن يتقبل الإنسان من الدهر حلوه ومره ، فلا يضجر ولا يثور حتى يصل إلى المظلة ، والشاعر يقرر ذلك في قوله : « يجب أن تتحمل التمسب الذي تحمله المظلاء ، حتى تستطيع الوصول إلى المظلة^(۳) » .

ثم يذكر قصة « شيخ وسيد » وهي أن شيخاً كان له مریدون كثيرون ، فأودع لديهم بضاعة في صورة أمانة ، فحنوها وتركوا حضرتها إلا واحداً ، فسأله الشيخ عن الملة في بقائه ، في الوقت الذي ذهب فيه كل رفاقه ، فأجاب المرید بأنه يتبع الشيخ دون غرض ، ولذلك بقي ، أما الذين يتبعونه بقصد الاستفادة ، فإنهم يذهبون فور الحصول عليها ، فهم كالغبار ليس لهم قرار في

(۱) قدردی به بی خوردی وخواهی درست

کنج بزرگی بخوابی درست

مردۀ مردارنه چون زغن زاغ شو وپای بخون در مزن
کرتن ییخون شده چون نسکار آینی از زحمت مردار خوار

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۶۱)

(۲) خنده چو بیوقت کشاید کره کره از آن خنده بیوقت به

(المرجع السابق ، ص ۱۶۳)

(۳) ناز بزرگانیت بیاید کشید تا بزرگی بتوانی رسید

(المرجع السابق ، ص ۱۶۴)

مكان واحد ، وإنما تذروه الرياح من مكان إلى آخر ، أما الجبل فإنه يستقر في مكانه طويلاً ؛ « ففض الصهد حرفة الهيديين عن طريق الحقيقة ، وتَحْمَلُ المشاق شأن الصابرين ^(١) » .

ويحتم الشاعر بالنصح بالزهد ، وبأن يكون الإنسان كسليمان الذي كان زاهداً رغم ما كان عنده من الملك والجاه ، وكالشمع الذي يقنع بفتيلة واحدة تحت قباء شمه ، رغم ما يشهه من نور ؛ ثم يتغنى بفضيلة الزهد مشيداً بزهد هو .

* * *

١٨ — المقالة الثامنة عشرة

في ذم المنافقين

يذم الشاعر — في هذه المقالة — المنافقين الذين يخالف ظاهرهم باطنهم ؛ « فهم يُظهِرون المحبة بأفواههم ، وَيُضْمِرُونَ الحقد ، ويقابلون الإنسان بحمارة ، وأكبادهم محترقة بفضاً وحسداً ؛ كما يقابلونه بحموية ، وقلوبهم ميتة ^(٢) » .

وينصح ألا يقبل الإنسان صداقتهم ، ولو على سبيل التجربة ، لأنهم يفشون سره ، كما يردد الجبل صدى الصوت ، ولأن صداقتهم لا تنتهى إلا بالمداوة .
ثم يبين أن الصداقة الحقّة كالبلسم الشافي ، ويرى ضرورة تَخَلُّص الإنسان من الصداقات المصطنعة ، التي تجعل الصديق يؤذى صديقه ، كما تأكل المرة

(١) پرده درى پیته دوران بود بارکشى کار صبوران بود

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٦٥)

(٢) مهر ، دهن در دهن آموخته کینه ، کره بر کره اندوخته

کرم و لیک از جگر افسرده تر زنده ولى از دل خود مرده تر

(للرجع السابق ، ص ١٦٦)

أولادها . وهو قلبك يقرر أصول الصداقة في قوله : « من الصديق ؟ ... إنه الشخص الذي يحفظ السر . أما المناقون فهم - كالفهر - يهتكون السِر »^(۱) .
والشاعر يعتقد أن القلب هو الذي يعرف العدو من الصديق ، مما يتجلى في قوله : « إن الشخص الذي يُنكِر قلبك صداقه يجب أن تعتبره عدواً ، مهما كانت صداقه ظاهرة براقه ، فالقلب - لا الجسم - هو الذي يعرف الصديق المخلص الوفي »^(۲) .

وهو لذلك ينصح بأن يحفظ الإنسان سره في قلبه ، فيقول : « كل مافي هذا العالم يهتك السر ، فليكن قلبك حافطاً لسرك ، فإذا لم يكن على قلبك قفل ، فكيف تطالب بالأقفال على قلوب الآخرين؟! ... »^(۳) .

ويرى أن الإنسان يجب ألا يضيق بسرّه ، وألا يفشيّه ، كما نفش السكوب مافيها من الخمر ، وليس معنى هذا أن يمادى الناس أو يعتمد عليهم ، وإنما يجب أن يتصل بهم مدة حياته في الدنيا ، على أن يكون حذراً ، يحسن اختيار أصدقائه؛ مما يوضحه الشاعر في قوله : « مادمت تعيش في هذه الدنيا ، فاجتهد في أن تحصل على صديق وفي ؛ ولا تفش إليه أسرارك ، قبل أن تتمكن جوهره »^(۴) .

(۱) دوست کدام ؟ آنکه بود پرده دار پرده درند اینهمه چون روزگار

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۶۷)

(۲) دوستی هر که ترا روشنست چون دلت انکار کند دشمنست

تن چه شناسد که ترا یار کیست دل بود آگه که وفادار کیست

(نفس للرجع والصفحة)

(۳) پرده درد هر چه درین عالمست راز ترا م دل تو محرمت

چون دل تو بند ندارد بر آن قفل چه خواهی زدل دیگران ؟

(المرجع السابق ، ص ۱۶۷)

(۴) پای نهادی چو درین داوری کوش که همدست بدست آوری

تا شناسی گوهر یار خویش باوه مکن گوهر اسرار خویش

(نفس للرجع والصفحة)

ثم يورد قصة « جشيد مع تابع مؤمن على السر » ، وهي أن جشيد كان له تابع يأتته على أسرارها جداً ، حتى لقد بلغت ثقته به درجة جعلته يأتته على أسرار خزائنه ، مما جعل الشاب يعتمد من كل المقرين إلى الملك ، ويحاول ألا يُطْلِع أحداً على السر ، وأخيراً استطاعت عجوز أن تصل إليه ، فوجدت لونه مصفراً مثل لونها ، وقد ذبل رغم شبابه ، ورغم معيشته في النعيم ، فسألته عن سر ذلك ، فأجاب بأنه يحمل في قلبه أسرار الملك ، وأنه لا يستطيع إفشاءها ، وأن صبره على حملها هو الذي غيّر وجهه في هذه الصورة ، وأنه قد عود نفسه على الصمت في جميع الأحوال ، حتى لا يفشي السر لأن حفظه السر حفظاً لحياته . فنصحته العجوز ألا يثق في أحد ولو كان ظله ، وأن يكون هورفيق نفسه ، لأن الماقل هو الذي يحفظ لسانه ، فلا يخرج كالكلب المجنون ، فيجب أن يحفظ الإنسان لسانه دائماً ، لأن للحيطان آذاناً تسمع الكلام وتنقله .
ثم قالت له : « كن كالماء ، وامح كل ما تسمعه ، ولا نقل كل ما تراه كالمرأة ^(١) » .

ويعلق الشاعر على هذه القصة ناصحاً ألا يتحدث الإنسان بكل ما يراه في الليل من القيوضات الإلهية ، فالليل مملوء بالأسرار والدقائق ، والعارفون لا يتحدثون عما يرون من الأسرار الإلهية ، ويبين سر ذلك قوله : « العشق الخفي كرامة ، فإذا ظهر تبخّر وتلاشى ^(٢) » .

وهو يعتقد أن القلب وحده هو القادر على رواية قصته ، فيؤكد ذلك في قوله : « إن قصة القلب لا يرونها إلا لسان القلب ، ففي استطاع القم أن يصل

(١) آب صفت هرچه شنیدی بشوی آینهسان آنچه بینی مگوی

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٧٠)

(٢) عشق که در پرده کرامات شد چون بدر آمد بخرابات شد

(نفس المرجع والصفحة)

إلى هذه المرتبة!!....^(۱) .

كما يرى أن السكوت ضروري في حالة المشق ، فيقول : « إن الفصاحة - في هذه الحالة - هي أن ينطق اللسان ، والسرعة هي أن يقاوم الإنسان ويتحمل^(۲) » .

ويتم بقلوبه : « تلك لغة القلب ، التي هي بيان القاب ، وترجمتها لا تنبسر إلا بلسان القلب^(۳) » .

* * *

١٩ - المقالة التاسعة عشرة

في استقبال الآخرة

يبدأ نظامي هذه المقالة بتصوير مجلس الخلوة ، فيبين أنه مزين ، مشرق بنور الله ، وأن التجليات فيه عيمة ، والأنفاس الإلهية تعطره ، فيفوح منه أجمل هب .

ثم يدعو إلى الإسراع إلى ذلك المجلس ، والاستعداد للآخرة ، والتجرد من كل ما يعوق عن عبادة الله ، وينصح بعدم التعلق بالدنيا ؛ قائلا : « إن الدهر هو عدوك الوحيد ، فأرْح نفسك من صداقته ، فكل من تعلق به قهره ، وجَرَّه إلى الهلاك^(۴) » .

(۱) كي دهن این مرتبه حاصل کند قصه دل هم دهن دل ممکن

(نظامی : غزن الأسرار ، ص ۱۷۱)

(۲) اینت فصاحت که زبان بستگیت اینت شتابی که در آهستگیت

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) آن لغت دل که بیاف دلست ترجمش هم زبان دلست

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) دشمن جانست ترا روزگار خویشتن از دوستیش واگذار

یعنی که بزغیر کیازا کشید هرکه درو دید زیازا کشید

(نفس المرجع والصفحة)

و بوجه الخطاب إلى الإنسان الفاضل ، فيقول : « يناديك الرقباء أنت
يا طالب الدنيا ، ويا تارك الدين ، أن أرجع عن باب الظالمين ، وحاول أن تلحق
بهذا المجلس الملي بالأمرار^(۱) » .

و يقرر أن الإنسان ، الذي خدعته الدنيا فارتكب فيها المعاصي ، سوف
يُحَاسَبُ يوم القيامة حساباً عسيراً ، على كل ما فعله ، ولذلك فهو يدعو إلى الحذر
واحترار الدنيا ، والتجرد من كل ما يتعلق بها ، حتى يصير الإنسان حراً ظليفاً .
كما يرى ضرورة اعتماد الإنسان عن الأنانية لأنها أخطر شيء على المجتمع .
فيقول : « إن كل من يدعى الأنانية في هذه الدنيا ، يقطع الطريق علينا ، فهو
يسرقني ويسرقك^(۲) » .

و يحذر من اتباع المصلين ، وينصح بأن يلوذ الإنسان بالتسبيح لهدف غارتهم .
و ألا يستصغر عدواً ، لأن الغفلة في ذلك بلاء عظيم ، وأن يكون بعيد النظر
حتى لا يهلك ، لأن التلمة المصفورة ، تنزع عين الأسد ، وأن يعد نفسه للرحيل
من الدنيا لأنها على وشك الفناء ، وإلا فسوف يخرج منها محترق الكبد
مطروداً ؛ و يبين أن الرحيل شرف ، ويدلل على ذلك بالليل والنهار ، فيقول :
« لو لم يكن السفر من التراب شرقاً ، لما سافر الفلك ليلاً ونهاراً ، فاستيقظ قبل
أن يُفَرَّ الشيطان بك ، وَتَمَسَّكَ بالدين ، واعتصم بالإيمان^(۳) » .

(۱) باتو دنیا طلب دین گذار بانک بر آورده رقیبان بار
کز در یداد گران باز کرد کرد سرا پرده ابن راز کرد
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۷۲)

(۲) هر که در این راه منی میکند بر من وتو راهزنی میکند
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) کر سفر از خاک نبودی هنر چرخ شب وروز نکرودی سفر
تا ندرود دیو کریسانت خیز دامن دین کبر ودر ایمان کبریز
(للمرجع السابق ، ص ۱۷۳)

ويكرر النصيح بالتجرد عن الجميع ، وعدم الاعتماد إلا على الله ، فيقول :
« الناس جميعاً كالظل ؛ فكأن أنت كالنور ، ولا تعتمد عليهم ، ولو كانوا جميعاً
طوع أمرك »^(٣) .

ويؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من قبضة الفلك ؛ لأنه لو قص
على الإنسان قصته ، وحده عما تم في خلال عمره ، لوجد أنه ليس شيئاً بالنسبة
إليه ، وأن عمر الإنسان لا يقاس في شيء إلى دوراته ، وأن عاقبة أمره
السكوت والنسيان .

ويرى أن يقف الإنسان نفسه لعبادة الله مدة حياته ، فيقول : « يحسن
أن تكون عاشقاً لله مدة حياتك في هذه الدنيا »^(٤) .

ويعلم ذلك بأنه سوف لا يُنظر إلى صورة الإنسان يوم القيامة ، بل يُنظر
إلى عمله ، فيطلق عليه اسم « خير » أو « شرير » على حسب عمله ؛ ثم ينصح
بعدم التقلب حتى لا يقدم الإنسان يوم القيامة ، فيقول : « لا تتقلب حتى
لا تنجبل - يوم الحساب - من نفسك و ربك »^(٥) .

ثم يكرر وجوب قطع علاقة الإنسان بالدنيا الغالمة ، حتى يرتفع شأنه ، ويسيطر
على الفلك ، فيقول : « انبذ هذا الفلك الذي يحرق الكبد ، واكسر هذه
الزجاجة المليئة بالدم ، وارجم هذه اللعبة البراقة ، وانسخ هذه الكلمة ، وسخر
هذه القلعة ، وطهر ما فيها من خبث ، وضع قدمك على هذا الأبلق الخفال ،

(٣) اينهمه چون سایه تو چون نور باش کر همه داری ز همه دور باش

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٧٣)

(٤) تا بجهان در نفسی میزنی به که در عشق کس میزنی

(المرجع السابق ، ص ١٧٤)

(٥) قلب مشو تا نشوی وقت کار هم زخود وهم زخدا شرمسار

(نفس المرجع والصفحة)

حتى تصير الملك المسيطر على هذا العالم ^(۱) .

ويتم نظامى القالة مقتخراً بنفسه ، وبأنه رب هذا الميدان ، ومشيدياً بطو قدره ، ورفعة منزلته .

ثم يورد قصة « هارون الرشيد والحلاق » وهى : أن الرشيد استيقظ مرة فى منتصف الليل ، وتوجه إلى الحمام مصطحباً الحلاق معه ، فطلب الحلاق منه أن يزوجه ابنته قائلاً : « يا من تأكدت من مهارتى ، خصص اليوم لمصاهرتى ، واعلن نبأ الزواج ، واجعل ابنتك خطيبة لى ^(۲) » .

ففى طبع الخليفة ، واسكنه لاذ بالحياه ، ظاناً أن حرارة الحمام ، وربة الموقف ، قد أثرتا فى الحلاق ، فغاب عن نفسه وتكلم هذا المراء ، ولكنه جربه فى ليلة أخرى ، فوجد منه نفس الشيء ، وكرر هذا عدة مرات ، فلم يغير الرجل أسلوبه ؛ فقص الخليفة القصة على الوزير ، وطلب منه أن يدبر وسيلة لزجر الحلاق ، بعد أن ترك الأدب معه ، وتطاول عليه .

فقال الوزير : إن أمر الحلاق أتفه من أن يشغل بال الخليفة ، وإنه يملأ ماحدث بأن الحلاق يضع قدمه على كنز ، مما يجعله مغروراً ، وأشار على الخليفة ، بأن يغير مكان الحلاق فى الحمام ، حتى يتغير موضع قدمه ، فإذا أفلح الحلاق عن عادته عفا عنه ، وإلا ضرب عنقه .

(۱) بانك بر اين دور جگر تاب زن سنك بر اين شيشه خوناوب زن
رجم كن اين لعبت شكراف را در قلم نسخ كش اين حرف را
دست بر اين قلمه قلمى بر آر پاى در اين ابلق ختلى در آر
تا فلك از منبر نه خرگه بر تو كند خطبه شاهنشهى
(نظامى مخزن الأسرار ، ص ۱۷۴-۱۷۵)

(۲) كاهى عدمه آگاه زأستادىم خاص كن اين روز بدامادىم
خطبه تزويج براىكننده كن دختر خود نامزد بنده كن
(المرجع السابق ، ص ۱۷۵-۱۷۷)

وقبل الخليفة ما أشار الوزير به ، وغَيَّر موضع جلوسه في الحمام ، فلما تغير وضع قدم الحلاق ، امتنع لونه ، وأصبح قليل الكلام مؤدِّباً ، يتَّبِع ما ينبئ عليه كحلاق ، ثم أمر الخليفة بأن يحفروا تحت للموضع الأول لقدم الحلاق ، ففعلوا ، فوجدوا كنزاً زاخراً .

ويعلق نظامي على هذه القصة بقوله : « إن كل من يضع قدمه على كنز ، ينثر الجواهر إذا تحدث ، وكنز نظامي الحطم للطمس ينحصر في صدر صاف ، وقلب مشرق ^(١) » .

* * *

٢٠ - القالة السرور

في وقاحة أبناء العصر

يبدأ الشاعر هذه القالة بقوله : « لِمَ ظَلَلْنَا تَاهِينَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا رَغْمَ أَنْفَادِ أَهْمَلْنَا أَنْفُسَنَا ؟ ! » ^(٢) .

ثم يعلل هذا بأن حب الدنيا - وهي تراب - قد جعل الإنسان في الخسيف - كالتراب - ويبين أن العمر قد ولى ، ومع ذلك فالتاس متأخرون عن القافلة ، وقد جُنَّ المَلَكَن من كثرة ما - جلاه من الأعمال السيئة ، كما تولى نور القلب وإشراق الصدر ، وانعدمت البركة ، وأوشك صبح القيامة على الطلوع ، ولكن يبدو أنه سيكون أسود من كثرة ذنوب البشر ، وهكذا ذهب السرور ، وضاع هدف العصر .

(١) هرکه قدم بر سر کنجی نهاد چون بسخن آمد کنجی کشاد

کنج نظامی که طلم افکنست سینہ صافی ودل روشنست

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٧٨)

(٢) ما که بخود دست برافشانده ایم بر سر خاکی چرا فرومانده ایم ؟

(نفس المرجع والصفحة)

وینصح بأن يحاول الإنسان أن يطهر روحه ، وينجو بها سالمة ، فيتعبد بها عن شرك الدنيا ، ويرى أن يستعمل الإنسان مهارته في هذا ؛ ثم يدعوهُ إلى الوفاء ، فيقول : « حاول أن تكون ذا وفاء ، فلا تعبد شمواتك ، بل كن ربانياً ^(۱) » .

کا يرى أن يطعم الإنسان قلبه ، لأنه مصدر الوفاء ، ولأن وفاءه دائم ، وأن يقدر الإنسان ما عند غيره من الفضل ، ويشيد به ، حتى لا يضع جوهر الفضل من هذه الدنيا ؛ وهو ذلك يقول : « إن الفضل إذا وُجد في الناس ، ولم تستحسنه ضاع جوهره ، أما إذا استحسنته فإنه يتخذ شكلاً آخر ، فيتضاعف ، ويثمر ^(۲) » .

ثم يبين الفرق بين الفضلاء وغيرهم ، فيقول : « إن الفضلاء يرعون الفضل - بأرواحهم - إذا رأوه في مكان ما ، لأن الأرض لا تظهر بنير الفضل ، ولكنه ليس موجوداً في الدنيا اليوم ، فلورفع الفضل - الآن - رأسه فإن الرذيلة تضع يدها عليه لتخفيه ، والناس يذلون الفاضل حتى يقضوا على فضله ^(۳) » .

ويعصور إهداء الناس للفضلاء ، فيقول : « إنهم يسخرون من الرياضة

(۱) جهد بر آن کن که وفارا شوی خود نرسق وخدارا شوی
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۷۹)

(۲) گر هنری در تن مردم بود چون نپسندی کهری کم بود
کر بپسندیش دگر سان شود چشمه آن آب موچندان شود
(المرجع السابق ، ص ۱۸۰)

(۳) مردم پرورده بجان پرورند کر هنری در طرفی بشکرند
خاک زمین جز بهنر پاک نیست واین هنر امروز درین خاک نیست
گر هنری سر زمین برزند بی هنری دست بدان در زند
کار هنرمند بجان آورند تا هنرش را بزبان آورند
(نفس المرجع والصفحة)

الفكرية ، ويعتبرون الفسکر نوعاً من الجنون ، والاکرم سفهاً ، والوفاء بلهاً ، فيفسخون من السخی ، وينددون بالصیخ ، وقد نقشوا وفاءهم على الثلج فهو سریع الذوبان ، وهم میالون إلى الشر بطبیعتهم ، فإذا نعم قوم راحة ، أكل الحسد قلوبهم ، وإذا أصابهم إحسان من إنسان ، انقلبوا حرباً علیه ^(۱) .
وبواصل الشاعر تصویره للحساد ؛ فبین أنهم یظهرون الجفاء للفضلاء ، ولا یبحثون إلا عن هیوهم ، رغم ندرة الفضلاء ، وقلة الفضل فی عصره .

ویدعوا أن الشاعر کان له بضعة حساد ، یقلون من شأنه - رغم ما فیهم من هیوب - فهم یحسدونه لخلوم من الفضل ، وهو یشرح کیفیة إیذائهم فی قوله :
« إنهم بصیرون دخاناً إذا وصلوا إلى أنف ، ویتحولون إلى ریح إذا وصلوا إلى مصباح . . . فتأمل حال الدنيا . . . من رؤساؤها الیوم !؟ . . . ومن المشهورون فیها !؟ . . . ومن المرشعون للرئاسة والشهرة !؟ . . . إن هؤلاء نفر الأوغاد ، یسبون إلى بلادهم ، ویمحاولون أن یحطمنوا کما یحطمون عهدهم ؛ ولكنی کالبدر فی السماء ، فلن یستطیعوا القضاء علیّ ، لأنی أتكامل باستمرار ، ولو أن سرورهم یزداد کما أصابنی مکروه ، إلا أنهم لن یتکفوا من اللیل منی ، لأنی أقوى منهم ^(۲) » .

(۱) گر نفسی مرهم راحت بود بدل این قوم جراحت بود
گر زلبی شربت شیرین چشند دست بشیرینه برویش کشند
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۸۰)

(۲) دود شوند آر بدماغی رسند باد شوند آر بجراغی رسند
حال جهان بین که سرانش که اند نامزد و نامورانش که اند !؟
این دوسه بدنام کهن مهد خویش می شکند همه چون عهد خویش
من بصفی چون مه گردون شوم نشکند آر بشکند افزون شوم
رنج کرشم زحد افزون برند با فلک این رقمه بسر چون برند
(المرجع السابق ، ص ۱۸۱)

ثم ینادی الخضر أن یحضر بعامة لیتقلب علیهم ، ویطلب من نوح أن یدعو علیهم لیهلكوا ، ویتمنى أن ینساهم قلبه الساخط ، وأن یتكون إمامه لم أكثر من إساءتهم التي لاحد لها ؛ وهو یعتقد أن ضجيجهم دلیل علی خلوم من الفضل ؛ لأن الهدف یحدث صوتاً إذا كانت فیة درة واحدة ، أما إذا امتلأ دراً فإنه لا یحدث صوتاً ، كما أن الجرة تُحدث صوتاً إذا كان نصفها ماء ، أما إذا امتلأت ماءً فإنها تصمت ، وهو لذلك ینصح بقوله : « إذا امتلأت علماً فاصمت ، واستمع كثيراً دون أن تتكلم ^(۱) » .

ثم یورد قصة « بلبل وصقر » وهي أن بلبلاً تحدث مع صقر فی فصل الربیع بینما كانت الزهور متفتحة ، والجلو عطرأ ، فقال له : « أنت أكثر الطیور صمتاً ، فلم حُزّت قصب السبق بین الطیور ؟ .. إنك لم تنف لحناً عذیباً منذ جئت إلى هذه الدنیا ، ومع ذلك فنزلت قصور السلاطین ، وطعامك قلب الطیور ؛ وأنا أستطیع أن أغنی مائة لحن جمیل فی یسر وسرعة ، فلم صار طعامی دیدان الصید ، ومنزلی فوق الأشوك ^(۲) ؟ ... »

« فأجابه الصقر : استمع إلى یجب أن تنمط بصمتی ، فتكون صامتاً مثلی ، فأنا أعمل كثيراً ، وأتكلم قلیلاً ، أما أنت فمأشوق للدنیا ، تتكلم كثيراً ، ولا تعمل

(۱) گر پری از دانش خاموش باش ترك زبان كوی و همه خاموش باش

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۱۸۲)

(۲) كز همه مرغان تو خاموش ساز كوی چرا برده آخر ییاز

تا توبل بسته كشادی نفس يك سخن نفسز نكفتی بكس

منزل تو دستگه مسجری طعمه تو سینۀ كبك دری

منكه يك چشم زد ازكان غیب صد كهر نفسز بر آرم زجیب

طعمه من كرم شكاری چراست خانه من بر سر خاری چراست ۱۲

(المرجع السابق ، ص ۱۸۲)

شیئا ، وانا مشغول بالصید دائماً ، وهو یوصلنی إلى قلب الطیر وید الملك^(۱) ،
أما أنت فجارح اللسان ، فكل الدیدان واجلس علی الشوك . والسلام علیك^(۲) .
ویتمم الشاعر من الدین یكثرون الضحیح رغبة فی الشهرة ولقائه ، فهو یتم
بقوله : « لا ترفع صوت النظم علیا ، حتی لا تصیر - كنظامی - أسیر للمدينة^(۳) » .

* * *

ثم تأنی بعد ذلك خاتمة المنظومة فیقول الشاعر : « أیها الكاتب . صبحك
الله بالخیر ، فقد انتهت هذه المنظومة بعد أن صور شرعی للمانی فی صور
زاهیه جمیلة كالطاولس ، ولو أننی قتُ بممل صغیر ، إلا أنه كان شاقاً صعباً ؛ لأن
مادته كانت نادرة قليلة ، ولولا مساعدة الحظ إیای ما وُفِّتُ حتی فی القیام بهذا
القدر ، وطالما راودنی الإحساس بأننی أخطأت ، لأنی قت بنظم هذه المنظومة^(۴) » .

(۱) یشیر الشاعر إلى عادة كانت مستعملة فی وقت العید ، فقد كان الناس یضعون
الصقر فوق ید الملك ، ثم یطلقونه كلامة لبدء الصید .

(۲) باز بدو گفت همه گوش باش خامشیم بنگر وخاموش باش
منكه شدم كار شناس اندكى صد كنم وباز نگویم یكى
روكه توى شيفته روزگار زانكه یكى نكته وگوئی هزار
منكه همه معین این صیدگاه سینته كبكم دهد و دست شاه
چون توهه زخم زبانی تمام كرم خور وخار نشین والسلام
(المرجع السابق ، ص ۱۸۲ - ۱۸۳)

(۳) بر مكش آوازه نظم بلند تاچو نظامی نشوی شهر بند
(المرجع السابق ، ص ۱۸۳)

(۴) صبحك الله صباح ای دیر جون قلم از دست شدم دستگیر
کاین نظم از چرخ فزونی کند با قلمم بوقلمونی کند
زین همه ألماس که بگداختم کز لکی از بهر ملك ساختم
کاهن شمیرم در سنگ بود کوره آهنگریم تنگ بود
دولت اگر همدمی ساختی بخت بدین نیز نپرداختی
در دلم آید گنه کرده ام کین ورقی چندسبه کرده ام
(نفس المرجع والصفحة)

ثم يطلب من الوالى - الذى قدم له المنظومة - أن يقرأها متعمقاً ، وأن يحو كل ما يجده خارجاً عن حد الياقة والأدب ، لأنه يعتقد أن منظومته قد رقت لواء العلم والأخلاق ؛ فيقول : « اقرأ واجعل الثانى شارك ، وفكرٌ يتقل ، وانح كل ما تجده بعيداً عن الأدب ، فإن المنظومة قد تمت كما ينبغي ، وأنا - شخصياً - مستعد لمحو كل ما أجده لا يرفع لواء العلم ، ولو لم أكن قد استعملت فيها منتهى الفصاحة ، ما أرسلتها من مدينة إلى أخرى ^(١) » .

ويقرر أنه لم يستفد من تعبه شيئاً غير الشهرة ، فيقول : « ما محصول من كل قديم وحديث . غير الشهرة ؟ ! . . . شهرة الحرب دون فائدة ؛ وتعيب السوق ، ولا شيء غير ذلك ^(٢) » .

وبشرفى النهاية إلى تقيده بكنجه ، ثم يحمد الله أن تمت المنظومة قبل وفاته ، فجملته غارقاً فى الذهب من رأسه إلى إخمص قدمه .

ويدعولن تكون هذه المنظومة من نصيبه فيقول : « لتكن هذه المنظومة - التى تنثر الذهب - مباركة على ملك تكون هى من نصيبه ^(٣) » .

(١) بيش رو وآهنگي پيشه کن کر کنی اندیشه باندیشه کن
هر سخنی کز آدبش دوریست دست بر او مال که دستوریست
وآنچه نه از علم بر آرد علم کر منم آن حرف دروکش قلم
کر نه درو داد سخن دادی شهر بشهرش نفرستادی
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ١٨٤)

(٢) از نظر هر کن و تازه حاصل من چیست جز آوازه
گرمی هنگامه وزر هیچ نه زحمت بازار ودگر هیچ نه
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) باد مبارک کهر افشان او بر ملکی کاین کهر ست آن او
(المرجع السابق ، ص ١٨٥)

وهكذا تنتهى منظومة « مخزن الأسرار » .

* * *

ونكتفى بهذا القدر فى عرض محتوياتها ، لننتقل إلى المقارنة ، بينها وبين
« حديقة الحقائق » لسنائى ، حتى يتسنى لنا أن نقدرها حقاً ، قدرها ، وأن نحكم
عليها حكماً صحيحاً دقيقاً .

الفصل الثالث

مقارنة مخزن الأسرار لنظامي بحديقة الحقائق لسناي

راجت - بين انبا حنين - ^(١) فسكرة أن نظامي قد نظم « مخزن الأسرار » ليقُلّد سنائي في منظومته « حديقة الحقائق » ؛ واستشهدوا على ذلك بإشارة نظامي إلى منظومة سنائي ، وذكره أنها قد قُدمت - مثل منظومته - إلى حاكم يدعى بهرامشاه ^(٢) ، ثم قالوا : إن الفرق بين المنظومتين ينحصر في اختلافهما في الوزن الشعري ، فقد اختار نظامي بحراً غير بحر « الحديقة » ونظم فيه منظومته ^(٣) .

ومن الجائز أن يكون نظامي قد قلّد سنائي ، فإن منظومتي « مخزن الأسرار » و « حديقة الحقائق » تدوران حول محور واحد ، هو التهذيب الخلقي ، ونشر الفضائل في المجتمع ، وإن كنا نجد نظامي نفسه يحاول جاهداً أن يثبت أنه مبتكر ، وليس مقلداً ، وأن عمله جديد ، لم يسبق إليه ، فيقول : « لم أقبل عارية شخص آخر ، بل قلت كل ما أوحى به قلبي ، فأودعت في المنظومة نعمة جديدة ، وأخرجت تحفة من قالب جديد ، فهي كنز للفقير وبركة للفقير ، وهي مخزنٌ

(١) باخر : حياة نظامي وآثاره (بالألمانية) ، ص ١١ ؛ برتلس : نظامي شاعر آذربيجان العظيم (بالروسية) ، ص ٥٥ .

(٢) نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٣٧ . حيث قال :

نامه دو آمد ز دو ناموسگناه هر دو مسجل بدو بهرامشاه
وقد سبقت الإشارة إلى هذا البيت .

(٣) نظم سنائي « حديقة الحقائق » في بحر الخفيف ، بينما نظم نظامي « مخزن الأسرار » في بحر السريع .

للأسرار الإلهية^(١) .

ثم يؤكد جده عمله فيقول : « لم يجلس على سكر منظومتى ذباب ، ولم تمد -
هي - يدها إلى سكر شخص آخر^(٢) » .

ويبدو أن الشاعر نفسه قد أحس بأنه ينظم في نفس الموضوع الذي سبقه
إليه سنائي ، فحاول أن يُغَيِّب أن نغمته جديدة ؛ وإن كان دفاعه عن منظومته ،
لا يكفي دليلاً على أنها جديدة - من حيث الموضوع - ؛ بل الواقع أنها تقليد لموضوع
منظومة سنائي . وليس هذا عيباً ، لأن الموضوعات التي تدور حول الفضائل ،
والتهذيب الخلقى لا تقتصر على شاعر دون الآخر ، فهي موضوعات إنسانية عامة ،
وقد ظهرت في الشعر ، نتيجة لنفوذ التصوف ، وارتفاع شأن علماء الصوفية في
ذلك العصر ، وكان سنائي ونظامي من السباقين في هذا الميدان .

ومهما يكن من شيء ، فإن بين المنظومتين تفاوتاً من الناحيتين المنهجية
والأسلوبية .

أما من الناحية المنهجية ، فنلاحظ أن منظومة « مخزن الأسرار » أحسن
تنظيماً وتماسكاً ، لأن الوحدة الموضوعية ظاهرة فيها ، فقد رأينا كيف قسمها إلى
عشرين مقالة تتلو كل مقالة منها قصة ؛ وهي - جميعها - ترمى إلى هدف واحد ،
وتحاول إصابته في دقة وقوة ، فحديثه فيها يحارب الظلم والفساد ، وعدم الوفاء ،
ويدعو إلى الإصلاح ، والتجرد من الدنيا ، والعمل للأخرة ، ونماذجها - جميعها -

(١) عاريت كس نپذیرفته ام آنچه دلم گفتم بگو گفته ام

شعبده تازہ بر انگیتتم هیکلی از قالب نو ریختم

مایه درویشی وشاهی درو مخزن اسرار الہی درو

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٣٦)

(٢) بر شکر او نقشسته مکس فی مکس او هکر آلود کس

(المرجع السابق ، ص ٣٧)

متشابهة ، والوحدة الموضوعية فيها واضحة ، مما جعل ترتيب « مخزن الأسرار » أدق - من الناحية المنهجية - من ترتيب « حديقة الحقائق » التي قسمها سنائي إلى عشرة أقسام :

الأول : في التقديس والتمجيد .

والثاني : في نست النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

والثالث : في صفة العقل .

والرابع : في فضيلة العلم .

والخامس : في الغفلة .

والسادس : في صفة الأفلاك والبروج .

والسابع : في الحكمة والأمثال .

والثامن : في العشق والمحبة .

والتاسع : في بيان أحواله .

والعاشر : في مدح السلطان .

وهكذا نجد أن الفكرة التي سيطرت في « مخزن الأسرار » ، وشملت المنظومة كلها ، ليست واضحة في « حديقة الحقائق » التي دار الحديث فيها حول موضوعات مختلفة .

وأما من الناحية الأسلوبية الفنية ، فإن نظرة فاحصة في المنظومتين تظهر لنا للفرق الواضح بينهما . فأسلوب سنائي يُعتَبَر جافاً إذا ما قيس بأسلوب نظامي ومافيه من رقة وعذوبة ، وأضواء زاهية ، وصور جميلة ، تفنن في إبرازها ، مستعملاً مقتضى الدقة والعناية ، وبأدباً جهداً كلفه عصارة قلبه ، ودم كبده ، كما كان يقول كثيراً .

ولعل السبب في ذلك أن سنائي أراد أن يتحدث بأسلوب العقل الذي يعتمد على الحجة والاستدلال والبرهان ، وهذه الطريقة لاتبدو خلاصة في الأسلوب

الشعری ، الذی یلعب الخیال فیہ دوراً هاماً .

وقد حاول سنائی أن یقنعنا بإمكان إخضاع كل شيء - حق الشعر - لقواعد المنطق والاستدلال ، حق لا ینتقد استعماله ألبوب العقل ، والمنطق ، وتطبیقه فی الشعر ، فأكثر من الحديث عن العقل ، بل إنه خصص الباب الثالث من حدیقه لبيان مزايا العقل ، تحت عنوان « صفة العقل ^(۱) » . فبین أن العقل أفضل ما خلق الله ، وأنه مفتاح كل الأمور للخلقة . وذلك فی قوله : « كل ما تحت السماء من خير وشر من محصول العقل ، فحينما خرج العقل من الملبسكوت الإلهی ، استقام به العلم والعمل ، ففی يده مفتاح الأمور ، وكل شيء يتوقف على وجوده ، فهو أساس الخير ، ومبعث الشر ، وسبب ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون ، فقد ورد فی المعلوم ثنقولة أن العقل أول شيء ، ثم يليه الشرع ^(۲) » .

وشرح قوة العقل وسيطرته فقال : « حينما يرتفع صوت العقل یخفى كل شيء ؛ فالعقل هو الجوهر ، وهو المبدأ ، وهو الرسول ، وهو الحارس ، وهو للسلطان القادر حسن الطبع ، وهو الذي يسمونه ظل الله فی الأرض ، والظل متصل بالذات دائماً ، وإلا ففی كان الظل منفصلاً عن الذات ؟ ! . . . ^(۳) »

(۱) سنائی : حدیقة الحقائق ، ص ۱۵۹ — ۲۰۰

(۲) هرچه در زیر چرخ نیک وبدند خوشه چینان خرمن خردند
چون در آمد زبرگاه ازل شد بدو راستکار علم وعمل
هم کلید امور در دستش هم راه امر بسته در هستش
مایه نیک وسایه بد اوست سبب بود وهست وباشد اوست
در حروفی که برده نقلست آخر شرع اول غفلست
(سنائی : حدیقة الحقائق ، ص ۱۶۹)

(۳) هر کجا نطق عقل برزد دم حرف وآواز در خزد بهدم
عقل هم گوهر است وهم کانست هم رسولست وهم نگهبانست
.....

عقل سلطان قادر خوش خوست آنکه سایه خداست گویند اوست =

تم بین الأشياء التي تخضع لنفوذ العقل ، فقال مستعملاً الطريقة الفلسفية :
 « إن النفس النامية تحت رعايته ، والنفس الناطقة تدير على هديه . . فالعقل
 هو الحاكم المسيطر على جسم البشر ، وهو المطلع على جميع الأحوال . . وهو ملك
 والأعضاء الأخرى حشم ، لأنها أقل مرتبة منه ^(۱) » .

وبلغ تصويره لقوة العقل ونفوذه درجة جعلته يقول : « اعلم أن العقل
 الشريف ، والنفس الناطقة ، هما والدا العالم اللطيف ^(۲) » .

ثم وضع هذا فقال : « إنه السبب في الأمة والرسالة ، وهو العلة في الصورة
 والميولا ، وهو الذي خلّق - أيضاً - منذ الخلق الأول ، فالصورة تحت هيولا
 للعالم ^(۳) » .

ثم جمع بين العقل والشرع ، لأنه يعتقد أن كليهما لا ينفصل عن صاحبه .
 فشبهما بالعين والنور ، فقال : « العقل عين والنبوة نورها ، فهو منها وهي منه ،
 لا يفترقان كثيراً ^(۴) » .

= سایه باذات آشنا باشد سایه باذات کی جدا باشد

(سنائی : حدیقة الحدائق ، ۱۶۹ - ۱۷۰)

(۱) نفس روینده در رعایت اوست نفس گوینده در هدایت اوست

.....

کدخدای تن بشر عقلست از همه حال باخبر عقلست

.....

عقل شاهست و دیگران حشم اند ز آنکه در مرتبت ز عقل کم اند

(المرجع السابق ، ص ۱۷۱)

(۲) پدر و مادر جهان لطیف نفس گویا شناس و عقل شریف

(المرجع السابق ، ص ۱۷۴)

(۳) سبب اُمت و رسولی او علت صورت و هیولی او

اونها داست هم بامر قدم صورة اندر هیولی عالم

(المرجع السابق ، ص ۱۷۷)

(۴) عقل چشم و پیمبری نوراست آن از بن این از آن نه بس دوراست

(المرجع السابق ، ص ۱۷۹)

وقد جعل سنائی العقل يتحكم في كل شيء حتى في أسلوبه ، فبدا جافاً ، كما نلاحظ من هذه الأمثلة التي مرّت ، وهي صورة صادقة لأسلوبه في المنظومة .
أما نظامي ، فإنه رغم موافقته لسنائی في أن العقل هو أول شيء خلقه الله ، إلا أنه يؤمن بوجود قوة أخرى ، تستطيع أن تصل - بفضل الله - إلى ما لا يستطيع العقل بلوغه بوسائله القاصرة ؛ وهي قوة القلب .

وأسلوب نظامي إن وصف بشيء فإنما يوصف بأنه أسلوب القلب ، لأنه يعتمد على الرياضة ، والتجلى ، والكشف ، والإلهام ، وهي العناصر التي تنفذ الشعر ، وتجعله رائعاً جيلاً ، فالشعر لسان القلب الذي يحسن التعبير عن إحساساته .

وأسلوب نظامي - من هذه الناحية - جذاب فنان ، لأنه يعتمد على القلب . وقد حاول الشاعر نفسه أن يحملنا نقتنع معه بقوة القلب ، وروعة التجليات التي يصل الإنسان - بواسطته - إليها ، بفضل الرياضة الروحية .

ولذلك ؛ أطلب نظامي في ذكر القلب ووصفه ^(١) . فبين أن الإنسان يجب أن يعتمد بحبل القلب ، حتى يصير عزيزاً ، فقال : «تعلّق برباط القلب ، فإن عزتك في أن تخضع للقلب ^(٢)» .

وهو يعتقد أن القلب مزيج من الروح والجسد ، ويشرح ذلك في قوله : «حينما خلق الله العالم ، أوجد مملكة الجسم والروح ، عن طريق التزاوج ، فظهر منهما القلب ، فهو النسل الذي وصل إلى الخلافة ، وهو الذي تقرأ باسمه خطبة السلطنة . إنه مخلوط النسل من الجسم والروح . وإن نور طريقك يعتمد على إشعاع القلب ، لأن الروح والبدن تابعان له ^(٣)» .

(١) نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٤٦ - ٧٠

(٢) دست در آویز بفتراک دل آّب تو باشد که شوی خاک دل

(الرجع السابق ، ص ٥٠)

(٣) چون ملک العرش جهان آفرید مملکت صورت و جان آفرید

داد بترتیب آذب ریشی صورت و جازا بهم آمیزشی =

ثم صور قدرة القلب على إدراك الحقائق عن طريق التجلي ، وبين سروره حينما وصل هو إلى الحقيقة ، التي أنارت ذهنه ، وملأت طبعه سروراً ، وجملته ينظم الشعر ، فقال : « حينما وصل حديث القلب إلى عقلي ، وصل الزيت إلى مصباحي فأضاء ، وأخذتُ أنصتُ إلى هاتف الروح ، وأستقبل التجليات الإلهية ، فصررتُ عذب اللسان من ذلك الفيض ، وبمَدْعَى النَمِّ ، فامتلاً طبعي سروراً ، وذرفتُ - من العين - دموعاً باردة ، صَيَّرَتْهَا حرارة القلب ساخنة ، وتخلصتُ من قيود الأعضاء ، فصررتُ قوياً ، بينما أَصْبَحَتْ هي ضميصة عاجزة ، فخنثتُ السير في هذا الطريق ، حتى أفتح باب كنز القلب سريعاً ^(۱) » .

فتظامي يستوحى قلبه ، ويستلمه ، ويتحدث بلسانه ، وأسلوبه متأثر بهذا ، بل إنه كثيراً ما كان يقول إن هاتفاً قد جاءه ، وأوحى إليه بما ينشده ، أو إن وحيّاً قد نزل عليه .

وهذه الطريقة أقرب إلى طبيعة الشعر من طريقة سنائي ، فكلماً كان الشاعر مُلْهِماً ما يقول ، كان شعره أرق وأجمل ، لأن الطريقة المنطقية تفقد الشعر رواءه ، وبهاءه ، وتذهب بحلاوته .

= زین دوهم آکوش دل آمد پدید آن خلقی کو بخلافت رسید
دل که بر او خطبه سلطانیت آکدش جنائی وروحانیت
نور اُدیعت زسهیل دلست صورت وجان هر دو طفیل دلست
(نظامی : غزن الأسرار ، ص ۵۰)

(۱) چون سخن دل بدماغم رسید روغن مغزم بجراغم رسید
کوش در این حلقه زبان ساختم جان هدف هاتف جان ساختم
چرب زبان گشتم از آن فریبی طبع ز شادی پروازغم تهی
ریختم از چشمه چشم آب سرد کآتش دل آب مرا گرم کرد
دست بر آوردم از آن دست بند راه زنان عاجز ومن زورمند
در تک آنراه دو منزل شدم تاییکی تک بدر دل شدم
(نفس الرجوع والصفحة)

وقد حاول نظامی أن یثبت أنه تحدث بما رآه فی أثناء الرياضة ، والمراقبة ، وأنه دُعِيَ إلى الدخول ، فانضم إلى المجلس الذی أشرق بنور الله ، فأدرك الحقائق ثم صاغها شعراً . فأثبت ذلك فی قوله : « لقد احتبس لسانی فی ذلك المجلس ، فأمسك المشق بعنائی ، وقادنی إلى حیث التجلیات الإلهیة ، فقال ملك السر : من الذی جاء فی هذا الوقت ؟ . قُلْتُ : إننی آدمی ، فإذا أذِنتم لی - مرة - سَعِدْتُ برؤیة الحقائق . فأتی لللائكة الحجب بیداً ، كما أهدوا عنی حُجُب جسی ، وجاء صوت من أخص بقعة . أن أدخل ینظامی ، فاقتربتُ من أخص حارس لها ، فقال ادخل ، فتوغلتُ فی الدخول ، حتی بلغتُ مجلساً مشرفاً بالأنوار الإلهیة ، وقد أقلت عین السوء عن رؤیته . وحينذاك أدركت الحقیقة ^(۱) . »

فكما قلده الشاعر الصوفی فی الاعتكاف للتفكر والمراقبة ، نجده يستعمل أسلوبهم فی شعره فیجمله برأفاً خلافاً .

ولعل هذا یفسر لنا الفرق بین أسلوب كل من سنائی ونظامی ؛ فأسلوب نظامی أرق وأجل .

ویدوان نظامی - نفسه - قد أحس بالفرق بین أسلوبه وأسلوب سنائی ، وأیقن أن أسلوبه یفُضُّ أسلوب صاحبه ، لأننا نجده یقول : « ولو أن الشعر فی الحدیقة »

(۱) چونکه در آن تعب زبانم گرفت عشق نقیانه عنانم گرفت
حلقه زدم گفت بدینوقت کیست ؟ گفتم اگر باردهی آدمیست
پیشروان پرده برانداختند پرده ترکیب در انداختند
لاجرم از خاصترین سرای بانگ درآمد که نظامی در آی
خاصترین محرم آندر شدم گفت درون آی دروتر شدم
بارکهی یافتم افروخته چشم بد آزدیدن او دوخته
(نظامی مخزن الأسرار ، ص ۵۱)

كالذهب ، إلا أن سكة ذهبي أفضل ^(١) .

وهكذا نرى أن نظامى - فى « مخزن الأسرار » - وإن يكن قد قلد سنائى فى « حديقة الحقائق » - من حيث الموضوع ، فاتخذ الشعر وسيلة للتهديب الخلقى - على طريقة الصوفية - إلا أنه قد تقدم خطوة جديدة ، فجعل منظومته أدقّ تنظيمياً ، وأرقّ أسلوباً ، وتناول فيها موضوعاً محدداً ، فاستوفى الحديث منه بأسلوب شعرى جميل .

وقد عرض نظامى المساوىء - التى كانت فى عصره - فى صراحة وجراحة ، وكان حديثه مملوئاً بالاحتجاج الفاضل ، كما كان يتمنى أن يسود المدل والوفاء فى دنيا سرية الزوال ، أنه من أن يُزَرَّع فيها ظلم أو حقد . وهو - فى هذا - عكس شعراء البلاط تماماً ، لأنه لا يوافق مثلهم ، بل يعتمد على الأسس الدينية فى محاربة الظلم والاضطهاد ، وهى طريقة لم تكن تخدم أغراض الحكام المتناحرين فى عصره .

وقد أصبح نظامى - بطريقة هذه - إماماً قلده كثير من الشعراء فى إيران ، والمهند .

فمن قلدوه : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام ٧٢٥ هـ ، الذى نظم « مطلع الأنوار » ؛ وخواجه كرمانى المتوفى فى عام ٧٤٢ هـ ، الذى نظم « روضة الأزهار » ؛ وكاتبى المتوفى فى عام ٨٣٨ هـ ، الذى نظم « كلشن أبرار » ؛ وعرفى الشيرازى المتوفى فى عام ٩٩٩ هـ ، الذى نظم « مجمع الأبيكار » .

وقد قلد هؤلاء جميعاً منظومة « مخزن الأسرار » لنظامى شكلاً وموضوعاً ؛ فاختراروا وزنها الشعرى ، وتأثروا بما ورد فيها من محتويات .

(١) كچه در آن سكه سخن چون زدرست

سكة زرمن از آن بهترامت

(نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٣٧)

١٥٠ م - نظامى

ونذكر منهم على سبيل المثال أمير خسرو المهلوى الذى قسم منظومته
« مطلع الأنوار » إلى عشرين مقالة ، تحدث فيها عن الأخلاق ، والفضيلة ،
والوحدة مع الله ، مُقَلِّدًا أستاذه نظامي - فى « مخزن الأسرار » - إلى حد كبير^(١).

* * *

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن « مخزن الأسرار » ؛ لننتحدث عن
منظومة الشاعر الثانية « خسرو وشيرين » .

Mohammad Wahid Mirza : The life and works of Amir (١)

Khusrau, p. 190.

البَابُ الثَّانِي

منظومة خسرو وشيرين

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

دراسة مول منظومة خسرو وشيرين

١ — تاريخ إتمام المنظومة :

شرح نظامى فى نظم قصة « خسرو وشيرين » بعد فراغه من نظم « مخزن الأسرار » .

ويدون اختياره لما كان استجابة لما فى نفسه من حب لزوجه الأولى « آفاق » - من ناحية - ، وإرضاء لبل الناس فى عصره - من ناحية أخرى - ؛ فقد كانوا يولون إلى هذا النوع من القصص الذى يصور العشق فى أجل صوره وأروعها ^(١) .

وهى تقع فى ٦٥٠٠ بيت من الشعر تقريباً ، نظمها الشاعر فى بحر المزج المسدس .

وأرجح أنه فرغ من نظمها فى عام ٥٨٢ هـ ، وإن كان الباحثون يختلفون فى ضبط تاريخ إتمامها ؛ فباخر يقرّر أنها تمت بعد « مخزن الأسرار » بعشر سنوات ، أى فى عام ٥٧١ هـ ، لأنه يرجح أن منظومة « مخزن الأسرار » قد اكملت فى عام ٥٦١ هـ ، مما سبق مناقشته .

ويستشهد على ذلك بيت من الشعر ، هو قول نظامى : « لم يضع شخصٌ مثَلَ هذا الخيال على وجه الجليات ، منذ إحدى وسبعين وخمسة سنة ^(٢) » .

(١) سبق ذكر الآيات التى تشير إلى سبب اختيار الشاعر لهذه القصة رغم أنه بدأ بمخزن الأسرار .

وقد ورد هذا البيت - بنفس الرواية السابقة - في إحدى مخطوطات المتحف البريطاني بلندن^(١)، كما روى روايات مختلفة، تغيّر التاريخ فيها إلى عام ٥٧٦هـ^(٢)، كما تغيّر إلى عام ٥٧٩هـ^(٣)، وإلى عام ٥٨٠هـ^(٤).

ولكننا نستبعد كل هذه التواريخ، التي نتجت عن تغيّر روايات البيت الذي يثبت تاريخ إتمام المنظومة ؛ خصوصاً بعد أن أثبتنا أن الشاعر أكل منظومة « مخزن الأسرار » - التي تسبقها - في عام ٥٨١هـ ، مما يرجح أن منظومة « خسرو وشيرين » تمت بعد هذا التاريخ .

كما أكل منظومته الثالثة « ليلي ومجنون » في عام ٥٨٤هـ - كما سيأتي - وهذا يرجح أن « خسرو وشيرين » تمت في السنة التي تقع بين ٥٨١هـ و ٥٨٤هـ . ونحن نميل إلى أنها تمت في عام ٥٨٢هـ ؛ لأن نظامي - حينما دعاه قزل أرسلان إليه ، وسأله عما إذا كان أخوه جهان پهلوان قد أعطاه شيئاً - أجاب بما يفهم منه أن جهان پهلوان مات منذ مدة قصيرة ، لأنه أتى اليوم على الأقدار التي اختطفته من الدنيا - سريعاً - قبل أن ينفذ ما أوصى به ، فأصابته كما أصابت العالم بحسارة فادحة ، فقال : « نعم ، لقد أسر - لي - الملك الراحل السيد بجائزة من ماله الخاص ، فلما طوت السفينة بحر عمره سريعاً ، أصابني بل أصابت العالم كله بضرر بالغ . . . ولكن سوف سوف تروج من جديد ، فتقدّر مثل هذه المنظومة المحببة إلى النفوس ؛ مادام قد خلفه على العرش حاكم مثلك ،

(١) Rieu : Suppl. to the Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. P. 155.

(٢) گذشته از پانصد و هفتاد و شش سال زدر خط خوبان کس چنین خال (نظامی : خسرو وشيرين « نشر دستگردی » ، ص ٤٤٥)

(٣) Rieu : Suppl. to the Cat. of the Persian Mss. in the Brit. Mus. p. 154.

(٤) گذشته از پانصد و پنجاه و سی سال زدر خط خوبان کس چنین خال (خمسة نظامی « طبع طهران » ، ص ٤ من المقدمة)

من نسل الحکام المصلحين^(۱) .

فهذا دليل على أن دعوة قزل أرسلان كانت عقب وفاة أخيه جهان بهلوان - الذي توفي في أوائل عام ۵۸۲ هـ - ؛ مما يرجح أن الشاعر أتم قصة « خسرو وشيرين » قرب وفاة هذا الأتابك ، ولكن سرعة موته حالت بين الشاعر وبين الجائزة ؛ فأرسل مديحاً إلى أخيه - وخليفته - قزل أرسلان ، فدعاه إليه ، وأثابه بسعاه .

وهذا هو الذي يحملنا نرجح أن المنظومة أكلت في عام ۵۸۲ هـ ؛ بينما كان السلطان طغرل السلجوقي شاباً ، في الثامنة عشرة من عمره . وقد أشار الشاعر إلى ذلك في قوله : « إن السلطان الشاب ملك حسن الحظ ، فليكن ذا عرش وتاج دائماً^(۲) » .

* * *

۲ - تقديم المنظومة وما أصابه من نجاج :

قدم الشاعر هذه المنظومة للأتابك جهان بهلوان ، ثم قدمها لأخيه . قزل أرسلان من بعده ، ولكنه بدأ بمدح السلطان طغرل السلجوقي الذي كان ابن أخيهما ، وكان فضلاً عن ذلك السلطان الشرعي على العراق وكرديستان

(۱) بلی شاه سعید از خاص خورشید پذیرفت آنچه فرمودی زبیشم

چو بحر عمر او کشتی روانکرد مرانه جمله عالم را زیانکرد

ولی چون هست شاهی چون تو برجای

همان شهزادگان کشور آرای

از آن پذیرفتهای رغبت انگیز ذکر باره شود بازار مژ تیز

(نظامی: خسرو و شیرین ، ص ۴۵۵)

(۲) چو سلطان جوان شاه جوانبخت که برخوردار باد از تاج و از تخت

(المرجع السابق ، ص ۱۵)

وآذر بیجان ، رغم آنها کانا متصرفین فی کل شئون الدولة - منذ کانا وصیین علیه - لصغر سنه .

وقد أصابت هذه المظومه نجاحاً لم تصبه غيرها من منظومات الشاعر ، فقد تقبلها جهان پهلوان بقبول حسن ، وأمر بإثابة الشاعر على عمله ، ولو أن أمره لم يكتب له التنفيذ ، نظراً لوفاته ، وعدم تنفيذ أتباعه ما أمر به .

كما رحّب بها قزل آرسلان ، فدعا الشاعر ، وأحسن استقباله ، وجالسه يوماً كاملاً ؛ بما يصوره الشاعر في قوله : « أمر الأتابك برفع أواني الخمر احتراماً لي ، فتوقف للشفاة ، وسكت المطربون ، وقال : لنستفد - هذا اليوم - من نظمي - ، من الصباح إلى المساء - بدل الشراب وللفناء ، فنفات ، نظمه أحلى من العود ، وشعره غناء .. لقد جاء الخضر ، فلنترك الخمر ، لأننا نجد - بفضل - ماء الحياة ^(۱) . ثم أخذ الشاعر يصور مبلغ احترام الأتابك له ، واستماعه إلى نصائحه ، وثنائه على علمه ، وحكمته ، وإشادته بشعره ، وإعجابه بمنظومة « خسرو وشیرین » فقال : « كان الإعجاب بغير الأتابك وهو يستمع إلى نظمي ، فلما وصل الحديث إلى خسرو وشیرین ، كان الإعجاب قد بلغ أعلى درجاته ، فوضع يده على كفتي ، وأخذ يغمرني باستحسانه - دون انقطاع - قائلاً : لقد أحييت - بمنظومتك - تاريخنا القديم ^(۲) . »

(۱) فرمود از میان می بر گرفتند مدارای مرا پی بر گرفتند
بخدمت ساقیانرا داشت در بند بسجده مطربانرا کرد خرسند
إشارت کرد کاین یک روز تاشام نظامی را شویم از رود و از جام
نوی نظم او خوشتر ز رودست سراسر قولهای او سروداست
چو خضر آمد زباده سر بتاییم که آب زندگی باخضر یابیم
(نظامی خسرو وشیرین ، ص ۴۵۲)

(۲) حدیثم را چو خسرو گوش میکرد ز شیرینی دهن پر نوش میکرد
حکایت چو بشیرینی در آمد حدیث خسرو وشیرین در آمد

نم منج الأتابك الشاعر قرية - كجائزة له على نظمه هذه القصة - وأثبت الشاعر ذلك في قوله : « قال الأتابك : ائتد أصبح فرضاً - على وعلى أخى - أن تخصص لك مرتباً ، تقديرآ لتعبك الذى استغرق سنوات - في سبيل نظم هذه القصة - . . وقد كان أخى بطلاً مظفرآ ، فاذا قدم لك من الجواهر ؟ سمعت أنه منحك قرية من ماله الخاص لتعيش في رفاة ، فهل سلوك هذه القرية أم لا ؟ . . وهل أرسلوا إليك أمر ملكيتها أم لا ؟ . . » ^(۱) .

وقد أجاب الشاعر بلباقة ، فقال : « إننى - منذ البداية - لم أنظم هذه القصة الجميلة طمأ في العطاء ؛ فقد كان هدفى - من نظمها - أن تكون وسيلة لمحك ، والآن .. ليم أطلب الأجر بعد أن ظفرت بشكركم ، ورضاكم ؟ ! » ^(۲) .
ثم قال إنه لم يظفر بمنحة أخيه الراحل لسرعة وفاته ، فسُر الأتابك بإجابته ؛ وأمر له بالقرية ، مما وضحه الشاعر في قوله : « قبل الأتابك منى هذه الإجابة ،

شهنشه دست بردوشم نهاده ز تحسین حلقه در کوشم نهاده
گزارشهای بی اندازه کردی بدان تاریخ مارا تازه کردی
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۵۳ - ۴۵۴)

(۱) ترام بر من وهم بر برادر معاشی فرض شد چون شیر مادر
برادرکو شهنشاه جهان بود جهان را هم ملك وهم پهلوان بود
بدان نامه كه بردی ساهارنج

چه دادت دست مزد از كوهر و از كنج
شدیم قرعه زد بر خلاص دوباره قرعه زد از مال خاص
چه كوئی آن دهت دادند یانه مثال ده فرستادند یانه ؟
(المرجع السابق ، ص ۴۵۴)

(۲) كه من یاقوت این تلج مكال نه از بهر بها برستم أول
مرا مقصود ازین شیرین فسانه دعای خسروان آمد بهانه
چو شكر خسرو آمد برز بانم فسون شكر و شیرین چه خوانم ؟
(المرجع السابق ، ص ۴۵۴ - ۴۵۵)

لأنه أحس بإخلاصى الدائم له ، فأهدانى قرية « حمدونيان » وأعطانى أمراً بملكيتها ، وأن تكون متوارثة من بعدى ، ووقع عليه باسم قزل شاه ، فأصبحت القرية ملكاً لى بكل ما فيها ، لسد حاجتى وحاجات ذريتى - نسلا بعد نسل - وجعلها مضافة من الضرائب ، وأسقطها من ملكيته إلى يوم القيامة^(١). وهكذا أئيب الشاعر بسطاء^(٢) ، فأطنب فى وصف ما حدث ، فقد كانت زيارته لقزل أرسلان هى المرة الوحيدة - فيما يبدو - التى ذهب الشاعر فيها إلى حاكم - بناء على طلبه - مما جعل لسانه يلهج بشكره ، والثناء عليه .
والواقع أن هذه المنظومة هى أسعد منظومات الشاعر حظاً ، فطبيعى أن يسهب الشاعر فى مدح الأتابك ، وأن يرثيه بعد قتله .
وقد ألحق بالمنظومة قطعة شعرية فى رثاء الأتابك^(٣) ، فأشار إلى استشاده

(١) پذیرفت آن دعا وحمدا شاه باخلاصى كه بود ازل بدورا
چو خوبا حمد و با إخلاص من كرد ده حمدونيان را خاص من كرد
بملوكى خطى دادم مسلسل بتوقيع قزلشاه مسجل
كه شد بخشيده اين ده بر تمامى زما بر زاد بر زاد تمامى
ملك طلق دادم بى غرامت بطلق ملك او شد تا قيامت
(نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٥٥)

(٢) بالغ دولتشاه فى تقدير الجائزة التى أعطاهاقزل أرسلان لنظامى فقال فى تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ . إن الأتابك خلع عليه أربع قرى مزروعة معمورة والطريف أن باخر أخطأ فى كتابه : حياة نظامى وآثاره (بالألمانية) ، ص ٢٧ . فتقوم أن « حمدونيان » تدل على قريتين اسم إحداهما « حمد » واسم الأخرى « نيان » . وحاول أن يصحح خطأ دولتشاه فوقع هو فى الخطأ ، لأنه ترجم « چهار ده معمور ومزروع » - أى أربع قرى معمورة مزروعة - ، على أنها « چهار ده » أى أربعة عشرة قرية .

(٣) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٥٨-٤٥٩

قائلاً : « استشهد إثر ضربة من أحد أهل السوء ، سوف تكون عاقبته في الآخرة ، أسوأ من نهايته في الدنيا ^(۱) » .

وبدیهی أن وصف الشاعر لمجلس الأتابك ، وتسجيله لما دار بينهما من أحاديث ، كان بعد زيارته له ، أي بعد عام ۵۸۲ هـ ، وأن رثاءه للأتابك كان بعد قتله في عام ۵۸۷ هـ ، مما يرجح أنه كان يضيف إلى منظوماته بعض الملحقات أحياناً .

* * *

۳ - شخصيات الفصح وأماكنها :

منظومة « خسرو وشیرین » قصة أساسها الحب الذي يربط بين قلبين « خسرو پرویز » أحد ملوك الساسانيين ، ومعشوقته الأرمينية « شیرین » .

وقصة عشق « خسرو وشیرین » معروفة متداولة ؛ فقد كان الناس يتناقلونها في صورة روايات شفوية ، يؤيدها وجود بعض الآثار المتصلة بها ، والأماكن التي مُثِّلَتْ فيها بعض أدوارها .

وقد أشار الطبري إلى أن قصصاً كثيرة تدور حول « خسرو پرویز » تنتشر بين الإيرانيين ^(۲) ؛ وأيده الفردوسي الشاعر ، فقال - حينما بدأ يعرض هذه القصة نظماً - : « الآن أجدّد قصة قديمة ، فأنظم قصة خسرو وشیرین ^(۳) » .

ولهذه القصة أبطال ، وأماكن مُثِّلَتْ فيها أدوارها .

أما أبطالها ؛ فهم - كما عرضهم نظامي - ينحسرون في هذين الاسمين :

(۱) شهادت یافت از زخم بداندیش

که پادشاه آنجهان پادشاه آفرینیش

(نظامي : خسرو وشیرین ، ص ۴۵۸)

(۲) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ۲ ، ص ۱۳۷-۱۶۰ .

(۳) كنون داستان سكهن نوكنم سخنهاي شیرين وخسرو كنم

(فردوسي : شاهنامه ، ج ۵ ، ص ۲۲۵)

« خسرو » و « شيرين » - كما يدل عليهما عنوان المنظومة - وفي شخص ثالث ، اسمه « فرهاد » .

ولئن كان « خسرو » أحد ملوك الساسانيين ، فإن « شيرين » مختلف في أصلها ، وموطنها ؛ فقد روى أنها كانت من بلاد الأرمن ، كما قيل إنها كانت من آذر بيجان ، وإن كان اسمها يرجح أنها إيرانية ^(١) . ويبدو من عرض نظامي لقصة أنها كانت أرمنية ، عاشت في المنطقة القريبة من بحر الخزر .

وسواء أكانت شيرين إيرانية أم أرمنية ، فهي شخصية تاريخية - كخسرو سواء بسواء - لم يشك أحد في وجودها . ولا يعنينا أصلها بقدر ما يعنينا ما كان بينها وبين خسرو من صلات الحب ، وحرارة العشق . أما فرهاد ؛ فن الجائز أن يكون شخصاً خيالياً - من خلق نظامي - تمشياً مع الطريقة للثبته في نظم مثل هذه القصص ، ومع مذهبه هو الذي سيأتي الحديث عنه .

والذي يجعلنا نرجح أن فرهاد شخصية خيالية انعدام الدلائل التاريخية التي تثبت وجوده ، فلم يرد اسمه في الكتب القديمة : كتاريخ الطبري ^(٢) ؛ وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للتمالي ^(٣) ؛ وكتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني ^(٤) ؛ ولم

(١) من الجائز أن يكون اسم شيرين قد وضع لمعشوقة خسرو بعد زواجها منه ، لإثبات أنها إيرانية ، كما بذلت محاولات لإثبات أن الإسكندر إيراني . وقد نقل دودا ، في كتابه فرهاد وشيرين (بالألمانية) ، ص ٩٠ - عن المؤرخ الأرمني سبثوس أن شيرين من أهالي خوزستان ، وقال إن خوزستان كانت مشهورة بقصب السكر ، وأن اسمها شيرين - أي حلوة - مأخوذ من هذا .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ١٣٧-١٦٠ .

(٣) التماي : غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، ص ٦٩١-٦٩٤ .

(٤) ابن الفقيه الهمداني : كتاب البلدان ، ص ١٥٨ .

يذكر في الشاهنامه لفردوسی^(١).

ويبدو أن نظامي هو أول من ذكر اسم فرهاد، في منظومته « خسرو وشيرين ». أما القناة المنحوتة في جبل « بيستون »، والتي قيل إن فرهاد شقها لينقل اللبن بواسطتها من مراعي الملك إلى قصر شيرين؛ فقد ذكرها القزويني في كتابه آثار البلاد^(٢)، ومن يدري!؟ ... فلعل القزويني متأثر - في ذلك - بما ورد في « خسرو وشيرين » لنظامي، لأن كتابه مؤلف في عام ٦٧٤ هـ، أي بعد أن نظم الشاعر القصة بأكثر من تسعين عاماً.

ويبدو أن وجود هذه القناة، وإشارة الشاعر - في منظومته - إلى أن فرهاد هو الذي قام بشقها، حتى يحظى - إذا ما أفلح - بالزواج من شيرين، هو الذي ساعد على اختلاف القصص حولها، وحول فرهاد. وقد راجت هذه القصص حتى أضفت على فرهاد مسحة تاريخية - خصوصاً بعد أن جعله نظامي منافساً لخسرو - جعلته شخصية تاريخية، كخسرو وشيرين سواء بسواء.

* * *

وأما الأماكن التي مثلت فيها أدوار القصة فهي: بلاد الأرمن، في الشمال الغربي لإيران، خصوصاً في عاصمتها « بردع » بالقرب من بحر الخزر - حيث كانت ديار شيرين -، ثم أجزاء مختلفة من إيران - ديار خسرو - كأذربيجان، والمداين، وقصر شيرين - بالقرب من كرمانشاهان؛ ولا زالت أطلال القصر، والقناة المنحوتة في الجبل، وبعض الآثار الأخرى توجد حتى الآن.

* * *

وندع هذا الحديث حول المنظومة، لنعرض - في اختصار - قصة « خسرو وشيرين » كما صورها نظامي.

(١) فردوسی . شاهنامه ، ج ٥ ، ص ٢٢٥-٢٥٥ .

(٢) القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٢٨-٢٣٢ .

الفصل الثاني

قصه خسرو وشيرين كما عرضها نظامي

بدأ نظامي منظومة « خسرو وشيرين » بمقدمة تقليدية ؛ تحدث فيها عن توحيد الله ، ومدح الرسول ، وسبب نظم القصة ، ومدح مَنْ قدمت لهم ، ثم تحدث عن العشق ، وأهميته في حياة البشر ، حتى يبرر نظمه لقصته « خسرو وشيرين » . وختم المقدمة بالإشارة إلى الصراع الذي حدث بينه وبين نفسه ، حينما شرع في نظم هذه القصة ^(١) .

ثم بدأ القصة بالحديث عن ولادة « خسرو پرويز » ^(٢) فقال : « لما أصبح قمرى كسرى آنوشيروان محاقاً ، أسند العرش إلى « هرمز » ، الذي كان ملكاً مظلماً عادلاً ، فصر الدنيا ببدله ، وترسم خطي والده ، فأكثر من البر والعطف ، وأحيا رسوم الدين » ^(٣) .

ودعا « هرمز » ربه - في تضرع وخشوع - أن يهبه ابناً ، فاستجاب الله دعاءه ، ومنّ عليه بابن جميل « ملح فيه علامات الملك فسماه خسرو پرويز » ^(٤) .

(١) نظامي : خسرو وشيرين ، ص ۲-۳۹ . وقد سبقت الإشارة إلى هذه الأشياء ، وعرض صور منها .

(٢) « خسرو پرويز » معناها « الملك المظفر » .

(٣) كه چون شدماه كسرى در سياهى بهرمز داد تخت پادشاهى
جهان افروز هرمز داد ميكرد بداد خود جهان آباد ميكرد
همان رسم پدر برجاي ميداشت دهش بردست ودين برپاي ميداشت
(نظامي : خسرو وشيرين ، ص ۴۰)

(٤) پدر در خسروى ديده تماشى نهاده خسرو پرويز نامش
(نفس المرجع والصفحة)

وقد أحاط الشاعر « خسرو پرویز » - بطل القصة - بهالات البطولة منذ صغره ،
فحدث عن ذكائه ، وحسن نمائه ، واعتدال قامته ، وفطر جماله ، وروعة
فصاحته ، وإلمامه بكل علم وفن ، قبل أن يبلغ العاشرة من عمره .
كما تحدث عن قوته الخلارقة ، « فقد كان - وهو في العاشرة من عمره -
يصرح من كانوا في سن الثلاثين ^(۱) » .

كما كان قوياً بشطر بسيفه الحجر نصفين ، ويحكم الرماية ، فلا يخطئ الهدف
أبداً .

« فلما بلغ عمره الرابعة عشرة بدأ علمه يظهر ، وأخذ يلم بالعلوم الخفية ، ويطلع
على حسنات العالم وسنائه ^(۲) » .

« وكان أستاذه يدعى « بزرك أميد » ... وكان عالماً ، عاقلاً ، ملماً بدقائق
العلوم الملوية ^(۳) » .

وقد توفر على تربية خسرو ؛ « فأشرق قلبه بتعليمه ، وتلقن عنه حكماً
كثيرة ^(۴) » .

ثم تحدث الشاعر عن حرص « هرمز » على تلقين ابنه مبادئ العدل ،

(۱) چو برده سالگی افکند بنیاد سر سی سالگان میداد برباد

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۱)

(۲) چو عمر آمد بعد چارده سال بر آمد مرغ دانش را پروبال

نظر در جستجهای نهان کرد حساب نیک و بد های جهان کرد

(للرجع السابق ، ص ۴۲)

(۳) بزرك أميد نامی بود دانا بزرك أميد از عقل وتوانا

.....

بدست آورده أصرار نهانی کلید کنجهای آسمانی

(للرجع السابق ، ص ۴۲)

(۴) دل روشن بتعلیمش برافروخت وزو بسیار حکمتها در آموخت

(نفس للرجع والصفحة)

وأخذه بالشدة في تطبيق العدالة ، فذكر أن « خسرو » ذهب يوماً للصيد ، ثم نزل في قرية ليقضى فيها ليلته ، وشُئِلَ بالشراب ، بينما أكل حصانه نبات المزرعة ، وسرق خادمه مافيا ، فلما رجع إلى نفسه ، غضب ، وأمر بقطع قوائم الحصان ، وقدم خادمه لصاحب المزرعة . ولم يكتفِ والده « هرمز » بهذا بل غضب عليه ، وأنبه لتمديه على الرعية ، ولم يعف عنه إلا بعد زراعة ومعدرة ، حينما أيقن أنه استقام ، وأصبح أهلاً لولاية العرش من بعده ^(١) .

ثم أخذ الشاعر يمد لظهور « شيرين » فأورد أن « خسرو » رأى - في منامه - جده « آنوشيروان » يعطيه أربعة أشياء هي : شيرين الجميلة ، وشبديز - وهو حصان سرعته كسرعة الرياح المرسلة - ، والعرش - الذى اعتز به آباؤه وأجداده - ، وباربد المغنى الذى طبقت شهرته الآفاق ^(٢) .

ثم ذكر أن « خسرو » كان له نديم خاص اسمه « شاپور » ، كان ماهراً في فن الرسم والتصوير مهارة « مانى » ^(٣) ، فضلاً عن طوافه العالم من الغرب إلى المشرق .

وذات يوم أخبر شاپور خسرو بأن امرأة تدعى « شميرا » تحكم بالقرب من بحر الخزر ، وهى تلقب بـ « ميهن بانو » ^(٤) لفرط قوتها ، التى فاقت قوة الرجال .

وكانت « شميرا » تقضى فصل الربيع في موقان ، والصيف في بلاد الأرمن ،

(١) نظامى خسرو وشيرين ، ص ٤٣-٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧-٤٨ .

(٣) للتعود بمانى هذا النهى الفارسى القديم الذى يشر بالديانة المانوية المعروفة ويبدو أنه كان ماهراً في فن النقش والتصوير ، كما ذكر أبو المعالى محمد الحسينى العلوى في كتابه بيان الأديان ، ص ١٧ .

(٤) لقب « ميهن بانو » معناه « أعظم النساء » أو « المرأة العظيمة » .

والخريف في بلاد الأبخاز ، والشتاء في بردع^(١) ، كما كانت تبسط نفوذها على إقليم أران ، وتمتلك من الخيل المسومة مالا عد له ولا حصر^(٢) .

ولم تكن متزوجة ، وإنما كانت تعيش مع ابنة أخيها « شيرين » .
التي كانت ولية عهدها ، وكانت فتاة عفيفة بارعة الجمال ، كالزهرة المتفتحة ،
عطرة الراحمة ... شفتاها حلوتان ، واسمها - أيضاً - شيرين^(٣) . ولهذا فقد شبّه
الشعراء شفتها بالحلوى^(٤) .

وكان أسراء العالم يطعمونها ، كما كانت سبعون فتاة جميلة يقمن بخدمتها ؛
حق ليُغَيَّلَ للإنسان أن مكانها كالجنة ، وأن هؤلاء الفتيات كحور الجنة
للشهورات^(٥) .

وكان عندها حصان جميل أسود اللون يسمى « شبديز^(٦) » كان سريع
العدو جداً ، يستطيع أن يفزو بسرعته جميع أرجاء العالم^(٧) .

وهنا بدأت قصة عشق « خسرو » لـ « شيرين » ، فإن شاور الذي لم يكذب

(١) كانت بردع أو بردعة - قديماً - عاصمة إقليم أران ، وقد احتلت كنجها مكانها
بعد اضمحلالها ، كما مر .

(٢) نظامي : خسرو وشيرين ، ص ٤٩ .

(٣) سبقَت الإشارة إلى أن « شيرين » معناها حلوة .

(٤) هنر فتنه شده برجان پاکش نبشته عهده عنبر بخاکش

رخش نسرین وبویش نیز نسرین لبش شيرين ونامش نیز شيرين

شكر لفظان لبش را نوش خوانند وليعهد مہين بانوش دانند

(نظامي : خسرو وشيرين ، ص ٥٢)

(٥) اگر حور بهشقي هست مشهور بهشت است آنطرف وآن لعبتان حور

(للرجع السابق ، ص ٥٣)

(٦) كلمة « شبديز » معناها « أسود كالليل » .

(٧) نظامي : خسرو وشيرين ، ص ٥٣ .

یفرغ من کلامه عن «شمبرا» و«شیرین» حتی استیقظ المشق فی قلب «خسرو»
فصار ولها، لا یقام ولا یستريح من فرط المشق^(۱) .

ورجا «خسرو» «شاپور» أن یُحضِر له «شیرین» فوعد بذلك، ورحل
إلى بلاد الأرمن حیث أقام فی دیر، وأخذ یسأل الرهبان عن مساكن «شیرین»،
وبعد جمع المعلومات الکافیة رسم صورة «خسرو» على ورقة کبيرة، وأرسلها إليها.
وهنا - أيضا - بدأ عشق «شیرین» لخسرو، فلم یکد نظرها بقع على
صورة «خسرو» حتی قالت لفتياتها «أحضرن هذه الصورة .. من رسمها؟
لا تخفین هذا الأمر .. فأحضرن الصورة أمام الماشقة، فجلست تنظر إليها بضع
ساعات، فقد تعاق قلبها بها، فلم یستغ الانفصال عنها، وكانت کل نظرة إليها
تجعلها تملة، فتغیب عن وعيها .. وقد ضعف قلبها من شدة المشق، ولكنها
- رغم ذلك - كانت تبحث عن الصورة - کما أخفتها فتياتها من أمامها - حتی
خشین أن تصیر شیرین أسيرة الصورة، فتذبل وتذوی، فقطعنها - رغم جمالها -
حتى یتلاشى رسم صاحبها من ذا کرتها^(۲) .

(۱) چو برگفت اینسخن شاپور هوشیار فراغت خفته کشت وعشق یدار

چنان آشفته شد خسرو بدان گفت کزان سودا نیاسود وغمیخت

(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۵۴)

(۲) بخوبان گفت کان صورت یارید که کرد است این رقم پنهان مدارید

یارورند صورت پیش دلین بر آن صورت فروشد ساعتی چند

نه دل میداد ازو دل بر کرفتن نه میشاییش اندر بر کرفتن

بهر دیداری ازوی مست میشد بهر جامی که خورد از دست میشد

چو میدید از هوس میشد دلی مست

چو میکردند پنهان بازی جست

نکبهانان بترسیدند از آن کار کز آن صورت شود شیرین گرفتار

دریدند از هم آن نقش گزین را که رنگ از روی بردی نقش چین را

(الرجع السابق، ص ۶۰)

ولكن شاپور رسم صورة خسرو مرة أخرى ، وأرسلها إلى « شیرین » فلما تأملت فيها - مرة ثانية - انعقد لسانها وهامت روحها^(۱) .

ثم أرسل شاپور إلى شیرین صورة ثالثة « فرأت عينها المحيبة فيها مسكنًا لروحها ، وراحة لقلبها .. كما أبصرت فيها انعكاسًا لنفسها ، فسَكَرَ لُبُّهَا حينًا^(۲) » .

« وَعَرَفَتْ حارساتها أن الأمر جد لا هزل ، فقدمن على ما فرط منهن وأَخَذْنَ يَتْنِينَ على تلك الصورة^(۳) » .

فأرسلت شیرین إلى شاپور ، وطلبت منه الحضور لمقابلتها ، فلما مثل بين يديها ، سألته عن صاحب الصورة ، فأخبرها بأنه خسرو پرويز الذي يمتاز به مُلْكُ إيران ، وبالغ في وصف محاسنه والثناء عليه « وكانت شیرین تنصت إلى حديثه ، وقد ثاب إليها رشدًا^(۴) » .

وسألها شاپور عن عواطفها نحو صاحب الصورة ، فأجابت بقولها : « لقد

(۱) ذکر باره چو شیرین دیده بر کرد در آن تمثال روحانی نظر کرد
پرواز اندر آمد مرغ جانیش فرو بست از سخن گفتن زبانش
(نظامی: خسرو و شیرین ، ص ۶۱)

(۲) ذکر ره دید چشم مهر بانیش در آن صورت که بود آرام جانیش
.....

در آن آئینه دید از خود نشانی چو خود را یافت بخود شد زمانی
(المرجع السابق ، ص ۶۳)

(۳) بدانستند کان کار پری نیست عجب کار است کاری سرسری نیست
از آن پیشه پشیمانی گرفتند بر آن صورت ثنا خوانی گرفتند
(نفس المرجع والصفحة)

(۴) سخن میگفت و شیرین هوش داده بدان گفتار شیرین گوش داده
(المرجع السابق ، ص ۶۷)

أَحَبَّيْتُهُ وَتَمَلَّقْتُ بِهِ ، وَصَرْتُ أَفْكَرَ فِيهِ لَيْلاً وَنَهَاراً^(۱) .

فقال شابور : « أنا الذي رسمت تلك الصورة ، ومهما تسكن متقنة فإنها لا تمدوا أن تكون رسماً لا روح فيه^(۲) . ثم خاطبها بقوله : « إذا كنتِ قد فعلتِ مثل هذا بعد رؤية صورة خسرو ، فكيف بك إذا رأيتَ هو شخصياً ؟ سوف ترين دنيا مشرقة يشع نورها ، فيبهر جميع الأرجاء ، وتبصرين شجاعاً ماهراً جليلاً ، كالنزال في جهاله ، وكالأسد في قوته وبطشه^(۳) .

« وَدُهُشَتْ شِيرِينَ مِنْ سَمَاعِ هَذَا الْكَلَامِ الْمَذْبُ ، وَقَبْلَتْهُ جَمِيعُهُ ، فَكَانَ الَّذِي سَمِعَهَا مِنَ الْأَنْظَامِ الْحَلُوةِ^(۴) .

وهكذا نلاحظ أنه كما عشق خسرو شيرين قبل أن يراها ، عشقته هي قبل أن تراه ، وقد حرص الشاعر على تصوير عاطفة الحب المشوبة عند كل من للماشقين قبل أن تضيئها جاسة واحدة .

(۱) در این صورت بدانسان مهر بستم که کوفی روز و شب صورت پرستم
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۶۸)

(۲) من آن صورتگرم کز نقش پرگار
ز خسرو کردم اینصورت نمودار
هر آن صورتکه صورتگر نگارد نشان دارد ولیکن جان ندارد
(المرجع السابق ، ص ۶۹)

(۳) چو تو بر صورت خسرو چینی بین تا چون بود کاورا بینی
جهانی بینی از نور آفریده جهان نا دیده امانور دیده
هکری چابکی چستی دلیری بمهر آهو بکینه تندشیری
(نفس المرجع والصفحة)

(۴) وز آن شیرین سخن شیرین مدهوش
همی خورد آن سخنها خوشتر از نوش
(المرجع السابق ، ص ۷۱)

نم اخذ بصور كيف حاول كل من الماشقين أن يلتقي بصاحبه ، وكانت
الخطوة الأولى من شيرين ، فقد نصحتها شاپور بالسفر للقاء خسرو ، قائلاً لها :
« يحسن أن نخرجي فداً للصيد دون أن تُخَيِّرِي أحداً ، ثم تمتطي صهوة شبديز
لتتوجعي إلى خسرو ، فاخرجي للصيد ، ثم اهرى منه إلى المشوق ^(۱) .
ثم أعطاهما خاتم خسرو كعلامة مميزة لها ، ووصف لها زيَّه ، وملامح وجهه
حتى تعرفه إذا رأيته .

واسعاذنت شيرين عمتها « موبن بانو » في ركوب شبديز ، وانخروج للصيد ،
فَأَذِنَتْ لها ؛ فركبته ، وتوجهت إلى المدائن ، لقاء خسرو ^(۲) .
وأبصرت شيرين في وسط الطريق عين ماء ، « وكانت متوقفة من تعب
السفر ، فضلاً عما علاها من الغبار ، فزادت لتستريح وتستقم ، بعد أن طافت حول
العين فلم تر آثاراً لشخص ما ^(۳) » .

وهنا حدثت مفاجأة لم تكن متوقعة ، فقد دَبَّرَ خصم لخسرو مكيده
للإيقاع بينه وبين والده ، فضرب نقوداً باسم « پرويز » ليوم « هرمز » أن
خسرو هو الذي ضرب هذه النقود ، لأنه يريد أن يستولى على العرش .
وأحس خسرو بما دَبَّرَ له ، فَأَثَرُ الفرار حتى تهدأ الأحوال ، فأخبر
جواريه بأنه ذاهب إلى الصيد ، وأمرهن بإكرام شيرين الجليلة ، إذا وصلت إلى

(۱) صواب آنشدكه نكشائی بكس راز كفی فردا سوی نخجیر پرواز
چو مردان بر نشین بر پشت شبدیز بنخیر آی واز نخجیر بگریز
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۷۱)

(۲) المرجع السابق ، ص ۱۷ — ۷۳ .

(۳) زرنج راه بود اندام خسته غبار از پای تاسرر نشسته
بگردد چشمه جولان زد زمانی ده اندرده ندید از کس نشانی
(الرجع السابق ، ص ۷۷)

للدائن لأنها ضيفة عزيزة ، كما أمرهن ببناء قصر لها في أى مكان تريده من الصحراء - إذا لم تنطق الحياة في الدائن - وأن ينفذن رغباتها لأنها تقتصر على إلهام من الله ^(۱) .

« ثم توجه خسرو صوب بلاد الأرمن مسرعاً يطوى الأرض طياً ^(۲) » .
وتصادف أن تعب «صانه» فى نفس المكان الذى نزلت فيه شيرين ،
فنزله « فرأى عروساً جميلة كالبدرة المتلألئة فى وسط السماء ^(۳) » .
« ورأته شيرين فنثرت شعرها فوق وجهها ^(۴) » .

ولكنها شعرت بحب نحو الشاب الذى رأته دون أن تعرفه ، وخطبت نفسها قائلة : «عجيب أن يستولى على قلبى إذا لم يكن معشوقى ! فكيف يستولى على قلبى إذا لم يكن محبوبى ؟ ... ^(۵) » .

(۱) هذا تضمين لقول الشاعر :

گر آید نار پستانی در این باغ چو طاووس نشسته بر بر زاغ
فرود آید کان مهمان عزیز است شما ماهید و خورشید آن کنیز است

وگر تنگ آید از مشکوی خضرا چو خضر آهنگ سازد سوی صحرا
در آن صحرا که او خواهد بتازید بهشقی روی را قصری بسازید
بدان صورت که دل دادش کوئی خبر میداد از الهام خدائی

(نظای : خسرو و شیرین ، ص ۷۹-۸۰)

(۲) زمین کن کوه خود را گرم کرده سوی ارمن زمین را نرم کرده

(المرجع السابق ، ص ۸۰)

(۳) عروسی دید چون ماهی مهیا که باشد جای آن مه بر نریا

(المرجع السابق ، ص ۸۰)

(۴) زهر سو شاخ کیسو شانه میکرد بنفشه بر سر گل دانه میکرد

(المرجع السابق ، ص ۸۱)

(۵) شکفت آید مرا گر یار من نیست دلم چون برد اگر دلدار من نیست

(المرجع السابق ، ص ۸۳)

کافتن خسرو بالفتاة التي رآها دون أن يعرفها؛ « فتوجه إلى بلاد الأرمن
بائساً لأنه أحس بأنه قد انفصل عن معشوقته ^(۱) » .

وهكذا تقابل العاشقان ، وانفصلا دون أن يتعرف كل منهما على الآخر .
وتوجه خسرو إلى ديار شیرین علی أمل أن يراها ، كما توجهت هي إلى المدائن
وهي تطعم في لقائه .

ووصلت شیرین إلى المدائن « فاستقبلتها الجوارى بالطريقة التي أمر بها
خسرو ، ولم يخبرنها بشيء عنه ^(۲) » .

واسكن شیرین لم تلبث أن علمت بملة هروب خسرو ، وأدركت أنه كان
الشاب الذي قابلته بالقرب من العين ، وتأكدت من صدق الشعور الذي
أحسّت به .

وأقامت في المدائن بعض الوقت ، ثم خشيت أن تمرض ، فطلبت من
الجوارى أن يبين لها قصرًا - في الصحراء - قريباً من المراعى ، فامتثلن الأمر ،
وَبَيَّ القصر ، وكان يبعد عشرة فراسخ عن كرمانشاهان ، ولكنه - بسبب فراق
خسرو - لم يكن بهيئاً عن كرمانشاهان وحدها ، بل عن العالم كله ^(۳) .

وعاشت شیرین في القصر الجديد ، « وقد جعلتُ عشق خسرو ، والحزن على
فراقه شغلها الشاغل ، فاعتزلت العالم جميعه ^(۴) » .

(۱) بنومیدی دل از دلخواه برداشت بدار الملک ارمن راه برداشت

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۸۸)

(۲) برسم خسرو بنواختندش ز خسرو هیچ وانشناختندش

(الرجع السابق ، ص ۸۹)

(۳) بده فرسنگک از کرمانشاهان دور نه از کرمانشاهان بل از جهان دور

(الرجع السابق ، ص ۹۲)

(۴) غم خسرو رقیب خویش کرده در دل بر دو جهان پیش کرده

(الرجع السابق ، ص ۹۲)

ووصل خسرو إلى بلاد الأرمن ، ثم توجه إلى « موقان » ، ثم جاوزها إلى « باخرزان » وعلمت « مهین بانو » بمجيئه فأسرعت لاستقباله ، وجمّزت له جيشاً ومؤناً^(۱) .

وقد قضى خسرو أسبوعاً في ضيافتها ، ثم دعته لقضاء الشتاء في مدينة « بردع » مما صوره الشاعر في قوله : « قَبَلْتُ « مهین بانو » الأرض بين يدي خسرو ، وقالت : إن لنا حاجة ، هي أن تشرف دار الملك « بردع » بقضاء فصل الشتاء فيها ، حيث الجو معتدل ، والماء والزرع متوافران ، فقبل خسرو مطلبها ، وقال لها : تفضل بالذهاب إليها ، وسأجىء أنا في إثرك^(۲) .

وقضى خسرو - في تلك الديار - أوقاتاً جميلة ، « ولم تقصر مهین بانو في خدمته ، فكان يشغل بالهم والطرب ليلاً ونهاراً ، ولكنه إلى جانب شرب الخمر كان يحس بمرارة فراق شیرین^(۳) » .

(۱) از آنجا سوی موقان سر بدر کرد

ز موقان سوی باخرزان گذر کرد
مهین بانو چو زین حالت خبر یافت
بخدمت کردن شاهانه بشتافت
باستقبال شاه آورد پرواز
سیاهی ساخته بابرک وباساز
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۹۳)

(۲) مهین بانو زمین بوسید و برجست
خسرو گفت مارا حاجتی هست
که دار الملك بردع را نوازی
ز مستانی در آنجا عیش سازی
هوای گرمسیر آن طرف را
فراخیا بود آب و علف را
إجابت کرد خسرو گفت برخیز
تومیرو کلمدم من بر اثر نیز
(الرجع السابق ، ص ۹۵)

(۳) مهین بانو بدرگاه جهانگیر
بکرد از شرط خدمت هیچ تقصیر
شہ آنجا روز و شب عشرت همیکرد
می تلخ و غم شیرین همی خورد
(نفس الرجع والصفحة)

و ذات ليله ، اقام خسرو حفلا زاخراً ، و جلس يشرب الخمر ، و يستمتع بالفناء حتى غاب عن نفسه ، ولم يَنْبُ إلى رشده إلا حينما علم نبأ عودة شاپور من بلاده ، فاستدعاه إليه وسأله عن شيرين ، فأخذ يصفها له ، و قص عليه خسرو ما حدث بالقرب من عين الماء - بعد أن أدرك أن الفئاة التي رآها لم تمكن غير شيرين - معشوقته - التي هرب إلى بلادها ليلحق بها ، ثم « أسر شاپور أن يذهب - إليها - مرة أخرى ، كما تذهب الفراشة في إثر النور »^(۱) .

وفي اليوم التالي دخلت « ممين بانو » على خسرو و تحدثت معه في أمر شيرين واختفائها ، فأخبرها بأنها تقيم في بلاده ، وأنه قرر إرسال رسول لإحضارها ، فسرت ، و شكرته ، و قالت له : « إذا أرسلت - أيها الملك - رسولا إليها فأرجو أن تخبرني بموعد سفره ، حتى أهدى إليه حصاناً يُسمى كلكون »^(۲) ، وهو سريع العدو من فصيلة شيديز^(۳) .

ثم رحل شاپور راكباً هذا الحصان السريع حتى وصل إلى المدائن ، و بحث عن شيرين فلم يجدها ، و علم أنها تقيم في قصر خاص ، فتوجه إليها ، و دعاها للسفر إلى ديارها ، حيث يوجد خسرو ، قائلاً لها : « تهينى للسفر كما أمر پرويز ؟ ثم أركبها كدكون ، و جعلها تتوجه إلى حيث تحقق أحلام معشوقها »^(۴) .

(۱) قرار آن شد که دیگر باره شاپور چو پروانه شود دنبال آن نور (نظامی . خسرو و شیرین ، ص ۱۰۲)

(۲) « کدکون » کلمة فارسیة معناها « وردی اللون » .

(۳) اگر قاصد فرستد سوی آو شاه مرا بایدز قاصد کردن آگاه
بحکم آنکه کدکون سبک خیز بدو بمحتم زهمزادان شیدیز
(المرجع السابق ، ص ۱۰۴)

(۴) پس آنکه گفت شاپورش که برخیز

که فرمان اینچنین داداست پرویز
وز آنکسخن بر آنکسگون نشاندش

بگلزار مراد شاه راندش
(المرجع السابق ، ص ۱۰۸)

وهكذا بدا أن العاشقين في طريقها إلى اللقاء ، ولكن الأقدار كانت لها بالمرصاد ، فحالت بينهما وبين ذلك ، لتزيد ما بينهما من حب شدة واشتعالا . فلم تكذب شيرين تأخذ طريقها إلى خسرو ، حتى وصل إليه رسول يحمل أنباء سمل هينى والده ، وموته ، وأنه صار الوارث الشرعى لعرش الأكاسرة . « فلما علم الملك الشاب أن قضاء الله قد حكم على عرش والده « هرمز » بالانهيار ؛ توجه إلى دار ملكه ، ليجلس على العرش ، وقد غره السرور ^(۱) » .

ووصل خسرو إلى عاصمة ملكه ، وكانت شيرين قد بلغت ديارها . واسكنه كان يظن أنها لم تتحرك بعد من مقامها ، فخرج بمحجة الصيد ، وتوجه إلى قصرها فلم يجدها « وأخبروه أن المعشوقة الحسنة قد رحلت مع شاپور - منذ مدة - وأنهم لا يملكون أين حملها ، وتعجبوا من صنيع شاپور مادام الملك لم يأذن له بذلك !... » ^(۲) .

« ولم يبق من شيرين - على سبيل الذكرى - إلا حصانها شبدیز ؛ فكان شريكاً لخسرو في الحزن على فراقها ^(۳) » .

ثم انتقل الشاعر بنا إلى بلاد الأرمن لنجد شاپور قد وصل إلى محل إقامة خسرو ، فلم يجد ، فسلم شيرين لعمتها مهين بانو التي سرت بلفائها ، ولم تعانها ،

(۱) چوشد معلوم کز حکم الهی بهرمز برتبه شد پادشاهی
بفرخ تر زمان شاه جوانبخت بدار الملك خود شد برسر تخت
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۱۱۰)

(۲) خبر دادند کاکنون مدتی هست

کز این قصر آنگارین رخت بر بست
نمیدانیم شاپورش کجا برد چو شاهنشاه نغمه دوش چرا برد ؟
(الرجیع السابق ، ص ۱۱۱)

(۳) ز شیرین بر طریق یادگادی تک شبدیز کردش غمگساری
(نفس الرجیع والصفحة)

« لأنها أيقنت أن المشق هو السبب في سلوكها هذا المسلك ^(۱) » .

وأقامت شیرین في ديارها تطوى بين جوانحها قلباً مفعماً بحب خسرو ، ونفساً هائمة ولوعة ، تفكر في معشوقها ، وتود لو سمح الدهر لها باللقاء . وظلت تنقلب الفرس ، حتى أذنت الأقدار للعاشقين بالاجتماع في مكان واحد ؛ فقد رفع أحد قواد خسرو علم المصيان ضده ، واستطاع أن يؤلب الشعب ، ويثيره وأكّره خسرو على الفرار فوالى وجهه شطر آذربيجان ، ليلجأ مرة ثانية إلى ديار معشوقته ، ثم توجه من هناك إلى موغان بحجة الصيد ، حيث التقى بشیرین - مصادفة - للمرة الأولى .

« وحينذاك أخذ كل منهما ينظر إلى صاحبه ، ويذرف الدموع السخينة فرحاً باللقاء ، فلم يعد خسرو بعيداً عن شیرین ، ولم يصبح كلكون بمنأى عن شبدينز ، فأخذوا يهينان لنفسيهما طريق الحب والسعادة ^(۲) » .

وجمع خسرو وشیرین جيشاً ، ثم توجها إلى مهبين بانو التي « لم تكذب تعلم بما تم للملك حتى سمعت جهدها لإبلاغه أهدافه ، فأحسنت استقباله ، ونثرت الدراهم تحت قدميه ، وقدمى معشوقته الجميلة ^(۳) » .

ثم أخذت مهبين بانو تنصح شیرین بأن تحافظ على عفافها . فلا نستسلم

(۱) چو میدانست کآن نیرنگ سازى دلیلی روشن است از عشق بازى

(نظامی : خسرو وشیرین ، ص ۱۱۲)

(۲) نظر بر یکدیگر چندان نهادند که آب از چشم یکدیگر گشادند

نه از شیرین جدا میگشت پرویز نه از کلسگون گذر میکرد شبدينز

طريق دوستی را ساز جستند ز یکدیگر نشانه باز جستند

(الرجع السابق ، ص ۱۱۶)

(۳) مهبين بانو چو از کار آکهي يافت بر اسباب غرض شاهنشهي يافت

باستقبال شد بازل و اسباب تار افشانند بر خورشيد ومهتاب

(الرجع السابق ، ص ۱۱۸)

خسرو ، « فاقسمت شیرین بالله رب العالمین ، وبالسماوات والأفلak ، بأنها لن تصیر ملكاً له إلا بعد الزواج الشرعی ، ولو بكت دماً من فرط حبها إياه ^(۱) » .

وقد أجازت مهین بانولشیرین أن تقابل خسرو بشرط وجود شخص ثالث معها ، فظلت تنعم بحبه لها عن قرب ، وظل هو يقضي معها أوقاتاً جميلة غير مفكر في ملك أوجاه ، وذیر متطلع إلا إلى التمتع بمشوقته ، ماوسعه التمتع . وتكرر لقاء العاشقين ؛ فمرة لمبت شیرین وجواربها السكره ضد خسرو ورجاله ، كما قضت معه - في مرة أخرى - يوماً جميلاً ، وكان الفصل ربيعاً ، فجلس خسرو يشرب الخمر حتى سكر ، وتصادف أن خرج أسد من غابة مجاورة لجلسهما ، وقتل رجلين من رجال خسرو ، ولكن خسرو رماه بسهم قوى فقتله ، فقبّلت شیرین يده ، وطبع هو قبلة حارة « غيرت لون وجنتها فأصبح لونهما الوردي بنفسجياً ^(۲) » .

وذات ليلة زارت شیرین خسرو ومعهما عشرة من جواربها هن : فرنكيس وسهيل ، وعجب نوش ، وملك ناز ، وهميلا ، وهمايون ، وسمن ترك ، وپريزاد ، وختن خاتون ، وكوهه ملك . فطلب خسرو أن تقص كل منهن قصة فقصن القصص . ثم قال كل من شاور وشیرین وخسرو قصة ؛ وكانت قصة خسرو هي قوله : « حدث مرة أن أسداً أسود قوياً كان يعيش في مزرعة ،

(۱) بهفت اورنگك روشن خورد سوگند

بروشن نامه كیتی خداوند

كه گر خون كريم از عشق جمالش نخواهم شد مگر جفت حلاش

(نظامی خسرو وشیرین ص ۱۲۱)

(۲) زبس كز كاز نیلش دركشیدی زبرك كل بنفشه برمدیدی

(المرجع السابق ، ص ۱۳۰)

(۳) المرجع السابق ، ص ۱۳۱ - ۱۳۵ .

فاحترضت غزاة طريقه ، وتمسكت من وضع الحبل حول عنقه . . . وأنا ذلك الأسد ، قد اصطادتنى شيرين ، وجعلت حول رقبتى قيداً من شعرها الجميل ، فإذا لم تأخذ شيرين بيدي ، فسوف أموت كما يحترق الشمع من تحرك الرياح^(۱) . وقد أثرت نعمة خسرو في قلب شيرين ، فقدمت له كأساً من الخمر ، وقضت معه وقتاً سعيداً ، يرفرف عليهما السرور .

وذاث ليلة ؛ اختلى خسرو بمشوقته « فقتل شفتيهما وقال لها : يا من صرتُ أسير عشقتك ، قدّمتُ حبة لعلّ طائر الذي وقع في فخك . . . دعى كل ما مضى من عمرنا يذهب (دون ندم) ، ولنبدأ — الآن — العمر من جديد ، برزق جديد . فأنا — هنا — وأنتِ . . . فن غيرنا في هذا المكان ۱۱ . . . فلا تحذري . . . فأى شيء هنا (يدعو إلى الحذر) ۱۲ . . . »^(۲) .

فأجابت شيرين بأنها غير مستعدة للاشتراك معه في فراش واحد ، فطلب خسرو أن يُقبلها ، فعاودت الرفض ، فلم يجد غير أن يمسك بمخلة من شعرها ، وينام ممسكاً بها حتى الصباح ، وحينذاك نصحته شيرين بأن يدع اللهو ،

(۱) چو دور آمد بخسرو گفت باری سیه شیرى بد اندر مرغزاری
گوزنی برره شیر آشیان کرد رسن در کردن شیر زبان کرد
من آن شیرم که شیرینم بنخیر بگردن بر نهاد از زلف زنجیر
اگر شیرین نباشد دستگیرم چو شمع از سوزش بادی بمرم
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۱۳۷)

(۲) لبش بوسید و گفت ای من غلامت بده دانه که مرغ آمد بدامت
هر آنج از عمر پیشین رفت کورو

کنون روز از نوست و روزی از نو

من وتوجز من وتو کیست اینجا ۱۲

حذر کردن نسگوئی چیست اینجا ؟

(للرجع السابق ، ص ۱۴۲)

ويجتهد في استخلاص عرشه المصوب^(١) . فنضب خسرو وتركما ، ثم توجه إلى قيصر الروم النصراني .

« وقد وجد القيصر أن فرصة مواتييه قد سنحت له ، فاعترف به ملكا (على إيران) وزوجه ابنته صريم ، وسرَّ به كما تقتضي بذلك تعاليم الدين المسيحي^(٢) . وبعد الزواج ، جهَّز القيصر جيشاً بقيادة نياطوس ، فتوجه خسرو لقتال بهرام ، ولم تلبث الحرب أن نشبت بينهما ، وظل خسرو يراقب الحرب راكبا فيلاً إلى أن اختار « بزرگ أميد » له الوقت المناسب الذي يستطيع فيه أن يشترك في الحرب بنفسه ، فقاتل خسرو ببسالة ، وتمكن من الانتصار على خصمه بهرام ، الذي فرَّ إلى الصين ، بينما جلس خسرو على عرشه من جديد^(٣) .

ثم أخذ خسرو يحن إلى شيرين ، ويتذكرها ، قائلا : « أين شيرين !؟ .. أين ذلك اللسان الحلو الذي يشبه في عذوبته ماء الحياة !؟ .. أين ذلك اللهو البريء . وتلك العيالي الساهرة التي كنا نقضيها في سرد القصص ، حتى مطلع الفجر !؟ ..^(٤) »

وفي نفس الوقت كانت شيرين تحن إلى خسرو ، وأيامه الجميلة « فإن قلبها

(١) نظامي : وخسرو وشيرين ، ص ١٤٤ — ١٥٩

(٢) چوقیصر دید کامد بردش بخت بدو تسلیم کرد آن تاج باتخت چنان در کیش عیسی بدوشاد که رخت خویش مریمرا بدوداد (المرجع السابق ، ص ١٦٠)

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٠ — ١٦٦ .

(٤) کجا شیرین و آن شیرین زبانی ؟ بشیرینی چو آب زندگانی کجا آن عیش و آن شہا نغفتن همه شب تا سحر افسانه گفتن ؟ (المرجع السابق ، ص ١٦٧)

بقی اسیر عشقه ، بعد اُنْ تخلفت عن الحاق به ، کا بقیت روحها مشغوفه .
بحبه ^(۱) .

وكانت مهين بانو تنصحبها بالصبر على الله أن يبذل الأحوال ، فيحالفها
الحظ الحسن .

ثم حدث تغير جديد في حياة شیرین ، فقد توفيت عمها « مهين بانو »
تاركة لها عرشها ، وكنوزها ، فأصبحت شیرین ملـسكة ؛ لها عرش ، وجاه ،
و ثراء ، كخسرو سواء بسواء .

« فلما استقر الملك بشیرین الجميلة ، صار بفضلها جيلا ، قد سـمد - بعدها -
أفراد شعبها ، وتحرر المسجونون لأنها رفضت الظلم ، وألغت القوانين الجائرة ، في
جميع أنحاء المملكة ، وأسقطت الجزية عن الولايات التي تدين لها بالولاء ، كما
أهملت أخذ الخراج من القرويين ، فأمن الجميع ، لأنها فضلت أن تظفر - من
الدنيا - بالرضا والدعاء ، حتى عاش - بفضل عدلها - المصفور مع العفر ، وشرب
الذئب والشاة من مكان واحد ^(۲) » .

وبعد فراع شیرین من إرضاء شعبها ، أخذت تعمل على إسعاد قلبها ،

(۱) که چون شیرین ز خسرو باز پس ماند

دلش در بند و جانش در هوس ماند

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۱۷۰)

(۲) چو بر شیرین مقرر گشت شاهی فروغ ملک برمه شد ز ماهی

یانصافش رعیت شاد گشتند همه زندانیان آزاد گشتند

ز مظلومان عالم جور برداشت همه آیین جور از دور برداشت

زهر دروازه برداشت باجی نجست از هیچ دهقانی خراجی

مسلم کرد شهر و روستارا که بهتر داشت از دنیا دارا

ز عدلش باز باتیو شده خویش یک جا آب خورده گرگ بامیش

(للرجح السابق ، ص ۱۸۱)

فاخذت نساء القوافل عن أنباء خسرو حتى علمت بجلوسه على العرش بعد زواجه من مريم ابنة القيصر ، وأن « خسرو قد أقسم في بلاد الروم ، ألا يعشق أو يتزوج امرأة أخرى (غير مريم) » ^(۱) .

وعزمت شيرين على أن تسمى على لقاء خسرو ، فقررت أمور الدولة في يد أحد أتباعها ، ثم ركبت حصانها ، وتوجهت مع شاپور وبعض رجالها صوب اللدائن ، ثم سارت - من هناك - إلى قصرها ، وأقامت فيه ، وحاولت أن تتحين الفرص المناسبة التي تستطيع أن ترى فيها خسرو .

« وعلم خسرو أن معشوقته قد جاءت بالقرب منه ، فأيقن أن الأمل في الاتصال بها صار وشيكاً ، ولكنه كان يخشى مريم لأنها كانت تراقبه ليلاً ونهاراً » ^(۲) .

وساعد الحظ خسرو ، فقد توفي في تلك الأثناء منافسه بهرام ، فخلا الجو له ولو أنه لم يُسرَّ بموت خصمه ، لأن الموت لاشماتة فيه ، ولا فرح به ، بل إنه أخذ يفكر في الموت والقضاء ، كما أظهر الحزن على بهرام في صورة أبكت العظاء . « وقد حزن على بهرام ثلاثة أيام ، أهمل في أثنائها مظاهر الملك ، ومجالس الشراب » ^(۳) .

ثم ترك الحداد في اليوم الرابع ، فأقام حفلاً ، غنى فيه « بَارْبُد » وكان

(۱) ملك را داده بد در روم سوکند که باکس در ناسازد مهر و پیوند

(نظامی : خسرو و شیرین ص ۱۸۲)

(۲) ملك دانست كامد يار نزديك بديد اميدرا در كار نزديك

ز مريم بود در خاطر هراسش که مريم روز وشب ميداشت باشش

(الرجع السابق ، ص ۱۸۳)

(۳) سه روز اندوه خورد از بهر بهرام نه با نخت آشنا ميشد نه با جام

(الرجع السابق ، ص ۱۹۰)

يعرف مائة لحن ، فاختار منها ثلاثين ، غناها في ذلك الحفل ، فتحه الملك هدايا كثيرة^(۱) .

وحاول خسرو أن يهيئ مريم لقبول فكرة إحضار شيرين إلى القصر ، فتحدث عنها أمامها ، ثم طلب منها أن يحضرها - على أن تكون تابعة لها - فرفضت مريم ، وهددت بالانتحار إذا دخلت شيرين القصر^(۲) .

ثم أرسل خسرو شاپور إلى شيرين ، ليلتمس منها الحضور إلى القصر - ولو لليلة واحدة - ولكنها رفضت ، وطلبت أن يحضر هو إذا كان يريد رؤيتها ، قائلة : « إذا كان هو صاحب مُلك ، فإن لي - أيضاً - تاجاً^(۳) » .

وكتبت شيرين خطاباً مفصلاً دعت فيه خسرو للحضور إلى قصرها ، ليعرف أحوالها^(۴) ، وتعجبت كيف يستطيع العاشق الصبر على فراق معشوقته ، « لأن الصبر بعيد عن طريق العشق ، فالصبور لن يكون عاشقاً^(۵) » .

وهنا يدخل الشاعر عناصر جديدة في القصة ، فيبدأ عشق « فرهاد » . ويبدو فرهاد في صورة مهندس بارع ، صديق لشاپور ، الذي حاول أن يستعين به في تسيير نقل اللين من مراعي الملك إلى قصر شيرين ، « ففي ذلك الوادي الجليل - الذي بُني فيه القصر - كان اللين أشهى طعام ذاقته شيرين ،

(۱) نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۱۹۰ - ۱۹۵

(۲) المرجع السابق ، ص ۱۹۵ - ۱۹۸ .

(۳) گر آورا دعوی صاحب کلاهیست مرانیز از قصب سربند شاهیست

(المرجع السابق ، ص ۲۰۶) .

(۴) المرجع السابق ، ص ۲۱۰ - ۲۱۴ .

(۵) صوری از طریق عشق دواست

نباشد عاشق آنکس کو صبوراست

(المرجع السابق ، ص ۲۱۵)

۱۷ - نظامی

فكان غذاها المفضل ، الذي يرجح عندها مائة نوع من الحلوى ، ولكن المسافة - بين قصرها والمراعى - كانت بعيدة ، فكان إحضار اللبن إلى القصر شاقاً متعباً^(١) .

وكان هذا هو السبب الذي جعل شاپور يفكر فى وسيلة لإحضار اللبن إلى قصر شیرين ، ويستعين بفرهاد ، وانتهى الأمر بإرساله إلى شیرين ليتحدث معها فى هذا الموضوع .

« فوقف فرهاد (يتحدث مع شیرين) من وراء حجاب ، وقد استعد للعمل وشمر عن ساعد الجلد^(٢) » .

« ولم يكذ فرهاد المسكين بسمع صوت شیرين العذب ، وكلامها الجميل ، حتى طار صوابه ، وهام بها حباً^(٣) » .

وقد طلبت شیرين منه أن يفكر فى وسيلة لإحضار اللبن إلى قصرها ، فقالت له : « دبر شئون هذا القصر بمهارتك وفنك ، فلماشية بعيدة عنا ، ونحن فى حاجة إلى اللبن ، فحاول أن تحضر اللبن بسهولة ، إن بيننا وبين الماشية فرسخاً^(٤) »

(١) در آن وادی که جانى بود دلگیر

نخوردی هیچ خوردی خوشتر از شیر
کوش صدگونه حلوى پیش بودى
غذاش از مادیان و میش بودى
از اوتا چارپایان دورتر بود
ز شیر آوردن اورا در دسر بود
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۲۱۵)

(۲) برون پرده فرهاد ایستاده
میان در بسته و بازو کشاده
(للرجع السابق ، ص ۲۱۸)

(۳) ز شیرین گفتن و گفتار شیرین
شده هوش از سر فرهاد مسکین
(للرجع السابق ، ص ۲۱۹)

(۴) « الفرسخ » ستة كيلو مترات .

أو فرسخين ، فيجب شق قناة في الصخور الصلبة ، حتى يجلب رعاتنا اللبن هناك ،
فيشرب خدمنا اللبن هنا ^(۱) .

وأسر المشق فرهاد ، فنسى لسانه الجواب ، فقبل دون جدال ، وأظهر الطاعة
والانقياد .

وحاول أن يخفي عشقه ؛ ولكن أنباء تطايرت إلى خسرو ، فأخبره ، وطلب
منه أن يتجز ما كُلفَ به ، هل أن يتنازل له عن حقه في شیرين ، إذا نجح
في إتمام العمل .

وكان خسرو يعلم أن شق قناة في الصخر أمر ليس بالهين اليسير ، كما كان
يشعر بمدى سيطرة المشق على قلب فرهاد ، فجعل شق القناة هو المهر الذي يقدمه
لشیرين ، إذا أراد أن يتزوجها .

وقبل فرهاد أن يقوم بالعمل ، ولم يلبث أن شرع في أدائه ، وعلمت شیرين
بذلك ، فذهبت لرؤيته وتشجيعه ، وتحدثت معه فازداد بها تعلقاً ، ولما عشقاً ،
« ووصلت حرارة المشق إلى رأسه فكاد يحترق من شدتها ، وأصابته سهام الحب
قلبه ، فأثخنه بالجراح ، وهكذا تسبب هو في هلاك نفسه ، فامتلاً بلاءً وتعباً ،
وزاد البلاء عن حده ، وجاوز الثمب أقصى درجاته ، فكان يبكي من عشق شیرين
بكاءً مرأً ، حتى انتشر صوت بكائه في جميع الأرجاء » ^(۲) .

(۱) زبانش کرد پاسخ را فرامشت نهاد از عاجزی بریده انگشت

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۲۱۹)

(۲) رسیده آتش دل در دماغش ز گرمی سوخته همچون چراغش

ز مجروحی دلش صدجای سوراخ روانش بر هلاک خویش گستاخ

چنان از عشق شیرین تلخ بگریست

که شد آواز گریش بیست در پیست

(المرجع السابق ، ص ۲۲۳)

وَأَحْسَ خَسِرُو بِحَقِيقَةِ عَشَقِ فَرِهَادَ ، وَأَبْلَغَهُ الْوَاشُونَ « أَنَّهُ يَمُرُّ عَلَى قَصْرِ هَامِرَةِ كُلِّ أُسْبُوعٍ ، فَيَسْلُمُ عَلَيْهَا ، وَيَسْعَدُ بِتَلْقَى الْجَوَابِ مِنْهَا ^(۱) » .

« وَحِينَئِذَا سَمِعَ خَسِرُو أَنْبَاءَ عَشَقِ فَرِهَادَ ، أَكَلَتْ الْغَبِيرَةُ قَلْبَهُ ، وَصَارَ هُوَ وَفَرِهَادُ كَفَارِسَيْنِ يَتَصَارَعَانِ فِي مِيزَانٍ ، أَوْ بَلْبَلَيْنِ يَصْدَحَانِ عَلَى زَهْرَةِ جَمِيلَةٍ (يَحَاوِلُ كُلُّ مَنِمَا أَنْ يَكُونَ حَبِيبَهُ أَكْثَرَ ، وَغَنَازُهُ أَغْزَبَ) ^(۲) » .

وَأَيُّنَ خَسِرُو أَنَّ عِنْدَ فَرِهَادَ اسْتِمْدَاداً لِإِنْهَاءِ الْعَمَلِ الْمَسْكَافِ بِهِ ، فَصَمَّ عَلَى التَّيَخْلُصِ مِنْهُ « فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَخْبِرُهُ كَذِباً - مِنْ شِدَّةِ الْحَسَدِ - أَنَّ شِيرِينَ قَدْ مَاتَتْ ، وَأَنَّ فَرِهَاداً لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ ^(۳) » .

وَهَذَا تَجَلَّى عَشَقِ فَرِهَادِ الْقَوَى الصَّادِقِ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ جَلِيلَةٍ ، فَلَمْ يَحَاوِلْ أَنْ يَتَبَيَّنَ مَبْلَغَ الصَّدَقِ فِيهَا وَصَلَهُ ، بَلْ اسْتَسْلَمَ لِلْحُزَنِ ، فَاسْتَبَدَّ بِهِ ، وَجَمَلَهُ يَفْكَرُ فِي الْاِتِّعَارِ لِيَلْحَقَ بِمَعْشُوقَتِهِ ، فَأَخَذَ يَنَاجِي نَفْسَهُ قَائِلاً : « سَأَلْتَنِي بِشِيرِينَ بَعْدَ الْعَدَمِ ، وَسَأَسْرِعُ بِخَطْوَةٍ وَاحِدَةٍ نَحْوَ الْعَدَمِ ^(۴) » .

ثُمَّ أَتَى فَرِهَادَ بِنَفْسِهِ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ فَمَاتَ مُفْتَحِراً ، وَأُخْبِرَ خَسِرُو بِمَا حَدَثَ « فَتَدَمَّ عَلَى صَنِيعِهِ ، وَلَامَ نَفْسَهُ عَلَى إِذْنَائِهِ لِقَبْرِ ^(۵) » .

(۱) كند هر هفته بر قصرش سلامی شود راضی چو بنیوشد پیامی

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۲۲۷)

(۲) ملك چون كرد گوش اين داستان را هوس دردل فرود آن دلستان را

دوم میدان بهم بهتر گرانید دو بلبل برگلی بهتر سرانید

(المرجع السابق ، ص ۲۲۷)

(۳) بر آورد از سر حسرتی یکی باد کمترین مرد و آ که نیست فرهاد

(المرجع السابق ، ص ۲۵۶)

(۴) شیرین در عدم خوام رسیدن یک تک تا عدم خوام دودن

(المرجع السابق ، ص ۲۵۷)

(۵) پشیمان کرد شاه از کرده خویش و زآن آزار گشت آورده خویش

(المرجع السابق ، ص ۲۶۳)

وهكذا انقضى فرهاد بعد أن ضرب مثلاً في الوفاء ، والإخلاص في الحب ،
والتفاني في سبيل مَنْ يحب .

وقد حزن شيرين على وفاة فرهاد ، فدفتته وأقامت له مأتماً ؛ مما جعل خسرو
يرسل إليها خطاب تمزية ملوءاً بالتهكم والسخرية ، قال فيه : « سَمِعْتُ أَنَّهُ - عَلَى
أثر موت الحبيب العاشق - قد أُقيمَ مأتمٌ بالقرب من قبره ^(١) » .

ثم خاطبها بقوله : « إِنَّكَ لَوْ جَلَسْتَ مائةَ عامٍ عَلَى قبره ، فلن تشاهدي
شخصاً أكثرَ - منه - فناً » ^(٢) .

وشاءت الأقدار أن تموت مريم - زوجة خسرو - في تلك الأثناء ، فأرسلت
شيرين خطاباً تمكياً لتمزية خسرو - بنفس طريقته - قالت له فيه : « لماذا يخاف
الملك من أن تتوسد زوجته للتراب وعنده عرائس أخريات ١٢ ؟ » ^(٣) .

وقد وصل خطاب شيرين إلى خسرو ، فأعجبته عذوبة ألفاظها ، وكان
يجلس في « طاقدیس » ويستغل باحتساء الخمر ، والبحث عن الجمال ، فسمع
هن امرأة جميلة من أهل إصفهان ، كانت تدهي « شكر » ^(٤) ؛ فأرسل إليها
وأحضرها إلى قصره ، ثم تزوجها ^(٥) .

(١) شنیدم کز پی یاری هوسناک بماتم نوبی زد بر سر خاک

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۲۶۳)

(٢) اگر صد سال برخاکش نشینی آزو خاکی تری کس را نبینی

(الرجع السابق ، ص ۲۶۵)

(٣) عروس شاه اگر در زیر خاکست عروسان دگر دارد چه باکست

(الرجع السابق ، ص ۲۶۹)

(٤) « شكر » کلمة فارسية معناها « سکر » .

(٥) فرستاد از سرای خویش خواندش بآیین زناشوئی نشاندش

(الرجع السابق ، ص ۲۸۵)

اما شیرین فقد ظلت وحيدة نحن إلى خسرو « وصار قلبها من الوحدة ضيقاً حرجاً ، كما لو كانت في صراع مع الدنيا ^(۱) » .

وأخيراً لجأت إلى الله لينقذها من حالتها ، وخاطبته قائلة : « إلهي : بدّل ليل نهاراً ، وانصرني - كالنهار - على الدنيا . . إن عندي ليلاً حالسكاً لا يأمل في النهار ، فنور وجهي ، وانصرني عليه كالشمس . . إن عندي غماً يهلك الأقوياء . . فأسمعني ، وانصرني على هذا الغم ... لقد ضقت ذرعاً بهذه البوقة الضيقة ، فخلصني منها ، كما تخلص الجوهر الكريم من الحجارة ... يا من تهب دعاء السائلين ، أجب دعائي . . . لم أعد أحتمل وطأة المرض كثيراً ، فأغثني ياغيث المستغيثين ^(۲) » .

ويبدو أن الله قد استجاب دعائها ، فقد توجه خسرو إلى قصرها - بحجة الصيد - « فوقفت فوق سطح القصر ، وأطلت منه كالبدر ، وجعلت بصرها يتطلع إلى الطريق ، وأذنبا تنسمع طرق الباب ^(۳) » .

(۶) زنتهای دل شیرین چنان تنگ که میکرد از ملالت باجهان جنگ
(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۲۹۲)

(۱) خداوند شب را روز گردان چو روزم بر جهان پیروز گردان
شبی دارم سیاه از صبح نوید

دین شب رو سپیدم کن چو خورشید
غمی دارم هلاک شیر مردان برین غم چون نشاطم چبر گردان
ندارم طاقت این کوره تنگ خلاصی ده مرا چون لعل ازین سنگ
توئی یاری رس فریاد هرکس بفریاد من فریاد خوان رس
ندارم طاقت تبحار چندین اغثنی یاغیث المستغیثین
(المرجع السابق ، ص ۲۹۴)

(۲) پیام قصر برشد چون یکی ماه نهاده گوش بردر دیده بر راه
(المرجع السابق ، ص ۳۰۱)

« وحينما رأت شیرین خسرو مقبلاً سقطت على الأرض مغشياً عليها ، و بقيت فاقدة الوعي مدة ، فلما أفاقَت فكُرت في أمرها ، وقالت في نفسها : إذا لم أرتبط اليوم بوثاقه ، فليست عندي طاقة لتحمل ألم فراقه ^(۱) . »

وقد اقترب خسرو من القصر فرأى شیرین « وأخذ يتحدث معها معتذراً ، متلطفاً ، مثنياً عليها ، سائلاً عن أحوالها ^(۲) . »

ثم طالب منها أن ترافقه إلى قصره ، واسكنها اعتذرت فرجع يائساً ، بينما أخذ شاوور يسرى عنه قائلاً : « لا تغضب من عصبية مزاج شیرین المربضة ، لأن الحلوى مشهورة بالحرارة ^(۳) . »

« أما شیرین : فإنها أصبحت بعد فراق الملك حزينة مهمومة ، فأخذت تؤنب قلبها القاسى (وتنتقد تصرفها مع خسرو) ^(۴) . »

ثم ذهبت شیرین في إثر خسرو ، وأظهرت جهالاً ، وشوقها إليه ، في غزليات رقيقة قالتها « نكبسا » بلسان شیرین ، ورد عليها « باربد » بلسان خسرو ^(۵) .

(۱) چو شیرین دید خسرو را چنان مست ز پای افتاد و شد یکباره از دست ز بیهوشی زمانی بی خبر ماند بهوش آمد بکار خویش در ماند که گر نگذارم اکنون در وثاقت ندارم طاقت زخم فراقش (نظامی . خسرو و شیرین ، ص ۳۰۲)

(۲) زبان بگشاد با عذر دلایز ز پرسش کرد بر شیرین شکر ریز (المرجع السابق ، ص ۳۰۶)

(۳) مرغ از گرمی شیرین رنجور که شیرینی بگرمی هست مشهور (المرجع السابق ، ص ۳۴۵)

(۴) که چون بی شاه شد شیرینی دلتنگ بدل بر میزد از سنگین دلی سنگ (المرجع السابق ، ص ۳۵۰)

(۵) المرجع السابق ، ص ۳۵۹ - ۳۷۹ .

ولم تلبث شیرین آن قابلت خسرو طائفة مختارة . « فلما رأى الملك أن مشوقته قد صارت تابعة له ، وأنها خضعت لأمره ، ونفذت رغباته ، أكرمها ، وأعلى من قدرها ، فزين بها عرشه كما يزين التاج الرأس ^(۱) » .

ثم أحضر خسرو وشیرین إلى المدائن ، وتزوجها ، وخصمها بكل حب وإعزاز ، وقال لرجال الدين وعظماء الدولة « إن شیرین قد صارت لى زوجة وصديقة ، وهى جديرة بكل حب أدلُّها به ^(۲) » .

وبعد الزفاف ، أخذت شیرین تنصح خسرو بعدم الانغماس فى اللذات ، وأشارت عليه بتعلم أصول الحكم ، والعمل على إسعاد الشعب ، وتوفير سبل الراحة له ، حتى يلتف حوله ، فلا ينهار ملكه . وقد صور الشاعر ذلك فى قوله : « قَبِلَتْ شیرین الأرض بين يَدَيَّ الملك ، ثم قالت له : أيها الملك . اترك الترف بعض الوقت ، وانصرف إلى العلم . . . لقد اجتهدت كثيراً فى سبيل الحصول على اللذات ، فحاول أن تنصرف - بكليتك - إلى إصلاح القلب ، ولقد عمرت العالم بالبر والنعمة ، فكيف يمكن أن تنخر به بالظلم ^(۳) » .

كما نصحته بأن يعمل للآخرة ؛ فقالت : « دبر وسيلة النجاة فى الآخرة ،

(۱) چوشه معشوق را مولای خود دید سر خود را بزیر پای خود دید
ز شادی ساختش برفرق خود جای که شه راتاج بر سر به که در پای
(نظامی : خسرو وشیرین ، ص ۳۷۹)

(۲) که شیرین شدمرام جفت و هم یار بهر مهرش که بنوازم سزاوار
(الرجع السابق ، ص ۳۸۶)

(۳) زمین بوسید شیرین کای خداوند ز رامش سوی دانش کوش یکچند
بسی کوشیده در کامرانی بسی دیگر بکام دل برانی
جهان را کرده از نعمت آباد خرابش چون توان کردن بیباد
(الرجع السابق ، ص ۳۹۸)

واعلم أن فی إثر الحیة إلى الدنیا الذهاب منها ، (فلا تحاول التکالب علیها)
 لأن الشخص الذی یجمع الذهب والنفضة لا یتسطیع تدبیر أسر الآخرة ، واعتبر
 بالملوک الذین ماتوا قبلك ، فإنهم لم یحملوا معهم شیئاً من المال والملک ، فإذا کنزت
 المال فإنه سوف یؤذیک ، وإذا أنفقته فی الخیر فسیکون زاد طریقک إلى الآخرة ^(۱) .
 وأنر نصیح شیرین فی خسرو ، فاستدعی أستاذہ « بزک امید » ، وطلب
 منه أن یعلّمه العلوم المختلفة ، وأخذ یسأله عن الحركة الأولى ، وأجرام السکواکب ،
 والمبدأ ، والمعاد ، والخروج من الدنیا ، وخلود الروح ، وکیفیه رؤیة الجسم فی
 المنام ، وتذکر الحیاة بعد الموت ، والهواء ، وحفظ الصحة عن طریق الاعتدال ،
 وکیفیه خروج الروح من الجسد .
 وقد أجابه « بزک امید » عن کل ماسأل ، فأفاد خسرو من ذلك فائدة
 عظيمة ^(۲) .

وفی تلك الأوقات کان رسول الإسلام محمد صلی الله علیه وسلم قد أرسل
 للناس كافة بشیراً ونذیراً ، وأخذ یرسل رسله إلى الملوک والولایة ، ویدعوم إلى
 المدخول فی الدین الجدید ، مما جعله حدیث الدنیا فی ذلك الوقت ، فاتهم خسرو
 فرصة وجوده مع أستاذہ « بزک امید » وذكر الإسلام بشیء من الاستخفاف
 والاستهزاء ، فنصحه أستاذہ قائلاً : « لاتهزأ ایها الملک بالدین العربی ، لأنه
 للدین الحق ؛ ولا یجب الاستهزاء بالحق ^(۳) » .

(۱) نجات آخرت راجاره کر باش درین منزل زرقتن باخبر باش
 کسی کوسیم وزر ترکیب سازد قیامت را کجا ترتیب سازد
 بین دور از تو شاهانی که مردند زمال و ملک وشاهی هیچ بردند ؟
 بمانی . مال بد خواه تو باشد میخشی . شحتہ راه تو باشد
 (نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۳۹۹)

(۲) للرجع السابق ، ص ۴۰۰-۴۰۴ .

(۳) مکن بازی شها بادین تازی که دین حق است وبا حق نیست بازی .
 (الرجع السابق ، ص ۴۰۵) .

« وأدرکت شیرین أن ذلك الأستاذ القدير قد فتح - للملك - باب كنز العلم ، فأثنت عليه . وقالت : أيها الشيخ القدير . إن عين الزمان لم تر عالماً مثلك ، فأعطى نصيباً من العلم - إذا استطعت - كما فتحت لخسرو أبواب كنز الفضل .. فانفتح أمامي كنز العلم ، ولا تقفله ، وقرأ على بعض الحكم من كتاب كلیلة ودمنة^(۱) . »

وقد قرأ « بزرگ امید » على شیرین أربعين قصة من هذا الكتاب^(۲) .
ولكن المشاكل لم تلبث أن ظهرت في وجه العاشقين ، فقد عشق « شبرويه » - بن خسرو من مريم - زوجة أبيه « شیرین » ، ثم تحالف مع عظماء الدولة ضد أبيه ، واستطاع - عن طريق الرشوة ، والمؤامرات - أن يجلس على العرش ؛ ثم سجن أباه ، ولكن شیرین أصرت على أن تكون زميلة خسرو في السجن .

وحاول « شبرويه » بعد ذلك أن يتخلص من أبيه نهائياً ، فأرسل إليه قاتلاً ليقتله في السجن .

وذهب القاتل فوجد خسرو نائماً بجوار شیرین ، فأيقظه ليدرك مصيره المحتوم .

وشعر خسرو بدنوا أجله ، وأحس بحاجة شديدة إلى جرعة ماء ، « فقال

(۱) چو شیرین دیدگان دیرینه استاد در گنج سخن بر شاه گشاد
نشا گفتش که ای پیر یگانه ندیده چون توئی چشم زمانه
چو برخسرو کشادی گنج کافی نصیبی ده مرا نیز آرتوانی
کلیدی کن نه زنجیری در این بند فروخوان از کلیده نسکنه چند
(نظامی : خسرو شیرین ، ص ۴۰۵-۴۰۶)

(۲) المرجع السابق ، ص ۴۰۶-۴۱۰.

فی نفسه أوقف شیرین من نومها الجلیل ، وأطلب شربة ماء^(۱) .

واسكنه أقلع عن هذا الخاطر خشية أن تجزع شیرین لرؤية ماسوف یحل به ، وأخذ یناجی نفسه قائلا: «حینما ترى شیرین ماسیعیینی نتیجة للظلم والخسة سوف لاتنام مرة أخرى من شدة الحزن والعلویل ، فالأفضل ألا أوقفها، فأموت أنا وهي نائمة . وهكذا مات هذا الوفی عطشاً ، دون أن یوقف شیرین من النوم^(۲) .

» غیر أن شیرین استیقظت من نومها المذب ، بسبب غزارة الدماء التي تفجرت من جسم خسرو^(۳) .

فأخذت تندبه ، وتریق الدموع ، وتنهی خاتمتة السيئة ، وحفظها العائر . ولم یلبث «شیرویه» أن أرسل إليها وخطبها لنفسه ، ومناها بأعذب الأمانی ، فظاهرت بالقبول علی أن یدفن خسرو ، وتدخل القبر فی أثناء دفن جثمانه ؛ وقد قبل شیرویه ما اشترطته .

فدخلت شیرین قبر خسرو ثم اقتحرت مستعملة سكيناً ، فطمنت نفسها بنفس الطریقة التي قتل بها خسرو ، ثم ضمته إليها واضعة شفتيها علی

(۱) بدل گفتا که شیرین را زخوشخواب

کنم یسدار وخوامم شرقی آب
(نظامی : خسرو وشیرین ، ص ۴۱۸)

(۲) چو بیند برمنی این یداد وخواری نخبید دیگر از فریاد وزاری
همان به کین سخن نا گفته باشد شوم من مرده وأوقفته باشد
بتلخی جان چنان داد آن وفادار که شیرین را نکرد از خواب یداد
(نفس الرجع والصفحة)

(۳) زبس خون کز تن شه رفت چون آب

در آمد زگی شیرین زخوشخواب
(للرجع السابق ، ص ۴۱۹)

شفتیه ، وصاحت بأعلى صوتها معلنة أنها انتحرت ، لتسمع القوم ، وتعلمهم بأنها وضعت خاتمة لقصة حبها الخسرو ، وحبها لها ، بما صورده الشاعر في قوله : « طعنت شيرين نفسها بسكين بنفس الطريقة التي طعن بها الملك من قبل ، فسلط القبر بدمها الحار ، وأضافت جرحاً جديداً إلى جراح الملك ، ثم احتضنت معشوقها ، ووضعت شفتيها على شفتيه ، وكثفها على كتفيه ، وصاحت بأعلى صوتها - لسمع القوم قولها - وهي تقول : إن الروح قد ائتلفت مع الروح ، وإن الجسد قد اتحد مع الجسد ، فنبعا الجسم من ألم الفراق ، ونجت الروح من قسوة الزمان ^(۱) » .

وقد أنهى الشاعر القصة بحديث عن ذم الدنيا ، وفناء العالم ، وتلاوى السعادة ^(۲) .

ثم تحدث عن موت زوجته مشبهاً إياها بشيرين ، ونصح ابنه الذي كان في السابعة من عمره كما مر .

ثم أشار نظامی إلى رؤیة خسرو للنبي في المنام ^(۳) ، وإرسال الرسول خطاباً إليه ، كان نهييه التمزيق ، فدعا الرسول على خسرو بتمزيق مله . « وقد استجاب

(۱) بدان آیین که دید آن زخم رادیش هانجا دشنة زد برتن خویش

بخون کرم شست آن خوابگه را جراجت تازه کرد اندام شه را

پس آورد آن گهی شه رادر اغوش لبش بر لب نهاد ودوش بردوش

به نیروی باشد آواز برداشت

چنان کآن قوم از آوازش خبر داشت

که جان باجان وتن باتن به پیوست

تن از دوری وجان از دوری رست

(نظامی : خسرو و شیرین ، ص ۴۲۳-۴۲۴) .

(۲) المرجع السابق ، ص ۴۲۴-۴۲۸ .

(۳) المرجع السابق ، ص ۴۳۰-۴۳۴ .

الله الدعوة ؛ فضاع ملك العجم ، وسقط طاق من إيوان خسرو ، وتحطم معبر
دجلة من سيل ألم به . وصور نظامى ذلك كله فى صورة توحى بشماته وتشفيه ،
مستعملا نقات تدل على فرحه بما حدث ، واعتباره من معجزات الرسول .

ثم أخذ فى مدح الرسول ، وتمجيده والإشادة بالأعمال الخالدة التى تمت على
يديه ، وكانت نتيجتها تحطيم دول الكفر ، وإخراج الناس من الظلمات إلى
النور ^(١) . ثم وصف معراج الرسول ^(٢) .

ثم أخذ الشاعر ينصح بضرورة اتباع العدل ، ونشر السلام ؛ فتحدث عن
الدنيا وما فيها من ظلم ، وتمعجب من أمر الإنسان الضعيف الذى يصر على الظلم
— برغم ضعفه — فهو لا يكاد يفرغ من ظلم حتى يشرع فى ظلم جديد ، وشبهه بالطائر
المفترس الذى لا يكاد ينزع أظفاره من صيد حتى ينشبه فى صيد جديد . ثم
قال إن الظالم — فى رأيه — لا يظلم إلا نفسه ، لأن عدل الله موجود ، وقوته محيطة ،
ومشيئته نافذة . ولذا فهو يدعو إلى الإفلاخ عن الظلم ، ونشر العدل والمحبة ^(٣) .

وختم منظومته بالإشارة إلى تاريخ إمامها ، مبينا أن اسمه سيظل — بفضلها —
حيًا مخلدًا ^(٤) ، ثم ذكر ذم حساده ^(٥) . ثم أشار إلى دعوة قزل أرسلان له ،
ووصف ما حدث ^(٦) ؛ ثم رثى هذا الوالى ، ومدح خليفته أبا بكر بن أخيه « جهان
پهلوان » ^(٧) . وبذلك تنهى منظومة « خسرو وشيرين » .

(١) نظامى : خسرو وشيرين ، ص ٤٣٨-٤٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٤-٤٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤١-٤٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٥-٤٤٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٦-٤٤٩ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٤٩-٤٥٨ . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

(٧) المرجع السابق ، ص ٤٥٨-٤٥٩ . وقد سبق ذكر شيء منه .

والواقع أن نظامي هو أول من نظم قصة « خسرو وشيرين » في هذه الصورة ، ولسكننا لانستطيع أن نحكم على عمله ، إلا إذا قارننا بين منظومته وبين ما نظمه سابقه الفردوسي - متعلقاً بخسرو وشيرين - في منظومته « شاهنامه » ، فنجد هذا التصوير لمل نظامي لنختم - هذا الباب - بمقارنة بينه وبين الفردوسي - في كيفية تصويرهما لهذه القصة - حتى يكون حكمنا صحيحاً صادقاً .

الفصل الثالث

مقارنة بين تصوير كل من الفردوسى ونظامى لقصة خسرو وشيرين

خصص الفردوسى جزءاً من الشاهنامه للحديث عن خسرو ، وقد شمل حديثه قصة « خسرو وشيرين » . ولكن تصوير نظامى لهذه القصة كان يختلف اختلافاً جوهرياً عن تصوير الفردوسى لها ، فقد كان كل منهما متأثراً بروحه هو ؛ فالفردوسى كانت روحه حماسية ، بينما كانت روح نظامى غنائية^(١) .

كما تأثر كل منهما بروح عصره ، وحاول أن يستجيب لها ، ويتلاءم معها . فمصر الفردوسى كان يمجّد البطولة ، والانتصارات الحربية ، والغلبة على الأعداء ، فقد تميّز عصر السلطان محمود الغزنوى - الوالى الذى قدم الفردوسى له الشاهنامه - بالانتصارات الحربية ، لأن هذا السلطان غزا الهند مرات عديدة ، واستطاع أن يوطد نفوذ المسلمين فيها ، حتى سُمّي فاتح الهند ، كما اتخذت حروبه طابع الجهاد فى سبيل الله ، وفى سبيل نشر دينه ، فمن الطبع أن يكون تمجيد البطولة ، والفتح ، والغلبة على الأعداء ، من الأشياء المحببة إلى قلوب الناس - فى ذلك الوقت - وهذا يستلزم الشعر الحماسى .

أما عصر نظامى ؛ فقد رأينا أنه كان عصرراً إقطاعياً مملوفاً بالمنازعات المستمرة بين الدول والديولات المختلفة ، كما لاحظنا أنه اتسم بروح القدر ، وتدبير المؤامرات . وكان الدافع إلى هذا كله الرغبة فى الظفر بالحكم ، والنفع الشخصى . للمادى ، فكان الولاة ، والأمراء ، والوزراء ، وللمعلماء يتطاحنون فى سبيل الوصول

إلى الحسك والاحتفاظ بالنفوذ . مما جعل الناس يُعجِّدون السلم ، وينشدون الراحة والطأنينة ، فكان عملاً لا غناء فيه أن ينظم شاعر شعراً حماسياً ، في وقت غير وقته ، وظروف غير مناسبة له ^(١) ، وقد تنبه نظامي لهذا ؛ فقال إنه اختار هذه القصة لتلائم هوى الناس في عصره ^(٢) .

فروح كل من الشاعرين - متأثرة بروح العصر الذي عاش فيه - قد أثرت في تناول كل منهما لقصة « خسرو وشيرين » وتصويره لمناظرها .

ولذلك وجدنا الفردوسي يحرص على تصوير « خسرو » في صورة ملك قوى ، وقائد مغرر ، يستطيع أن يكسب المعارك ، ويظفر بانتصارات باهرة ، ويوسع حدود دولته ، ويقضى على أعدائه .

لخسرو - عند الفردوسي - صورة لتراث إيران القديم ، ورمز من رموز مجدها ، وعظمتها ، وماضيها التليد ، الحافل بالمفاخر ، وجلال الأعمال ، وهو مثل واضح قوى للأكسرة في جلالهم ، وهيبتهم ، وقوتهم ، وغلبتهم ، ورفاهتهم ، وملذم . وكان الفردوسي يتخذ من تمجيد خسرو تمجيداً لأمته ، وتخليداً لتاريخها القديم .

أما نظامي ؛ فقد صَوَّر خسرو في صورة عاشق قد يخطئ ، وقد يصيب ، ولكنه يستطيع أن يموت كبطل .

ونظامي في هذا موضوعي ، بينما الفردوسي مثالي .

وطبيعي - تبعاً لهذا - أن نجد الفردوسي يهمل ناحية العشق إهمالاً يكاد يكون تاماً ، ويقصر همه على تصوير البطولة الحربية التي تميز خسرو بها . ولاحظ نظامي ذلك فقال : « لقد أهمل الحكيم (الفردوسي) ناحية العشق ،

(١) I. Pizzi : Storia della Poesia Persiana, II, P. 195.

(٢) سبق ذكر البيتين اللذين سجل الشاعر فيهما سبب اختياره لقصة خسرو وشيرين ، وما يؤيدان مذهبنا إليه .

حینما عرض هذه القصة؛ لأنه كان في سن الستين، فبعد عن دائرة الشباب»^(۱).
بینما جعل نظامی کل همه منصرفاً إلى تصویر ناحية المشق، مما جعله لا یبعد
ماقاله الفردوسی .

وقرر هو ذلك فقال: «لم أكرّر ماقاله العالم (الفردوسی) قبل ذلك، لأن
الحديث للمعاد ليس جليلاً؛ فذكرت ناحية المشق، بعد أن شرح هو ناحية
البطولة»^(۲).

ولذلك فإن شخصية شیرین من الشخصيات الثانوية عند الفردوسی، فالجزء
الخاص بخسرو - في الشاهنامه - يكاد معظمه يتخلو من ذكر شیرین، أو مجرد
الإشارة إليها^(۳).

وقد ذكر الفردوسی شیرین - لأول مرة - حينما أشار إلى زواج خسرو
بـ «کردويه» أخت «بهرام چوبین»^(۴).

ثم أفرد لقصة «خسرو وشیرین» - بعد ذلك - مكاناً في نهاية الجزء
الخاص بخسرو^(۵)، غير أن القصة كانت مختصرة، فكان المكان المخصص لها
ضيئاً إذا قورن بما نظم من خسرو.

(۱) حکیمی کابن حکایت شرح کردست

حدیث عشق از ایشان طرح کردست

چو در شصت افتادش زندگانی خدنگ افتادش از شصت جوانی

(نظامی: خسرو وشیرین، ص ۳۳)

(۲) نگفتم هرچه دانا گفت از آغاز که فرخ نیست گفتن گفته راباز

در ان جزوی که ماند از عشقبازی سخن راندم نیت بر مرد غازی

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) فردوسی: شاهنامه، ج ۵، ص ۸۳-۲۵۵.

(۴) المرجع السابق، ص ۲۱۰.

(۵) المرجع السابق، ص ۲۲۵-۲۵۵. وقد ذكرها تحت عنوان «داستان

خسرو پرویز وشیرین» أي «قصة خسرو پرویز وشیرین».

وقد صور الفردوسی شیرین ، فی صورة إحدى صديقات خسرو فی وقت شبابه ، فقال : « كانت شیرین صديقة خسرو پرویز ؛ حينما كان شاباً غير هيّاب ، - وحينما كان والده حياً ، وكان هو بطلا - فكانت شیرین بالنسبة إليه كالعين المبصرة ، فلم يكن يحب - فی الدنيا - غيرها ، سواء من الفاتنات ، أو من بنات الملوك ^(۱) » .

فشیرین - عند الفردوسی - مشوقة خسرو فی وقت النزق والطیش ، وعدم المبالاة ، وهی فتاة سیئة الأخلاق ؛ مما جعل خسرو يهملها بعد تولّیه العرش ، فأخذت تحتال لرؤيته ، والتقت به منه ، ونجحت فی أن تریه نفسها - وهو فی طريقه إلى الصيد - فغنّ إلّها ، وخفق قلبه لها ، فأعادها إلى قصره ، ثم تزوجها . غير أن هذا الزواج كان سبباً فی إثارة رجال الدين ، وعطاء الدولة ، فقاطعوا مجلسه - بحجة أنه تزوج امرأة ساقطة - واضطّر خسرو إلى مجادلتهم ، معترفاً بسوء أخلاقها ، وقائلاً إن انحازها زوجة ، سوف يجعلها طاهرة نقيّة ، وظل يجادلهم ، ويضرب لهم الأمثال ، حتى اقتنموا ، وأقروا الزواج ^(۲) .

أما نظامی ، فقد جعل شیرین بطلة القصة ، فهي من الشخصيات الرئيسية فی المنظومة ، كما أضفى عليها ما يؤهلها للبطولة ، فصوّرها فی صورة أميرة ، ثم ملكة ، وجعلها مثلاً للفتاة المنيقة التي تحافظ على عفافها - إلى آخر لحظة - فتقبل أن تُفَضِّبَ معشوقها ، وتجعله ينادر ديارها ، ولا تقبل أن تستسلم له ، أو أن تفرط فی

(۱) چو پرویز بیباک بود وجوان پدر زنده وهور چون پهلوان
ورا در زمین دوست شیرین بدی بر او بر چو روشن جهان بین بدی
پسندش نبودی جز او در جهان ز خوبان واز دختران شهان
(فردوسی : شاهنامه ، ج ۵ ، ص ۲۲۶)

(۲) المرجع السابق ، ص ۲۲۶ - ۲۳۰ .

هفافها . كما لاحظنا ذلك حينما اختلى بها خسرو ، وحاول أن يستولى عليها ، فأبَتْ ، وجملته يقادر بلادها إلى بلاد الروم .

فشيرين - عند نظامى - فتاة عفيفة ، تقدم العفة على كل شيء ، ولا ترى المشق يتنافى مع الفضيلة ، بل تراه حارساً لها ، وداعياً إلى التمسك بها .
وشخصيتها - من هذه الناحية - تختلف - عند نظامى - اختلافاً جوهرياً
هن شخصيتها عند الفردوسى .

وكا حرص نظامى على تصوير شیرين فى صورة راعية لفضيلة ، فقد جعلها تضرب أروع الأمثلة فى الوفاء ، والإخلاص ، والتضحية ، فصور فى منظومته كيف ظلت شیرين وفية إلى آخر لحظة من حياتها ، كما ظلت مخلصه فى حبها ، فلم تنقض العهد أبداً ، ولم تحاول أن تحب شخصاً غيره ، حتى فى الأوقات التى تزوج خسرو - فيها - غيرها ، كما عبّرت عن وفائها وإخلاصها بعد قتله ، فلم تنزوج غيره ولم تحفظ حتى بالحياة ، بل آثرت أن تلتحق بمن أحببت ، لتقاسمه القبر بعد موته ، كما قاسمته العيش فى حياته .

ورغم أن الفردوسى قد أظهر شیرين فى صورة الوفية ، وقرر أنها انتحرت لتلتحق بمن أحببت ، إلا أن نظامى قد عبر عن هذا الوفاء بصورة أبلغ وأروع ، فقد رأيناها - فى منظومته - أسرع إظهاراً لوفائها وإخلاصها ، فلم يكدها خسرو يقتل ، ويحمل ليُدفن حتى قتلت نفسها - فى قبره - بسكين ، وب نفس الطريقة التى قتل هو بها ، لسكى توسد التراب فى نفس الوقت الذى وسد هو فيه . بينما نلاحظ - فيما نظمه الفردوسى - أن شیرين لم تنتحر بهذه السرعة ، وإنما انتحرت بعد ثلاثة وخمسين يوماً من مقتل خسرو^(١) ، حينما حاول «شبرويه» أن يقبضها زوجة له ، فاشتد عليه شروطاً منها أن يفتح قبر خسرو لتزوره ، ثم سمّت نفسها

(١) فردوسى : شاهنامه ، ج ٥ ، ص ٢٧٨ .

داخل القبر؛ مما صورہ الفردوسی فی قوله : « شربت سُماً مہلکاً ، یکنی للقضاء علیہا ، ثم جلست بالقرب من الملك المسجی ، وقد لُفَّت جسمہا بلباس فیہ رائحة الکافور ، وأسندت ظہرها إلى حائط القبر ، ثم ماتت ، فاستحقت بموتہا الثناء من الدنيا^(۱) » .

أما تضحية شیرین فقد ظهرت فی منظومة نظامی بصورة رائحة ، فرأیناها تضحی بكل شیء - حتی برعشہا - فی سبیل معشوقہا ، بینا ہی - عند الفردوسی - أنانیة ؛ دفعتمہا أنانیتمہا إلى قتل منافستہا « مریم » - بنت قیصر الروم - حتی لا تشاركہا الحیاة مع خسرو .

فقد ذکر الفردوسی أن خسرو تزوج شیرین بینما كانت زوجته الأولى مریم لا تزال علی قید الحیاة ، وأن شیرین حقدت علیہا ، فدست لها السم ، مما صورہ فی قوله : « كانت شیرین فی حزن دائم - بسبب وجود مریم - وكان لون خدَّیہا أصفر - من شدة الحسد - فانتهی الأمر بأن دست شیرین لها السم ، فانت تلك الفتاة الجميلة - التي كانت من نسل قیصر الروم - ولم تُطْلَع شیرین أحداً علی تلك المؤامرة ، فقد احتفظت ہی - وحدها - بسرہا^(۲) » .

ثم بین الفردوسی أنها كانت تهدف - بمؤامرتہا - إلى أن تصبح زوجة

(۱) ہم انگاہ زہر ہلاہل بخورد ز شیرین روانش بر آورد کرد
نشسته بر شاه پوشیده روی بہ تن در یکی جامہ کافور بوی
بدیوار پشتش نہاد و بگرد بمرد وز کیفی ستایش یرد
(فردوسی : شاہنامہ ، ص ۲۸۳)

(۲) ز مریم همی بود شیرین بدرد ہمیشہ زر شکش دور خارہ زرد
بفرجام شیرین بدو زہر داد شد ان دختر خوب قیصر نثراد
از ان چارہ آ کہ بند ہیچکس کہ اوداشت آن راز نہایت و بس
(المرجع السابق ، ص ۲۳۰)

خسرو للفضلة، فقال^(١) : « ولما انقضى عام على وفاة مريم ، أسكن خسرو شيرين في الحجرة الذهبية^(٢) » .

ولم يذكر نظامى هذه المؤامرة ، وإنما قرر أن شيرين لم تنزوج خسرو إلا بعد وفاة مريم .

وهكذا نلاحظ فرقاً واضحاً بين شخصية شيرين فيما نظمه الفردوسى ، وبين شخصيتها في منظومة نظامى .

فالفردوسى قد صورها في صورة تدعو إلى الازدراء ، فجعلها فتاة فاسدة الخلق أنانية .

أما نظامى ؛ فأضفى عليها كل صفات البطولة ؛ من عفة ، ووفاء ، وإخلاص ، وتضحية ، وصورها في صورة توحى بالإعجاب ، وتبعث على الاحترام ؛ مما جعل خسرو يعتز بها بعد أن تزوجها ، ويعتبرها مثلاً لازوجة الصالحة ، فلم يتجمل من زواجها ، ولم يحاول أن يقنع رجال الدين والمغلاء بصلاحياتها كزوجة ، ولم يهملها وينسها ، فوجدناه يلجأ إلى ديارها - كما دُبرَّت له المكائد - سواء في حياة أبيه أو بعد عزل أبيه وقلته ، كما وجدناه يذكرها بعد انتصاره على « بهرام جوبين » وجولسه على العرش ، وزواجه من « مريم » ، ويرسل إليها مراراً ، ثم يذهب إلى قصرها بحجة الصيد أملاً في رؤيتها ، والاتصال بها .

وهذه الصورة لخسرو - عند نظامى - تختلف كثيراً عن صورة الفردوسى التي عرضناها .

(١) چو سالى برآمد كه مريم بمرد شبستان زرین بشیرین سپرد

(فردوسى : شاهنامه ، ج ٥ ، ٢٣٠)

(٢) للتصود بالحجرة الذهبية الحجرة الحامدة بالملكة ، أى الزوجة الأولى المقدمة على غيرها ، والشاعر يقصد بقوله هذا أن شيرين أصبحت - بعد موت مريم - زوجة خسرو الأولى ، أى صارت ملكة ، فحققت بذلك هدفها الذى سعت إليه ، ودبرت قتل مريم في سبيل بلوغه .

وما لاحظناه في تصوير نظامي لخسرو شيرين نلاحظه في تصويره لشخصية «فرهاد» المبتكرة ، فقد صور الشاعر هذه الشخصية في صورة جملة من صاحبها بطلا ، يحتل مكاناً بارزاً في القصة ، ويبدو قريباً ومنافساً خطراً لخسرو؛ بل إن الشاعر أضفى على «فرهاد» كل صفات البطولة التي أضفها على «شيرين» ؛ من إخلاص ، ووفاء ، وتضحية بكل شيء - حتى بحياته - في سبيل من يحب ؛ في صورة تدعو إلى العطف والتقدير .

وشخصية فرهاد شخصية مبتكرة - كما قلنا - خلقها نظامي ليكسب القصة عنصر الطرافة ، والتشويق ؛ عن طريق خلق المشاكل والمواقف الدقيقة ، وعقد المقارنات بين الشخصيات المتباينة .

ولم يشر الفردوسي إلى فرهاد في قليل أو كثيراً ، ولم يذكر اسمه فيما نظمه عن خسرو وشيرين ؛ فكان ما نظمه عن هذه القصة سرداً للحوادث دون إعطائها الإطار الفني ، أو حبكها الحبكة الفنية التي تستلزمها القصة . وهكذا نلاحظ أن تصوير نظامي لشخصيات القصة ، ومناظرها المتنوعة ، يختلف - عن تصوير الفردوسي - اختلافاً جوهرياً .

وفضلاً عن الفرق الشاسع الذي يُوجد بين الشاعرين - من هذه الناحية - فإننا نلاحظ أن منظومة نظامي فيها كل مقومات تأليف القصة «الرومانتيكية» ؛ من اختيار الفكرة التي تقوم عليها ، وخلق المشاكل ، وحسن التصوير ، وتنوع المناظر ، والجدة ، والابتكار ؛ وهي عناصر معدومة - أو كالمعدومة - فيما نظمه الفردوسي .

وقد أحسن نظامي اختيار الفكرة ، فالحب من الموضوعات الإنسانية ، وهو وثيق الصلة بالنفس البشرية - في كل زمان ومكان - خصوصاً في الصورة التي حرص نظامي على إبرازها ، وهي صورة الحب الطاهر الذي يرمي الفضيلة ، ويرفع التيمم الأخلاقية ، ويسمو بالنفس البشرية ، ويتطلع إلى مثل أعلى : هو

الزواج ، ويظل بعد الزواج ليوجه العاشقين إلى الخير ، ويُبصِّرهما بطريق السعادة الدنيوية والأخروية .

كما أحسن نظامي خلق المشاكل ، وحسن التصوير ، وتنوع المناظر ، مع الجدة والابتكار ، فأدخل في القصة عنصر الطرافة والتشويق ، فوجدناه يقارن بين شخصيات القصة ، ويوجد شخصيات متناقضة ليظهر الفرق - بينها - واضحاً . فقد قارن بين شخصية فرهاد وشخصية خسرو ؛ فالأول عاشق مخلص يتفانى في حبه ، ويحاول أن يتحد مع معشوقته ولو بعد الموت . بينما الثاني عاشق ينظر إلى المرأة على أنها متعة ، فلا يكتفى بواحدة بل يتزوج الكثيرات ، وهو أناني لا يتورع عن إلحاق الضرر بالخير - في سبيل ملذاته - كما فعل مع فرهاد ، فقد قاده إلى القتل ليتأنس منه ، فيخلو - له - الجو دون منازع .

كما قارن بين شخصية شيرين ، وشخصية خسرو ؛ فقد نقلها من شخصية ثانوية - عند الفردوسي - إلى بطلنة القصة ، وجعلها ألمع شخصية فيها ، وأضفى عليها شيئاً كبيراً من الأهمية ، جعلنا نشعر بالإعجاب بشخصيتها ، والتقدير لنبلها . ويبدو أن الشاعر فعل ذلك ليقارن بينها ، وبين خسرو ، فقد أصبحت - بهذه الصورة - على النقيض من خسرو ، خصوصاً فيما يتعلق بالحفاظة على العفة والشرف ؛ كما أصبحت تمتلك صفات الإنسانية التي تؤهلها للبطولة ، وتجعلها أسمى وأنبى من خسرو ؛ فوجدناها تحب الشعب ، وتسهر على راحته ، وتنصح خسرو بتعلم أصول الحكم الصالح ، ورعاية العدل والإنصاف ، حتى يظفر بحب الشعب ، ورضا الله .

وفضلاً عن هذا كله ، فإنه يبدو من دراسة منظومة نظامي أن له مذهباً خاصاً في نظام مثل هذه القصص ، فقد حاول الشاعر أن يتخذ القصة وسيلة لتسجيل آرائه ، وما يدعو إليه ؛ فقد كان يؤمن بضرورة الإصلاح الخلقى ، وتطهير النفوس حتى تترفع عن الحقد والحسد ، وتتجنب إيذاء الناس ، وتتطلع إلى المثل العليا .

وكان يدعو - في شدة وتحمس وإصرار - إلى ترك الظلم ؛ لأنه غير مأمون
المواقب ، فقد يعود على صاحبه بشر مستطير . كما كان ينادى باتباع العدل ،
والتزام الإخلاص ، والتمسك بالوفاء ، ويندد بمن يخالفون هذه الدعوة ، ويحذروهم
من غدر الدنيا ، وفنائها .

وقد جهر بهذه الدعوة في منظومته الأولى « غزن الأسرار » ، ورددتها في
منظومته الثانية « خسرو وشيرين » - كما رأينا - وسيردها في كل منظوماته ،
كما سيأتى .

ولذلك فقد حاول الشاعر أن يتخذ من منظومته « خسرو وشيرين » ميداناً
يعرض فيه آراءه ، ويردد فيه دعوته ، وذلك عن طريق إنطاق بعض شخصيات
القصة بما يؤمن به ، ويدعو إليه ، أو إظهار بعضها في الصورة التي يتمناها ،
كإظهار شيرين في صورة راعية للغة ، وداعية للأخلاق والفضيلة ، أو إظهار
فرهاد في صورة مَثَلٍ للوفاء والتضحية ، وهكذا .

كما أن هناك ظاهرة جديرة بالملاحظة ، وهي أن للشاعر قد أظهر للماشقين
في حالة انتقال - من جهة إلى أخرى - وسفر - من مكان إلى آخر - فكل
منهما يبحث عن صاحبه ، ويلجأ إلى ديار مشوقه . والطريف أن الواحد منهما
لا يكاد يسعى لقاء صاحبه ، ويتخذ طريقه إلى الجبهة التي يقيم فيها ، حتى يفادر
هذا الصاحب مكانه لسبب من الأسباب ؛ فظل الماشقان في حركة دائمة .

وهذه ميزة انفرد بها نظامى ، فلم نجد هذا عند الفردوسى ، وقد أكتبت القصة
نوعاً من الحيوية ، وجعلتها طريقة مشوقة .

كما بدا نظامى - في هذه القصة - في صورة عالم نفسى ، فأحسن تحليل
شخصيات أبطال القصة ، ولذا أن يقارن بينها . وهذه الميزة ليست واضحة عند
الفردوسى .

ومن الملاحظ - أيضاً - أن عاطفة نظامى الإسلامية طفت على عاطفته

الوطنية الإيرانية ، فقد طرب لتمزق ملك خسرو ، وانهاره ، واعتبر ذلك من معجزات رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وهذه ظاهرة سنلاحظها في منظوماته الأخرى .

وهو في ذلك عكس الفردوسى تماماً ، فقد كانت عاطفة الفردوسى الوطنية مشبوبة ، فتمصب لوطنه ، وحاول أن يعلى من شأنه ، وأن يمجّد مفاخره ، ويخلد ماضيه ، ويتخذ من ملوك الفرس القدماء رمزاً لهذه المفاخر ، ودليلاً على عظمة الماضى وروعته ، ورفعة شأن وطنه .

ولعلّ هذا هو السبب في ظفر الفردوسى بحب الإيرانيين ، وتمجيدهم ؛ إلى درجة لا يتسامى إليها نظامى ، بل ولا يصل إليها شاعر إيراني آخر .

ولعل هذا هو السبب - أيضاً - في عدم الاهتمام بدراسة نظامى ، وعدم محاولة إظهار مكانه بين شعراء الفارسية ، رغم تميزه في فن القصة ، وفن المتنوى ، وفي اتخاذ الشعر وسيلة للدعوة إلى نشر الفضيلة ، وإصلاح المجتمع .

ومما يكن من شئ ، فإن قصة « خسرو وشيرين » - في الصورة التى أخرجها نظامى - تعتبر جديدة مبتكرة ، وإن الطريقة التى نظمت بها لتعتبر جديدة في نظم القصص بالفارسية في تلك الأوقات . وقد يكون للإمام نظامى بثقافات مختلفة أثر في انتاج هذه الطريقة .

ولعلنا - بعد هذه الدراسة المقارنة - نستطيع أن نقرر أن نظامى هو أول من نظم قصة « خسرو وشيرين » في هذه الصورة . فقد رأينا أن تناوله لها يختلف اختلافاً جوهرياً عن تناول الفردوسى ، لأنها اختلفا في تصوير مناظر القصة ، وترتيب حوادثها ، وفي المحور الذى تدور حوله ، وفي الإطار الفنى الذى يضم كل هذه الأشياء .

فليس من الإسراف - إذاً - أن نصدر هذا الحكم ، فنعتبر نظامى أول من أخرج حب « خسرو وشيرين » في صورة قصة « رومانتيكية » .

وحاول كثير من الشعراء تقليده ، ونذكر - على سبيل المثال - من قبلوه من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوی المتوفى في عام ۷۲۵ هـ ، وهاتفي المتوفى في عام ۷۱۹ هـ . وقد نظم كل منهما القصة تحت عنوان « خسرو وشيرين » . كما نذكر وحشى السكرماني المتوفى في عام ۹۹۱ هـ ، وعرفى للشيرازي المتوفى في عام ۹۹۹ هـ ، ورقيى المولود - في خراسان - في عام ۹۴۲ هـ . ونظم كل منهم القصة تحت عنوان : « فرهاد وشيرين » ، ونذكر آهى المتوفى في عام ۹۲۳ هـ . وقد نظمها تحت عنوان « شيرين وپرويز » . وإذا تركنا شعراء الفارسية إلى شعراء التركية نجد كثيراً منهم قد نظم القصة مُقلِّداً « نظامى » ؛ ونذكر منهم - على سبيل المثال أيضاً - لامعى المتوفى في عام ۹۳۸ هـ . ونظم القصة تحت عنوان « فرهاد وشيرين » . وهذا يدل على مدى ما أحدثته منظومة « نظامى » من صدى في الميدان الشعرى .

وقد تأثر هؤلاء الشعراء - جميعاً - بما ورد في هذه المنظومة ؛ فقلدوا « نظامى » ، واقتبسوا مما ذكره ، وحاولوا تقليد طريقتة . ولعل أوضح مثل لذلك أمير خسرو الدهلوی ، الذى تأثر - في منظومته - بنظامى - إلى حد كبير - سواء في البحر الذى نظم فيه القصة ، أو في ذكر الوقائع وتسلسلها ^(۱) .

* * *

ونكتفى بهذا القدر عن منظومة نظامى الثانية « خسرو وشيرين » ، لندرس منظومته الثالثة « لیلی و مجنون » .

البُحْثُ الثَّالِثُ

منظومة «ليلي ومجنون»

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

دراسة حول منظومة « لیلی و مجنون »

شرح نظامی فی نظم « لیلی و مجنون » فی عام ۵۸۴ هـ ، بناء علی طلب اخستان ابن منوچهر ، حاکم شروان .

وقد نظمها فی بحر المزج السدس ؛ وتشتمل المنظومة علی ۴۰۰ بیت تقریباً . وقصة « لیلی و المجنون » قصة حب - كقصة « خسرو و شیرین » - یتمثل دور البطولة فیها بطلان ، هما : قیس بن الملوح مجنون بنی عامر ، و معشوقته لیلی . و اتم الشاعر نظم هذه القصة فی نفس العام - الذي بدأ فیہ نظمها - و يبدو أنه فرغ من نظمها فی مدة وجيزة ، لم تتعدَّ أربعة أشهر ؛ مما تتبَّیْنه من قوله : « نظمتُ أكثر من أربعة آلاف بیت فی أقل من أربعة أشهر ، ولولا الاشتغال بأعمال أخرى ، لمت فی أربع عشرة ليلة ^(۱) » .

ولذلك ؛ فقد تمت المنظومة فی عام ۵۸۴ هـ . وسجل الشاعر هذا التاريخ فی قوله : « زُیِّنَتِ المنظومة - فی أبهى صورة - فی آخر رجب من العام الرابع والثمانین بعد الخمائة ، وهو التاريخ الذي تمت فیہ ، و یساوی مجموع (ث ، ف ، د ^(۲)) بحساب الجمل ^(۳) » .

(۱) این چهار هزار بیت أكثر شد گفته بچارماه کتر کر شغل دگر حرام بودی در چارده شب تمام بودی (نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۲۹)

(۲) مجموع (ث ، ف ، د) - بحساب الجمل - یساوی ۵۸۴ .

(۳) آراسته شد به بهترین حال در سلخ رجب به ئی و فی دال تاریخ عیان که داشت باخود هشتاد و چهار بعد پانصد (نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۲۹)

وهذا التاريخ متفق عليه بين جميع الباحثين .

غير أن هناك تاريخاً آخر - ذُكر في آخر المنظومة - يدل على أنها تمت بصفة نهائية في عام ٥٨٨ هـ ؛ حيث قال الشاعر : « انتهت - بفضل الله الواحد القهار - في يوم الاثنين ، بعد أن انقضت ثمانية وثمانون وخمسمائة عام على هجرة الرسول ^(١) » .

ويمكن أن نقبل التاريخين ، رغم أنها مختلفان ، لأننا لاحظنا أن الشاعر كان يضيف بعض القطع إلى منظوماته - أحياناً ، خصوصاً إذا كانت القطعة المضافة تتصل بالشاعر ، أو بأحد مدحويه ، وقد فعل ذلك في منظومته السابقة « خسرو وشيرين » ؛ فأضاف إليها وصف زيارته للأنابك « قزل أرسلان » ، كما أضاف إليها قطعة في رثاء هذا الأنابك ، وأخرى في مدح خليفته « نصره الدين أبي بكر » وكان ذلك بعد إتمامها بخمس سنوات .

فن الجائز أن الشاعر قَلَّ في منظومة « ليلي ومجنون » ما فعله في « خسرو وشيرين » ، فأضاف إليها بعض القطع ، بعد إتمامها ببضع سنوات .

ويبدو أن القطعة التي نصح الشاعر فيها ابنه ، وصَرَّحَ فيها بأن هذا الابن في الرابعة عشرة من عمره ^(٢) ، قد نظمها في عام ٥٨٨ هـ ، لأن ابنه كان في نهاية « خسرو وشيرين » . في السابعة من عمره ، فطبيعي أن يبلغ الرابعة عشرة في عام ٥٨٨ هـ ؛ بل إن هذا من الأسباب التي تجعلنا نقبل هذا التاريخ .

وأغلب الظن أن الشاعر أتم نظم قصة « ليلي ومجنون » وقدمها لحاكم شروان في عام ٥٨٤ هـ ، ثم أضاف إليها قطعاً في النصح ، وفي مدح هذا الحاكم ،

(١) در روز دوشنبه آمد آخر از لطف خدای فرد قاهر

پانصد هشتاد و هشت بر سر بگذاشته ز هجرت پیمبر

(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ٢٧٤)

(٢) سبق إيراد هذه القطعة والتعليق عليها ، فيما سبق .

فی عام ۵۵۸۸ هـ ، و ختم المنظومة بصفة نهائية .

* * *

اما آخستان بن منوچهر حاکم شروان الذی قُدِّمَتْ المنظومة له ، فقد قيل إنه کان من نسل بهران جویین ، القائد الإبرانی الذی ثار فی وجه « خسرو پرویز » کامر .

و یبدو أن هذا الحاکم هو الذی طلب من الشاعر نظم القصة ، لأنه قال : « جاد فی رسول یحمل أمر الملك الذی کتبه بخطه الجلیل ، وکان مکوّنًا بما یقرب من خمسة عشر سطرًا ، بأسلوب جمیل جمال الزهر المونع ، متلانیء تلاءؤ البدر ، (وکان یقول فیہ) : یا تاجی الأمین . . یا نظامی . . یا ساحر الکلام فی العالم . . استیقظ رغم حلاوة نسیم السحر ، وهیّی من الکلام سیخراً آخر ، وأظهر ما عندک من فصاحة فی فن النظم الجلیل ، لأنی أرید أن تنظم الکلام کالدّر المسکون ، فی ذکر عشق المجنون^(۱) » .

كما طلب الحاکم من الشاعر أن یُجوّد القصة ، ویخرجها فی صورة رائعة جمیلة ، بما صوره الشاعر فی قوله : « إن هذه القصة ترّجّع ألف قصة ، فزیّنّها بنظّمک الجلیل . . . إنها ملکة قصص العشق جمیعها ، فیحسن أن تَقَفّنَ

(۱) در حال رسید قاصد از راه آورد مثال حضرت شاه

بنوشته بخط خوب خویشم ده پانزده سطر نفر بیشم

هر حرفی از او شکفته باغی افروخته تر زشب چراغی

کای محرم حلقه غلامی جادو سخن جهان نظامی

از چاشنی دم سحر خیر سحری دگر از سخن برانگیز

در لافکته شکفته کاره بنای فصاحتی که داری

خوام که بیاد عشق مجنون رانی سخنی چو در مکنون

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۲۵)

فی نظمها^(۱) .

وأظهر نظامی تحیره بعد قراءة خطاب الحاكم ، فلم یكن یجرو على مخالفته ،
وبین أن ابنه أشار علیه بامثال أمر الحاكم ، ونظم القصة ، مما صورہ قائلاً
على لسان ابنه : «حینا نظمتم قصة خسرو وشیرین ملأت قلوب الناس سروراً ،
فیجب أن تنظم قصة لیلی والمجنون ، حتى تصیح لیدك جوهرتان ثیمتان^(۲) .
ویدوان ما ذكره الشاعر من عدم رغبته فی نظم القصة ، وإشارة شخص
آخر - كابنه - علیه بنظمها ، ثم قبوله بعد التردد ، إنما هو من خلق الشاعر ، لیضفی
على عمله شيئاً من الأهمية ، ویلفت الأنظار إليه ، ویلمس لنفسه العذر فی نظم
قصص العشق رغم زهده وتحفقه .

وقد فعل هذا من قبل ؛ فأشار إلى عاتب عتب علیه حینا شرع فی نظم قصة
«خسرو وشیرین» ، كما ستراه یفعله فی منظوماته الأخری ، فیشير إلى أن هاتفاً اتاه
ونصحه بنظم القصة ، أو یذكر أن «الخصر» جاء إليه ، وأشار علیه بما فعل ، وهكذا .
وأکبر الظن أن الشاعر أراد أن یبرر عمله ، ویظهر مبلغ قدرته وبراعته فی
تصویر مناظر كل قصة من القصص التي نظمها ، رغم صعوبتها .
ومما يرجع مذهبنا إليه أن ابن نظامی كان صغیراً - فی الوقت الذي بدأ الشاعر
فی نظم قصة «لیلی والمجنون» - فن المستبعد أن یشیر علیه بشيء .

كما أن نظامی أشار إلى صعوبة نظم هذه القصة ، لأنها غیر مألفة لديه ،

(۱) بالای هزار عشق نامه آراسته کن بنوك خامه

شاه همه حرفهاست این حرف شاید که دراو کنی سخن حرف

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۲۵)

(۲) خسرو شیرین چو یاد کردی چندین دل خلق شاد کردی

لیلی مجنون بیابنت گفت تا کوهر قیمتی شود جفت

(المرجع السابق ، ص ۲۶)

وأظهر خوفه من الفشل ، لعدم توفر مادة القصة عنده ، في حين أنه - بعد موافقته - ، لم يستغرق - في نظمها - أكثر من أربعة أشهر ، وقال إنه لو لم يكن مشغولاً بأعمال أخرى لأكملها في أربع عشرة ليلة ، رغم أنها أربت على أربعة آلاف بيت ، مما يرجع أن تمنع الشاعر لم يكن لعدم وجود مادة القصة ، أو صعوبة نظمها ، وإنما كان تبريراً لموقفه ، وهى طريقة درج عليها في كل منظومة .

* * *

ومن المرجح أن الشاعر قد أرسل منظومته مع ابنه الصغير ، لأنه مدح الحاكم^(١) وابنه ، ويَبين أنه فعل ذلك تحقيقاً لرغبة ابنه الذى طلب منه أن يقدمه لولى عهد الحاكم ، وصور ذلك فى قوله على لسان ابنه : « قدّمنى لولى عهدك اليوم ، فكلانا حديث السن ، فى مدرسة الحياة^(٢) » .

وشبه الشاعر منظومته بابنته ، وصور اعتزازه بها ، فقال : « اعلم أن هذه العروس المهداة لم تخلق فى عهد من العهود ، فإذا لم تلتفت إلى أبيها ، فينبغى أن ترعى أخاها^(٣) » .

غير أننا لا نعلم ما جناه الشاعر من تمار عمله ؛ لأنه لم يشر إلى شيء من ذلك فى شعره ؛ وإن كان يبدو محمياً أن يطلب الحاكم منه نظم القصة ، ثم لا يثبته على عمله .

* * *

ونكتفى بهذه الدراسة حول المنظومة ، لندرس المنظومة نفسها ؛ فنعرض قصة « ليلى والمجنون » كما صورها نظامى ، ثم نقارنها بالأصل العربى الذى استمدت منه .

(١) نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٣٠-٣٨ . وقد سبق عرض صور من هذا الدح .

(٢) بديار مرا بهمدش امروز كو نو قلم است ومن نو آموز
(نظامى : ليلى ومجنون ، ص ٣٨)

(٣) دافى كه چنين عروس مهدي نايد زقران هيچ عهدي
كر در پدرش نظر نيسارى تيمار يرادرش بدارى
(للرجح السابق ، ص ٣٩)

الفصل الثاني

قصه لیلی و مجنون کا صورتِ نظامی

بدأ الشاعر منظومته « لیلی و مجنون » بمقدمته التقليدية عن التوحيد ، ونعت الرسول ، ثم تحدث عن سبب نظم القصة ، ومدح الملك وابنه ، وإيداع ابنه لديه ، ثم أعقب ذلك بنصيحة ابنه محمد ، وذكر من توفَّق من أفراد أسرته ، وختم المقدمة بالنصح بالقناعة ، وترك التذلل ، والابتعاد عن خدمة الملوك والولاة ، وشغل الفراغ بنظم الشعر ^(۱) .

ثم أخذ الشاعر بعد ذلك في سرد القصة ، فقال : « قال راوی القصة حينما شرع في نظم الكلام ، إنه كان يُوجد - بين العرب - رجلٌ عظيم ، يسكن في بقعة من أحسن البقاع ، ويرأس بني عامر ، وقد أصبحت دياره - بفضلہ - أمر الديار ، فتمطرت بلاد العرب بذكره الحسن ^(۲) » .

وكان هذا الحاكم العربي مشهوراً بالفضل ، والشجاعة ، وقرى الضيفان ، ولم يكن له ابن يخلفه في منصبه ، إذا قُدِّرَ له أن يرحل من الدنيا ، فكان كثير للضراعة إلى الله أن يهبه ابناً .

واستجاب الله دعاءه ، فوهبه ابناً جميلاً ، « سرُّ بمولده ، وسماه « قيس ^(۳) » .

(۱) نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱-۵۷ . وقد سبقت الإشارة إلى هذه المسائل .

(۲) گوینده داستان چنین گفت آن لحظه که در این سخن سفت

کز ملک عرب بزرگواری بوداست بخوب تر دیاری

بر عامریان کفایت آورا معمور ترین ولایت آورا

خاک عرب از نسیم نامش خوش بوی تر از ریح جاشم .

(المرجع السابق ، ص ۵۷)

(۳) شرط هنرش تمام کردند قیس هنرش نام کردند

(المرجع السابق ، ص ۶۰)

« ولما آنتم قيس العام الأول من عمره ، بلغ من الجمال أهل مراتبه ، وكان جوهر المشق كما منّا بين جوانحه ، وبريقه يشع من وجهه التلألؤ^(١) » .

وقضى قيس سنواته الأولى في القمب ، وكان نشيطاً مرحاً ، كالزهرة المتفتحة بين الأغصان .

« ولما بلغ عمره العاشرة ، أخذت القصص تروى عن جماله المفرط ، فكل من رأى وجهه من بعيد ، كان يدعو له بالحفظ والوقاية ، فسر والده بجمال طلعتة ، وأرسله إلى المكتب ليتعلم^(٢) » .

وكان أبناء القبائل وبناتها ، يذهبون إلى هذا المكتب ، فيمكنون على التلميم — منذ الصغر — في جد ، ومثابة ، فاجتمع قيس هناك بعدد غير قليل من الزملاء والزميلات ، وأخذ يتعلم في شوق ، وانتظام .

ولكن « قيس » لم يلبث أن تعلق بحب ليلي — زميلته في الدراسة — ، وكانت مشهورة — منذ صغرها — بالجمال ، وتناسق الأعضاء ؛ فكا شعرها أسود كالليل ، بينما كان وجهها متلألئاً كالقمر . فألفها الجميع ، ودعو الله أن يرعاها ، ويحفظ جمالها .

« وقد استولى المشق على قيس ، فلا جوانحه ، وأخضع قلبه ، وكانت ليلي

(١) چون بر سر این گذشت سالی بفزود جمال را کمال
عشقش بدو دستی آب میداد زو کوهر عشق تاب میداد
(نظای : لیلی ومجنون ، ص ۶۰)

(٢) کز هفت بده رسید سالی افسانه خلق شد جمالش
هرکس که رخش زدور دیدی بادی زدعا بر او دیدی
شد چشم پدر بروی او شاد از خانه بمکبش فرستاد
(نفس المرجع والصفحة)

— أيضاً - تعشفه ، فنا الحب وترعرع في قلبيهما معاً ^(۱) .

ولما اكتمل نضج قيس ولبى كان حبهما قد بلغ الذروة ؛ فراجت أنباؤه ، وانتشرت في كل مكان ، وأخذت الألسن تتناقلها ، « قشا السر ، وعُرف في كافة الأماكن ، وأخذ يُسمع بروايات مختلفة ، وأصبحت على كل لسان رواية لهذه القصة المحبوبة » ^(۲) .

« ثم لم يلبث العشق أن استبد بقرص فطار صوابه ، وذهب عقله ، واشتهر أمره ، ولقبه الناس بالجنون ، وكان هو يؤيد - ذلك - بتصرفاته الشاذة » ^(۳) .
« وكثر كلام القوم حول لیلی ، فأخفاها أهلها عن أعين الجنون » ^(۴) .
« فلما فصلت لیلی عن الجنون أخذت تبکی بدمع كالدر المسكون ، كما أن الجنون لما أحس بأنه لم يمد یرى وجه لیلی ، ذرف من عينيه سيلاً من الدموع » ^(۵) .

(۱) از دلاری که قیس دیدش دلداد و غیر دل خسریدش

اونیز هوای قیس میجست در سینه هر دو مهر میرست

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۶۱)

(۲) این پرده دریده شد زهر سوی وان راز شنیده شد بهر کوی

ز قصه که محکم آیتی بود در هر دهی حکایتی بود

(المرجع السابق ، ص ۶۳)

(۳) یکباره دلش زیبا در افتاد هم خیک درید و هم خرافتاد

و آنان که نیوفتاده بودند مجنون لقیش نهاده بودند

اونیز بوجه بینوائی میداد بر این سخن گوائی

(المرجع السابق ، ص ۶۴)

(۴) از بس که سخن بطنه گفتند از شیفته ماه نوه نهفتند

(نفس المرجع والصفحة)

(۵) لیلی چو پریده شد ز مجنون می ریخت ز دیده در مکنون

مجنون چو ندید روی لیلی از هر مشرب کشاد سلی

(نفس المرجع والصفحة)

ولم یطلب لقیس قرار فی مکان واحد ، فأخذ یتنقل من مکان إلى آخر .
 « وهام فی المحلات والأسواق ، وقد امتلأت عیناه بالدموع ، وقلبه بالوجد ،
 وكان ینظم أشعار العشق ، وینشدها بطریقة مؤثرة ، ثم یضی فی طریقہ ، والناس
 یتصاحبون من خلفه ، ومن أمامه ، قائلین : المجنون ! . . . المجنون ! . . . »^(۱) .
 وأخذ قیس یقضى أيامه ولایالیه عازیا فی الصحراء ، بین الحيوانات
 والوحوش الضاریة ، فسات حالته ، وزاد جنونه .

وكان یذهب کل لیلۃ - متخفیا - إلى بیت معشوقته - رغم بعد المسافة -
 فیقبل الأبواب ، ثم یرجع متثاقلا^(۲) .

وكان کل من العاشقین یتبع أخبار الآخر فی لطفه ، وشوق ؛ « فكان (قیس)
 یقع بتنسم رائحة من (لیلی) ، كما رضیت هی بكونه یبحث عنها ، فسمداً رغم
 البعد كالغریاء ، لأنهما كان یحشیان تجسس الرقیاء »^(۳) .

ولما رأى ولد قیس ماحل بابیه من تباریح العشق حزن ، وأشفق علیه ،
 وفكر فی وسیلة یرد بها إلى ابنه صوابه ، ویهْدی بها روحه الهائمة ، فاستقر
 رأیه علی أن یخاطب له لیلی ، وعرض الأمر علی شیوخ القبيلة فوافقوه ،

(۱) میگشت بگرد کوی و بازار در دیده سرشک و در دل آزار

میگفت سرودهای کاری میخواند چو عاشقان بزاری

او میشد و میزدند هر کس مجنون مجنون ز پیش و از پس

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۶۴)

(۲) هر شب ز فراق بیت خوانان پنهان رفیق بکوی جانان

در بوسه زدی و باز گشتی باز آمدنش دراز گشتی

(المرجع السابق ، ص ۶۵)

(۳) قانع شده این از آن ییوی و آن راضی از این بچستجویی

از یم تجسس رقیان سازنده زدور چون غریبان

(المرجع السابق ، ص ۶۹)

واستصوبوا رأيه ، فتوجه مع جماعة منهم إلى والد لیلی ، ثم طلبها منه لتكون زوجة لابنه .

ولكن والد لیلی رفض قائلاً : « إنه يُظهر الجنون ، فلا يليق بنا أن نصاهر مجنوناً ^(۱) » .

ثم خاطب والد قيس قائلاً : « أنت تعرف كيف يتبع العرب العيوب ، فإذا يقولون إذا أقدمتُ أنا على هذا الأمر ۱۲ . . فدع الحديث في هذا الموضوع ، ولا تحاول أن تتحدث فيه بعد الآن ^(۲) » .

« فلما سمع العامريون هذا الكلام ، لم يجدوا وسيلة غير الرجوع ، فعادوا إلى ديارهم نادمين متأثرين ^(۳) » .

ونصحوا قيس بترك حب لیلی على أن يزوجه من هي أجهل منها ، « فلما سمع الجنون نصيحة أهله ، ازداد اضطراباً من شدة مرارتها ، فلطم وجهه ، وشق قميصه . . وماذا يستطيع أن يفعل غير هذا ۱۳...! ^(۴) » .

وهام على وجهه في الصحراء مرة أخرى ، وأخذ ينشد الأشعار المؤثرة ، « فتحير

(۱) دیوانکبی همی نماید دیوانه حریف مانشاید

(نظامی : لیلی و مجنون ، ۷۲)

(۲) دانی که عرب چه عیب جویند این کار کنم مرا چه گویند

بامن بکن این سخن فراموش ختم است برین و گشت خاموش

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) چون عامریان سخن شنیدند جز باز شدف دری ندیدند

نومید شده زبیش رفتند آزرده بجای خویش رفتند

(المرجع السابق ، ص ۷۲)

(۴) مجنون چو شنید پند خویشان از تلخی پند شد پریشان

زد دست و پرید پیرهن را کاین مرده چه میکند کفن را ؟

(المرجع السابق ، ص ۷۳)

الناس في أمره ، وصار كل من رآه يرثي لحاله ^(۱) .

ثم فكر والده في طريقة يدفع بها عنه حرارة المشق ، فقرر أن يحمله إلى مكة في موسم الحج ، ليدعو الله في بيته الحرام ، ويسأله أن يُبعد عنه حرارة المشق ، وأن يلك عنه قيوده ، وحمله إلى هناك ؛ ولكن المجنون دعا الله أن يزيد عسقا . فقال : « يارب بهزة ربوبيتك ، وجلال ألوهيتك ، اجملني أبلغ أقصى درجات المشق ، حتى يبقى حي بعد فناءى . . . وامنحني النور من عين المشق ، ولا تحرمني منه أبداً ؛ ولو أننى سكرت من شراب المشق ، إلا أننى أدعوك أن تجعلنى أكثر عسقا من هذا مادمت حيا . . . إنهم يقولون خلص نفسك من المشق ، وأبعد عن قلبك حُبَّ ليلي ، فيارب هبى - في كل لحظة - ميلاً أعظم إلى ليلي ، وخذ ما بقى من عمرى ، وزده في عمرها ، فرغم أننى أصبحت - من شدة الغم - نحيلاً مثل شعرها ، إلا أننى أنمى ألا تنقص شجرة من رأسها ^(۲) » .

ولما سمع والده هذا الدعاء رجع يائساً ، وعرف أن داء عشقه ليس له دواء .

(۱) حيران شده هرکسی در آن بی میدید و همیگریست بروی .

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۷۴)

(۲) یارب بخدائی خدائیت وانگه بکمال پادشائیت

مکز عشق بغایتی رسانم کوماند اگرچه من نهمانم

از چشمه عشق ده مرانور واین سرمه مکن ز چشم من دور

گرچه ز شراب عشق مستم عاشق ترازین کنم که هستم

گویند که خوز عشق واکن لیلی طلبی زد دل رها کن

یارب تو مرا بروی لیلی هر لحظه بده زیاده میلی

از عمر من آنچه هست بر جای بستان و بمر لیلی افزای

گرچه شده ام چو مویش از غم یک موی نخواهم از سرش کم

(للرجع السابق ، ص ۸۰ - ۸۱)

أما قوم لیلی قد ساءم عشق المجنون لابتهم ، و ذکره اسمها فی أشعاره ، فشکوه إلى الوالی ، فأباح الوالی دمه .

وعلم والد قیس بإباحة دم ابنه ، ففرغ ، وأرسل شخصاً للبحث عنه ، فأخذ یقتفی آثاره حتی اهتدی إلى مكانه ، ثم توجه والده إليه ، فوجده جالساً فی غار ، وقد وضع رأسه علی حجر ، وأخذ ینشد قصائده ، فتأثر ، وتألم لحاله ، وقال له : « یامفتونا ! .. إلى متى هذا الاضطراب !؟ .. ویا محترقاً بحرارة العشق ! .. إلى متى هذا الطیش ^(۱) !؟ .. » .

ثم أخذ یؤنبه قائلاً : « ألم تنعب من شدة الغم ، ومن كثرة تلقی طعنات الأعداء !؟ .. ألم تملأ القلب من الملامة !؟ .. أم تستیقظ رغم هذه القیامة !؟ .. ضع حدّاً لهذا العشق الذی شقیته به ، فقد أضمت هیتک ، وأذهبت ماء وجهی ^(۲) !؟ .. » .

ولکن المجنون أجاب قائلاً : « حیث إن الأمر لیس باختيارنا ، فإن نحسین الحال (وتضییره) لیس من شأننا ^(۳) » .

فلما أیقن والده أنه لم یتأثر بنصیحته حزن ، وحمله إلى منزله حیث جمع حوله بعض أصدقائه ، ولکن المجنون ظل شارد اللب مضطرب الفؤاد وقتاً ، فلم یفلح أصدقاؤه فی إدخال السرور إلى قلبه ، ولم یطلق المجنون البقاء فی المنزل ،

(۱) ای شیفته چند یقرازی وی سوخته چند خامکاری

(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ۸۶)

(۲) مانده نشدی زغم کشیدن وز طعنه دشمنان چشیدن !؟

دل سیر نکشتی از ملامت ؟ زنده نشدی بداین قیامت ؟

بس کن هوس که پیش بردی کاب من وسنگه خویش بردی

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) چون کار باختيارما نیست به کردن کارکار مانیت

(المرجع السابق ، ص ۹۰)

فهرب إلى الصحراء من جديد ، وعاش فيها . « وصار من شدة الاضطراب كالشيطان التمل ، فأصبح يضع الحديد في رجله ، ويحمل الحجارة بيديه ، وكان ينشد أشعار الغزل مختلفة الألحان ، كما ناثرت إحساساته ، فاجتمع الخلائق من كل صوب - حول مكانه - وأخذوا يرقبون أحواله ، ويسجلون كل قصيدة يسمعونها - بواسطة الكتابة أو الحفظ - ، ثم حملوا شعره إلى الآفاق ، فسمعت المشاق بهذه الأغاني ^(۱) . »

أما لیلی ؛ فلم تكن حالها بأحسن من حال قیس ، فقد كان توالی السنين يزيدھا عشقاً ، ولهفة لرؤية معشوقها ، والجلوس معه ، وكانت تطلو الهضاب ، وتنظر إلى الطريق ، أملا في أن تحظى برؤيته ، ولو مرة .
ولسكتها كانت تحفي حبها خوفاً من الرقباء ، فكانت تحمل النسيم تحيتها لقیس ، وتبته شوقها إليه .

ثم نصبت ماسكتها الشعرية فتسكنت من نظم الشعر الفصيح ، فالتحذت الشعر وسيلة لبث أشواقها ، وإيصال سلامها إلى معشوقها ، فكانت - أحياناً - ترسل إليه رسالة شعرية - مع أحد المارين - وتبرفها عن مشاعرها ، وما تكنه له من حب ، وما تشعر به من شوق لقائه .

وكان قیس يحميها شعراً كذلك . وقد صور الشاعر ذلك في قوله : « كانت تنظم أبياتاً كالدر المسكون ، تناسب حال الجنون ، وكان هو يحجب بنفس للطريقة ، فيرد على الأبيات الملتببة - من نيران الشوق - بأخرى رقيقة ، تلقى على

(۱) برنجدهدی چو دیو سرمت آهن بر پای وسنگ بردست

چون بر زدی از غیر جوشی کفکی غزلی بهر خروشی

از هر طریقی خلیق انبوه نظاره شدی بگردان کوه

هر نادره کز او شنیدند در خاطر و در قلم کشیدند

بردند به تحفهها در آفاق زان غنیه غنی شدند عشاق

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۹۱ - ۹۲)

قلبها برداً و سلاماً ، وكانت ترسل الورقة التي تحمل الأبيات في الخفاء ممزوجة بدم قلبها ، بأن تلقىها إلى عابرسبيل ، ليحمل رسالة الزهر اللباسم إلى السر والجميل .. وكان الشخص الذي يحمل الرسالة يقرأها فيرقص من جمال ما فيها من شعر ، ثم يسلمها إلى المجنون ؛ فيقول - على البديهة - شعراً في جوابها ، وقد تبادل العاشقان رسائل عديدة بهذه الطريقة^(۱) .

وذات مرة - بينما كان الفصل ربيعاً - اجتمعت ليلى ببعض زميلاتها في بستان ، فأخذت تذكر معشوقها . ووجه مرشح شخص ينشد بعض أشعار المجنون ، فاضطربت ، ولاحظت إحدى زميلاتها ذلك ، فقصته على والدته ليلى ، فتدثرت الرقابة عليها ، « فأصبحت ليلى محصورة كالسكنز ، وكالتقر داخل هالته ، وصارت ضيقة القلب كالضباب ، تحنى بين جوانحها غماً قاتلاً كالسيف^(۲) » .

وبينما كانت ليلى في البستان ، رآها شاب من قبيلة بني أسد ، يدعى

(۱) بيتي که ز حسب حال مجنون خواندی بمثل چو در مکنون
آز دیگر جواب گفتم آتش بشنیدی آب گفتم
پنهان ورق بخون سرشقی وان بیتکرا براو نوشتم
بر راهگذری فکندی از بام دادی بسمن ز سرو پیغام
آن رقعه کسی که بر گرفتم بر خواندی ورقص در گرفتم
بردی و بدان غریب دادی کزوی سخن غریب زادی
آنیز بدیده روانه گفتم بنشان آن نشانه
زین گونه میان آن دودلبد میرفت پیام گونه چند
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۹۵)

(۲) لیلی که چو کنج شد حصار می بود چوماه در عمار
میزد نفسی گرفته چون میخ میخورد غمی نهفته چون میخ
(المرج السابق ، ص ۱۰۰)

ابن سلام ، و كان ذا جاه و فضل ، فأرسل إلى قومها يخطبها لنفسه ، « فجلس والدها ووالدتها يتشاوران في الأمر ، وعلقاً أُملاً كبيراً على تلك الخطبة ، وقررا أن قوله صادق قبولاً ، ولكن هذا الأمر يجب أن يتأخر بعض الوقت ، لأن ليلي - بستان هذا الربيع الجديد - تبدو عليها عوارض المرض ^(۱) » . ففرح ابن سلام ورجع إلى قومه مسروراً .

وفي ذلك الوقت أيضاً ، كان رجل من فضلاء العرب - يدعى « نوفل » - يصطاد بالقرب من المسكان الذي أقام المجنون فيه ، فرأى المجنون مضطرباً ، يمش بين الحيوانات ممزق الثياب ؛ وسأل عن حقيقته ، فرف أنه فتي عاشق من قبيلة بني عامر ، وقصَّ رفاقه عليه قصته ، فرَّق له ، وجلس إلى جانبه ، وتحدث معه ، ثم وعده ببذل كل وسيلة للجمع بينه وبين ليلي ، سواء عن طريق المال ، أو بقوة السلاح ، فطَّيَّب بذلك خاطره ، ثم حمله ليقتضيه معه بعض الوقت في لهو وسرور ، فقبل المجنون دعوته ، وهذا ما أصبح يهدونه ووقاره زينة لمجلس الطرب ، وكان ذلك الرجل العظيم الكريم ، يُسرِّي عنه ، ويدله بكل وسيلة ، فلا يأنس إلا بوجوده ، ولا يشرب الخمر إلا بصحبته الجميلة ، فقضيا معا بضعة أشهر في لهو ومرح ، بشرى بن الخمر و بمرحان ^(۲) .

(۱) هم مادر و هم پدر نشستند و امید در آن حدیث بستند
گفتند سخن بجای خویش است لیکن قدری درنگ پیش است
کاین تازه بهار بوستانی دارد عرضی زناتوانی
(نظای : لیلی و مجنون ، ص ۱۰۲)

(۲) مجنون بسکونت و گرائی شد عاقل مجلس معانی
و ان مهر میهمان نوازش میداشت بعد هزار نازش
بی طلعت او طرب نمی کرد می جز بحمال او نمیخورد
ماهی دوسه در نشاط کاری کردند بهم شراب خواری
(المرجع السابق ، ص ۱۰۷-۱۰۸)

ولسكن المجنون تذکر لیلی ، وأحس بمرارة الفراق ، فلام نوفل على تقصيره في الوفاء بما وعده به ، وأخذ يحثه على البر بوعده ، ويصور له مبلغ ما يحس به من تباريح العشق ، ويقول له : « إننى لا أستطيع من رجل مثلك قولاً لا وفاء فيه ، لأننى بدون المشوقة ضيعف عليل ، كالظلمان البعيد عن ماء الحياة ، فسكا يجب إعطاء الماء للظمان ، ومنح الثروة للقرية الخربة المحتاجة ، يجب أن توصلى بلبلی ، وإلا فذع متنبأً مثلى يهيم في الصحارى ، وفك قيدي ، فيجب أن توصلى لیلی إلیّ ، وإلا فلن أوجد ، ولن توجد الحياة^(۱) » .

فتأثر نوفل بكلام قيس ، وجمع جيشاً ، وسار به إلى قوم لیلی ، ثم أرسل رسولاً لمفاوضتهم ، فخيرهم الرسول بين الحرب ، وبين أن يقبلوا زواج المجنون من ابنتهم لیلی .

وقد رفض قوم لیلی فكرة الزواج ، فقامت الحرب بين الطرفين ، وكان قوم لیلی أكثر عدداً ، فاضطر نوفل إلى قبول الصلح ، وزالت - بالصلح - حالة الحرب بين الطائفتين^(۲) .

ولسكن المجنون ثار على نوفل ، وعانیه عتاباً شديداً ، فاعتذر نوفل بقلة عدد رجاله في المرة الأولى ، ووعد بمعاودة الحرب ، حتى يتم له ما يريد ، ثم جمع جيشاً كبيراً ، ولم تلبث الحرب أن قامت - من جديد - بينه وبين قوم لیلی ،

(۱) قولی که در او وفاته بینم از چون توکسی روانه بینم

بی یار منم ضعیف وریخور چون تشنه ز آب زندگی دور

شرطت بقتنه آب دادن کنجی بده خراب دادن

گر سلسله مرا کنی ساز ورنه شده گیر شفته باز

گر لیلی را بمن رسانی ورنه نه من و نه زندگانی

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۰۸-۱۰۹)

(۲) صلح آمد دور باش در چنگ تا آزد و گروه دور شد جنگ

(المرجع السابق ، ص ۱۱۴)

فانتصر قوم نوفل « وأمعنوا في خصمهم قتلاً ونجراً »^(۱) .

ثم أسرع قوم لیلی إلى نوفل يحاولون استرضاءه ، فطلب منهم ألا یقفوا في طريق المجنون ، وأن یدعوه یتزوج لیلی التي یعشقها ، ویثنانی فی حبها ، فتضرع والد لیلی إلى نوفل أن یُعفیَه من هذا الشرط ، لأن من العار علیهم أن یصاهروا مجنوناً ، ثم قال له : « إما أن تستجیب لتضرعی ، وتعفی من هذا القید ، فندعو لك بأن تعيش حُرّاً طليقاً دائماً ، وإلا فإني أقسم بالله أنني حينما أعود إلى دیاری ، وأبتعد عن تحككك ، سوف أقتل هذه العروس الجميلة ، وألقي برأسها فی الطريق أمام السکلاب ، حتى أخلص من اسمها وعارها ، وأستريح من الحرب والصلح بسببها »^(۲) .

فرق نوفل لحاله ، وكفّ عن التدخل فی الموضوع ، بینا لامة المجنون ، وازداد اضطراباً ، وأسرع إلى الصحراء ، یعید سیرته الأولى ، ویعاود معيشته بین الوحوش .

وأذنت الحيوانات المجنون ، فاجتمعت حوله ، وكان هو یحاول تخلیص بعضها من شبكة الصیادين ، فاطمأنت إلیه ، واطمأن إلیها ، وتابع حیاته علی هذه الصورة^(۳) .

وذات یوم ، كان المجنون یستريح تحت شجرة فأبصر غراباً ، فخطبه

(۱) بر خصم زدند وبر شکستند کشتند وبر یخندت وخستند

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۱۷)

(۲) کر هیچ رسی مرا بفریاد آزاد کنی که بادی آزاد

ورنه بخدا که باز کردم وزنازتو بی نیاز کردم

برم سر آن عروس چون ماه در پیش سگت افکنم در این راه

تا بازرم ز نام و تشکش آزاد شوم ز صلح و جنگش

(المرجع السابق ، ص ۱۱۹-۱۲۰)

(۳) المرجع السابق ، ص ۱۲۴-۱۲۹ .

- راجعاً إياه - أن يخبر معشوقته بما يعانيه في سبيل حبها ، ثم يتوسط في الجمع بينهما ، وأخذ يقول له : « قل لمعشوقتي (على لسانى) - في اليوم الذى تصل فيه إليها - إن حالتى قد ساءت لبُعْدِكَ عنه ، فأقْذِني لأنك إن لم تقْذِني فسوف أهلك في هذه الصحراء الخربة ، وإني أخشى أن أموت بسبب هذا العشق الذى استبد بى ، إن لم تأخذنى بيدي ، وتعمل على خلاصى ، وأن تأتى يوماً أكون فيه قدمته ، وحملتُ حبك إلى التراب^(۱) » .

وسرة ، كان المجنون يولى وجهه شطر منازل ليلى ، فأبصر مجوراً تضع حبلاً في عنق رجل - وكأنه أسير - ثم تقوده ، وتطوف به بين القبائل . فرق المجنون لحال الرجل ، واستفسر عنه ، فعرف أنها حيلة من المرأة والرجل لجمع الصدقات ، فأرسل المجنون إلى المرأة ، وتوسل إليها أن تقوده هو ، وتتوجه به شطر منازل معشوقته ، فقبلت ، وسار معها « وكان كلما وصل إلى باب خيمة غنى - مجنون - أشعار العشق ، وذكر اسم ليلى وأكل الحجارة ، ثم رقص^(۲) » .

وأخذ يناجى معشوقته بهذه الطريقة ، ويبكى ، ويتذكر ما أصابه بسبب الحب ، وكيف أنه أصبح يحترق كالشمعة ، وكاد ينتهى ، وأنه - لذلك - يود أن يلقاها ، لموت تحت قدميها ، ووجه - لها - الخطاب ، قائلاً « أفضل أن أموت تحت قدميك على أن أعيش معذب الروح ، فإذا لم يكن لى طريق إليك ،

(۱) روزيکه رسی بنزدیاریم گو بی تو زدست رفت کارم
دریاب که گرتو در نیابی نا چیز شوم در این خرابی
گفتی که مترس دستگیرم ترسم که در این هوس بمرم
روزی آبی که مرده باشم مهر تو بخاک برده باشم
(نظای : لیلی و مجنون ، ص ۱۳۰)

(۲) چون بر در خیمه رسیدی مستانه سرود برکشیدی
لیلی گفتی و سنگ خودری در خوردن سنگ رقص کردی
(المرجع السابق ، ص ۱۳۳)

فإنتی - بعد الآن - سوف أنزوی ، وأنأوه ، وأنطوی علی نفسی ، فلا أجهز
بالتأوه ، حتی لا یصدّع رأسک^(۱) .

ثم غلب علیه الوجد « فانطلق کالسهم - بعد أن قال هذا - وازداد
جنوناً ، فقطع الجبل ، وکثر راجعاً إلی الصحراء ، وکأما تحبّطه مَسٌّ من
الشیطان^(۲) » .

أما لیلی ، فإن قومها لما فرغوا من حرب نوفل ، وأمنوا عدم مساعدته
للمجنون ، عقدوا لابن سلام علیها ، ولم تلبث أن زُفّت إلیه ، فسکانت مضطربة
قلقة ، وصارت فی حيرة من أمرها ، فلم تسکن تحب ابن سلام ، ولسکنها - فی
الوقت نفسه - کانت مضطربة لأن تقاسمه الحیاة .

وحاول ابن سلام أن یرضی لیلی بالین من القول ، وبالوعدو الخلابة ، ولسکنه
فشل ، فلم یستطع أن ینال منها شیئاً ، بل إنها أقسمت له قائلة : « سوف لا یتحقق
غرضک منی ، ولو أراق سیفک دمی^(۳) » .

وعلم المجنون بزواج لیلی ، فازداد اضطراباً ، ویمّم شطر دیارها ، ثم أرسل
إلیها عتابه مع الريح ، قائلاً : « لقد اشتريتُ حبک بالروح ، فاخترتِ أنتِ -

(۱) در پای تویه که مرده باشم تا زنده وبی تو جان خراشم
چون نیست مرا بر تو راهی زین پس من و گوشه وآهی
سر داده وآه بر نیارم تا پیش تو درد سر نیارم
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۳۵)

(۲) این گفت وز جای جست چون تیر دیوانه شد و برید زنجیر
از کوهه غم شکوه بگرفت چون کوهه گرفته کوه بگرفت
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) کز من غرض تو بر نگیرد و در تیغ تو خون من بریزد
(المرجع السابق ، ص ۱۴۱)

حبه رجل آخر^(۱) .

ثم بین لما کیف خانت العهد ، وسجل عليها هذه الخيانة ، فقال لها : « حينما يتحرون عن العهود ، ماذا يقولون عنك غير أنك خُنتِ العهد^(۲) . » .

وفی تلك الأثناء ، اشتاق والد المجنون لرؤية أبنه ، فذهب إلى الصحراء - للبحث عنه - حتى وجده ، ولكن المجنون لم يعرفه أولاً ، « فقال له والده : أنا أبوك ، أبحث عنك بقلب محترق^(۳) » .

فهدأ المجنون ، وعرف والده ، وركع ليقبل قدميه ، ثم قَبَلَ كل منها الآخر ، وطلب والده منه أن يقضى ما بقى من عمره في منزله ، قائلاً : « ياروح والدك ، أقبل مسرعاً ، وأنفذ روح والدك قبل أن تذهب ، وعمر المنزل قبل أن أموت^(۴) » .

غير أن المجنون اعتذر عن قبول دعوة والده ، قائلاً : « أعرف أن أمرک واجب التنفيذ ، وأحاول أن أنفذه فلا أستطيع ، وليس عندي عقل ، فلم تعجب من تصرفاتی ؟ ! . . إني - وأنا عاشق - أرى أن العالم - جميعه - لا يساوی حبة شعير ، وقد ساء حظي ، فأصبحت لا أعي شيئاً مما سمعته^(۵) » .

(۱) من مهر ترا بجان خريده تو مهر کسی ذکر گزیده

(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ۱۴۷)

(۲) چون عهده عهد باز جویند جز عهد شکن ترا چه گویند

(المرجع السابق ، ص ۱۴۸)

(۳) گفتا پدر توام بدین روز جویای تو بادل جگر سوز

(المرجع السابق ، ص ۱۵۱)

(۴) ای جان پدر بیا وبشتاب تاجان پدر زفته دریاب

زان پیش که من در آیم از پای در خانه خویش گرم کن جای

(المرجع السابق ، ص ۱۵۵)

(۵) فرمان تو کردنی است دائم کوشم که نمیتوانم =

فرجع والده حزیناً ، ثم مرض من شدة الغم ، ومات سريماً .
وسمع المجنون ب وفاة والده ، فأسرع إلى قبره ، وأخذ يبکی ، ویترحم علیه ،
و یسأل الله أن یغفر خطایاه هو ، لأنه أحدث لوالده کثیراً من المتاعب ، وسبب له
مزیداً من الحزن والتألم ، ثم رجع مسرعاً إلى الصحراء ، لیأنس بالوحوش من
جدید^(۱) .

« وسار یوماً بین أنحاء تلك المصیبة ، فر على منازل قوم معشوقه ، فرأى
اسمى لیلی والمجنون مکتوبین معاً فی ورقة ، بطریقه نوحی بما بینهما من وفاء ،
فحک بظفره الورقة ، فحک اسم معشوقه ، وبقى اسمه ، فقال الناظرین : ما الحسنة
فی أن أقیبت - من الاسمین - اسماً واحداً ، فأجاب بأن الأفضل أن یرمز لنا
بشخص واحد ، لأننا اتحدنا ، فصرنا قلباً واحداً ، فیکفینا اسم واحد^(۲) . »
وأنست الوحوش بالمجنون ، وكان کلاً مر علیه مسافر قدم له طعاماً ، فكان
یأکل منه ، ثم یلقى الباقی لتطعم منه الحيوانات ، مما جعلها تلتف حوله ،
وتطیحه ، وصار هو کالملك علیها .

وقد علق نظامی علی ذلك بأن الإحسان یأسر الحيوانات ، ویمحط الوحوش

= برمن زخرد چه سکه بندی بر سکه کارمن چه خندی ؟

در خاطر من که عشق ورزد عالم همه جسته نیرزد

بخم نه چنان بیاد داداست کز هیچ شنیده ایم یاداست

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۵۶)

(۱) المرجع السابق ، ص ۱۶۲-۱۶۶ .

(۲) روزی ز فرارگاه آن دشت برخاک دیار یار بگذاشت

دید از قلم وفا سرشته لیلی مجنون بهم نوشته

ناخن زد و آن ورق خراشید خود مانند ورفیق را تراشید

گفتند نظارگان چه رایست کز هر دو رقم یکی بجایست

گفتا رقمی به اریس افتد کز مادورقم یکی بس افتد

(المرجع السابق ، ص ۱۶۶-۱۶۷)

مستأنسة ، وخطاب الإنسان بقوله : « وأنت - أيضاً - إذا فعلت ما فعله ، فإنك سوف لاتحمل هم الدنيا ، ولو كان الخليفة جليساك ، لأنه سيصبح خادمك بعد أن يأكل طعامك ^(۱) » .

وذات ليلة جلس المجنون يراقب النجوم ويناجيها ، فخطاب الزهرة بقوله : « تطلني - بما لك من لطف - فافتحي أمامي باب الأمل ، وأوصلني رائحة من المعشوقة إلى مشامی ، فإنها دواء لروحي الهائجة ، وإن الوقت الآن مناسب لها ^(۲) » .

ثم وجه الحديث إلى المشتري قائلا : « انظر إلى بوفاء ، وإذا كانت لديك وسيلة - لمعاونتي - فهيها ^(۳) » .

ولكنه يئس من الاستعانة بالسكواكب ، فالتجأ إلى الله خالق الجميع ، وخطابه ، « فقال : يا من بابك ملجئ . . لم أجا إلى أحد غيرك ؟ . . يا من الزهرة والمشتري طوع إرادتك . . إنك رب الجميع . . إن عليك أكثر مما يعرف الخلق ، وإن فضلك أعظم مما يطلبون ^(۴) » .

(۱) تونیز گر آن کنی که او کرد خوناب جهان نیايدت خورد
همخوان تو کر خليفه نامست چون از تو خورد ترا غلامست

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۷۲)

(۲) لطفی کن ازان لطف که داری بگشاد در امیدوری
زان یار که او دوی جانست بوئی برسان که وقت آنست

(المرجع السابق ، ص ۱۷۸)

(۳) درمن بوفه نظاره کن ور چارت هست چاره کن

(المرجع السابق ، ص ۱۷۹)

(۴) گفت ای در تو پناه گاهم در جز تو کسی چرا بنام ؟

ای زهره و مشتري غلامت سر نامه نام جمله نامت

ای علم تو بیش از آنکه داند و احسان تو بیش از آنکه خواند

(نفس المرجع والصفحة)

وختم مناجاته فله بقوله : « لا تحرمنى من رحمتك ، وأنا عاجز غريب ،
فأوصل بفضلك لىلى الى نور الصباح ، واجعل نهارى مباركا بنعمة الوفاء ،
وخلص حظى من القيود والعقبات ^(۱) » .

« فلما فرغ من مناجاته ذهب فى النوم ، فرأى فى الحلم صورة لحظه الحسن ،
وهى أن شجرته ارتفعت ، ثم طار طائر من أعلى أغصانها ، وتوجه نحوه
فى سرع ومرار ، ثم ألقى جوهرة ، فاستقرت فوق مفرق رأسه ، فلما استيقظ
من نومه ، كانت بشارت الصباح قد لاحت فى الأفق ، فاستيقظ مسروراً نشيطاً
كالصباح ، يحاول أن يحقق أحلامه فى العشق ، فسد بهذا الحلم الجليل ، وطار
من شدة الفرح ، كما طار ذلك الطائر الذى أبصره فى النوم ، لأن مجال الوصال
ضيق فى العشق ، فلا يكون السرور إلا فى الخيال ، أو فى الحلم ^(۲) » .

ثم جلس المجنون بين الوحوش كمادته ، وقلبه يخفق بالآمال ، وما ابث
أن رأى رسولاً يأتى إليه ، ويخبره بأنه أبصر لىلى فى حالة اضطراب وحزن ، لبعدها

(۱) مگذار که عاجزى غريم از رحمت خویش بی نصیب
آن کن ز عنایت خدای کاید شب من بروشنای
روزم بوقا خجسته گردد بختم ز بهانه رسته گردد

(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۱۸۰)

(۲) چون يكيك اين سخن فروگفت در خواب چنان نمود بختش
مرغی پريدی از سرشاخ رفتی براو بطبع گستاخ
گوهر زدهن فروفشاندی بر تارك تاج اونشاندى
بيننده ز خواب چون درآمد صبح از أفق فلك بر آمد
چون صبح زروى تازه روئى ميگرد نشاط مهر جوئى
زان خواب مزاج برگرفته زان مرغ چو مرغ برگرفته
در عشق که وصل تنگ يابست شادى بخیال يا بخوابست
(نفس المرجع والصفحة)

عنه ، وأنها كتمت عشقها حتى كادت تهلك ؛ ثم قال له على لسان ليلي : « كنت ليلي ولكنى - الآن - أكثر جنوناً من ألف مجنون ^(١) » .

وسلمه رسالة منها ، قالت فيها : إنها وإن كانت مع زوج غيره ، فإن قلبها متعلق به ، وتود أن تعيش كنفه ، ولكنها لا تملك من الأمر شيئاً ، فهي ترى حاله ، ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً ^(٢) .

فلما قرأ المجنون رسالتها بكى وناح ، وأخذ من الرسول ورقة وقلماً ، وكتب الرد على رسالتها ، فوصف لها ما يعانيه من ألم الفراق ، وأخذ يصفها بالوفاء تارة ، ويلومها تارة أخرى ، ثم ختم رسالته بقوله : « ليس عندي غم مادمت سالمة ، ولو أن جرحى لا علاج له ^(٣) » .

وفى تلك الأثناء حاول خال المجنون - وكان يدعى « سليم العامري » - أن يراه ، فأخذ يبحث عنه حتى وجده ، فألقاه ممزق الثياب ، يمشى فى زهول وحيرة ، يفرض نفسه عليه ، ولكن المجنون لم يعرفه ، فعرفه سليم بنفسه ، فاطمأن إليه ، وجلس بجواره ؛ ثم حاول سليم أن يقدم للمجنون ثوباً وطعاماً ، فرفض ، وطلب منه أن يحضر له والدته ليراه .

فرجع سليم ، ثم عاد إليه - مرة أخرى - ومعه والدته ، فسرَّ المجنون برؤية والدته ، وأرادت هى أن تحمله معها إلى المنزل ، فلم يقبل فرجعت حزينة ، ثم لم تلبث أن مرضت ، وماتت ؛ فزاره خاله للمرة الثالثة ، وأنبأه بما حدث ، فبكى المجنون ، وتذكر والديه ، وأسرع للجلوس على قبريهما . وعلم بنو قبيلته بما فعل ،

(١) ليلي بودم وليكن اكنون مجنون ترم از هزار مجنون
(نظامى : ليلي ومجنون ، ص ١٨٣)

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦-١٩٠ .

(٣) بازخم من ارچه مرهمى نيست چون تو بسلامتى غمى نيست
(المرجع السابق ، ص ١٩٨)

فذهبوا إليه ، وواسوه ، فهذا قليلاً ، « ثم صرخ ، وتركهم ، وقفل راجعاً إلى الصحراء ؛ وأخذ يهيم على وجهه ، وصار حزينا مغموماً ، وتبعته بعض الحيوانات ، بعد أن أصبح وحيداً ، لاصديق له ^(١) .

ولما وصلت رسالة المجنون إلى ليلي بكث حتى بلل دمعها الرسالة ، ثم صممت على رؤية مشوقها بأية وسيلة - رغم تجسس الرقيب - ، فاستعانت بشيخ مجرب خبير بمسالك الصحراء ، وأعطته بعض المال ، لكي يهيئ لها فرصة لقاء المجنون ، والجلوس معه .

ونجح الشيخ في مهمته ، فتمكنت ليلي من رؤية قيس ، ولكنه لم يكدر يراها حتى سقط على الأرض مفشياً عليه ، فلما أفاق قرأ عليها بعض أشعاره التي تنفى فيها بحبه ، ثم أخذ يناجيها « فلما فرغ من هذا عاد إلى الصحراء ، وقلبه يتفطر حزناً ، وغله يطير شعاعاً ، أما مشوقته الجيلة ، فقد رجعت - إلى مخيمها - من حيث أنت ^(٢) .

وسمع شاب ترى - يدعى « سلام » - قصة المجنون ، وكان هو عاشقاً

(١) آهي زد وراه كوه برداشت
ميكشت بگرد كوه وهامون
مشق ددكان فتاده از پس نه ياركس ونه ياراوكس

(نظامي : ليلي ومجنون ، ص ٢٠٧)

(٢) اين گفت وكرفت راه صحرا
خون در دل ودر دماغ صفرا
وان سرو رونده زان چمنگاه شد روي كرفته سوي خرگاه

(الرجع السابق ، ص ٢١٨-٢١٩)

(٣) ذكر نظامي في منظومته هذه أن « سلام » كان من أهل بغداد ، رغم أن بغداد لم تكن قد بنيت في الوقت الذي وجدت فيه قصة عشق ليلي والمجنون ، ويبدو أن الشاعر أخطأ في ذكر هذه الواقعة . وقد ورد في كتاب « تزيين الأسواق » للأفطاحي ، ص ٦٤ . أن « سلام » رجل شامي ، ولعل هذا أقرب إلى الحقيقة مما ذكره نظامي .

متیماً ، فتوجه إلى ديار المجنون ، وظل يبحث عنه حتى وجده ، فجلس بجواره ، والتفت الوحوش حولها ، ثم قدم له طعاماً ولباساً ، فلم يقبل شيئاً ؛ فأقام معه بضمة أيام ، كان في أثناءها يسجل شعره ، ويحفظه ؛ ثم رحل ، وتركه ، وصار راوية لأشعاره ، وقد أثرت أشعار المجنون في الناس ، فاستولت على مشاعرهم ، وسلبت عقولهم ، « فكان (سلام) كلما قرأ قصيدة في مكان ما ، اضطربت عقول السامعين^(۱) » .

أما ليلي فإن زوجها لم يلبث أن مرض ومات ، بعد أن قضى معها مدة ، لم تحقق له في أثناءها رغبة ، ولم نشره بأي حب أو ميل ، فظهرت بالحزن « وأخذت تندب زوجها في الظاهر ، وتبكي على فراق معشوقها في الحقيقة^(۲) » . « وكانت عادة العرب أن تحتجب المرأة بعد وفاة زوجها ، فلا ترى وجهها لأحد ؛ ففضل في خيمتها عامين ، لا ترى باب أحد ، ولا يرى أحد بابها^(۳) » . فاتحجبت ليلي ، ثم لم تلبث أن مرضت بعد ذلك ، وأحسّت بدُنُو أجلها ، فنادت والدتها ، وأوصتها قائلة : « اجعلي كفنّي أحمر اللون لأني شهيدة ، حتى يكون - هذا اللون لون ثياب زفافي (يوم القيامة) ، وزينيني كالعروس ، وأسليفي للتراب مضطاة الوجه ، فإنني أهرق أن معشوقي حينما يعلم أنني اغتربت عن وطني سوف يأتي ليسلم على قبري - على سبيل العزاء - ؛ فإذا جلس على قبري فسوف يبحث عن القمر ، ولكنه لن يجد إلا التراب ، فيبكي ذلك الغريب المسكين من شدة

(۱) هرجا كه يكي قصيده خواندى هوش شنونده خيره ماندى

(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ۲۲۶)

(۲) میگرد زهر شوی فرياد وآورده نهفته دوست را ياد

(المرجع السابق ، ص ۲۳۶)

(۳) رسم عربست کز پس شوی ننايد زن بهیچکس روی

سالی دوغانه در نشيند أو درکس وکس در أو نيند

(نفس المرجع والصفحة)

الحزن والألم ... إنه معشوق ، وهو حبيب عزيز للغاية ، وهو تذكارى لديك ، فأكرمه بحق الله عليك ، ولا تنظرى إليه باحتقار ، فقد كنتُ أُعزِّه ، فأعزِّيه أنت - أيضاً - مثلى ، وقولى له : إن لىلى حينما تخلصت من قيود هذه الدنيا الكئيبة ، كانت تُسلم جسدها للتراب فى سبيل حبك ، وأسلم الروح الطاهرة ، مطوية على ذكراك ، فقد أخلصت فى عشقها إياك ، وقدمت روحها قرباناً للعشق ، فلم تسأل عن أحوالها حينما رحلت ؟ .. إنها خرجت من الدنيا بحبك . وكانت حتى آخر لحظة من حياتها ، لاتحمل غير همك ، وفى الوقت الذى كانت تودع فيه الحياة حزناً على فراقك ، كانت تحمل زاد طريقها من إحساساتك ، واليوم - وهى خلف حجاب التراب - تتألم حنيناً إليك ، وهى كالمتظرين فى طريق الآخرة ، تقف قبلك لترقب مجيئك ، وستقف وترقب حتى تلحق بها^(۱) .

(۱) خون کن کفنم که من شهیدم	تا باشد رننگ روز عیدم
آراسته کن عروس وارم	بسیار بخاک پرده دارم
آواره من چو گردد آگاه	کاواره شدم من از وطن گاه
دانم که ز راه سوگواری	آید بسلام این عمارى
چون بر سر خاک من نشیند	مه جوید لیک خاک بیند
بر خاک من آن غریب خاکی	نالہ بدریغ و دردناکی
یاراست و عجب عزیز یاراست	از من ببرتو یادگاراست
از بهر خدا نکوش داری	در وی نکنی نظر بخواری
آن دل که نیایش بجزوئى	وان قصه که دانیش بگوئى
من داشته‌ام عزیز وارث	تونیز چو من عزیز دارش
کویلى ازین سرای دلگیر	آن لحظه که میرید زنجیر
در مهر تو تن بخاک میداد	بر یاد توجان پاک میداد
در عاشقی تو صادق کرد	جان در سر کار عاشقی کرد
أحوال چه پرسم که چون رفت	باعشق تواز جهان برون رفت
تا داشت در این جهان شماری	جز باغم تونداشت کاری =

نم لفظت لیلی نفسها الآخر ، مقام أهلها بدقتها حسب الوصية ، وعلم للجنون بوفاتها ، فأخذ يبکی وینوح ، وازداد اضطراباً وجنوناً ، ثم صار يدعو الله أن يخلصه مما هو فيه من عناء ، ويوصله إلى محبوبته ، فناداه بقوله : « يا خالق كل الموجودات ، أدعوك وأتوسل إليك بأحب المخلوقات إليك ، أن تخلصني من محنتي ، وأن توصلني إلى حضرة معشوقتي ؛ حتى أحلص من قيد الروح ، وأستريح بالرحيل من الدنيا ^(۱) » .

« ووضع الجنون رأسه على قبر معشوقته - بعد أن قال هذا - وضم القبر إلى صدره ، وأخذ يقول : يا معشوقتي حتى فاضت روحه ، فعبّر من نفس الطريق ... ومن ذا الذي لا يعبر من هذا الطريق ؟! ... ^(۲) » .
« وظل الجنون ملقى على تلك الصورة شهراً وقيل عاماً ^(۳) » .

= وان لحظه که در غم تو میبرد / غمهای تو راه تو شه می برد
وامروز که در نقاب خاکست / هم در هوس تو دردناکست
چون منتظران درین گذرگاه / هست از قبل تو چشم بر راه
می باید تا تو در پی آبی / سرباز پس است تا کی آبی
(نظامی : لیلی و مجنون ، ص ۲۵۱-۲۵۲)

(۱) کای خالق هر چه آفرید است / سوگند بهر چه برگزید است
کز محنت خویش و ارها تم / در حضرت یار خویش رسانم
آزاد کنم ز سخت جانی / و آباد کنم بسخت رانی
(المرجع السابق ، ص ۲۶۴)

(۲) این گفت و نهاد بر زمین سر / وان تربت را گرفته در بر
چون تربت دوست در بر آورد / ای دوست بگفت و جان بر آورد
آونیز گذشت از این گذرگاه / وان کیست که نگذرد بر این راه
(نفس للرجع والصفحة)

(۳) افتاده بماند هم بر آن حال / یکماه و شنیده ام که یکسال
(المرجع السابق ، ص ۲۶۸)

وكانت الوحوش تحرسه ، فلم يجرؤ أحد على أخذه ودفنه ، حتى شاع نبأ موته بين القبائل ، وعلم أهله بذلك ، فتوجهوا إلى المكان الذي مات فيه ، «فتفتحوا القبر ، ودفنوه بمحار معشوقته ليلي ، فناما بالحلب إلى يوم القيامة ، وبمُدَّتْ عن طريقهما اللامة ، فقد كانا - في هذه الدنيا - مرتبطَيْن بهد واحد ، فناما - في الآخرة - في مهد واحد^(١) » .

ثم ختم الشاعر منظومته بمدح حاكم شروان الذي قدم له القصة متمنياً أن أن تكون عاقبتها سعيدة^(٢) . وذكر أبياتاً تشير إلى تاريخ إتمامها بصفة نهائية^(٣) .

هذه قصة «ليلي والجنون» كما عرضها نظامي ، وبديهي أنه اعتمد في نظمها ، وتصوير مناظرها على الأصل العربي لها ، فيحسن أن نقارن بين تصويره للقصة وبين أصلها العربي ، حتى نستطيع أن نصدر حكماً صحيحاً على الشاعر وفنه .

(١) بهلوكه دخمرا گشادند در بهلوی لیلیش نهادند

خفتند بنواز تا قیامت برخاست ز راهشان ملامت

(نظامی : لیلی ومجنون ، ص ٢٦٦)

(٢) للمرجع السابق ، ص ٢٧١ - ٢٧٤ . وقد سبقت الإشارة إلى شيء من

هذا المدح .

(٣) للمرجع السابق ، ص ٢٧٤ . حيث ذكر أن المنظومة ختمت في عام ٥٨٨ هـ ،

وقد سبقت مناقشة ما يتعلق بهذا التاريخ .

الفصل الثالث

مفارقة تصوير نظامي لقصة « ليلي والجنون » بالأصل العربي لها

لعل أم ما نلاحظه في تصوير نظامي - لقصة « ليلي والجنون » - أنه تقيد في تصويره لمناظرها ، وفي تسلسل هذه المناظر ، بالأصل العربي لها إلى حد كبير ، فلم يحدث فيها تغييراً حاسماً ، ولكنه - رغم هذا - أضاف إليها مناظر جديدة ، جعلها تتخلل المناظر التي سجاتها المصادر العربية ، لتوضيح بعض جوانب القصة ، وإكمال بعض أجزائها .

وأشهر هذه المناظر هي : ذهاب ليلي إلى البستان مع بعض زميلاتهما ، واضطرابها لسماع بعض غزليات الجنون ، ومجيء خال الجنون إليه ، وإحضار أمه لرؤيته ، وقصة الجنون مع سلام البغدادي^(١) ، ووقاء زوج ليلي . فهذه المناظر لم نشاهد في الأصل العربي للقصة ، بل أضافها نظامي إليها ، في منظومته « ليلي ومجنون^(٢) » .

كما جعل الشاعر ليلي والجنون يتعارفان في أثناء دراستهما في مكتب - كان يتعلم فيه أبناء القبائل - تخالف بذلك الروايات العربية التي تشير إلى أنهما تعارفا بينما كانا يرعيان الإبل^(٣) ، أو في مجمع كان يضم ليلي وبعض زميلاتهما^(٤) .

(١) سبقت الإشارة إلى خطأ الشاعر في نسبة سلام إلى بغداد لأنها لم تكن في ذلك الوقت .

(٢) على أصغر حكت : رومثو وجوليت شكسير مقايسه بليلى ومجنون نظامي ،

ص ٥٥ - ١٠٢ .

(٣) الإصفياني : الأغاني ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ،

ص ٣٥٦ . وهذا ما يبدو من أشعار قيس في ديوانه الذي جمعه أبو بكر الوالي ،

ص ٢ .

(٤) الإصفياني : الأغاني ج ٢ ، ص ١٧٨ ، الأنطاكي : تزيين الأسواق ص ٥٣ .

ولسكننا - مع ذلك - نستطيع أن نقرر أن نظامي لم يحور في القصة تحويراً كبيراً ، ولم يغير في تسلسل سير الوقائع تغييراً واضحاً ، لأنه وجدها قصة مشهورة رَدَّدَها مصادر كثيرة^(١) .

ويبدو من ثنايا المنظومة أن الشاعر اطلع على الأصل العربي ، وتقيده به ، مما جعل المجال ضيقاً أمامه ، وسد في وجهه طريق الابتكار ، وخلق مشاكل جديدة في القصة ، قد تُكسِبُها جدة وطرافة .

ويبدو هذا واضحاً إذا قارنا منظومة « ليلي ومجنون » بمنظومة للشاعر السابقة « خسرو وشيرين » ؛ التي كان المجال فيها واسعاً أمام الشاعر ، فتمكن من الخلق والابتكار ، مما أكسب المنظومة شيئاً من الطرافة ، يفوق ما نجد في منظومة « ليلي ومجنون » بمراتب كثيرة^(٢) .

ولسكننا - رغم هذا - نجد فرقاً واضحاً بين تصوير نظامي للقصة ، وبين الأصل العربي لها . لأن الشاعر تأثر في منظومته بمذهبه هو في الدعوة إلى الفضيلة والتفنى بالعفة ، والخلق القديم ، والوفاء ، والتفاني في الحب ، وحرص كل من الماشقين على أن يعمل مافي وسعه للقاء مشوقه .

(١) وردت قصة ليلي والمجنون في كثير من الكتب التي ألفت قبل نظامي وبعده مثل : ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ٣٥٥ - ٣٦٤ ، الإصفيهاني : الأغاني ، ج ١ ، ص ١٦١-١٨٢ ، ج ٢ ، ص ٢-١٧ ، ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٤٤-٢٤٧ ، البغدادي : خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ١٧٠-١٧٣ ، الأنطاكي : تزيين الأسواق ، ص ٥٣-٧٠ ، حسين بايقرا : مجالس العشاق ، ص ٢٠٠-٢٥٦ ، الوالي : ديوان قيس ، ص ٢-١١٠ ، كما تحدث عنها وناقش ما يتعلق بأبطالها طه حسين في كتابه : حديث الأربعاء ، ج ٢ ، ص ٤-٨ .

(٢) لعل من الأسباب التي جعلت نظامي لا يبدع في قصة ليلي والمجنون ، كما أبداع في قصة خسرو وشيرين أنه تسرع في نظم القصة ، فأغنى في أربعة أشهر ، مما جعله لا يجد الفرصة الكافية للخلق والإبداع .

فالقصة العربية - مثلاً - ^(١) تجعل موقف ليلي سلبياً ، فهي تحب « قيس » ، ولكنها لا تستطيع أن تعصى أمر والدها ، فتكتم حبها بين جوانحها ، ولا تحاول أن تتصل بـقيس بأية وسيلة من الوسائل ، وتتزوج ابن سلام كارهة ، ولكنها تعيش معه ، وتؤدي له ما عليها من واجبات نحوه ، وينال منها ما له من حقوق الأزواج .

أما نظامي ؛ فنصوّر ليلي في صورة الماشقة التي لا تكتمني بالموقف السلبى - كأن تكتم حبها ، وتقنع بذلك - وإنما تحاول أن تصرف تصرفاً إيجابياً ، فترسل الرسائل إلى قيس ، لتتلقى منه الجواب ، ثم تحاول للقاءة بواسطة شيخ خبير بمساكك الصحراء ، أعطته بعض المال .

فنظامي يجعل ليلي كقيس تشقى بالحب ، وتسعى لرؤية الحبيب بمختلف الوسائل .

ورغم أن الشاعر قد جعل ليلي تنزع ابن سلام كارهة ؛ إلا أنه صوّرها في صورة البطلة التي لا تستسلم لغير من تحب ، حتى ولو كان زوجاً شرعياً ، فوجدنا ليلي تأبى أن تمكّن زوجها من نفسها ، ولو أراق دمها بسيفه ، وتظل متمسكة بذلك إلى آخر لحظة من حياة زوجها ، الذي مرض حزناً وكداً ، وانتهى أمره إلى التلف ، وهذا يخالف - تماماً - ماورد في الأصل العربى للقصة .

كما فعل نظامي - في هذه القصة - ما فعله في قصة « خسرو وشيرين » من قبل فنصوّر للمواطف المتناقضة ، والمشار المتباينة .

فهو يصوّر في منظومته « ليلي ومجنون » ثلاث صور من الأبوة :

الأولى : صورة أبى المجنون ، الذى يطيع ابنه فى كل ما يريد ، ويمجنو عليه ، ويسعى فى سبيل إسماعده ، ولكنه لا يوفى إلى حمل شئ يحلب لابنه

(١) لا أجد ضرورة لمرء ماورد فى القصة العربية لأنها مشهورة معروفة ، لا تحتاج إلى ترديد القول .

ما يبينه من سعادة ، فيحزن على ما حل به ، ويموت كدأ .
والثانية : صورة أبى ليلى ، الذى كان على النقيض من أبى المجنون ، لا يطيع
ابنته ، ولا يسعى لجلب السعادة لها ، ولا يستجيب لمواظفها ، معتبراً دواعى
الشرف أعلى منزلة من دواعى السعادة .

والثالثة : صورة نظامى نفسه ، كوالد يُحِبُّ ابنه « محمد » ، وهى صورة للوالد
المثالى ، الذى يوجه ابنه وينصحه ، ويرسم له طريق السير فى الحياة ، ويدمونه
إلى العمل والرفعة ، ويرشده إلى طريق المجد .

كما صور نظامى عشق قيس فى صورة مثالية تشبه عشق الصوفية ، فجعله
يحب للحب لا لشيء آخر ، ويعشق للعشق المجرد ، وهذا يشبه ما نجد عند
الصوفية من عشق العشق .

وقد صور نظامى عشق المجنون فى صورة عاطفة لا دواء لها إلا الموت ،
فكل من العاشقين يعتقد أن الموت هو الوسيلة الوحيدة للقاء معشوقه ، والاتحاد
معه ، والشعور بالسعادة الأبدية ، فوجدنا ليلى - حينما تشعر بالموت - تطلب
أن يُبلِّغَ المجنون أنها تنتظره ، وترقب طريق قدومه ، كما وجدنا للمجنون يدعواؤه
أن يميتها ، وأن يخلصه من أسر الحياة إلى الفناء الذى فيه الاتحاد مع المشوقة ،
والسعادة الدائمة إلى يوم القيامة .

والعشق فى هذه الحالة يهب العاشق قوة عجيبة ، ولذلك وجدناه يمنح
المجنون قوة غريبة - كالتى منحها لقرهاد فى قصة « خسرو وشيرين » - ففاش مع
حيوانات الصحراء ، وَأَلْفَهَا وَأَلْفَتَهُ ، كما أكل الحجارة والحديد ، وصبر على
الجوع والعراء .

وأضفى الشاعر على كل من ليلى وقيس صفات البطولة ، ليكون كل
عنهما جديراً بالدور الذى يمثل فى القصة ، فجعل ليلى مثلاً للفة ، والإخلاص ،
والوفاء ، والنضحية فى سبيل من تحب ، وقد ظلت كذلك حتى آخر لحظة من

حياتها ، واستطاعت أن تظهر بطولتها - حينما شمرت بالموت يذب إلى أوصالها - فأطلعتُ والديها على دخيلة نفسها ، وصرحت لها بأنها تموت في سبيل معشوقها قيس ، وطلبتُ منها أن تخبره بذلك ، ليزداد قلبه اطمئناناً ، وإيماناً بأنها أحبته ، وأخلصتُ في حبه ، وضعتُ بكل شيء في سبيله .

كما طلبتُ ليلي أن يكرموا معشوقها ، وألا يحرقوه ، وأن ينظروا إليه كما كانت تنظر هي إليه ، وهذه التصرفات الإيجابية التي أسندها الشاعر إلى ليلي ليست واضحة في المصادر العربية وضوحها في منظومة نظامي .

كما أوضحتُ المنظومة إخلاص قيس ، ووفاءه ، وتضحيتها المقرطة في سبيل معشوقته ، إلى آخر لحظة من حياته ثم بينت كيف مات بطلاً .

ولعل من الأشياء الجديرة بالملاحظة ، أن الشاعر جعل نهاية قصة « ايلي والمجنون » تشبه إلى حد كبير نهاية « خسرو وشيرين » ؛ فقد مثل قيس - بعد وفاة ليلي - نفس الدور الذي مثله شيرين بعد وفاة خسرو ، مع فارق يسير هو أن شيرين فلتت ذلك داخل القبر ، بينما فعله قيس خارجه .

كما نلاحظ أن الشاعر يردد نفس النغمة التي رددتها من قبل ، ويحاول أن ينطبق بعض الشخصيات بأرائه هو ، فترددت - في أجزاء القصة - الدعوة ، إلى الفضيلة ، والعدل ، والإفلاخ عن الظلم ، وحسن المعاملة ، فرائيانه يتخذ من أحب الحيوانات للمجنون - لإطعامه إياها - دليلاً على أن الإحسان يأسر الحيوانات ، ثم دعا الإنسان إلى فعل ذلك حتى يحبه الجميع ، ويدبوا له بالولاء .

وهكذا نجد أن تصوير نظامي للقصة يختلف اختلافاً كبيراً عن الأصل العربي لها ، فرغم اعتماده على ما ورد في المصادر العربية ، وتأثره به في تصويره لمناظر القصة ، وفي تسلسل هذه المناظر ، إلا أنه لوّنها بطريقة الخاصة ، فأكسبها بعض الألوان الزاهية المتمعة ، ولم يحرمها من تطبيق مذهبه هو في نظم مثل هذه القصص ، فانعكست فيها صوراً من هذا المذهب .

ومما يمكن من شيء ، فإن نظامى هو أول من نظم قصة « ليلي والمجنون »
- في هذه الصورة - بالفارسية . فله بذلك فضل السبق .

وقد حاول كثير من شعراء الفارسية والتركية أن يقلدوه ، فأعادوا نظم
القصة ، وتأثروا بما ورد في منظومة نظامى ، وحاولوا أن يترسموا خطاه .

وأشهر من قلده من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى في عام
٥٧٢٥ هـ ، ونظم القصة تحت عنوان « مجنون و ليلي » ؛ وعبد الرحمن الجسمى
المتوفى في عام ٨٩٨ هـ ؛ وهاتفى المتوفى في عام ٩٢٧ هـ ؛ وضميرى المتوفى في عام
٩٧٣ هـ ؛ وروح الأمين للمتوفى في عام ١٠٤٧ هـ ، الذين نظموها تحت عنوان
« ليلي ومجنون » .

وأشهر من قلده من شعراء التركية ميرعليشير نوائى المتوفى في عام ٩٠٦ هـ ،
ونجاتى المتوفى في عام ٩١٤ هـ ؛ وخیالى للمتوفى في حدود عام ٩٢٩ هـ ؛ وفضولى
المتوفى في عام ٩٦٣ هـ .

وهذا يبين مدى تأثير نظامى في غيره من الشعراء ، ومدى ما أصابته قصة
« ليلي والمجنون » من عناية الشعراء ، ومن الشهرة والانتشار .

وأبرز من تأثروا بنظامى أمير خسرو الدهلوى ، فقد نظم القصة في نفس
البحر الذى اختاره نظامى من قبل ، كما تأثر به في تصوير المناظر ، وذكر الحوادث
وتسلسلها ، ولم يختلف عنه إلا في القليل النادر^(١) .

* * *

ونسكتفي بهذا القدر عن منظومة « ليلي ومجنون » ، لننتقل إلى دراسة
منظومة الشاعر الرابعة « هفت بيكر » .

البائِبُ الرَّاجِ

منظومة «هفت بيكر»

الفصل الأول

دراسة حول منظومة هفت بيكر^(١)

نظم الشاعر منظومته الرابعة « هفت بيكر » في بحر الخفيف ، وهي تشتمل على ٥١٣٠ بيت من الشعر تقريباً .

وأنتم نظمها في عام ٥٩٣ هـ ، وأثبت هذا التاريخ في آخر المنظومة فقال : « أتممت هذه المنظومة - كالمشهورين - بعد أن انقضت أربع ساعات من اليوم الرابع عشر من شهر الصيام ، بعد ثلاثة أعوام تزيد على التسمين والحجامة^(٢) » .

وهذا التاريخ يكاد يكون التاريخ الوحيد المتفق عليه بين جميع الباحثين . فلا مجال للشك فيه ، كما أن الفرائض التاريخية تؤيده ؛ لأن الشاعر قدم منظومته لعملاء الدين كرب أرسلان الذي كان حاكماً على مراغة في ذلك الوقت - كما مر - مما يجعلنا نرجع هذا التاريخ .

وجعل نظامي بطل منظومته من بين ملوك القرس للقدماء ، فاختار شخصية « بهرام كور » أو « بهرام الخامس » الذي حكم من عام ٤٢٠ إلى عام ٤٣٨ م^(٣) .

(١) « هفت بيكر » معناها : « الصور السبع » ولعل الشاعر يقصد صور بنات ملوك الأقاليم السبعة التي رآها بهرام مرسومة على جيطان قصر الخورنق ،

(٢) أز پس یاخذ ونودسه بران کفتم این نامه را چو ناموران
روز برچارده زماه صیام چار ساعت زروز رفقه تمام

(نظامی : هفت بيكر ، ص ٣٦٦-٣٦٧)

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٨١ . حيث يقول « إنه ملك =

وصور نظامی «بهرام» من ناحیتین ، ناحیه عامه یتملق بحروبه وفتوحاته ، وناحیه خاصه تتصل بحبه ، وزواجه وحياته المائلیة الخاصة ، وربط بين الناحيتين ربطاً وثيقاً .

وذكر الشاعر أن هاتفاً أوحى إليه أن ينظم هذه القصة ، فانشرح صدره لها ، فأخذ في نظمها^(۱) .

ويبدو أن الشاعر حاول أن يبرز نظمه لقصة ملك غير مسلم فاختلق هذا العذر ، حتى لا يتهم بأنه يحیی رسوم الزردشتين ، كما اتهم في أثناء نظم قصة «خسرو وشيرين» ؛ وهذه طريقة درج عليها الشاعر، قبل الشروع في نظم قصصه . ولم يحاول نظامی أن يذكر أن حاكماً بالذات قد طلب منه نظمها ، كما حدث في منظومة «ليلى ومجنون» ، لأنه نظمها من تلقاء نفسه ثم قدمها لحاكم مراغه «علاء الدين كرب أرسلان» ، وكان حاكماً ضعيفاً لا حول له ولا طول ، واسكن الشاعر أضنى عليه صفات البطولة والعظمة ، في سبيل الظفر بالجائزة .

وحاول الشاعر أن يوحى إلى الملك باتخاذ شاعراً خاصاً له ، فقال مخاطباً إياه : «إن الملك الذي كان اسمه ملكشاه ، كان له وزير يعرى الدين مثل السيد «نظام الملك» ، وأنت أرفع منه منزلة ، لأن لك شاعراً كنظامی ، وقد ارتفع اسم نظامی بفضلك ، وسعدت حياته بفيفضلك^(۲)» .

ثماني عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً . ثم يذكر رواية أخرى تقرر أنه ملك ثلاثا وعشرين سنة ، وعشرة أشهر وعشرين يوماً ؛ ثم يقول : «ولكن الأولى أرجح» .

(۱) نظامی : هفت پیکر ، ص ۹۵-۲۱ .

(۲) وان ملڪراكه بد ملكشه نام بود دين پرورى چو خواجه نظام
توكز ايشان به افسرى دارى چون نظامى سخنورى دارى
اى نظامى بلند نام از تو يافته كار او نظام از تو
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۲)

وَأَخَذَ بِشَوْقٍ الْحَاكِمُ عَلَى مَنْعِهِ بِسَخَاءٍ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللُّوكَ الْآخَرِينَ
يَمْنَحُونَ - بِسَقَةٍ - فِي سَبِيلِ التَّنَظَّاهِ وَالرِّيَاءِ ، وَهُمْ يَبْذُرُونَ الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ
الْمَلْحَةِ ، وَيَضْمُونُ السَّكَلَ فِي الْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ ، وَإِنْ بَذَرَ الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ الْمَلْحَةِ
لَنْ يُقْلَ إِلَّا النَّدَمُ ، فَالشَّجَرُ يَجِبُ أَنْ يُزْرَعَ فِي الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ ، حَتَّى يَنْتِجَ ثَمَرًا
مِثْلَ جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ ^(۱) » .

نَمِ بَيْنَ لِحَاكِمٍ أَنَّهُ جَعَلَ الْمَنْظُومَةَ بِاسْمِهِ إِلَى الْأَبَدِ ، حَتَّى يَقْدِرَهَا حَقُّ قَدَرِهَا ،
فَقَالَ : « جَعَلْتُ هَذِهِ الْمَنْظُومَةَ اخْلَادَةً ، بِاسْمِكَ إِلَى الْأَبَدِ ، لِأَنَّهُ قَالَ مِيمُونُ ، وَإِنَّهُ
لَسَعِيدٌ ذَلِكَ الشَّخْصَ الَّذِي يَجْنِي ثَمَارَ هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ ، وَيَزِيدُ بِهَا مَنْزِلَهُ ، فَإِنْ اسْمُهُ
سَيَذْكُرُ أَبَدَ الدَّهْرِ ^(۲) » .

نَمِ بَيْنَ الشَّاعِرِ اِحْتِيَاجَهُ إِلَى الْمَطَاءِ ، فَقَالَ : « أَنَا مَحْتَاجٌ لِمَطَاءِ ذَلِكَ الْيَدِ ،
لَأَنِّي أَقْلَعْتُ فِي عَنِ الْمَيَاءِ الْآخَرَى ^(۳) » .

وَلَا نَدْرِي - رَغْمَ هَذَا - مَا إِذَا كَانَ الْحَاكِمُ قَدْ أَثَابَ الشَّاعِرَ عَلَى عَمَلِهِ أَمْ لَا ،

(۱) خسروان دیگر زکان گزاف میزند از خزینہ بخشی لاف
دانه در خاک شور میزند سرمه در چشم کور میزند
در کل شوره دانه افشانی بر نیارد مگر پشمانی
در زمینی درخت باید کشت کاورد میوه چو باغ بهشت
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۲)

(۲) نقش این کار نامه ابدی در تو بسم بطالع رصدی
مقبل آنکس که دخل دانه او برچسین آورد بغسانه او
کابد الدهر تا بود برجای باشد از نام او صحیفه کشای
(الرجع السابق ، ص ۳۲-۳۳)

(۳) من که محتاج آب آن دستم از دگر آنها دهان بسم
(الرجع السابق ، ص ۳۴)

فلم يُشر نظامي - فيما نظمه من أشعار - إلى أنه قد أثيب على منظومته « هفت
پيكر » .

ومهما يكن من شيء ، فإن الشاعر اختار شخصية « بهرام كور » لأن
الحب لعب دوراً مهماً في حياته ، مما يجعل تصوير مناظر العشق من الأشياء التي
تضفي على المنظومة طرافة وجمالاً ، وتجعلها محببة إلى نفوس الناس في عصره ، فقد
كانوا - كما مرّ - يفضلون مثل هذه الموضوعات .

وأرجح أن الشاعر نظم قصة « بهرام كور » لأنها تلائم روحه الفنائية من
ناحية ، فضلاً عن أنها تلائم روح عصره ، وحاول أن يكتسب بها شهرة وثروة ،
ويبدو أنه حقق الشهرة ، ولم يوفق في الوصول إلى الثروة .

ولن نستطيع أن نقبين مدى توفيق الشاعر في عمله ، إلا إذا درسنا منظومته
ثم قارناً بينها وبين ما نظمه الفردوسي عن « بهرام كور » ، فنكتفي بهذه الدراسة
حول المنظومة ، لنأخذ في دراسة المنظومة نفسها .

الفصل الثاني

قصة « هفت بيكر » كما صورها نظامي

قدم الشاعر للقصة بمقدمة تقليدية في توحيد الله ، ومدح الرسول ، ومراجة ، وسبب نظم القصة ، وتصويرها مفصلة ، ثم مدح الملك ، وابنيه ، وذكر فضل الكلام ، والحكمة ، والنصح ، ونصح ابنه باتباع الخلق الفاضل ^(١) .

ثم أخذ يسجل قصة « بهرام كور » ^(٢) ، فتحدث عن ولادته ، وبين أن والده « يزدگرد » أمر المتجملين بأن يقبسوا طالع المولود « فدل كل كوكب - بما في ذلك برجيس ^(٣) - على أنه مولود سعيد ، وأنه وُلِدَ بالسعد ، فُسِّيَ بهرام ^(٤) » ^(٥) .

ثم أشار إلى أنه كان وحيد يزدگرد فقال : « لقد وُلِدَ ليزدگرد أبناء كثيرون - قبل ذلك بمشرين عاماً - ولكنهم لم يعيشوا » ^(٦) .

(١) نظامي : هفت بيكر ، ص ٢-٥٦ . وقد سبقت الإشارة إلى هذه الموضوعات وعرض صور منها .

(٢) سمى « بهرام الخامس » بهرام كور لأنه كان مغرمًا بصيد الحمر الوحشية التي واحدها بالفارسية « كور » .

(٣) « برجيس » اسم كوكب من الكواكب العظيمة .

(٤) اسم الكوكب الذي يدل على السعادة .

(٥) داده هر كوكب شهادت خویش همجو برجيس بر سعادة خویش

باچنين طالعی كه بر دم نام چو باقبال زاده شد بهرام

(نظامي : هفت بيكر ، ص ٥٧)

(٦) پیش از ان حالتش بسالی بیست چند فرزند بود و هیچ نزیست

(نفس الرجوع والصفحة)

وكان يزدگرد ملكاً ظالماً^(۱) ، فأشار عليه النجمون بإرساله إلى بلاد العرب ليقربى بينهم ؛ « فصمم على أن يرسله من بلاد المعجم إلا بلاد العرب ، وأن يجعلها مراه ، فلمعها تكون سبيلاً في إسعاده ، لأن الإنسان قد يشرف بفضل البقعة التي يقربى فيها »^(۲) .

« وأرسل شخصاً ، فدها النعمان^(۳) ، ثم سلمه الطفل لتربيته^(۴) . ولما أتم بهرام العام الرابع من عمره ، لاحظ النعمان « أن الهواء جاف ، والبلاد حارة ، وأن الأمير رقيق ناعم ، فيجب أن يكون مراه قصراً عالياً ينافح السحاب حتى يترعرع فيه ، ويقربى في جو لطيف يطره نسيم الشمال ، لأنه إذا عاش في جو معتدل ، فإنه ينتمش من النوم والراحة ، فلا تتأثر طباعه بحرارة البلاد وجفافها »^(۵) .

فأخذ النعمان وابنه اللندر يبحثان عن مهندس ماهر لبناء مثل هذا القصر

(۱) اشتهر يزدگرد الأول بظلمه حتى لقب بـ « يزدگرد الأثيم » .

(۲) از عجم سوى تازیان تازد پرورشگاه در عرب سازد
مگر اقبال از انطرف یابد هرکس از بقعه شرف یابد
(نظای : هفت پیکر ، ص ۵۷)

(۳) الشاعر هنا يقصد النعمان بن اللندر ملك الحيرة ، ويقرر أنه اشترك مع ابنه اللندر في تربية « بهرام » .

(۴) کسی فرستاد وخواند نعمان را لاله لعل داد بستان را
(للرجع السابق ، ص ۵۸)

(۵) کاین هوا خشک وین زمین گرمست وین ملکزاده نازک و نرمست
پرورشگاه او چنان باید کز زمین سر بآسمان ساید
تادر اوج برکشد پر و بال پرورش یابد از نسیم شمال
در هوای لطیف جای کند خواب و آرام حانقرای کند
گوهر فطرتش بماند پاک از بخار زمین و خشکی خاک
(نفس الرجوع والصفحة)

حتی سماعاً « أنه يوجد مهندس ذكى فى بلاد الروم ، يستطيع أن يصنع - بذكائه - الشمع من الحجارة .. كان اسمه سنار ، وكان ماهراً سريع العمل متقنه ، فبنى العالم كله بفته واستحسنه ، وقد بنى قصوراً كثيرة فى مصر والشام ، كان كل قصر منهم آية فى الروعة والجمال ^(۱) » .

فأرسل النعمان فى طلبه ، وكلفه ببناء القصر ، فأخذ فى بنائه ، « واستعان بخمسين عاملاً ، واستغرق فى بنائه خمس سنوات ^(۲) » .

« وكان هذا القصر يغير لونه كالعروس ثلاث مرات فى اليوم والليلة ، فيجد الإنسان ثلاثة ألوان زاهية جميلة ؛ هى الأزرق والأبيض والأصفر ^(۳) » .

وقد سُمى هذا القصر بالخورنق ، وأُثِيب « سنار » على بنائه بسخاء ، كما اشتهر النعمان ببناؤه ، فذاع اسمه فى الآفاق ، ولكنه لم يلبث أن سأل « سنار » ما إذا كان يستطيع بناء قصر أحسن من الخورنق ، فأجاب بأن يستطيع أن يبنى قصراً يغير لونه سبع مرات فى اليوم والليلة ، فسيبصر للناس سبعة ألوان مختلفة جميلة ، فغضب النعمان وقال : « إذا أبقيته ، فسوف يبنى - بالقوة والذهب - قصراً أجمل منه فى مكان آخر ، فيذهب اسمى وصيتى ، ويسوء إلى ، ثم أمر

(۱) هست نام آوری ز کشور روم ز برکی کو زسنگ سازد موم
چابکی چرب دست و شیرین کار سام دستی و نام او سنار
دستبرش همه جهان دیده بهمه دیده پسندیده
کرده چندين بنا بمصر و شام هر یکی در نهاد خویش تمام
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۵۹)

(۲) پنجه کارگر آهن سنج بر بنا کرد کار سالی پنج
(الرجع السابق ، ص ۶۰)

(۳) در شبها تروزی از شتاب و درنگ چون عروسان برآمدی به رنگ
یافتی از سه رنگ ناوردی ازرقی و سپیدی و زردی
(الرجع السابق ، ص ۶۰-۶۱)

رجالہ ان بحملوہ و یلقوا بہ من فوق القصر سریعاً^(۱) .
 وقد ندم النعمان علی فعلتہ^(۲) ، فذهب إلى الصحراء لیمتکف ، ویکفر عن
 ذنبہ ، وترك أمر تربیۃ بہرام لابنہ المنذر ، الذی أخلص فی تربیتہ ، وتوفر
 علیہا ، فأحضر المرین فی الخورنق ، فعلموہ العربیۃ والفارسیۃ والیونانیۃ^(۳) ،
 وظلوا یلقنونه العلوم المختلفۃ ، « حتی أصبح بہرام ذا نصیب وافر من الثقافۃ ،
 وصار یعرف مختلف العلوم معرفۃ تامۃ^(۴) » .

ثم برع فی فن الفروسیۃ ، وأجاد استعمال جمیع أنواع الأسلحۃ ، وبلغ من
 مهارتہ « أنه کان إذا قذف حجراً بسیمہ ، جعلہ یتفتت و یقدح شرراً^(۵) » .
 « وصار الصید والشراب شغلہ الشاغل ، فلم یکن لہ عمل غیرہما ، وعشق صید
 الحمار الوحشی ، فكان یصطادہ فی مہارۃ وجراۃ .. وكان قد حرم علی نفسہ صیدہ ،
 إذا لم یکن عمرہ أربع سنوات^(۶) » .

(۱) گفت اگر مامش بزوز و بز به ازین کند بجای دگر

نام وصیت مرا تباه کند نامہ خویش را سیاه کند

کارداران خویش را فرمود تا برند از در افکندش زود

(الرجع السابق ، ص ۶۲)

(۲) نسی الشاعر علی النعمان مقابلتہ الإحسان بالإساءۃ ، واعتبرہ مثلاً سیئاً

لمن یکافیہ اللعن بالتکر والسوء ؛ كما صار سنار مثلاً لمن یحیی من الخیر شرراً . ومن

الورد شوکا قیل « جوزی جزاء سنار » .

(۳) نظامی : هفت پیکر : ص ۶۶ .

(۴) تا چنان بہرہ مند شد بہرام کاصل ہر علم را شناخت تمام

(نفس للرجع والصفحة)

(۵) تیغ اگر برزدی بتارک سنگت آب گشتی ولیک آتش رنک

(الرجع السابق ، ص ۶۷)

(۶) کارش إلا ہی وشکار نبود بادکر کارہاش کار نبود =

وَأَصْبَحَ اسْمُ بُهْرَامَ « بهرام کور » ؛ وَبَلَّغَتْ بَرَاعَتُهُ فِي الصَّيْدِ إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ اصْطَادَ - ذَاتَ مَرَّةٍ - حِمَارًا وَأَسْدًا بِسَهْمٍ وَاحِدٍ « رماه فاخترق جسيمها ، ثم خرج منها ، وغرق حده في الأرض ، لأن سهمًا كسبه لا يقف أمامه حاجز أودرع ^(۱) » .

وَلَمَّا عَلِمَ الْمُنْذِرُ بِذَلِكَ « أَمَرَ الرِّسَامِينَ أَنْ يَرْسُمُوا - بِالذَّهَبِ - صُورَةَ حِمَارٍ فَوْقَهُ أَسَدٌ ، عَلَى حَالِطِ الْخُورَنَقِ ، وَيَرْسُمُوا الْأَمِيرَ وَقَدْ ضَرَبَ سَهْمًا اخْتَرَقَ هَذِينَ الصَّيْدِينَ ، وَغَرَقَ - إِلَى حُدِّهِ - فِي الْأَرْضِ ^(۲) » .

وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى ؛ كَانَ بُهْرَامُ يَجْرِي وَرَاءَ حِمَارَةٍ ، فَقَادَتْهُ إِلَى غَارٍ فِيهِ ثَعْبَانٌ ، وَكَانَ الثَّعْبَانُ قَدْ ابْتَلَعَ ابْنَ الْحِمَارَةِ ثُمَّ نَامَ ، فَرَمَاهُ بُهْرَامُ بِسَهْمٍ « شَقَّه نَصْفَيْنِ مِنْ ذَيْلِهِ إِلَى رَأْسِهِ ، وَوَجَدَ الْحِمَارَ الصَّغِيرَ فِي بَطْنِهِ ^(۳) » . كَمَا وَجَدَ هُنَاكَ كَنْزًا عَظِيمًا ، « فَأَمَرَ خِدَامَهُ الْأَقْوِيَاءَ الشَّجَاعِينَ أَنْ يَشَقُّوا طَرِيقًا إِلَى الْكَنْزِ ، ثُمَّ

= مرده کور بود در نخجیر مرده را که بود ز کور کزیر

.....

خون آن کور کرده بود حرام که نبودش چهار سال تمام
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۶۸-۶۹)

(۱) سفته بر سفت شیر و کور نشست سفت و از هر دو سفت بیرون جست
تا سوافار در زمین شد غرق پیش تیری چنان چه درع وجه درق
(المرجع السابق ، ص ۷۱)

(۲) گفت منذر بکار فرمایان تا پیرگار صورت آریان
در خورنق نگاشتند بزر صورت کور زیر و شیر زیر
شه زده تیرو جسته زاندوشکار در زمین غرق گشته تا سوافار

(المرجع السابق ، ص ۷۱)

(۳) از دمش بر شکافت تا بدمش بچه کور یافت در شکش
(المرجع السابق ، ص ۷۵)

يستخرجوا الكنز ويحملوه^(۱) .

ولما رجع بهرام أمر المنذر بأن ترسم صورة صراعه مع الثعبان ، « فكان الرسام يرسم كل ما يفعله بهرام - من ضروب البطولة - على حيطان الخورنق^(۲) » .
و ذات يوم ؛ دخل بهرام حجرة في الخورنق ، « فوجد فيها صور سبع فتيات جيالات ، تنقش كل منهن إلى إقليم معين^(۳) » .

و كانت هؤلاء الفتيات بنات ملوك أقاليم العالم السبعة ، وهن : « فورك » بنت ملك الهند ، و « يفا » بنت ملك الصين ، و « نازیری » بنت ملك خوارزم ، و « نسرین نوش » بنت ملك سقلا ب ، و « آرز یون » بنت ملك المغرب ، و « های » بنت قیصر الروم ، و « نطاوس » بنت كسرى ملك الفرس الذى كان من نسل كيكائوس^(۴) .

كما رأى أنه قد كتب بين الصور - بخط جميل - أن بهرام زينة الأميرات وقلبن^(۵) ، مما يوحي بأنه سيتزوجهن جميعاً .

« ورسم الرسام صورته ، وكتب فوقها « بهرام كور » ، كما كتب أن الأفلاك السبعة تقرر أنه البطل الذى سيحكم الدنيا جميعها ، سيتزوج سبع أميرات

(۱) شاه فرمود تا کربندان هم دلیران و هم تنومندان

راه در گنجبدان غار کنند گنج بیرون برند و بار کنند

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۷۶)

(۲) هر چه کردی بدین صفت بهرام بر خورنق نگاشتی و سام

(المرجع السابق ، ص ۷۷)

(۳) هفت پیکر دراو نگاشته خوب هریکی زان بکشوری منسوب

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) المرجع السابق ، ص ۷۷-۷۸ .

(۵) المرجع السابق ، ص ۷۸ .

من سیمه اقالیم ، و یصیح بینهن کالدرة الینیمه ^(۱) .

« وقد استقرح هؤلاء الفقیات القاتنات فی قلبه ، وملك علیه حواسه ^(۲) .
وهكذا مهد الشاعر لبدء قصص الأمیرات السبع ، ثم أخذ یبین کیف تحقق
حلم بهرام ، فقال إن یزدگرد أبو بهرام توفی فی تلك الأوقات ، وخشی العطاء
أن یسندوا العرش إلى بهرام ، فیصیر ظالماً كأبيه ، كما خشوا ألا یجید أصول
الحكم ، لأنه تربی بین العرب ، فأسندوه إلى رجل مُسین من نفس الأسرة ،
كان اسمه « خسرو » .

و علم بهرام بذلك ، فجمع جيشاً بمساعدة المنذر ، وسار به لغزو ایران ^(۳) ،
فلما وصل إلى حدود وطنه أرسل إلیه الملك الجدید خطاباً یقول فيه : إنه لم
یفتصب الملك ، وإنما اختاره العطاء ، تحقیقاً لإرادة الشعب الذی كره والده
لظلمه ، ثم خاطبه فی نهاية الخطاب بقوله : « الأفضل أن ترجع من حیث أتیت
لأن أحداً لا یریدك ملكاً ^(۴) » .

فأجاب بهرام قائلاً « أبی شخص وأنا شخص آخر ، وإذا كان هو ظالماً ،
فإننی کریم الأخلاق ^(۵) » .

(۱) بر نوشته دیر پیکر او نام بهرام گور بر سر او
کانچانست حکم هفت اختر کاین جهان جوی چون برارد سر
هفت شهزاده را ز هفت اقلیم در کنار آورد چو در یتیم
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۷۸-۷۹)

(۲) مهرآن دختران زیساروی در دلش جای کرد موی بموی
(المرجع السابق ، ص ۷۹)

(۳) المرجع السابق ، ص ۸۰-۸۵ .

(۴) چون نخواهد ترا بشاهی کسی به کز این پایه باز کردی پس
(المرجع السابق ، ص ۸۸)

(۵) پدرم دیگراست ومن دگرم کان اگر سنگ بود من کهرم
(المرجع السابق ، ص ۸۹)

نم بین آنه الوارث الشرعى للعرش، ووعد بالمدل والمفو عن الأخطاء قائلا :
 « لن أنظر إلى خطأ أحد ، ولن أطمع فى مال ، أو أفسكر فى قتل إنسان ،
 ولن أنذكر الأخطاء الماضية ، وسأرضى وأسرّ بالوضع الحاضر ، وسأفعل معكم
 مايجب عمله ، وأخذ منكم مايجوز أخذه ^(۱) » .

فلما سمع رجال الدين ذلك أقروه وأيدوه ، وخاطبوه بقولهم : « إن الملك
 خلیق بجوهره ، ولئن كان التاج معنا ، فإنه جدير بأن يكون فوق رأسك ^(۲) » .
 فاقترح بهرام عليهم « أن يضعوا التاج بین أسدين قویین ، وأن یباع الناس
 من یستطیع منهما أن يأخذ التاج من بین الأسدین بالملک ^(۳) » .

فخاف الملك الشيخ ، وآثر التنازل ، ولكن أشياعه نصحوه بالتریث ،
 وأشاروا علیه بأن یقبل ما اقترحه بهرام ، وأن یدعّه یقتدم لأخذ التاج ، فإن
 أفلح فى أخذه صار ملکاً ، وإن قتل الأسدان بقى الملک له ، فقبل ذلك ،
 « فجهم بهرام على الأسدین ، وقتلها ، وألقى برأسیها إلى الأرض ، ومزقها
 شر ممزق ، ثم وضع التاج على رأسه وجلس على العرش ، بعد أن أخفّره الحظ ،
 وكان أخذ التاج من بین أسدین سبباً فى إذلال المنافقین ^(۴) » .

(۱) در خطای کسی نظر نکنم طمع مال و قصد سر نکنم
 از گناه گذشته نارم یاد بانمودار وقت باشم شاد
 باشم آن کنم که باید کرد وز شما آن خورم که شاید خورد

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۹۰)

(۲) تاجداری سزای گوهرتست تاج باماست لیک بر سرتست

(المرجع السابق ، ص ۹۱)

(۳) تاج شاهان ز سر بزیر نهند در میان دو شرزه شیر نهند
 هر که تاج از دوشیر بستانند خلقش آن روز تاجور خوانند

(المرجع السابق ، ص ۹۵)

(۴) شه بتأدیشان چورای افکند سر هر دو بزیر پای افکند =

نم صم بهرام - بعد جلوسه علی العرش - علی العدل بین الناس ، فقال :
 « سوف لا أدير ظهري لنعمة الله ، بل أشكرها ، ولیم لا أشكر وأخذُ
 التاج من بین أسدين كان بقوة الله ، لا بقوة السیف ؟ ! . وما دمتُ قد وصلتُ
 إلی العرش والتاج ، فإننی سوف أعمل الأعمال المحببة إلی الله ^(۱) .

« ونشر بهرام العدل فی ربوع العالم ، فَمَلَّتْ كُلُّهُ الحَق ، وشجع المنصفین ،
 واضطهد الظالمین ، فظهرت السعادة فی عصره ، وتولى البؤس إلی غیر رجعة ^(۲) .

« وارتفع شأن بهرام ، وصارت الدنيا جميعها طوع أمره ، فكان يعيش
 سميذاً ، يعدل بین الرعية ، ويُدْخِلُ السرور علی الشعب ^(۳) .

وبلغ من عدله أنه بذل كل ماوسمه لدره خطر مجاعة حدثت فی سنة من

= پنجه شان پاره کرد و دندان خرد سرو تاج از میان شیران برد
 تاج بر سر نهاد و شد بر تخت بختیاری چنین نماید بخت
 بردن تاجش از میان دوشیر رو بهان را ز تخت کرد بزر

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۹۸)

(۱) پشت بر نعمت خدا نکتم شکر نعمت کنم چرا نکتم ؟
 تاج برداشتن ز کام دوشیر از خدا دانم آن نه از شمیر
 چون رسیدم بخت و تاج باند کارهای کنم خدای پسند

(المرجع السابق ، ص ۹۹)

(۲) رسم انصاف در جهان آورد عدل را سر بر آسمان آورد
 کرد با داد پروران یاری با مستکارگان ستمکاری
 قفل غم را درش کلید آمد کامد او فرخی پدید آمد

(المرجع السابق ، ص ۱۰۱)

(۳) کاروبار بر آسمان آورد زیر فرمان همه جهان آورد
 او جهان را بخرمی میخورد داد میداد و خرمی میکرد

(المرجع السابق ، ص ۱۰۳)

السنوات نتيجة لقلّة المحصول ؛ « فخلص بهرام الناس من شر الجماعة ، ولم يمت غير شخص واحد ، حزن عليه حزناً شديداً ^(۱) » .

وبلغت عناية بهرام بشعبه درجة جعلته يحضر المغنين ، ويوزعهم على أنحاء المملكة ليشيع السرور بين الناس ، وتصبح حياتهم سعيدة ، « فاستدعى ستة آلاف من رواة القصص ، ومن المطربين والراقصين ، من مختلف الجهات ، وخص كل إقليم بعدد منهم ، حتى يُسرّ الناس في كل مكان يعيشون فيه ^(۲) » .

وذات يوم ؛ خرج بهرام للصيد ، واصطحب معه جاريتة فتنة ^(۳) التي كانت فتاة جميلة ، تجيد الضرب على العود ، والغناء والرقص ؛ وكان بهرام يأخذها معه دائماً - حين يخرج للصيد ، ليصطاد على غنائها . فاصطاد - في ذلك اليوم - حمراً كثيرة ، وقضى يومه مسروراً . وأخيراً عنّ له حمار وحشي ، فأشارت فتنة عليه أن يضربه بسهم ، بشرط أن يربط هذا السهم بين حافر الحمار ورأسه ، ففعل بهرام ، ونجح فيما طلبته ، ولكن الجارية قالت : « إن اختراق السهم لحافر الحمار من كثرة التمرين ، وليس من فرط القوة ^(۴) » .

(۱) جمله خلق جان ز تنگی برد جز یکی تن که او بتنگی مرد

شاه از آن مرد بینوا مرده تنگدل شد چو آب افروده

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۰۴-۱۰۵)

(۲) شش هزار اوستاد دستان ساز مطرب و پای کوب ولعت ساز

گرد کرد از سوادهر شهری داد هر بقعه را از ان بهری

تا هر جا که رخت کش باشند خلق را خوش کنند و خوش باشند

(المرجع السابق ، ص ۱۰۶)

(۳) المرجع السابق ، وترد قصة بهرام مع جاريتة فتنة من ص ۱۰۷-۱۲۰ .

(۴) رفتن تیر شاه برسم کور هست از ایدمان نه از زیادت زور

(المرجع السابق ، ص ۱۱۰)

و غضب بهرام ، ولم يقتلها بنفسه ، حتى لا يرتكب إثماً ، فسلمها لضابط كبير ليقوم بقتلها ، واسكن فتنة توسلت إلى الضابط ، ورجته أن يتركها على قيد الحياة ، وأن يخبر الملك بأنه نفذ ما أراد ، فإن تأثر بقيت حية ، وإن لم يتأثر عاد فقتلها ، ففعل الضابط ذلك ، وذهب إلى بهرام ، وأخبره بأنه قتل فتنة ، فتأثر بهرام ، وبكى من شدة التأثر ، فظلت فتنة حية في منزل الضابط .

وتصادف أن عجللاً وُلِدَ في يوم دخول فتنة منزل الضابط ، فصارت تحمله ، وتصد به إلى أعلى المنزل ، حتى مرت على ذلك ، واستطاعت أن تحمل العجل ، وتصد به بعد أن صار ثوراً .

و ذات يوم ؛ دعا الضابط بهرام إلى حفل أقامه في منزله ، فسأله بهرام : كيف تستطيع أن تصعد درجات السلم وقد أصبحت في سن الستين ؟ ! . فأجابه الضابط بأن عنده جارية تستطيع أن تصعد هذه الدرجات حاملة ثوراً ، ثم رأى بهرام « فتنة » ، فسر ببقائها على قيد الحياة « وأحضر الموابذة ليمقدوا له على هذه الغائنة ، ثم قضى معها زمناً طويلاً ، بنعم بالسعادة والسرور ^(١) » .

وسمع ملك الصين أن بهرام مشغول بالحب والهو ، فظن أنه يستطيع أن يغزو إيران في سهولة ويسر ، فسار إليها على رأس جيش كبير « يبلغ ثلثمائة ألف رجل من الفرسان المهرة ، كأنهم ثعابين متوحشة ^(٢) » .

وأيقن بهرام أن جيشه ليس مستعداً للنزال ، فخرج على رأس ثلثمائة من شجعانه ، ووطن القوم أنه هرب ، فأرسلوا إلى ملك الصين يستعطفونه ، ويتمدون

(١) موبدان را بشرط پیش آورد ماه را در نکاح خویش آورد

بود با او بلهو و عشرت و ناز تا برین رفت روزگار دراز

(نظامی : هفت بیگر ، ص ۱۲۰)

(٢) در رکابش چو اردهای دمان بود سبب هزار سخت کنان

(المرجع السابق ، ص ۱۲۲)

م ۲۲ - نظامی

بدفع الجزية ، فسرّ ، وانصرف إلى اللهو ، فهجم بهرام على ممسكه ايلّا^(۱) ،
« وحمل على شعبان الصين ، بالسيف تارة ، وبالرمح تارة أخرى^(۲) » .

وانتهى الأمر بانتصار بهرام ، فأخذ يلوم الخونة من الأشراف ، الذين
اعتذروا عما بدر منهم ، فمعا عنهم ، وانصرف إلى الإصلاح .

وأصبح بهرام - بعد النصر - قوياً ، « يأخذ الجزية من ملك الهند أحياناً ،
ويأخذ الخراج من قيصر الروم ، أحياناً أخرى^(۳) » .

وأظللّ ملكه الأرض والسماء « فأصبحت الأرض تستظل آمنة بظله ،
وصار الفلك تحت عرشه^(۴) » .

وبذلك تحققت آمال بهرام ، ولم يبق أمامه إلا أن يتزوج الأميرات السبع
اللاتي رأى صورهن في قصر الخورنق ، فأرسل من يخطفهن له ، وأسر أحد
تلاميذ « سينّار » ببناء سبعة قصور ، ليخصص كل قصر منها لأميرة منهن ،
فيقضى معها يوماً من أيام الأسبوع .

وبنى هذا المهندس القصور السبعة ، وجعل لها سبع قباب ، كما جعل لون
كل قبة منها يشبه لون كوكب من الكواكب السيارة ، مما صورّه الشاعر في
قوله : « بنى سبع قباب على غرار الصور السبع ، وجعلها تشبه الكواكب

(۱) وردت قصة حرب بهرام ضد ملك الصين مفصلة في هفت پیکر ، من ص ۱۲۰-۱۳۲

(۲) بردلیران چین کشاد عنان حمله بر گه بتیغ و گه بنان

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۲۴)

(۳) که ز فففور باج بستاند که ز قيصر خراج بستاند

(المرجع السابق ، ص ۱۳۱)

(۴) هم زمین در پناه سایه او هم فلك زیر تخت پایه او

(المرجع السابق ، ص ۱۳۲)

السبعة ، فأصبحت أقاليم العالم السبعة^(١) جميعها طوع أمره ، كما أصبحت سبع أميرات زوجات له^(٢) .

« وجعل بهرام لسكل أميرة منهن قصراً ، تشبه قبة أحد السكواكب في لونها ، وتنطبق أحياناً مع لون الأميرة وقعتها^(٣) » .

وكان أثاث كل قصر وما فيه من لباس ، يشبه لون القبة . ثم تزوج بهرام الأميرات ، وصار يقضى كل يوم من أيام الأسبوع مع أميرة منهن ، في القصر المخصص لها ؛ ويلبس - في كل قصر - ثياباً يناسب لونها لون القبة .

فالقبة السوداء كانت تطابق « كيوان » ، وكانت مخصصة للأميرة الهندية التي كان بهرام يقضى معها يوم السبت من كل أسبوع^(٤) .

والقبة الصفراء كانت تطابق « الشمس » وكانت مخصصة للأميرة الصينية التي كان يقضى معها يوم الأحد من كل أسبوع^(٥) .

والقبة الخضراء كانت تطابق « القمر » وكانت مخصصة للأميرة الطوارزمية التي كان بهرام يقضى معها يوم الاثنين من كل أسبوع^(٦) .

(١) كان الجغرافيون القدماء يقسمون العالم إلى سبعة أقاليم بنفس الترتيب الذي ذكره نظامي .

(٢) بركشيد براین صفت پیکر هفت گنبد بطبع هفت اختر

هفت کشور تمام در عهدش دختر هفت شاه در مهدش

(نظامی هفت پیکر ، ص ۱۴۵)

(٣) کرده هر دختری برنگ و برای گنبدی را ز هفت گنبد جای

(المرجع السابق ، ص ۱۴۶)

(٤) يكاد التقويم الأوروبى يكون مشابهاً لهذا ، فيعبر عن « كيوان » بالإنجليزية

بكلمة : Saturday

(٥) يعبر عن يوم الشمس بالإنجليزية بكلمة : Sunday

(٦) يوم الأحد يعبر عنه بالإنجليزية بكلمة : Monday التي هي : Moon day ،

كما يعبر عنه باللاتينية بكلمة : Lunae dies

والقبة الحمراء كانت تطابق « المريح » وكانت مخصصة للأميرة السقلاية ،
التي كان يقضى معها يوم الثلاثاء من كل أسبوع ^(١) .
والقبة الفيروزية كانت تطابق « عطار » وكانت مخصصة للأميرة المغربية ،
التي كان يقضى معها يوم الأربعاء من كل أسبوع ^(٢) .
والقبة البنية كانت تطابق « المشتري » ، وكانت مخصصة للأميرة الرومية ،
التي كان يقضى معها يوم الخميس من كل أسبوع ^(٣) .
والقبة البيضاء كانت تطابق « الزهرة » ^(٤) وكانت مخصصة للأميرة الإيرانية ،
التي كان يقضى معها يوم الجمعة من كل أسبوع ^(٥) .

وكانت كل أميرة من هؤلاء الأميرات تقص على بهرام - في اليوم الذي
يقضيه معها - قصة لها صلة بلون القصر الذي تعيش فيه ؛ وكان في كل قصة من
هذه القصص حديث حب ^(٦) .

ويبدو أن نظامي حرص على أن يتم لبهرام بناء القصور ذات القباب
للسبع ، مختلفة الألوان ، حتى يتحقق له ما لم يتحقق مثله في أثناء إقامته في بلاد

(١) يوم المريح يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Mardi وباللاتينية بكلمة :

Mardis dies.

(٢) يوم عطار يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Mercredi وباللاتينية بكلمة :

Mercurii dies.

(٣) يوم المشتري يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Jeudi وباللاتينية بكلمة :

Lovis dies.

(٤) يوم الزهرة يعبر عنه بالفرنسية بكلمة : Vendredi وباللاتينية بكلمة :

Veneris dies.

(٥) للاعتقاد في هذا الترميم أنه يربط الأيام بالكواكب ، وهو شيء لا يوجد في

التقويم الإسلامي ، ولعله مأخوذ مما كان عند قدماء البابليين .

(٦) هذا يشبه - إلى حد كبير - ما نجد في « ألف ليلة وليلة » .

العرب ؛ فإن قصر الخورنق الذى بناه « سنار » كان يغير لونه ثلاث مرات في اليوم واليلة . وقتل النعمان « سنار » لما علم أن في استطاعته بناء قصر أجمل من الخورنق يغير لونه سبع مرات في اليوم واليلة ، كما مر .

ويبدو أن نظامى ربط لون القباب بلون السكواكب متأثراً بدراسته لعلم النجوم ، ولأن طالع بهرام ارتبط بالنجوم منذ ولادته ، مما يجعل الربط بين لون القباب ولون السكواكب من الأشياء التى تجلب السعادة .

ومن الملاحظ - أيضاً - أن الشاعر جعل ابنة ملك الإقليم الأول - وهو الهند - هى الأميرة التى يقضى معها اليوم الأول من أيام الأسبوع ، أى يوم السبت ؛ وهو يقابل « كيوان » الذى يقال إنه أسود اللون ، مما يجعله مطابقاً للون القبة ، ويتفق مع لون الأميرة التى تسكن تحت هذه القبة .

وقد فضل الشاعر هذا مع كل أميرة ، وكان لون الأميرة يشبه - أحياناً - لون القبة التى تعلق قصرها .

كما اتخذ الشاعر اللون رمزاً للهدف الذى ترى إليه القصة ، وللمحور الذى تدور حوله .

فالقصة التى تقال تحت القبة السوداء ، تكون خاتمتها الحزن على ذهاب شيء سار ، واللون الأسود هو رمز الحزن .

واللون الأحمر اتخذ رمزاً لقصة تنتهى بالفرح والزواج ، واللون الأبيض كان رمزاً لقصة تهدف إلى تمجيد الطهر والصفاء . وهكذا فى القصص الأخرى .

واختيار اللون محورياً تدور حوله قصة كل أميرة ، يعتبر من خلق نظامى ، مما جعل هذه القصص تشبه - إلى حد كبير - ما يسمى « بالقصص الرمزية » .

ولعل فى هذا ما يفسر لنا تسمية المنظومة بـ « هفت پيكر » أى الصور السبع ؛ فإن الصور التى رآها بهرام فى الخورنق هى التى أوحى بذلك .

وكانت الألوان تلمب دوراً مهماً في هذه الصور ، لأنها كانت للأميرات مختلفات الألوان ؛ فضلاً عن أنها لعبت دوراً بارزاً في بناء الطورنق ، بل إنها كانت سبباً في المصنف بسنار . فليس عجيباً أن يعطى الشاعر للألوان كل هذه الأهمية ، ويحملها محاور تدور حولها القصص .

أما السبب في إيراد هذه القصص على لسان الأميرات ، فكان إمتاع الملك ، وإثارة غريزة الحب في نفسه ، كما يبدو من قول الشاعر : « كانت كل أميرة تحكى قصة تثير الحب ، حتى تلمب عاطفة كل منها »^(١) .

ثم أخذ الشاعر - بعد ذكر القباب ووصفها - يصور أسبوعاً من حياة بهرام ، فلنشاهد صوره فيما يلي :

* * *

١ - بهرام تحت القبة السوداء

زار بهرام الأميرة الهندية - في يوم السبت - في القصر الذى تعلوه القبة السوداء ، وقضى معها يوماً سعيداً ؛ وفي المساء قصت عليه قصة : هى أنها حينما كانت الأميرة طفلة ، كانت امرأة تحضر إلى منزلها كثيراً ، وكانت تلبس ثياباً سوداء ، فلما سألتها عن السر في ذلك ، أجابت بأنها كانت جارية للملك كريم لطيف ، يحسن استقبال الناس ، ويكرمهم ، فتغيب هذا الملك مدة ، « ثم رجع يوماً إلى عرشه فجأة ، غير أنه كان يلبس ثياباً سوداء تغطي من رأسه إلى إخصاه قدمه »^(٢) .

(١) گفتی افسانه‌های مهر انگیز که کند گرم شهوتان را تیز

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۴۶)

(٢) ناکهان روزی از عنایت بخت آمد آن تاجدار بر سر تخت

از قبا وکلاه وپیرهنش پای تاسر سیاه بود تنش

(الرجع السابق ، ص ۱۶۰)

وفات ليلة ؛ تجامرت الجارية ، وسألت الملك عن سر ارتدائه الثياب السوداء ، فأجاب بأن أحد رجاله كان يلبس زياً أسود اللون دائماً ؛ فسأله الملك عن السبب في ذلك ، فتردد الرجل قليلاً ، ثم حكى أنه : توجد مدينة في بلاد الصين ، لا يلبس سكانها إلا الثياب السوداء ، وأن هذه المدينة كانت سبباً فيها أصابه من سوء حظ ، ولم يزد على ذلك شيئاً ، ثم ذهب .

فتوجه الملك إلى تلك المدينة ، ثم تعرف على شاب ، وأعطاه مالاً ، وطلب منه أن يحل له هذا السر الغامض ، فغله الشاب إلى خارج المدينة ، حيث كانت توجد منطقة خربة ، فيها سلة معلقة في حبل ، ثم طلب منه أن يجلس في السلة ، فلم يكده يجلس فيها حتى ارتفعت ، وحملته إلى أعلى برج ؛ فخاف الملك كثيراً ، ومضى على ذلك بعض الوقت ، ثم جاء طائر كبير ، وجلس على البرج ، ونام طول الليل ، وطار في الصباح ، فأمسك الملك برجل الطائر ، فغله وطار به بعض الوقت ، ثم حط في حديقة جميلة ، وتركه فيها ، ثم طار .

وكانت الحديقة مملوءة بالأشجار والقواكه ، فسكت الملك فيها حتى جَنَّ الليل ، وحينذاك أخذت الحديقة تمتلئ بالفتيات الجليات ، المزينات بالذهب في أيديهن وسواعدهن ، وبالجواهر والآلئ في رقابهن وأذانهن ، وكن يسكن بالشموع الزاهية التي يبدد نورها الظلام والفرش ^(١) .

ثم جاءت بعد ذلك امرأة فاتنة الجمال ، كانت سلطانتهن ، فلما رأت الملك دعته إلى عرشها ، وأمرت الفتيات بإحضار الطعام والشراب ، فلما فرغ الملك من الأكل معهن ، أمرت السلطانة بإحضار المنقيات ، فبدأ الفناء والرقص ، ولم يلبث الملك أن اشتغل بالتقبيل والشراب ، مما صورته الشاعر في قوله على لسان الملك :

(١) دست وساعدير از علاقه زر كردن وگوش پر زلؤلؤز
شمعهای بدست شاهانه خالی از دود وگاز وپروانه
(نظامی : هفت پیکر ، ص ١٤٩)

« فارستُ المشقُ عن طريق الشراب والقتل ، واستولى الشوق على قلبي
وجميع جوارحي ^(١) » .

وأظهرت السلطنة حبها للملك ، ثم قالت له : « اكتف الليلة بالقتل ،
ولا تطمع في أكثر من ذلك ، حتى لا تعسكر صفو السماء ^(٢) » .

ولكنها خشيتُ أن يفضب فأجازتُ له أن يختار فتاة ليقضى معها ليلته ،
فاختار واحدة ، حَمَلَتْ معه إلى قصر جميل ، فقضى معها ليلته سعيداً .

ولما استيقظ في الصباح وجد نفسه وحيداً ، فقضى يومه في الحديقة ، وظل
يأكل مما فيها من فاكهة لذيدة ، حتى أقبل الليل ، فتكرر ما حدث في الليلة
السابقة ، وقنع الملك بأن يفعل ما فعله فيها ، وقضى ليلته مسروراً ؛ وظل على هذا
المنوال تسعاً وعشرين ليلة ، ثم أراد في الليلة الثلاثين أن يتمتع بالسلطنة نفسها ،
فقال له : « اغض عينيك قليلاً ، حتى أخلع ملابسى ^(٣) » .

ف فعل الملك ذلك ، ولكنه لم يكذب يفتح عينيه ثانية ، حتى وجد نفسه
وحيداً فوق ذلك البرج ، يجلس في تلك السلة عيناها ، وبعد قليل « جاء ذلك
الصدق ، وسحب الحبل ، فهبطت السلة إلى الأرض ^(٤) » .

ثم قال له : « لو قصصتُ عليك هذا مائة عام ، ما صدقتني مثلاً رأيتَ

(١) عشق مياختم ييوس وبمی بدلی وهزار جان باوی

(نظامی : هفت پیکر ، ص ١٦٤)

(٢) گفت امشب بیوسه قانع باش بیش از این رنگ آسمان متراش

(الرجع السابق ، ص ١٦٥)

(٣) گفت يك لحظه دیده را دربند تا کشایم در کنجینه قد

(الرجع السابق ، ص ١٧٩)

(٤) آمد آن یار وزان رواق بلند سبدم را رسن کشاد زبند

(الرجع السابق ، ص ١٨٠)

بمبنى رأسك^(١) .

ونصح به بالسكوت قائلا : « ذهبت ورأيت الأسرار .. فمن جدير بأن تقص عليه هذه القصة ؟ ! .. »^(٢) .

فتأثر الملك ، ولبس الثياب السوداء حدادا على ما ولى من نعيم ؛ مما صورته الشاعر في قوله على لسان الملك : « فاحترق نار الشوق ، وليست الثياب السوداء تظلماً ، ورجعت إلى مملكتي ضيق القلب مجللاً بالسواد^(٣) .
ثم أخذت الأميرة تبين لهرام - في نهاية القصة - مزايا اللون الأسود ، فاستحسن قصتها ، وقضى معها ليلة مسروراً^(٤) .

* * *

٢ - بهرام تحت القبة الصفراء

وفي يوم الأحد ؛ زار بهرام الأميرة الصينية ، في القصر ذي القبة الصفراء ، قضى معها يوماً - مبدأً ، ثم قصت عليه قصة هي : أن أحد ملوك العراق كان متخصصاً في كل علم وفن ، « وكان قد عرف - من قراءة طالعه - أن الشر

(١) كنت اكر كفتى بتو صد سال باورت نامدى حقيقت حال

(نظامى : هفت پيكر ، ص ١٨٠) .

(٢) رفتى وديدى آنچه بود نهفت ابن چنين قصه باكه شايد گفت ؟ !

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) من درين جوش گرم جوشيدم وز تظلم سياه پوشيدم

.....

سوى شهر خود آمدم دلتنگ بر خود افكنده از سياهى رنگ

(نفس المرجع والصفحة)

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨١ .

یأنی إلیه من قِبَل النساء^(۱) .

فامتنع عن الزواج ، واستعاض عنه بشراء الجوارى الجلیلات ، وكانت فی منزله عجوزٌ ماكرة ، فكانت تسعى للإفساد دائماً ، حتی یصْطَرَّ المَلِكُ إلی بیع الجوارى^(۲) .

وذات یوم ؛ أحضر بائع الجوارى عدداً من الجوارى الفاتنات ، فأمرت إحداهن المَلِكُ بِجَملِها ، فأراد أن یشتريها ، ولسکن البائع حذرہ منها ، وأخبره بأن فیها عیباً ، هو أنها بلا رحم ، مما نفر الناس منها ، غیر أن المَلِكُ اشتراها ، ثم تبین أنها « تجید الخدمة » ، وتحسن إدارة المنزل^(۳) .

ثم اختلى المَلِكُ بالجارية - ذات لیلۃ - وسألها عن سر ما بها ، « فقالت : توجد فی نسلنا الفقیر خصلۃٌ مُجَرَّبَة ، هی أن کل امرأۃ تزوجت منا ماتت بعد الوضع مباشرة ، وهكذا ماتت کل من وضعت منا ، فكیف یجوز تسلیم النفس للموت ؟ ! . . . »^(۴) .

ثم قالت : « إن روحي عزیزة علی أكثر من هؤلاء ، مما جعلنی أبعدها عن الخطر »^(۵) .

(۱) خوانده بود از حساب طالع خویش کز زنائش خصومت آید پیش

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۸۳)

(۲) للرجع السابق ، ص ۱۸۷ .

(۳) خانه داری واعتماد سراى يك يك آورد مشفقانه بجماي

(نفس الرجع والصفحة)

(۴) گفت در نسل ناستوده ما هست يك خصلت آزموده ما

کز زنان هر که دل بمرد سپرد چون بزادن رسيد زاد وبمرد

مرد چون هر زنی که از مازاد دل چگونہ بمردک شايد داد ؟!

(للرجع السابق ، ص ۱۹۰)

(۵) بر من این جان ازان عزیز ترست که سپارم بدانچه زو خطرست

(للرجع السابق ، ص ۱۹۱)

فأحب الملك هذه الجارية ، وتعلق بها ، وطرده المجوز من المنزل ؛ وأخذ يقدم لمشوقته الذهب لتزين به « لأنه رأى أنها تبدو جميلة حينما تتحلل بالذهب ، فندمها أسباب الزينة من الذهب الأصفر ^(۱) » .

وأصبح الملك يحب اللون الأصفر ، لأنه اللون الذي يزيّن معشوقته .
ثم أخذت الأميرة تعدد مزايا اللون الأصفر ، فأعجب بهرام بقصتها ، وقضى معها ليلة جميلة .

* * *

۳- بهرام تحت القبة الخضراء

وفي يوم الاثنين ؛ زار بهرام الأميرة الخوارزمية في القصر ذي القبة الخضراء ، فقصت عليه قصة هي : أن ملكاً عادلاً - اسمه « بشر النقي » - كان يعيش في أرض الروم « فأغار عليه العشق ، ففتن عقله ، ولعب بلبه . فقد رأى - ذات يوم - امرأة جميلة ، تكسوها ملاء سوداء (تزيدها جمالاً وفتنة) ، وتجعلها تبدو كالبلدر بين السحب السوداء . وكانت هذه المرأة تسير في الطريق دون التفات إليه ؛ فرفمت الرياح برقعها فجأة ، فأظهرت الرياح الفتنة ، وخرج القمر من بين السحب السوداء ، فلما رأى « بشر » ذلك ارتعشت قدماء ، وجد في مكانه ^(۲) » .

(۱) دید گنجینه بزر در خورد کردش از زیبهای زرین زرد

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۱۹۷)

(۲) بر رهش عشق ترکتازی کرد فتنه با عقل دست بازی کرد

پیکری دید در لفافه خام چون در ابرسیاه ماه تمام

فارغ از بشر میگفشت براه باد ناگه ربود برقع ماه

فتنمرا باد رهنمون آمد ماه از ابرسیه برون آمد

بشرکان دید سست شد پایش تیریک زخمه دوخت برجایش

(للرجح السابق ، ص ۱۹۸ - ۱۹۹)

ولسكنه أراد أن ينتصر على نفسه ، ويتغلب على عشقه ، فسافر - سرىماً - إلى بيت المقدس حتى ينساها ، ثم رجع بعد الزيارة ، فصاحبه في الطريق رجل كان اسمه « مليخا » ؛ كان حسن الظاهر ، ولسكنه كان يحمل بين جنبيه فسفاً شريرة ، كما كان يظهر علمه فيحاول شرح وتعليل كل ما يراه في أثناء السفر .

وبينما كان المسافران يسيران في الصحراء ، قدما كان معهما من ماء ، وكادا يموتان عطشاً ، لولا أن وجدا لإبريقاً ملوئاً بالماء مخفياً تحت شجرة ، فرجع « بشر » أن الإبريق قد تركه صياد ، ثم شرب الرجلان منه ؛ ولسكن « مليخا » أراد أن يستعم من هذا الماء ، ثم يكسر الإبريق ؛ فلم يوافق « بشر » على ذلك ، غير أنه لم يذعن لرأى « بشر » ، وقفز في الإبريق ، ففرق ، وظهر أن الإبريق عميق جداً .

ثم أخرج « بشر » جنة « مليخا » ، فسقطت من ملابسه حافظة نقود ، كان بها ألف دينار ، فصم « بشر » على إعطائها لورثته ، فلما وصل إلى دياره ، أخذ يسأل عن أسرته ، حتى عرف منزله بعد مشقة وجهد ، فقابل زوجته ، وأخبرها بموته ، فقالت إنها فرحت بسماع هذا النبأ ، لأن « مليخا » كان سيء الطباع ، غليظ القلب . ثم أظهرت رغبته في الزواج من « بشر » ، وكشفت عن وجهها فظهر أنها المرأة التي كان بشر قد رآها ، فأسره عشقها ، وقَفَنَ بها حباً ، فسافر ليتغلب على عشقه .

« فلما رأى بشر أنه قرب من حور الجنة ، لبس اللون الأخضر كالحور^(١) . وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأخضر ، فسرَّ الملك ، وقضى معها ليلته سعيداً .

* * *

(١) چون نديد از بهشتیان دورش جامه سبز دوخت چون حورش
(نظامی : هفت پیکر ، ص ٢١٤)

۴ - بهرام تحت القبة الحمراء

وفي يوم الثلاثاء ؛ زار بهرام الأميرة السفلاية في القصر ذى القبة الحمراء ،
فقضى معها يوماً جيلاً ، ثم قصت عليه قصة هي : أن إحدى الأميرات كانت جميلة ،
وكانت مُلِمة بكل العلوم حتى السحر ، فراج خهر جمالها في العالم فخطبها أشخاص
كثيرون من الممالك المختلفة ، ولكنها لم تقبل أحداً منهم .

ثم بَدَتْ - بإذنٍ من والدها - قصرأ لها في الجبل ، « وجعلت - بمهارتها -
حوله عدة طَلَسِمَات ، صنعت جسم كل منها من الحديد والحجارة ، ووضعت في يد
كل منها حربة ، فكانت تشطر كل مَنْ يمر من طريقها الخيف نصفين ^(١) » .
ثم رسمت صورتها ، « وكتبت فوقها بخط جميل جداً : كل من يريدني من
أهل الدنيا ، يجب أن يكون كالقراشة التي تريد للنور ، فيضع قدمه داخل هذه
القلعة - التي هي مكاني - فلا يتكلم من بعيد ^(٢) » .

وعادت هذه الصورة على باب المدينة ، ولكن الذين حاولوا أن يتزوجوها
لم يستطيعوا إبطال الطلسمات ، فكانوا يُقْتَلُونَ « وكان (رجالها) يطلقون كل

(١) کرد در راه آن حصار بلند از سر زیرکی طلسمی چند
پیکر هر طلسم از آهن و سنگ هر یکی دهره گرفته بچنگ
هر که رفتی بدان گذر که بیم کشتی از زخم تینها بدویم
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۱۸-۲۱۹)

(٢) بر سر صورت پرند سرشت بخطی هر چه خویر بنوشت
کز جهان هر کرا هوای منست با چنین قلعه که جای منست
کو چو پروانه در نظاره نور پای در نه سخن مگوی از دور

(المرجع السابق ، ص ۲۱۹-۲۲۰)

رأس تقطعها الطلسمات على باب المدينة^(١) »

ولم يمض وقت طويل حتى اكتظ باب المدينة بالرهوس ، وأخيراً استطاع أمير شاب أن يذهب إلى عالم ماهر ، ويتعلم منه العلوم المختلفة ؛ فتمكن بذلك من إبطال الطلسمات ، لابساً اللباس الأحمر حقداً على الأشخاص الذين قتلهم الأميرة .

ولما نجح الشاب في الوصول إلى الهدف ، قبلته الأميرة زوجاً . ولما كان اللون الأحمر هو لون الفرح ، ولون اللباس الذي تغلب به « فقد اتخذ اللباس الأحمر فألأله منذ يوم انتصاره^(٢) » .

ثم أخذت الأميرة تعدد مزايا اللون الأحمر ، فسرَّ بهرام ، وأمضى معها ليلته مسروراً .

* * *

٥ - بهرام تحت القبة الفيروزية

وفي يوم الأربعاء ؛ زار بهرام الأميرة المغربية في القصر ذي القبة الفيروزية ففضى معها يوماً ممتعاً ، ثم قصت عليه قصة هي : أن تاجراً مصرياً شاباً - اسمه « ماهان » - كان يتريض مع بعض أصدقائه في حديقة ، فجاء إليه زميل ، وأخبره بأن قافلة محملة بتجارته قد وصلت إلى باب المدينة ، فتوجه « ماهان » مع زميله إلى ذلك المكان ، ثم جاوزاه ، وكانت الشمس قد غربت ، فأغلق باب المدينة دونهما ، فلم يجداً بُدَّ من الانتظار حتى الصباح . ثم أراد « ماهان » أن يدخل المدينة ، فأخذ يسأل زميله عن وسيلة يتمكن بها من دخولها ، فذله على

(١) هر سري كز سران بريدندی بدر شهر بر سکشيدندی

(نظامی: هفت پیکر، ص ٢٢١)

(٢) کاولین روز بر سیددی حال سرخی جامه را گرفت بفال

(الرجع السابق، ص ٢٣٤)

طريق سار فيه ، ولكن الطريق أفضى به إلى منطقة خربة مخيفة ، فنزلت حوله فلم يجد أحداً ، وكان الزميل نفسه قد اختفى ، فألقى نفسه في مكان موحش ملوئ بالأغوال والحيوانات المفترسة ، والثمايين الفتاكة ، والكهوف المربعة^(١) . وتغيّر ماهان ، ولكنه استطاع أن ينجو ، ويترك المكان ، ويسير هامئاً على وجهه للبحث عن مكان آمن ؛ وبينما هو سائر في طريقه ، أقبل عليه فارس شيخ يركب حصاناً ، وسأله عن حقيقة حاله ، وهدّده بالقتل ، فقص عليه ماهان قصته ، فزق الفارس له ، وهداه إلى حديقة فيها فواكه كثيرة ، وماء نير ، وسمح له بالانتظار فيها طوال الليل ، على أن يجلس فوق شجرة ، فصعد ماهان إلى أعلى شجرة .

ولما جنّ الليل امتلأت الحديقة بفتيات جميلات ، ثم « أقن حفلاً رائعاً بالقرب من شجرته ، فامتلاً المكان بالشموع ، وامتلات الوجوه بشراً ونشاطاً ثم جاءت امرأة جميلة - كانت سلطانتهن - جلست في صدر الحفل ، وأجلست الأخريات حولها^(٢) » .

ودعت السلطنة « ماهان » للجلوس بجوارها ، فجلس ؛ وبعد قليل « أخذ يعانقها ، ويقبل شفتيها الجراوين^(٣) » .

« غير أنه لما أمن النظر فيها وجدها جنينة ، خُفّت جميع أعضائها من غضب الله »

(١) نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۳۸ .

(٢) بزمکه خسروانه بنهادند
پیشگاه بساط بگشادند
شمع بر شمع گشت روی بساط
روی در روی شد سرور و نشاط
آن پریشان بود مهر شان
درة التاج عقد گوهر شان
رفت و بر بزمگاه خاص نشست
دیگرانرا نشاندم بردست

(المرجع السابق ، ص ۲۵۷)

(٣) لب بر آن چشمه رحيق نهاد
مهر ياقوت بر عقيق نهاد

(المرجع السابق ، ص ۲۶۱)

کلیه مرعبه ، لم ير الإنسان مثلها في الوحش^(۱) .

وَأَخَذَتْ هَذِهِ الْجَنِيَّةُ تَعَانِقَهُ ، وَتَهَرَّأَ بِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمَوْحِشِ الَّذِي كَانَ فِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ نَجَا بِفَضْلِ « الْخَضِرِ » ؛ « فَلَمَّا سَمِعَ « مَاهَانَ » سَلَامَ الْخَضِرِ نَجَا ، كَالظُّلَمَانِ الَّذِي رَأَى مَاءَ الْحَيَاةِ^(۲) .

نَمَّ رَجَعَ « مَاهَانَ » إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَصَارَ يَلْبِسُ الْوَلَوْنَ الْأَزْرَقَ « لِأَنَّهُ رَأَى أَصْدِقَاءَهُ صَامِتِينَ ، وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَلْبِسُ ثَوْبًا أَزْرَقَ حَدَادًا عَلَيْهِ^(۳) .

وَحَتَمَتِ الْأَمِيرَةُ الْقِصَّةَ بِمَدْحِ الْوَلَوْنَ الْأَزْرَقِ ، فَاسْتَحْسَنَهَا بِهَرَامٍ ، وَقَضَى مَعَهَا لَيْلَةً مُمْتَعَةً .

* * *

٦ - بهرام تحت القبة البنية^(۱)

وَفِي يَوْمٍ الْخَمِيسِ ؛ زَارَ بِهَرَامِ الْأَمِيرَةِ الرُّومِيَّةِ فِي الْقَصْرِ ذِي الْقَبَةِ الْبَنِيَّةِ ، وَقَضَى مَعَهَا يَوْمًا رَاضِيًا ، ثُمَّ قَصَّتْ عَلَيْهِ قِصَّةَ هِيَ : أَنَّهُ كَانَ يَوْجَدُ شَابَانَ اسْمَ

(۱) چون در آن نور چشم و چشمه قد کرد نیکو نظر بی چشم پسند
دید غفری از دهن تابای آفریده ز خشمهای خدای
کاو میخی گراز دندانی کاردها کس ندید چندان
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۶۱)

(۲) چونکه ماهان سلام خضر شنید تشنه بود آب زندگانی دید
(للرجع السابق ص ۲۶۶)

(۳) دید یاران خویش را خاموش هریک از سو کواری آزرده بوش
(نفس للرجع والصفحة)

(۴) هذه الكلمة ترجمة للكلمة « صندلی » التي استعملها الشاعر ، ولعلها نسبة إلى نبات الصندل .

أحدهما « خیر » واسم الآخر « شر » ، وكان حمل كل منهما مطابقاً لاسمه ^(۱) .
ثم تصادف أن سافر هذان الشابان معاً فسارا ، حتى وصلا إلى صحراء ،
وكادا يهاكمان من شدة العطش ، وكان مع « شر » ماء ، فأخفاه عن « خیر »
الذي علم بذلك ، فطلب منه جرعة ماء ، على أن يعطيه جوهريتين ثمينتين ؛
ولسكن « شر » رفض ، لأنه خشى أن يأخذ « خیر » الجوهريتين منه . مرة ثانية .
حينما يرجعان إلى المدينة ، وقال له : « بع لي عينيك الفاليتين بالماء ، وإلا فأصرف
النظر عن لا يريق ^(۲) » .

وقبل « خیر » ذلك لشدة عطشه ، غير أن « شر » اقتلع عينيه ،
وسرقه ، ثم تركه دون أن يسقيه ، فوجده أحد رعاة الغنم الأكراد ؛ وكان هذا
الراعي غنياً ، كما كان يعرف نوعاً من الشجر يعالج ورقه مرض المعى ، فصالجه
به حتى رجع إليه بصره ، ثم زوجه ابنته قائلاً : « إني اختارك زوجاً لابنتي الجميلة
بمحض حريتي ، وإني أهبك كل ما عندي من الإبل والغنم ، حتى تصبح غنياً ^(۳) » .
ثم استطاع « خیر » أن يعالج ابنة الملك بورق هذا الشجر من مرض
عضال حار فيه الأطباء ، فاختره الملك زوجاً لها ، وهكذا أوصله الحظ الحسن ،
إلى العرش والملك ^(۴) .

- (۱) نام ابن خیر ونام آن شر بود فعل هريك بنام درخور بود
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۶۹)
(۲) گفت شر آن دو گوهر بصرست کاین ازان آن از ابن عزیز ترست
چشمه‌ارا بمن فروش بآب ورنه زین آبخورد زوی بتاب
(المرجع السابق ، ص ۲۷۲)
(۳) بر چنین دختری بازادی اختیارت کنم بدامادی
وانچه دارم زگوسفند وشر دهمت تاز مایه کردی پر
(المرجع السابق ، ص ۳۸۳)
(۴) تاچنان شد که نیکخواهی بخت برساندش پیداشاهی وخت
(المرجع السابق ، ص ۲۸۸)
م ۲۳ - ظای

وذات يوم ، أحضر رجال « خير » « شرًا » أمامه لظلمه شخصاً آخر ،
فصفا « خير » عنه ، ولكن الراعى -والد زوجته الأولى- لم يطق صبراً ، فضرب
رأس « شر » .

« ثم صار « خير » يتخذ اللون البنى لوناً لثيابه منذ ذلك الوقت ، حباً
فى الشجرة التى كانت رانمتها تشبه رائحة نبات (الصندل)^(١) .
وختمت الأميرة القصة ببيان فوائد نبات الصندل ، فسرَّ بهرام ، وقضى
معها ليلته سعيداً .

٧ - بهرام تحت القبة البيضاء

وفى يوم الجمعة ؛ زار بهرام الأميرة الإيرانية فى القصر ذى القبة البيضاء ،
وقضى معها يوماً ممتعاً ، ثم قصت عليه قصة هى : أن شاباً غنياً كانت له حديقة ،
وكان إذا مرَّ بموارها يسمع صوتاً موسيقياً يأتى منها ، ولكن باب الحديقة
كان مُقفلًا ، لم يحاول أحد فتحه ، ففتحها الشاب ، ودخل الحديقة ، « فوجدها
مملوءة بفتيات ذوات أصوات جميلة ، وكن فائنات ، يستولين على الشاعر ، فكانت
الأشجار تتمايل طرباً ، كأن فاكهتها عاشقة »^(٢) .

وظلت الفتيات أنه لص ، فأخذن يضربنه ، ولكن الرجل قل : « إن

(١) برهواى درخت صندل بوى جامه را کرده بود صندل شوى

جز بصندل خرى نكوشيدى جامه جز صندلى نپوشيدى

(نظامى : هفت پيكر ، ص ٢٩١)

(٢) باغ پرشور ازان خوش اوازي جان نوازان درو بجان بازي

رقص برهر درختى افتاده ميوه دل برده بلسكه جان داده

(المرجع السابق ، ص ٢٩٥)

الحديقة حديقتي ، فأنا أُضربُ في يدي ^(۱) .

فلما عرفنا ذلك صالحنه ، « وجلسن أمامه في دلال ، وأخذن يقصصن عليه قصصاً جميلة ^(۲) » .

ثم اقترحن عليه أن يجمع كل فتيات المدينة الجميلات ، ليختار واحدة منهن ، ثم جمن فتيات المدينة « وجلس السيد في غرفة ، وأغلق بابها ، وكان في وسط الغرفة ثقب يحترقه شمع نور ؛ ثم أخذت الجميلات يسرن أمامه عاريات وهو ينظر إليهن من الثقب فرآهن كالأزهار القائنات ، فكانت سيقانهن فضية ، وأنداوهن رمانية ، وكن كلهن رائعات الجمال ^(۳) » .

ثم اختار الشاب فتاة منهن ، فأحضرت أمامه ، « فذهبها إلى صدره ، وأمن فيها تقبيلاً ^(۴) » .

« وأراد أن يدخل بها ، فاقض عليها كالأسد المقترس الذي يحاول التهام

(۱) مرد گفتا که باغ منست برمن این دود از چراغ منست

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۲۹۷)

(۲) بنشستند پیش خواجه بناز باز گفتند قصه های دراز

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) خواجه بر غره رفت و بست درش باز گشتند رهبران ز برش

بود در ناف غره سوراخی روشنی تافته درو شاخی

چشم خواجه ز چشمه سوراخ چشمه تنگ دید وآب فراخ

کرده بر هر طرف گل افشانی سیم ساق و نار بستانی

روشنایی چراغ دیده همه خوشتر از میوه رسیده همه

(المرجع السابق ، ص ۲۹۸-۲۹۹)

(۴) زلف دلر گرفت چون چنگش در بر آورد چون دل تنگش

بوسه و گاز بر شکر میزد از یکی تاده زده تاصد

(المرجع السابق ، ص ۳۰۴)

الفریسة ، ولسكنه وجد صماباً تفترض طريقه^(۱) .

واختلى للشاب بالفتاة مرآت عديدة ، فكان - فى كل مرة - يستمتع بها ، ولسكنه كما حاول أن يدخل بها ، اعترض شىء سبيله ، ففى المرة الثانية ؛ « أراد أن يدخل بها فمافقه اضطرابات قام بها السامة ، وعكرت صفوه ، فصار حزينا كالفرشة التى بمدت عن النور ، أو كالفمآن الذى فقد ماء الحياة^(۲) » .
وفى المرة الثالثة ، أراد الدخول بها ، فاعترضت طريقه معركة قامت بين ذئب وثعالب ، وكان الذئب يطارد الثعالب ، فالتجأت إلى حديقته^(۳) .

وأخيراً استيقظ ضميره « وصاح به : ما هذا العمل !؟ .. وما هذه الخصال الشريرة التى تكمن فى نفسك !؟ ...^(۴) » .

واتخذ مما حدث دليلاً على عصمة الفتاة وعفافها ، فقسم على الزواج منها ، « فلما وصل إلى المدينة ، خطبها على سبيل الوفاء^(۵) » .

(۱) خاست تانوش چشمه را خار د مهر ازاب حیات بر دارد
چون در آمد سیاه شیر بگور زیر چنگ خودش کشید بزور
جایگه سست بود سخی یافت خشت برخشت رخنه ها بشکافت
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۰۴)

(۲) دست برکنج در دراز کند تادر گنج خانه باز کند

.....

ناگه آورد فتنه غوغایی تا غلط شد چنین تمنای
ماند پروانه را درانده نور تشنه گشت ازاب حیوان دور
(المرجع السابق ، ص ۳۱۰)

(۳) المرجع السابق ، ص ۳۱۲ .

(۴) بانک بروی زندند کاین چه فست

در خصال تو این چه اهرمنست ؟

(نفس المرجع والصفحة)

(۵) چون بشهر آمد از وفاداری کرد مقصود را طلبکاری

(المرجع السابق ، ص ۳۱۴)

نم عقد قرانه عليها ، ودخل بها ، ولبس الثياب البيضاء في وقت الزفاف ،
كدليل على العفاف والطهارة ؛ « وقد صار لبس الثياب البيضاء سنة في أوقات
العبادة^(۱) » .

وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأبيض فُسْرَ بهرام ، وقضى ليته مسروراً .

* * *

وختم نظامی هذه القصص بقوله : « وقضى بهرام مثل هذه الیالی كثيراً
تحت القباب السبع ، وفتحت له السموات أبوابها ، فصار حسن الخط
سعيداً^(۲) » .

* * *

ثم تابع الشاعر حديثه عن تاريخ بهرام ، فأشار إلى مجيء ملك الصين
إلى إيران لغزوها مرة ثانية ، ولم يكن لدى بهرام جيش أو مال ، فأشار عليه
وزير « راست روشن » بأخذ المال من الشعب اغتصاباً ، وقبل بهرام ما أشار به
الوزير « لأنه كان مشغولاً باللهو والشراب ، مما جعل الوزير يتماذى في الظلم^(۳) »
وشاع في المملكة الفساد ، وأخذت معاول الهدم تعمل فيها ، دون أن يجرؤ
أحد على إطلاع بهرام على حقيقة الحال ، حتى قابلته ذات يوم - رابع شيخ
فأخذ ينصحه ، ويُبَيِّنُ له بما في دولته من ظلم وفساد ، بسبب سوء تصرفات

(۱) در پرسش بوقت کوشیدن سنت آمد سپید پوشیدن

(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۱۵)

(۲) وین چنین شب بی نیاز و نشاط سوی هر گبندی کشید بساط

بروی این آسمان گنبد ساز کرده درهای هفت نند باز

(الرجع السابق ، ص ۳۱۵)

(۳) شه چو مشغول شد بنوش و بنار او بیداد کرد دست دراز

(الرجع السابق ، ص ۴۲۱)

الوزير ، وقال له : « إن المشهور في كل مكان أن القتل من الملك ، والشفاعة من الوزير ، فقد شوه الوزير بظلمه اسم الملك ، ونسب الحسن من الأعمال إلى نفسه ^(۱) » .

فتأثر بهرام ، وأفرج عن سجنهم الوزير ، ثم استدعاه ، وجلس يستمع إلى شكاوى الناس ^(۲) ، ثم أمر بقتله على صرأى منهم ^(۳) .

ولم يلبث ملك الصين أن أرسل إلى بهرام معتذراً ، وظهر أن الوزير كان يتصل به ، ويعرض عليه مساعدته ^(۴) .

وصار بهرام يعدل منذ ذلك الوقت « بل إنه لما رأى صورة العدل اعتبر ، ففضله على العالم جميعه ، وفطن بحاله ، وضحي في سبيله بحبه للعرائس السبع ^(۵) » . ولم يحتفظ بهرام من ملذاته إلا بالصيد .

وذات يوم ، كان يطارد حماماً « فدخل الحمار غاراً في شجاعة وسرعة ، وتبعه الملك كالأسد المحصور ^(۶) » .

وابتظره خدمه على باب الغار ، واسكنه لم يخرج ، « ثم خرج من الغار

(۱) گفته در شرحهای ماتم و سور کشتن از شه شفاعت از دستور نام شهرا بخور بد کرده نیکنامی بنام خود کرده (نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۲۹)

(۲) المرجع السابق ، ص ۳۳۲-۳۴۵ .

(۳) المرجع السابق ، ص ۳۴۵-۳۴۷ .

(۴) المرجع السابق ، ص ۴۴۸ .

(۵) پیکر عدل چون بدیده شاه عبرت انگیزت از سدید و سیاه شاه کرد از جمال منظر او هفت پیکر فدای پیکر او (نفس المرجع والصفحة)

(۶) گور درغار شد روان دلیر شاه دنبال او گرفته جوشیر (المرجع السابق ، ص ۳۵۰)

غبار کالدخان ، من شدة صیحات أتباعه المتأثرین ، وسمعوا صوتاً يقول لم :
ارجعوا ، فإن لدى الملك عملاً يؤديه ^(۱) .

ودخل بعض رجاله النار ، فوجدوه غير حقیق ، « ولكنهم لم يجدوا الملك
بدخله ^(۲) ، فالتفتوا حوله كالثعبان ^(۳) » .

ثم جاءت أم بهرام محترقة القلب ، وأسرت بحفر الأرض بجوار النار ،
- للبحث عنه - ففعلوا ما أمرت به ، ولكنهم لم يجدوا شيئاً ، فغزت حزناً
شديداً ^(۴) .

وانتهت المنظومة بدم الدنيا وغدرها ^(۵) . ثم مدح الشاعر حاكم صرافه ،
وذكر تاريخ إنعام المنظومة ^(۶) ، وختم بالدعاء للحاكم بأن يرتفع شأنه ، وتكون
خاتمة سعيدة ^(۷) .

* * *

(۱) زآه آن طفلگان درد آلود کردی از غار بردمید چودود
بانگی آمد که شاه در غارست بازگردید شاهرا کارست
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۵۱)

(۲) هذا ما ذكره نظامی : أما الفردوسی فقد ذكر في الشاهنامه ، ج ۴ ، ص ۳۳۲
أن الوزير أخبر بهرام بخلو الخزان من المال ، فغن ، وتنازل عن العرش لابنه
يزدگرد ، ثم مرض ، وذهبوا - مرة - لإيقاظه في الصباح ، فوجدوه ميتاً
على سريرته .

(۳) چون ندیدند شاه را در غار بدر غار صف زدند چومار
(نظامی : هفت پیکر ، ص ۳۵۲)

(۴) نفس الرجع والصفحة .

(۵) للرجع السابق ، ص ۳۵۴-۳۶۱ .

(۶) للرجع السابق ، ص ۳۶۷ .

(۷) نفس الرجع والصفحة .

هذه صورة مصغرة ، لقصة « بهرام كور » كما عرضها نظامى فى منظومته
« هفت پيكر » ؛ وقد تحدث الفردوسى عن « بهرام كور » فى جزء من منظومته
« شاهنامه » فيحسن أن تقارن بين تصور كل من الشاعرين ، حتى تتضح ألوان
صورة نظامى ، ويمكن أن نحكم على ما فيها من فن حكماً دقيقاً .

الفصل الثالث

مقارنة بين تصوير كل من الفردوسى ونظامى لقصة بهرام كور

سجل الفردوسى فى منظومته « شاهنامه » أعمال بهرام ، وصوّر عصره تصويراً دقيقاً ، وأسرف فى تصوير رحلاته للصيد ، ومهارته فى الحرب ^(١) .
أما نظامى ؛ فقد صوّر فى منظومته « هفت پيكر » جانبين من حياة بهرام :
الجانب التاريخى ، والجانب العاطفى ، وربط بينهما بمهارة ، وأعطاهما الصبغة القصصية .

فتمحدث فى الجانب التاريخى عن ولادة بهرام ، ونشأته ، وجلسه على العرش ، وحروبه ، وولمه بصيد الحمر الوحشية ، ونهايته .
وجعل الجانب العاطفى يشتمل على حب بهرام للأهليزات السبع ، وحياته الزوجية معهن .

ونستطيع بعد دراسة منظومة نظامى أن نقرر أن تصويره للجانب التاريخى من حياة بهرام يشبه - إلى حد كبير - تصوير الفردوسى لشخصية بهرام ، وأن ماذكره نظامى يعتبر - فى الواقع - تكراراً لما قاله الفردوسى من قبل .

وقد اعترف نظامى نفسه بأنه كرر ما قاله غيره ، وحاول أن يُنسى نظمه ثوباً جديداً ، فقال : « سأحاول - بقدر ما أستطيع - أن أكون كنسيم الربيع ، فلا أكرر الأسلوب القديم ، بل أحاول التجديد ، ولو أنه ليس من عادتي أن أكرر ما قيل قبلى ، غير أن الطريق إلى الكنز واحد ، فإن يكن قد

(١) فردوسى : شاهنامه ، ج ٤ ، ص ١٩٦-٣٣٣ .

آلتی سہمان إلا أن الهدف واحد ، فلا مفر - إذا - من تکرار القديم ، فانا والفردوسی ضاربان لنقود الکلام ، جدّدنا النقود القديمة ، فصنع هو من النحاس فضة نقيه ، وحولتُ أنا الفضة إلى ذهب خالص ، فلا تعجب من تحول الفضة إلى ذهب ، كما لم تعجب من تحول النحاس إلى فضة ^(۱) .

وصرح نظامی فی غیر هذا الموضع بأنه أبقى ما وجده صحیحاً - من تاریخ بهرام - كما هو ، فلم یغیر فیہ شیئاً ، وأنه حاول أن یتمّ الحديث عن الجوانب التي لم یستكمل الفردوسی الحديث عنها ، وأن یضیف إلى بناء القصة بعض النقوش البديعة ، لیجعلها أجمل وأروع ، فقال : « نحدثُ عن كل ما وجدت الحديث عنه غیر كامل ، وأكلت ثقب الجواهر التي لم یُثَقَّب إلا نصفها ، وأبقيتُ كل ما وجدته صحیحاً مستقیماً فی صورته الأولى ، وحاولتُ أن أضيف إلى هذه القصة ما یزینها من الحسنات الطریفة » ^(۲) .

والواقع أن تصویر نظامی للجانب التاريخی یختلف عن تصویر الفردوسی

(۱) تا توانم چو باد نوروژی	نکنم دعوی کهن دوزی
گرچه در شیوه کهر سفتن	شرط من نیست گفته واکفتن
لیک چوره بکنج خانه یکبست	تیرها کردو شد نشانه یکبست
چون نباشد زباز گفت گزیر	دائم انگیخت از پلاس حریر
دو مطرز بکیمیای سخن	تازه کردند نقدهای کهن
آن زمس کرد نقره نقره خاص	وین کند نقره را بز خلاص
مس که دیدی که نقره شد بجار	نقره گرز شد شکفت مدار

(نظامی : هفت پیکر . ص ۸۳-۸۴)

(۲) آنچه ازونیم گفته بدگفتم گوهر نیم سفته را سفتم
وانچ دیدم که راست بود و درست ماندش هم بر آن قرار نخست
جهد کردم که در چنین ترکیب باشد آرایش ز نقش غریب

(للرجع السابق ص ۱۶-۱۷)

من الناحية الأسلوبية ، فقد وضع التفنن في أسلوب نظامي^(۱) ، وظهرت فيه الصبغة التي لاحظناها في الفن في عصره ، بصفة عامة .

كما يختلف في نظرة كل من الشاعرين لشخصية بهرام ، فقد تأثر كل منهما بروحه هو ، وروح العصر الذي عاش فيه ، في تصوير شخصية بهرام .

فالفردوسی كانت روحه حماسية ، فصور بهرام على أنه صورة للبطولة الإيرانية القديمة ، ومثل الحاكم القوي الذي ينعم بالملذات ، ويبحث عنها ، ويصرف فيها جزءاً كبيراً من وقته ؛ كما جعله بطلاً يستطيع القيام بخوارق الأعمال ، ورغم أنه صور عدله ، وعفوه عن المجرمين ، إلا أنه صور بطشه وقتله في سبيل المحافظة على كبريائه ؛ فبين أنه قتل الجارية التي اصطحبها معه للصيد ، لأنها أشارت عليه بأن يرمى غزالين بحيث يمسل الذكر منهما أنثى ، والأنثى ذكراً ، ففعل « حاك رأس الغزال وأذنه وقدمه في مكان واحد ، وقال : إني حينما أصاد أستطيع أن أفعل مثلاً رأيت ألف مرة ، فرق قلبها لذلك الغزال الطليق ، وقالت له : أنت شرير وإلا مارميت بهذه الطريقة ، فأمسكها بهرام ، ورمأها على الأرض ، ثم أجرى المجهين على الفتاة الجميلة حتى ماتت^(۲) » .

وجعل الفردوسی جل حديثه يدور حول فروسية بهرام ، ومهارته في الصيد ، فأسرف في تصوير مناظر صيده .

(۱) سيأتي الحديث عن هذا في الباب السابع ، عند الحديث عن فن نظامي .

(۲) سروگوش وپایش ییکجا بدوخت بران آهو آزاده را دل بسوخت

چنین گفت شه چون شکار افکنم ازاینسان که دیدی هزار افکنم

کندیك بدو گفت اهریمن وگرنی بدینسان کجا افکنی

بزد دست بهرام واورا وزین نگویند بزد بروی زمین

هیون از برماه چهره براند بزد دست وچنگش بخون برفشاند

(فردوسی : شاهنامه ، ۴ ، ص ۲۰۳)

ولكن نظامى حاول أن يصور بهرام فى صورة الملك العادل ، فلم يطنب فى الحديث عن الصيد ، ولم يسرف فى تصوير مناظره ، بل حاول أن يضرب الأمثلة على عدل بهرام ، فبين كيف قتل وزيره لظلمه ، ثم جلس ليستمع شكاوى الناس ، وبلغ به حب العدل درجة جعلته يهجر نساء الأميرات ليتفرغ للعدل بين الرعية . ونظامى متأثر - فى هذا - بتمجيد هـو للعدل ، ودعوته إلى الإصلاح ، ومحاولة اتخاذ الشعر ميداناً لدعوته التى تقوم على أساس تهذيب النفس ، وتقويم الخلق ، وإقرار العدالة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وتمتبر العدل غاية فى نفسه ، إذا أدركها الإنسان لم يحفل بما عداها .

ولذلك نجد بهرام - فى منظومة نظامى - يميل إلى العفو عند المقدرة ، فيبدأ عهده بالعفو والصفح ، وتطبيق العدالة فى جميع الأرجاء ، فلم يقتل بيده الجارية التى اصطحبها معه للصيد - والتى تناولت عليه بعد أن قام بما أشارت به - بل سلمها لضابط ليقتلها ، وبكى حينما أخبره الضابط كذباً بأنه قتلها ، وسرَّ لما علم ببقائها على قيد الحياة ، ثم تزوجها ، كما مر .

وهكذا نجد فرقاً واضحاً بين تصوير كل من نظامى والفردوسى لشخصية بهرام هذا ، وعصره وما تم فيه من أعمال ، وما وقع من أحداث . هذا فيما يتعلق بالجانب التاريخى .

أما الجانب المائلى من حياة بهرام ، فإن تناوله بالصورة التى عُرِضَتْ - فى « هفت پيكر » لنظامى - يعتبر جديداً ، لم يُسبق الشاعر إليه . وهو من خلق نظامى ، فليس موجوداً بهذه الصورة فيما نظمه الفردوسى .

ويبدو أن الذى دفع نظامى إلى عرض هذه الصورة ، هو روحه الفنائية ، وروح الناس فى عصره ، الذين كانوا يفضلون مناظر العشق ، ومواقف الحب ، فحاول الشاعر أن يطرق هذه الناحية ، حتى يحمل الحديث عن بهرام فى صورة قصة جميلة ، يلعب العشق فيها دوراً مهماً رئيسياً .

وقد أثبت نظامى - فى هذا الجزء - سبع قصص ، يتخذ العشق المكان الأول فيها ، مثلها فى ذلك مثل « خسرو وشيرين » و « ليلى ومجنون » .
وهو يتخذ هذا المكان سواء فى حياة بهرام نفسه ، أو فى حياة أبطال هذه القصص .

ولكنها تختلف عن « خسرو وشيرين » و « ليلى ومجنون » فى أن خاتمة أبطالها سعيدة غالباً فليست نجاتها حزينة ، لأنها تذكر لتسليّة بهرام وإمتاعه ، ولذلك وجدنا بطل كل قصة تُتاح له فرصة للتمتع ؛ حتى فى القصة الأولى ، التى انتهت بلبس الثياب السوداء ، حداداً على مانولى من نعيم ، وجدنا بطلها يقضى شهراً - تقريباً - فى متعة متجددة .

كما نلاحظ أن عاقبة الأبطال النجاة دائماً ؛ فلم يهلك واحد منهم ، رغم ما قاساه بعضهم من مصائب ، كما رأينا فى قصة التاجر المصرى الذى لاقى من الأهوال ما لاقى ، ثم نجا على يد الخضر ، ورجع إلى دياره سالماً .

واتخذ نظامى من هذه القصص مجالاً لإظهار آراءه فى الحب ، وأنه لا ينفى مع الفضيلة ، ومع الأخلاق السكرية ، والنسك بالطهر والمغاف ، والدعوة إلى التطهر ، والترف عن النقائص ، ومحاربة الرذيلة .

فوجدناه يحافظ على عفاف المشوقة ، ويرعى الفضيلة ، ويقيم العقبات فى طريق الرذيلة . وصور هذا بصورة واضحة مجسمة فى القصة الأخيرة ، فكانت الحواجز تقام فى وجه البطل كلما فكّر فى الاعتداء على عفاف مشوقته ، حتى استيقظ ضميره ، فجّد المغاف ، وتزوج مشوقته زواجاً شرعياً ، واتخذ اللون الأبيض رمز الطهر والمغاف شعاراً له .

كما اتخذ القصص وسيلة للدعوة إلى اتباع العدل ، وفعل الخير ، ويُن أن الحق ينتصر فى النهاية ، وأن قوى الشر قد تنقلب فى بادئ الأمر ، ولكنها لا تثبت أن تندحر وتبطل .

وأوضح مثل تلك قصة « خير وشر » ، التي اتخذها الشاعر وسيلة لإثبات أن دولة العدل والخير ، هي التي تدوم ، بينما يزهى الباطل والظلم ، وتدول دولة الشر .

وهكذا نجد أن نظامى تأثر بروحه هو ، و بروح عصره ، وطبق مذهبه عند تصويره لبهرام من الناحيتين التاريخية ، والمأطفية .

فالشاعر - رغم تقليده للفردوسى فى عرض الوقائع التاريخية التى لا يمكن تحويرها - قد أضفى على المنظومة ما أكسبها جدة وطرافة ، وجعلها لا تقتصر على الحوادث التاريخية ، وتصور مناظر الصيد ، بل تمتد إلى تصوير المواطن الإنسانية السامية ، التى تهتم الناس فى كل زمان ومكان ، وتوجههم إلى الخير ، وتدعوم إلى فعله ، وتحاول إسماد المجتمع .

وجعل الشاعر فنه فى خدمة الإنسانية ، فحاول أن يستخدمه فى الوصول إلى أنبل الأهداف ، وأسمى الغايات .

كما أن منظومة « نظامى » تختلف عما نظمه « الفردوسى » فى أنها أضفت على حياة بهرام وعصره الصورة القصصية ، وجعلته يبدو كبطل لقصة تقوم على أسس من الشجاعة والمهارة ، والعدل والحب ، ولو أن الحبكة الفنية لا تبلغ فيها درجة الروعة التى نجدتها فى قصة « خسرو وشيرين » .

ولكن نظامى - رغم هذا - قد أخرج قصة بهرام فى صورة تختلف فى جوانبها ، وأوضاعها عما ذكره الفردوسى ، فابتكر جوانب جديدة ، ومنحها أضواء خاصة زاهية .

فهى تعتبر جديدة طريقة فى الصورة التى عرضها نظامى ؛ مما جعل كثيراً من شعراء الفارسية والتركية يحاولون تقليده ، ونظم القصة متأثرين بما ورد فى منظومته . وأشهر من قلده من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى هام

٥٧٢٥ ، فنظمها تحت عنوان « هشت بهشت » ؛ وعبد الرحمن الجامعي المتوفى في عام ٨٩٨ هـ ، الذي نظمها تحت عنوان « هفت پيكر » ؛ وهاتفى ^(١) المتوفى في عام ٩٢٧ هـ ، ونظمها تحت عنوان « هفت منظر » ؛ وفيضى المتوفى في عام ١٠٠٤ هـ ، الذي نظمها تحت عنوان « هفت كشور » .

وأشهر من قلده من شعراء التركية « لامى » ٩٣٨ هـ ، وقد نظمها تحت عنوان « هفت پيكر » .

والمدارس لمنظومات هؤلاء الشعراء يستطيع أن يلاحظ - في سهولة ووضوح - مبلغ اعتمادها على منظومة نظامى ، واقتباسها لطريقتها ، وما فيها من معلومات واتجاهات خاصة .

ونضرب مثلاً لذلك « بأمير خسرو الدهلوى » ، الذي نظم القصة في نفس البحر الذي استعمله نظامى ، وتأثر بما ورد في « هفت پيكر » انظامى - عن حياة بهرام ، ومهارته في الصيد ، وقصص الأميرات السبع - تأثراً كاملاً ، ولم يدخل في القصة إلا تمديلاً يسيراً ، يتعلق بترتيبها ، فبدأها بقصة الجارية التي لم تعترف بمهارة بهرام في الصيد ، وذكر أن اسمها « دل آرام » ^(٢) . وبين أن « بهرام » تزوجها في النهاية ، بعد أن أصبحت عازقة ماهرة ، نستطيع أن نجذب بعزفها الحيوانات إليها ^(٣) .

وهذا تمديد لطيف يتعلق بالشكل ولا يؤثر في موضوع القصة في شيء ، فهو شيء عرضي لا يمس الجوهر ، ولا يتعرض للمهدف الذي ترمى إليه القصة .

(١) كان « هاتفى » ابن أخت عبد الرحمن الجامى .

(٢) « دل آرام » معناها « راحة القلب » ، وقد ذكر نظامى هذه الجارية باسم « فتنة » .

ولمنا نستطيع بمد هذه الدراسة أن تصدر حكنا عليها ، فنقرر أن تصوير
نظامى لقصة بهرام يعتبر جديداً طريفاً ، وأن تأثيره فى نفوس الشعراء كان أعمق
أثراً ، وأبقى ذكراً .

* * *

ونكتفى بهذا القدر من الدراسة لمنظومة « هفت پيكر » ، لنتحدث
عن منظومة نظامى الخامسة ، والأخيرة « إسكندر نامه » .

الباحث المستر

منظومة « إسكندرنامه »

الفصل الأول

دراسة حول منظومة إسكندر نامه

١ - أقسام المنظومة :

نظم الشاعر قصة الإسكندر في بحر انتقارب المثنى ، وجعلها في مجلدين ، تحدث فيهما عن ثلاثة جوانب من شخصية الإسكندر .

المجلد الأول : ويسمى « شرفنامه » ، وهو الذى تحدث فيه عن الإسكندر كبطل فاتح . ويشتمل على ٦٨٠٠ بيت من الشعر .

والمجلد الثانى : ويسمى « إقبالنامه » ، كما يسمى « خردنامه ^(١) » . وتحدث

فيه عن الإسكندر كحكيم ، ونبي ؛ ويشتمل على ٣٦٨٠ بيت من الشعر .

ورغم أن ما يتعلق بشخصية الإسكندر كحكيم ، وما يتعلق بها كنبى ، يضمهما مجلد واحد ، إلا أنه يبدو أن الشاعر كان قد وضع نصب عينيه أن يتحدث عن كل جانب حديثاً مستقلاً ، لأنه عرض - فى مقدمة شرفنامه - الآراء المختلفة التى قيلت فى حقيقة الإسكندر ، ونلخصها فى ثلاثة آراء فقال : « يعتبره جماعة ملكاً فاتحاً للعالم ، وسائحاً فى الآفاق ، ويجهله قوم حكيماً ، ويقتبسون الحكمة من أعماله ، ويمتدحون جماعة بنبوته ، لتقواه وعنايته بالدين ^(٢) » .

(١) هذه هى التسمية التى ذكرها نظامى نفسه ، وهى التسمية الرائجة ، أما فى الهند ، فإنهم يسمون القسم الأول « إسكندرنامه برى » لأنه يتحدث عن رحلات الإسكندر على اليابس ، و يسمون القسم الثانى « إسكندرنامه بحرى » لأنه يتناول رحلته على الماء .

(٢) گروهيش خوانند صاحب سریر ولایت ستان بلکه آفاق کبر
گروهی ز دیوان دستور او بحکمت نبشتند منشور او =

نم بین نظامی بعد ذلك أنه يعتبر الإسكندر مُتصفاً بهذه الصفات جميعها -
 أي أنه ملك شجاع ، وحكيم ، ونبي^(۱) - وأنه سيتحدث عن كل صفة منها حديثاً
 خاصاً مستقلاً ، فقال : « سأُنِيتُ من كل حبة - من هذه الحبات الثلاث شجرة
 قوية ، وأطرق - أولاً - باب مُلكه ، فأُحدث عن فتوحه وانتصاراته ، ثم أُنحدث
 بإبداعه عن حكمته ، فأُجل الحِكم القديمة ، ثم أطرق بعد ذلك باب نبوته ،
 لأن الله - أيضاً - قد قررها^(۲) » .

نم أكد أنه نحدث عن كل جانب حديثاً مستقلاً ، فقال : « صنعتُ ثلاثة
 أبواب ، ونحمتُ في إعداد كل منها عناءً خاصاً ، وهي تحف نادرة ،
 سأُجمل العالم - بواسطتها - مملوءاً بالجواهر^(۳) » .

= گروهی زیباکی و دین پروری پذیرا شدند پیغمبری
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۵۴)

(۱) تغییر رأی ایرانیان فی الإسکندر المقدون علی مر الفرون . يقول عزام فی
 حواشیه علی ترجمة الشاهنامه للبنداری ، ج ۲ ، حاشیة ص ۳ : « كان یسمی
 الإسکندر الامین الذی دمر المملكة وأحرق کتب زردشت فصار ذا القرنین الموحد
 العابد الفارسی ابن الملك داراب وأخا دارا » . ویبدو أن نظامی قد خلط بین قصة
 الإسکندر ، وقصة موسى والخضر ، وقصة ذی القرنین المذكورین فی القرآن ،
 وصور شخصية الإسکندر متأثراً بهذه النظرة ، کاسیانی .

(۲) من ازهرسه دانه که داما فشانند درختی برومند خوام نشاند
 نخستین در پادشائی زخم دم از کار کشورکشائی زخم
 ز حکمت بر آرایم آنگه سخن کنم تازه پارانجهای کهن
 پیغمبری گویم آنگه درش که خواند خدائز پیغمبرش
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۵۵)

(۳) سه در ساختم هر دری کان گنج جدا گانه بر هر دری برده رنج
 بدان هر سه در یابدان هر سه در کنم دامن عالم از گنج زهر
 (نفس المرجع والصفحة)

وهذا يرجّح أن نظامي قسم قصة الإسكندر إلى ثلاثة أجزاء ، ونظم كل جزء منها على حدة .

فعرض في الجزء الأول صورة الإسكندر كملك قوى ، وبطل فائح ، وسجّل مفاخره ، وسمّى هذا الجزء « شرفنامه ^(١) » .

وتحدث في الجزء الثاني عن الإسكندر كحكيم ، وسمّاه « خردنامه ^(٢) » ؛ لأنه بدأه بالحديث عن العقل ، فقال : « أينما يُظهر العقل كنزاً من الحكمة فإنه يجعل اسم الله مفتاحاً له ^(٣) » .

وصوّر في الجزء الثالث الإسكندر في صورة نبي له رسالة ، وسمّاه « إقبالنامه ^(٤) » ؛ لأنه اعتبر أن سعادة الإسكندر الحقيقية بدأت يوم اختياره نبيّاً ، فقال « لقد سجّلوا تاريخ الإسكندر منذ ذلك الوقت الذي صار فيه نبياً ^(٥) » . غير أنه يبدو أن كبر سن الشاعر وضعفه ، جعله يختصر الجزء من الأخيرين اختصاراً شديداً ، ويجعلهما في مجلد واحد سمّاه « خردنامه وإقبالنامه ^(٦) » .

(١) « شرفنامه » معناها « كتاب الشرف » .

(٢) « خردنامه » معناها « كتاب العقل » .

(٣) خرد هرکجا گنجی آرد پدید زبام خدا سازد آترا کلید

(نظامی : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢)

(٤) « إقبالنامه » معناها « كتاب السعادة أو الحظ » .

(٥) از آن روز کوشد پیغمبری نبشتند تاریخ اسکندری

(نظامی : شرفنامه ، ص ٧١)

(٦) يبدو أن مانظمه نظامی عن حکمة الإسکندر ونبوته ، لم یصادف هوۛی فی نفوس ایرانیین ، لأنه أشاد بتوحید الإسکندر لله ینما کان ایرانیون یقدسون النار ، ومجّدت عظیم الإسکندر لیبوت النار ، وقضاءه علی «الأوستا» کتابهم المقدس . فكان هذا من الأسباب التي لم تحب نظامی إلى قلوبهم ، فلم یعلقوا به تعلّقهم بالفردوسی ، الذي أشاد بالفرس وسجل مفاخرهم وأجّادهم ، ولعل هذا كان =

كما يبدو أن الشاعر كان يمد الجزء الأول وحده مساوياً لنصف القصة ، لأنه قال بعد فراغه من نظم شرفنامه : « حينما فرغتُ من نصف هذا البناء ، عددتُ نفسي مسيطراً على نصف العالم ، وسأنظم النصف الآخر إذا كان في العمر بقية ^(١) » .

غير أن الجزء من الأخيرين - في صورتها التي بين أيدينا - يساويان ثلث القصة لانصفها ، لأن عدد أبياتها لا يزيد كثيراً عن نصف عدد أبيات الجزء الأول ، فضلاً عما فيها من اضطراب في بعض الأجزاء .

* * *

٢ تواريخ إتمام أجزاء القصة ، وما أصابته من نجاخ :

صرح نظامي بأنه أتم نظم « شرفنامه » في عام ٥٩٧ هـ ، فقال : « نظمت هذه المنظومة في الدنيا ، لتبقى فيها إلى يوم القيامة ؛ وأتممتها في وقت الزوال من اليوم الرابع من شهر الحرم ، لسبعة وتسعين وخمسمائة عام خلت بعد الهجرة ^(٢) » . أما « خردنامه وإقباننامه » فقد رجحت أنه كان ينظم فيهما في عام ٥٩٩ هـ ، لأن الشاعر صرح بهذا التاريخ ، وأشار إلى أنه كان في سن الستين ، كما رجحتُ

= سبباً فيما نجده في الجزءين التلحقين بحكمة الإسكندر ونبوته من اضطراب - أحياناً - يشعر بأن أجزاء منها قد حذفت ، أو سقطت في أثناء النسخ ، فأصبح يضمهما مجلد واحد - في صورتها الحالية - مما يستتبعه من الدراسة .

(١) چو شد نیمه زاین بنا مهره بست مرا نیمه عالم آمد بدست
دگر نیمه را گر بود روزگار چنان گویم از طبع آموزگار
(نظامي : شرفنامه ، ص ٥٢٤)

(٢) بگفتم من این نامه را در جهان که تادور آخر بود در جهان
بتاریخ پانصد نود هفت سال چهارم محرم بوقت زوال

آن نظمها تم في عام ۶۰۳ هـ ، حينما كان الشاعر في منتصف الرابعة والستين من عمره .

* * *

وقدم الشاعر « شرفنامه » لنصرة الدين أبى بكر أتابك آذر بيجان - كما مرّ - لأنه اعتبره بطلا مظفراً كالإسكندر ، ولا ندرى أية جائزة حصل عليها الشاعر مكافأة له على عمله ، لأنه لم يذكر أكثر من قوله : « الحمد لله الرحيم ، رب العالمين ، لأن إنصاف الوالى أكثر من قصة الإسكندر ^(۱) » .

غير أننا لا نعرف - على وجه التحقيق - نوع هذا الإنصاف ، ومقداره . أما « خردنامه وإقبالنامه » ، فقد قدمها لمر الدين مسعود أتابك الموصل ، كما سبق . وحاول أن يظفر منه بجائزة عظيمة فخطبه بقوله : « اشرب كأساً من إناء نظامى - على طريقة الملوك القدماء - فستأخذ بها حق الشاهنامه من السلطان محمود ^(۲) » ، لأنها تشبه كأس الفردوسى ، فأنت وأنا وارثان لمنجمين قديمين ، فلك منجم السخاء ، ولى منجم الكلام ، وقد أصبح من حق أن أظفر بالجائزة التى حُرِمَ منها الفردوسى ^(۳) » .

(۱) سیداس از خرداوند گیتی بناء که بیشت از اینقصه إنصاف شاه

(نظامى : شرفنامه ، ص ۶۵)

(۲) يقصد الشاعر السلطان « محمود الغزنوى » الذى قدم الفردوسى له منظومته « شاهنامه » ، ولم يظفر بالجائزة التى كان يتوقعها ، ويعتبر نظامى نفسه وارثاً للفردوسى ، وجسديراً بأن يأخذ جائزته من الوالى ، لأنه أهل لأن تنسب إليه المنظومتان معاً : منظومة الفردوسى ، ومنظومته .

(۳) زکاس نظامى یکى طاس مى خورى هم بآیین کاوس کی

ستانى بدان طاس طوسى نواز حق شاهنامه ز محمود باز

دو وارث شمار از دوکان کهن ترادر سخا و مرا در سخن

بوامى که ناداده باشد نخت حق وارث از وارث آید درست

(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ۳۵)

وبین اللوای أنه لم یذكر أحداً غیره ، حتی لا یقرَّب شاعراً سواه ، فقال :
« أرسلتُ إلیک تذکاراً قِیّاً لملل عظیم ، وحاشا أن أذكر اسم شخص غیرک ،
فأذكرنی بهذا التذکار^(۱) » .

وقرر أنه أرسل عمله مع ابنه لیرجع إلیه محمّلاً بالعطاء ، فقال : « لقد أرسلتُ
إلیک روحی ، وأرسلتُ مع الروح قلّة کبدی ، فردّها إلیّ محمّلة بعطاء أكثر
مما أتصور^(۲) » .

ولا ندری - كذلك - أی عطاء وصل إلی الشاعر ، ولو أن هناك أیّاناً
- فی آخر المنظومة - تشير إلی مكافأته علی عمله^(۳) ؛ ولكنها تُذكر فی الحاشیة ،
علی أنها آیات ملحقة .

ولعل وفاة الشاعر بعد تقدیم المنظومة بمدة وجيزة ، هی التي لم یتمکنه من
إثبات نوع العطاء ، إن كان هناك عطاء .

* * *

۳ - سبب نظم قصّة الإسکندر :

لم یذكر نظامی سبباً لاختیاره قصّة الإسکندر المقدونی ، بعد نظمه قصّة
« بهرام کور » ، ولم یشر إلی أن أحداً من الحکام طالب منه نظمه^۱ ، وكل

(۱) اگرچه من آذربهرکاری بزرگ فرستادمت یادکاری بزرگ
مبادا ز تو جز توکس یادکار وزین یادکار این سخن یاددار
(نظامی : خردنامه وإقبالنامه ص ۳۶)

(۲) چو من زل خاص توجان داده ام جگرنیز باجان فرستاده ام
چنان بازگردانش از نزد خویش کز امید من باشد آن رفق بیش
للرجع السابق ، ص ۲۸۶)

(۳) للرجع السابق ، ص ۲۹۴ . وقد ذكرت الآیات نوع المكافأة ، ولكن
دستگردی بقول إن الآیات ملحقة ، ولیست من نظم الشاعر .

ماقرره هو أن هاتفاً نصحه بنظمها^(١) ، وهى طريقة اتبناها قبل ذلك حتى يبرر شروعه فى نظم جديد .

وليس فى قصة الإسكندر مناظر حب ؛ حتى نقول إنها شجعت على اختيارها ، كما اختار سابقها لهذا الدبيب .

ونحن نرجع أن الدافع الذى حفز نظامى إلى نظم قصة الإسكندر هو أنه كان شيخاً هرمًا يريد أن يختم حياته بصورة ليس فيها لغو ولا تأثيم ، فابتعد عن قصص العشق ، واختار قصة بطل مؤمن موحد ، ونهى - فى رأيه - يدعو الناس إلى العدل والإصلاح .

ولعل وجود قصة الإسكندر فى عصره فى صورة نثرية - كما سيأتى - هو الذى شجعه على نظمها ، لأن ذلك جمل مهمته أسهل ، وسبيله أيسر .

* * *

وسنمعرض فى الفصول التالية شخصية الإسكندر - كما صورها نظامى - من جوانبها الثلاثة ؛ فنصور بطولته ، وحكمته ، ونبوته ، ثم نقارن هذه الصور ، بتصور الفردوسى لشخصية الاسكندر - فيما نظمته عنه فى منظومته «شاهنا» - حتى يمكننا أن نقدّر عمل نظامى تقديرًا صحيحًا .

الفصل الثانی

بطولہ الاسکنر کا صورتاً نظامی فی شرفنامہ

بدا نظامی « شرفنامہ » بمقدمة تقليدية^(۱)؛ تحدث فيها عن توحيد الله ، ومناجاة ، ومدح الرسول ، وذكر معراج ، كما تحدث عن سابقة نظم شرفنامہ ، وذكر أنه كان في حالة مراقبة فسمع هاتفاً ينصحه بنظم القصه ، ثم تحدث عن الشيخوخه ، وعن تقدم منظومته على كل ماسبقها من منظومات ، وذكر السبب في قوله : « إن المنظومات الأخرى - التي تجدها قبل ذلك - ليست صحيحة في نظر الشعب ، فلا ينبغي أن تحرف هذه القصه ، وأن تكتب في صور مختلفة ، فنظومتى لها شرف على غيرها من المنظومات بفضل الدقة في النظم ، وقد سميتها كتاب الشرف ، لاشتغالها على قصه الإسكندر ، وهي تشرف الملوك^(۲) .

ثم أشار إلى صنيع الفردوسي فقال : « إن الشاعر السابق الفردوسي عالم طوس زبني وجه النظم كالبروس ، واسكنه ترك أشياء لم يذكرها في منظومته التي نظم فيها الجواهر ؛ ولو نظم كل ما روى منذ القدم لأصبحت القصه مطولة . فحذف منها كل ما لم يوفق هو (ويتمشى مع فكرته) ، ونظم الأشياء التي لم يكن هناك بد من ذكرها ، فترك بذلك بقية الأصدقاء ، لأنه لا ينبغي أن

(۱) نظامی : شرفنامہ ، ص ۴۲-۶۷ .

(۲) دیگر نامہ ہا را کہ جوئی نخست
بجہم پور ملت نباشد درست
نباشد چنین نامہ تزویر خیز
نہشتہ بچندین قلمهای تیز
بنیروی نوک چنین خامہ ها
شرف دلرد این بردگر نامہ ها
از آن خسروی می کہ در جام اوست
شرفنامہ خسروان نام اوست
(نظامی : شرفنامہ ، ص ۴۹-۵۰)

یأكل الحلوى وحده^(۱) .

وختم المقدمة بقوله : « حينما شرع نظامی فی نظم القصة ، ترك كل ما ذكره للفردوسی ، ونظم ما وجدته في الاسكندر من جواهر غير منظومة ، فجدد بنظمها الأحاديث القديمة ، وجعلها مشهورة ، ذائعة الصيت^(۲) » .

وذكر أن الخضر علمه كيفية نظم القصة^(۳) ، ثم أخذ في سردها ، فأجملها في أبيات قليلة ؛ قائلا : « كان الإسكندر ملكاً سائحاً ، يعد للفر عذته ، فطاف أركان العالم الأربعة ، ورآها ، لأن الملك لا يبنى إلا على أربعة أركان^(۴) » .

وأشار إلى جلوسه على العرش فقال : « فلما طوى عمره صحائف العشرين عاماً دق طبول الملك ، وحينما بلغ عمره السابعة والعشرين صار نبياً ، يطوف

(۱) سخنگوی پیشینه دامای طوس

که آراست روی سخن چون عروس
در آن نامه کان گوهر سفته راند
بسی گفتنهای ناگفته ماند
نگفت آنچه رغبت پذیرش نبود
همان گفت کزوی گزیرش نبود
دگر از پی دوستان زله کرد
که حلوابتنها نشایست خورد
(نظامی : شرفنامه ، ص ۵۰-۵۷)

(۲) نظامی که در رشته گوهر کشید
قلم دیده‌ها را قلم درکشید
بناسفته دری که در گنج یافت
ترازوی خود را گهر سنج یافت
شرفنامه را فروخ آوازه کرد
حدیث کهن را بدو تازه کرد
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) للمرجع السابق ، ص ۵۰ .

(۴) اسکندر که شاه جهان گرد بود
بیکار سفر توشه پرورد بود
جهان را همه چارحد گشت و دید
که بی چارحد ملک نتوان خرید
(المراجع السابق ، ص ۷۰)

العالم لیبلغ رسالته^(۱) .

« وقد بنی - فی کل رحلة قام بها - مدینة فی کل ناحية من أنحاء العالم ، من الهند إلی أقصى الروم^(۲) » .

« فكان کالمهندس لماهر الذی یقیس العالم من ساحل إلی ساحل ، فذرع الدنیا بهذه الهندسة ، وأراحها من المم^(۳) » .

ثم أخذ الشاعر یفصل ما أجمله ، فسجل تاریخ الإسکندر ، وبدأ بذکر والده « فیلقوس^(۴) » فقال « کان من بین ملوک الروم ملک مشهور اسمه فیلقوس بسط نفوذه علی الروم والروس ، وكان موطنه بلاد اليونان ، ومقر حکمه إقليم مقدونية^(۵) » .

(۱) چو عمرش ورق راند بریست سال

بشاهنشهی بردهل زد دوال

دویم ره که بریست افزود هفت پیشمیری رخت بریست ورفت

(نظامی : شرفنامه ، ص ۷۱)

(۲) بهر گردش کرد پرگار دهر بنا کرد چندین کراغیایه شهر

ز هندوستان تا بأقصری روم برانگیخت شهری بهر مرزوبوم

(نفس الرجع والصفحة)

(۳) بدینگونه مساح منزل شناس ز ساحل بساحل کرفت قیاس

جهان را که از غم براحه کشید بدین هندسه در مساحت کشید

(المرجع السابق ، ص ۷۳)

(۴) ذکر نظامی اسم والد الإسکندر علی أنه « فیلقوس » وهو قریب من التسمية

المعروفة « فیلیپوس » أو « فیلیفوس » ،

(۵) که از جمله تاجداران روم جوان دولتی بود ازان مرز وبوم

شهی نامور نام او فیلقوس پذیرای فرمان او روم وروس

یونان زمین بود مأوی او بمقدونیه خاص تر جای او

(نظامی : شرفنامه ، ص ۸۰)

و نحدث عن أصل الإسكندر ، فقال : « إن في هذه القصة أقوالاً كثيرة ، وقد اطلعت على هذه الأقوال جميعها ^(۱) » .

ثم سرد بعض الأقوال ، فذكر ما روى من أن فيلقوس تبنى الإسكندر ، فقال « رأى فيلقوس امرأة ميتة في الصحراء - في أثناء الصيد - وكان على جثتها طفل يرضع إصبعه من قلة اللبن ، وكأنه يعض إصبعه حسرة على موت أمه ؛ فأمر أتباعه بالإسراع بدفن الأم ، وحمل الطفل من الطريق ، ثم أخذه ، وراه ، ودلّه ، وجعله ولياً لعمده ، فكانت هذه صدفة غريبة ، تدعو إلى الدهشة ، والتمجب ^(۲) » .

وأورد ما روى من أنه إيراني ، فقال : « وهناك رأى آخر يذكره الجوس ، فيربطون نسبة بدارا ^(۳) » .

وذكر أنه أهل كثيراً من الآراء الأخرى ، فقال : « وهناك أقوال أخرى ليست صحيحة ، لا يجد الشاعر نفسه حريصاً على إبرادها ^(۴) » .

(۱) در این داستان داورها بیست مرا گوش برگفته هر کیست
(نظامی شرفنامه ، ص ۸۱)

(۲) زنی دید مرده بدان رهگذر
زنی شیری انکشت خود میگزید
بمادر برانگشت خود میگزید
بفرمود تا چاکران تاختند
بکار زن مرده پرداختند
ز خاک ره آن طفل را برگرفت
فرماند از آن روز بازی شکفت
پس از خود و لبعده خود ساختن
برد و پرورد و بنواختن

(المرجع السابق ، ص ۸۱-۸۲)

(۳) دگر گونه دهقان آزر پرست
بداراکند نسل او باز بست

(المرجع السابق ، ص ۸۲)

(۴) دگر گفتا چون عیاری نداشت
سخنگو بر آن اختیاری نداشت

(نفس المرجع والصفحة)

و ختم بذکر رأیه هو الذی یعیل إلى أن الإسکندر هو الابن الحقیقی لفیلقوس ،
فبیّن أن والدته « كانت زوجة شرعیة للملک فیلقوس » ، وكانت عروساً جمیلة
عقیقة^(۱) .

وتحدث عن حملها بالإسکندر ، وصور وضعه على أحسن فال ، وأجل طالع
« فسر الملک بانه حسن الحظ ، وجلس على عرشه ، ومنح الناس کثیراً^(۲) » .
ثم أشار إلى تریبة الإسکندر على يد « نوماجس » والد أرسطو ، « وكان
أرسطو زمیلاً له فی الدراسة ، وكان یتفانى فی خدمته^(۳) » .

وتحدث عن جلوسه على العرش ، ووصف عدله ، فقال : « امتلأت الدولة
بعدله ، فجدد بذلك عهد أبیه ، وأجرى ما أعجبه من القوانين التي استعملها
والده^(۴) » .

ولم یفکر فی إبداء أحد ، ولم یبعد نفسه عن جادة العدل ، فرغ المضرائب
عن التجارة ، ولم یفرض خراجاً على المذنبین ، فمافی الزراع ، ومنح الفقراء ،
فکان یعمّر الدولة ویسعدّها ، ویقضى على ما فیها من فساد ، ویحل محلّه

- (۱) که در بزم خاص ملک فیلقوس بق بود یا کجیزه ونوعروس
(نظامی : شرفنامه ، ص ۸۲)
(۲) شه از مهر فرزند پیروز بخت در کنج بگشاد و برشد بتخت
(المرجع السابق ص ۸۳)
(۳) أرسطو که همدرس شهزاده بود بخدمتگر دی دل بدو داده بود
(المرجع السابق ، ص ۸۶)
(۴) ولایت ز عدلش پر آوازه گشت بدو تاج و تخت پدر تازه گشت
همان رسمها کز پدر دیده بود نمود آنچه رایش پسندیده بود
(المرجع السابق ، ص ۹۱)

الإصلاح^(۱) .

ثم ذكر أن فتوحه كلها تأثرت بهذه العاطفة ؛ عاطفة حب العدل ، وإنصاف
الظالمين .

وبدأ الشاعر الحديث عن بطولة الإسكندر ، فابتدأ بالفتح المصري ، وبين
أن سببه كان تظلم المصريين من الزوج ، الذين سدوا مسالك الصحراء^(۲) . فأمر
أن يسير جيشه ، محاذياً لنهر النيل حتى يصل إلى الصحراء^(۳) . ثم بدأت الحرب
بينه ، وبين الزنج ، فحمل كل من الطرفين على الطرف الآخر من الصباح إلى
المساء دون أن يجرح واحد منهم^(۴) .

ثم اشتدت الحرب^(۵) في الأيام التالية ، واتحصر الإسكندر في النهاية ،
« وغنم غنائم كثيرة ، لم تستطع الإبل حملها ، فأقام معابر كثيرة ، لمرور القيلة
وهي تحمل الغنائم الثمينة^(۶) » .

- (۱) بآزردن کسی نیاورد رای
بیازارگانان رها کرده باج
زدیوان دهقان قلم برگرفت
عمارت همیکرد وزر میفشاند
- (۲) (نظامی : شرفنامه ، ص ۹۲-۹۳)
که شد دریابان گذرگاه تنگ
- (۳) (المرجع السابق ، ص ۹۵)
بفرموده کز لب رود نیل
کند لشکرش سوی صحرا رحیل
- (۴) (المرجع السابق ، ص ۹۶)
یکی زخم کاری نینداختند
- (۵) (المرجع السابق ، ص ۱۲۴)
(۶) (المرجع السابق ، ص ۹۸-۱۳۶) فی تصویر مناظر الحرب ،
وسیر المعارك بین الإسکندر والزنج .
- (۷) ز صحرا غنیمت بر آورده کوه
ز بس گنج آکنده بر پشت نیل
ز گوهر کشیدن هیونان ستوه
بعد جای پل بسته برود نیل
- (۸) (المرجع السابق ، ص ۱۳۶) .

« وبنی - بعد النصر - أول مدينة على ساحل البحر ، وجعلها رائعة كالربيع الأخضر ، مشرقة كالجنة ، وأقام - في أنحائها - الأسواق العامرة ، والمزارع الناضرة ، ولما أكل بناءها سماها الإسكندرية ^(۱) » .

« ثم أرسل الهدايا إلى ملك الفرس دارا ، فوصلت إلى مدينة بخارى ، وأرسل معها رسولا عاقلاً ، يُخَيِّن أداء المهمة التي كُلِّف بها ، وكانت الهدايا منتقاة من أثمن الثمنائم التي غنمها ، فكانت رائعة لم تر العين مثلها ^(۲) » .

« فلما أبصر دارا هذه الهدايا العظيمة ، أكل الحسد قلبه . . . فأجاب إجابة تافهة ، لم تُعْجِب الإسكندر ، فاغتاظ من فعله ، وصمم على تأديبه ^(۳) » .

وقطع الإسكندر الجزية التي كان يرسلها إلى دارا ، كما كان والده يرسلها من قبل ؛ فاستاء دارا ، وأرسل في طلبها ، ولكن الإسكندر رفض ، ورد رداً جافاً فيه تحذيره من بطشه ، واستشهاد بحروبه مع الزنج ، وتنكيله بهم ، قائلاً : « لعل الملك لا يعرف عدد الرؤوس التي قُطِعت في الحروب ، وإلى أين

(۱) نخستین عمارت بدربار بناکرد شهری چو خرم بهار

بآبادی وروشنی چون بهشت همش جای بازار و هم جای کشت

باسکندر آن شهر چون شد تمام هم اسکندریه ش نهادند نام

(نظای : شرفنامه ، ص ۱۳۶-۱۳۷)

(۲) چو نوبت بسر بخش دارا رسید شتر بار زر تا بخارا رسید

گزین کرد مردی بفرهنگ و رای که آیین آن خدمت آرد بجای

گزید از غنیمت طرایف بی کز آنسان نیند طرایف کسی

(المرجع السابق ، ص ۱۳۸)

(۳) شکوید دارا ز زلی چنان حسد را برونیز تر شد عنان

.....

فرستاده آن پاسخ سرسری نبوشید برای اسکندری

سکندر شد آزرده از کار او نهانی همیداشت آزار او

(المرجع السابق ، ص ۱۳۹)

بلفت حملتی ، و کم صرعتُ من الأبطال !... (۱) .
 « فلما سمع دارا جواب الإسكندر زجر غضباً ، وتميز غيظاً ، وقال : كيف يتناول هذا الملك الثأفه على دارا !؟ ... (۲) » .
 وبدأت الحرب بين الطرفين ، « وكانت حرباً شديدة لاهوادة فيها ، فسكانت أصوات الصرعى تتداخل مضطربة حتى ليخيل إليك أن الأرض قد وُزِلَتْ زلزالها ، وأن إسرائيل نفخ في الصور إيذاناً بقيام الساعة (۳) » .
 « وكان الجيشان يهجمان كالجراد والنمل ، وكان الحرب بين عالمين (۴) » .
 ثم « تقدم ضابطان من ضباط دارا - المقر بين إليه في الظاهر ، والخاصين في الحقيقة - إلى الإسكندر ، وأظهرا له أنهما ضاغا ذرعاً بظلم دارا وغدره ، ففقداه عليه . ثم بكتا أنهما يريدان إراقة دمه ، وقد رتباً خطة محكمة لقتله . وطلبا الأمان على روحيهما من الإسكندر (۵) » .

(۱) مگر شه نداند که در روز جنگ چه سرها بریدم در اقصای زنگ

(نظامی : شرفنامه ، ص ۱۵۸)

(۲) چو دارا جواب سکندر شنید یکی دورباش از جگر برکشید

که بی سکه را چه یارا بود که هم سکه نام دارا بود
 (نفس المرجع والصفحة)

(۳) روا رو برآمد ز راه نبرد هزاهز در آمد بمردان مرد

زمین گفتی از یکدیگر بردید سرافیل سور قیامت دمید

(المرجع السابق ، ص ۱۹۹)

(۴) دولشکر چو مور و ملخ تاختند نبردی جهان در جهان ساختند

(المرجع السابق ، ص ۲۰۳)

(۵) بدارا دوسرهنک بودند خاص باخلاص نزدیک و دور از خلاص

زیساد دارا بجان آمده دل آزدگی در میان آمده

بران دل که خوریز دارا میکنند براو کین خویش آشکارا کنند

چو زینگونه بازاری آراستند بجان از سکندر آمان خواستند

(المرجع السابق ، ص ۲۰۵)

وقبل الإسكندر فكرتهما ، حقناً للدماء فقالا : « إننا نريد قتله غداً لنخلص الدولة من ظله ^(۱) » .

فلما جاء الغد نفذوا ماديّهما ، مما صورّه الشاعر في قوله : « مدّ الضابطان الفادران أيديهما إلى جسم الملك الضخم - كأنهما فيلان ثملان - وضرباه بسهم في جنبه ، فتلونت الأرض بدمه ، وأصبحت كالروض المملوء بالورود الحمراء ، ثم خرّ دارا صريعاً بسبب ذلك الجرح ، فتزلزلت الأرض ، وكأن يوم القيامة قد حلّ بها ^(۲) » .

« وحينما علم الإسكندر أن هذين الضابطين الأحقّين تجاسرا على إراقة دم الملوك ندم على عهده ؛ الذي أعطاهما لأنه شوه به اسمه ، ورفع العصمة عن روحه ^(۳) » .

وأمر بقتل الضابطين ، ثم توجه إلى حيث يلفظ دارا أنفاسه الأخيرة ، ووضع رأسه على فخذه (فسكان كن) وضع الليل المظلم فوق النهار المشرق ،

(۱) بخواهيم فردا براو تاختن زيبداد أو ملك برداختن
(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۰۶)

(۲) دو سرهنک غدار چون یل مست
بران یلتن برگشادند دست

زدندش یکی تیغ پهلوكندار

که ازخون زمین گشت چون لاله زار
دراقتاد دارا بدان زخم تیز زکیق برآمد یکی رستخیز
(المرجع السابق ، ص ۲۱۴)

(۳) سکندر چو دانست کان ابلهان دلیرند برخوف شاهشهان
پشیمان شد از کرده بیان خویش که برخاستی عصمت ازجان خویش
(نفس المرجع والصفحة)

فأخضع ذلك الجسد النائم عينيه ، وقال له : قم من هذا التراب والدم ، ودعني ، فلم يبق لي نجاة ، ولم يبق لمصباحي ضياء ^(۱) .

ثم أخذ دارا يفخر بما كان له من عظمة ، وبأنه كان ملك العالم ، وطلب منه ألا يحرکه ، حتى لا تُزَلزل الأرض ، قائلاً : « أما ملك على الأرض . فلا تهزني ، حتى لا تهز الأرض » ^(۲) .

فتأثر الإسكندر ، وقال : « أيها الملك . أنا لإسكندر خادملك » ^(۳) . وأظهر له أنه لم يكن راغباً في قتله ، وأنه أسف لما حدث ، قائلاً : « في رأيي أن رأس شجرة منك أعلى من آلاف التيجان » ^(۴) .

وقال إنه لا فائدة من الندم بعد أن حُمَّ القضاء ، ثم رجاه أن يطلب كل ما يريد ، ووعدته بتنفيذ جميع رغباته ، قائلاً : « قل كل ما عندك من رغبات ، حتى آمر بتنفيذها ، وإني أعدك بذلك » ^(۵) .

فأجاب دارا : « لي رغبة في ثلاثة أشياء ، أرجو أن تتحقق فضلك ياملك

(۱) سرخسته را بران نهاد شب تیره بر روز و خشان نهاد

فروسته چشم آن تن خوابناك بدوگفت برخیز ازین خون و خاک

رها کن که در من رهائی نماند چراغ مرا روشنائی نماند

(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۱۵)

(۲) زمین را منم تاج تارک نشین ملرزان مرا تا نلرزد زمین

(المرجع السابق ، ص ۲۱۶)

(۳) سکندر بنالید کای تاجدار سکندر منم چاکر شهریار

(نفس المرجع والصفحة)

(۴) بنزدیک من یکسر موی شاه گرامیت از صد هزاران کلاه

(المرجع السابق ، ص ۲۱۷)

(۵) بگو هرچه داری که فرمان کنم بچاره گری باتو بیان کنم

(المرجع السابق ، ص ۲۱۸)

العالم . أولها : أن تنص لي عن قتلي بغير ذنب . وثانيها : ألا تقضي - حينما تصير ملكا (على إيران) - على أحد من كانوا على عرش السكيانيين . . فانزع من قلبك بذور الحقد ، ولا تنظف الأرض من نسلنا وثالثها : ألا تنتهك حرمة منزلي ، فارفع قدر ابنتي « رُوشنك » بأن تزوجها ، فقد ربّيتها تربية سامية لطيفة ، فلا تُبعد قلبك المشرق عنها ، لأن العرش يرتفع بالملكات الفاضلات ، ولأن الشمس يحسن أن يلازمها النور^(۱) .

« فقبل الإسكندر منه كل ما قاله . وقام القابل ، ومات القاتل^(۲) » .

ثم جلس الإسكندر على عرش دارا « وفتح خزائنه لكل إنسان ، ومنح الناس عطاء جزيلاً ، ورَبَّ لكل إنسان ما يليق به من عمل ، فأسمد البائسين^(۳) »
« فلما رأى الإيرانيون ذلك العطاء ، دانوا له بالولاء ؛ فأطاعوه ، وارتفعوا

(۱) سه چیز آرزودارم اندر نهان براید باقبال شاه جهان
یکی آنکه برکشتن ییگناه تو باشی درین داوری داد خواه
دویم آنکه بر تاج و تخت کیان چو حاکم تو باشی نیاری زیان
دل خود پردازی از تخم کین نپردازی از تخمه ما زمین
سوم آنکه بر زیر دستان من حرم نشکنی در شبستان من
همان روشنگ را که دخت منست بدان نازکی دست پخت من
بهم خوانی خود کی سر بلند که خوان گردد از نازکان ارجند
دل روشن از روشنگ سرمتاب که باروشنی به بود آفتاب
(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۱۹)

(۲) سکندر پذیرفت از و هر چه گفت پذیرنده برخاست گوینده خفت
(نفس المرحم والصفحة)

(۳) در گنج بگشاد بر هر کی خزینه بسی داد و گوهر بسی
همان کار هر کی پدیدار کرد بدان خفتگان بخت بیدار کرد
(المرحع السابق ، ص ۲۲۷)

بفضله حق جاوزوا عنان السماء ، واستحسنوا أعماله ، ودعوا له بالتوفيق والنصر^(۱) .
 « ثم أمر الإسكندر الإيرانيين بأن يتركوا عبادة النار^(۲) » .

وهكذا قضى على هذه العبادة ، وحطم بيوتها ، وأحرق « الأوستا » - كتاب
 الإيرانيين المقدس - ثم « أمر الناس بعبادة الله وحده ، وبأن يتبعوا الدين
 الخفيف ، ويبتعدوا عن عبادة الشمس والقمر^(۳) » .

وَبَرَّ الإسكندر بوعده ، فتزوج « روشنك » ، « وتوجه إلى اصطخر ، وجلس
 على عرش كيومرث وكيقباد ، فترين به ملك إيران ، وقوى به الأبطال ،
 وهناه المغلاء ، لأنهم ارتفعوا بمثل هذا الملك العظيم^(۴) » .

ثم عزم الإسكندر على الطواف حول العالم لإصلاحه ، وإنقاذه من الظلم ،
 فأرسل زوجته الشابة « روشنك » إلى بلاد الروم ، بإرفاقها أرسطو .

« وأمر بجمع السكتب الفارسية ، في أسرع وقت ثم اقتبس من كل حكمة

(۱) چو ایرانیان آن دهنش یافتند سر از چنبر سرکشی نافتند
 نهادند سر برزمین یکزمان کله گوشه بردند بر آسمان
 گرفتند بر شهریار آفرین که یار توبادا سپهر برین
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۲۲۷)

(۲) سکندر بفرمود کایرانیان کشایند از آتش پرسق میان
 (المرجع السابق ، ص ۲۳۹)

(۳) بفرمود تا - مردم روزگار جز ایزد پرسق ندارند کار
 بدین حینی پناه آورند همه پشت بر مهر و ماه آورند
 (المرجع السابق ، ص ۲۴۰)

(۴) باصطخر شد تاج بر سر نهاد بجای کیومرث وکیقباد
 شد آراسته ملک ایران بدو قوی گشت پشت دلیران بدو
 بزرگان بدو نهیت ساختند بدان سر بزرگی سر افراختند
 (المرجع السابق ، ص ۲۵۸)

صنوقاً ، وجعلوا كلاً منها في مجلد ، وأرسلها - مع المترجمين - إلى بلاد اليونان ،
لترجم من لغة إلى لغة أخرى ^(۱) .

ثم توجه الإسكندر صوب المغرب « وعزم على زيارة الكعبة » ^(۲) ليحظى
ببركتها ، وكان مسروراً بهذا القول الحسن ، فتوجه بجيشه نحو بلاد العرب
بعد أن استتب له ملك المعجم ، واتخذ طريق الصحراء ، وكانت الإبل تحمل
ما عنده من ذهب وغانم ، فأحسن رؤساء العرب استقباله ، وأطاعوه ، فلم يكادوا
ييصرون جيشه المظفر ، حتى نفذوا جميعاً أمره ^(۳) .

ثم توجه لزيارة الكعبة « وطاف حولها الطواف المفروض ، وقبل بابها ،
وذكر الله - ناصره - كثيراً ، وسجد أمام بابها ، ومنح الفقراء بسطاء » ^(۴) .

(۱) کتب خانه پارسی هر چه بود اشارت چنان شد که آرند زود
سخنهای سربسته از هردوی زهر حکمی ساختند دقتری
یونان فرستاد با ترجمان نبشت از زبانی بدیگر زبان
(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۶۸)

(۲) يبدو أن زيارة الإسكندر للكعبة من إضافات المسلمين على قصته ، 'يدعموا
فكرتهم عنه ، وليثبتوا أنه كان موحداً ، يتبع الدين الحنيف ، ولم يكن من الشرکین ،
مما جعله يدعو الناس إلى التوحيد ، وترك عبادة النار .

(۳) همان کعبه را نیز بیند جمال شود شاد از آن نقش فیروز فال
چو ملک عجم رام شد شاه را بملک عرب رافد بنگاه را
بخروارها کنج زر برگرفت بعزم بیابان ره اندر گرفت
سران عرب را زرافشان او سر آورد بر خط فرمان او
چو دیدند فیروزی لشکرش عرب نیز گشتند فرمانبرش
(للرجع السابق ، ۲۷۱)

(۴) طوافی کز او نیست کس را کزیر بر آورد وهد خانه را حلقه گیر
نخستین در کعبه را بوسه داد پناهنده خویش کرد یاد
بر آن آستان ز دسر خویش را خزینه بسی داد درویش را
(للرجع السابق ، ص ۲۷۲)

« وبعد التعمد والزيارة ، اتخذ طريق بلاد اليمن ، وفتحها ^(۱) » .
 « ثم توجه صوب المراق ، وعزم على التوجه إلى بلاده غير أن رسالته وصلت إليه من آذر بيجان ، تدعوه إلى إصلاح شأن بلاد الأرمن ، وعدم إغفالها ، كما أصلح العالم ، وأخذ صوت الظلم ^(۲) » .
 فسار الإسكندر إلى هذه الديار ، ورتب شئونها ، كما أصلح بلاد الأنجاز ، فخصع الملوك - جميعاً - له ، وأصبحوا يؤدون له الخراج ^(۳) » .
 ثم علم أن « بردعة » تحكمها ملكة عاقلة اسمها « نوشابه ^(۴) » ، وأن مملكتها في رقي مطرد ، « وأن في بلاطها ألفاً من اللفتيات الأبقار الجليات كالآقار ، يقمن بمخدمتها . هذا بالإضافة إلى ثلاثين ألف قارسة ماهرة .. وليس على بابها أحد من الرجال ، رغم أن بعضهم أفراد في عائلتها ^(۵) » .

(۱) چو شرط پرستش بجای آورید اُدیم یمن زیر پای آورید
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۲۷۳)

(۲) دگر ره در آمد بملک عراق سوی خانه خویش کرد اتفاق
 بریدی در آمد چو آزادگان ز فرمانده آذرآبادگان
 که شاه جهان چون جهان رام کرد ستم را ز عالم نهی نام کرد
 چرا کار ارمن فروهشت ست نکرد آن بروم را بازجست
 (نفس المرجع والصفحة)

(۳) المرجع السابق ، ص ۲۷۳ - ۲۷۵ .

(۴) ذکر الفردوسی في منظومته « شاهنامه » ، ج ۴ ، ص ۳۳ . اسم ملكة بردعة على أنه « قیدافه » و يبدو أن هذا الاسم أصح من « نوشابه » الذي ذكره نظامی ؛ لأنه يذكر في اليونانية على أنه : Gandace ، وهو قريب من « قیدافه » .

(۵) هزارش زن بکر در پیشگاه بخمدت کمر بسته هریک چو ماه
 برون از سکنیزان چابک سوار غلامان شمشیر زن سی هزار
 نکشتی ز مردان کسی بردرش وگر چند نزدیک بودی برش
 (نظامی : شرفنامه ، ص ۲۷۷)

فصم الإسكندر على السير بجيشه إليها ، ولكنه عدل عن هذه الفكرة ،
وآثر أن يذهب إليها في صورة رسول من قبل الإسكندر . « فأعد نفسه
كما يفعل الرسل ، وتوجه إليها في هيئة رسول »^(۱) .

وعلمت نوشابه بوصول « فزینت البلاط والطريق المؤدى إليه ، وصفت
الفتيات الجميلات مزینات بمختلف أنواع الزينة »^(۲) .

ثم أمرت بإدخال الرسول عليها ، فدخل بشجاعة ، واتجه كالأسد المغرور
نحو العرش ، ولم يخلع سيفه ، ولم يمنع كهادة الرسل »^(۳) .

وأخذت « نوشابه » تشك في أمر الرسول ؛ وكانت صورة الإسكندر
عندها^(۴) ، فأمهنته يوماً ، ثم أحضرت الصورة ، وأخذت تقارنها بوجه الرسول
حتى تأكدت من أنه هو الإسكندر نفسه ، ثم أطلعت على ذلك ، فأنكر ،
فأرته صورته ، فلما رآها « خاف ، واصفر لونه ، وتضرع إلى الله ، لكي يرعاه »^(۵) .

(۱) برسم رسولان براراست کار سوی نازنین شد فرستاده وار

(نظامی : شرفنامه ، ص ۲۸۱)

(۲) براراست نوشابه درگاه را بزر درگرفت آهنین راه را

پریچهرگانرا بسد گونه زیب صف اندر صف آراسته دلفریب

(المرجع السابق ، ص ۲۸۲)

(۳) فرستاده اُزدر درآمد دلیر سوی تخت شد چون خرامنده شیر

گر بند شمشیر نکشاد باز برسم رسولان نبردش نماز

(نفس للرجع والصفحة)

(۴) ذکر نظامی أن « نوشابه » حينما سمعت عن الإسكندر وشجاعته ، وغلبته

في الحروب ، وميله إلى الإصلاح . أرسلت أحد رساميه يرسم لها صورته ، لأنها
كانت تحب الاحتفاظ بصور المعطاء .

(۵) بترسید وشد رنگ رویش چوگاه بداری خود برد خودرا پناه

(المرجع السابق ، ص ۲۸۷)

« ولما عرفت نوشابه أن الأسد القوى قد خاف تطلقت، وقالت : أيها الملك الظفر ! .. كم أحدث الدهر مثل هذه الحيل ! ... فلا تفكر في شيء ، واعلم أن صداقتي أكثر من أي شيء آخر ؛ وأن هذا المنزل منزلك ، وأني لك جارية مطيعة ، وخادمة منقادة ، سواء في ديارك أم في ديارى ^(١) » .

ثم خلعت عليه حلماً كثيرة ، وأقامت له حفلاً عظيماً ، انصرف بعده مسروراً ؛ بعد أن خلع عليها ، وعلى من حولها هدايا قيمة ، وعطاء عظيماً .

ثم سار إلى جبال البرز ، وكان رجاله يحملون ثروته معهم ، ويسبرون ببطء لكثرة ما كان معهم من الجواهر والذهب ، حتى شعروا بالمشقة والتعب ، فشاور الإسكندر أصحابه في أمر هذه الجواهر ، فأشاروا عليه بدفنها تحت الأرض ، وإقامة طلسم عليها ، ففعل ذلك ^(٢) .

وواصل سيره حتى فتح قلعة « دربند » ، وسار منها إلى قلعة « سرير » حيث « أجلسوه على عرش كيخسرو ، ونثروا الأموال تحت قدميه ، وقدموا له خمر الظفر في الكأس التي كان الملوك القدماء يشربون فيها الخمر ^(٣) » .

« فقام الإسكندر من مكانه - احتراماً - حينما أبصر الكأس ، ثم شربها

(١) چودانست نوشابه كان تندش
 بدوگفت کای خسرو کامگار
 بی بازی آرد چنین روزگار
 همان خانه را خانه خویش دان
 هم آنجا هم اینجا یکی بنده ام
 ترا من کنیزی پرستنده ام
 (نظامی : شرقنامه ، ص ۲۸۲)

(۲) الرجع السابق ، ۳۱۱-۳۱۳ .

(۳) نشانند بر تخت کیخسروش
 در آن جام فیروزه ریزندی
 فشاندند بر سر تشارنوش
 بغیروزی آرند نزدیک وی
 (الرجع السابق ، ص ۳۲۹)

ولم يطلب غيرها^(۱) .

ثم ذهب الإسكندر إلى الهند عن طريق خراسان ، وكان ملكها « كيد » قد قرأ رسالته ، فأرسل الهدايا إليه ، على أن يتمه له بعدم الإغارة على بلاده . وكانت الهدايا أرباباً ذكرها الشاعر على لسان « كيد » فقال : « الأولى : أرسل ابنتي إلى الملك ، وهى فتاة جميلة كالشمس المشرقة ، وكالقمر المنير ، والثانية كأس من الشراب نادر الوجود ، لا ينقص الشراب بالشراب منها ، والثالثة فيلسوف يحمل المضلات ، والزراعة طيب عاقل ماهر ، يحمل المرضى أقوىاء^(۲) . » . وقبل الإسكندر الهدايا ، وتماهد معه ، ثم « سار من الهند إلى « التبت » وتوجه منها إلى أقصى الصين^(۳) » .

ولسكن ملك الصين رفض - أولاً - أن يدفع الجزية ، فأغار الإسكندر عليه ، « ففرغ قائد الصين ، وأخذ يتوجس خيفة من غارة الإسكندر من الليل حتى الصباح^(۴) » .

ثم انتهى الأمر بالصالح ، وعزم الإسكندر على الرجوع إلى بلاد اليونان ،

(۱) چوشه جام را دید بریای خاست بخورد آن یکی جام و دیگر نخواست

(نظامی : شرفنامه ، ص ۳۳۱)

(۲) یکی دختر خود فرستم بشاه چه دختر که تابنده خورشید و ماه

دویم نوش جامی زیاقوت ناب کزو کم نگرده ز خوردن شراب

سوم فیلسوف نهائی گشای که باشد بر از فلک رهنمای

چهارم یز شکى خردمند و چست که نالند گارا کنند تند رست

(المرجع السابق ، ص ۳۵۶)

(۳) ز هندوستان شد بتبت زمین ز تبت درآمد بأقصای چین

(المرجع السابق ، ص ۳۶۶)

(۴) سپه دار چین از شیخون شاه نبود ایمن از شام تا صبحگاه

(المرجع السابق ، ص ۳۸۷)

ولكن رسلا من « أرمينية » جاءوا إليه ، من قبل ملكها « دوال » ، وأخبروه بأن الروس قد هجموا على « بردعة » ، وحطموا ملك نوشابة ، فسار الإسكندر إليها ، ومر - وهو في طريقه إليها - على هضبة القيقاق حيث أُسر بحال نساءها ، وكن سافرات ، فطلب من زعماء القيقاق أن يأمرؤا النساء بتعطية وجوههن حتى لا يفرى جنوده بتنابتهم ، ولكن الزعماء أجابوا بأن هذه عادتهم ، وقالوا : « لما كان عدم النظر إلى الوجه القريب أفضل شرعاً ، فإن الوزر يقع على العين لا على الوجه السافر ^(١) »

ولكن الإسكندر استطاع - بواسطة طلسم - أن يحملهم على قبول ما أراد ، ثم واصل سيره إلى بلاد الروس ، حيث قامت الحرب بين الطرفين ، ودارت بينهما سبع معارك مختلفة ^(٢) ، انتهت بانتصار الإسكندر ، فهزّم الروس وقُتل منهم عددٌ كبير ، وقد أجهل الشاعر نتيجة هذه الحروب في قوله : « فأمعن حبش الإسكندر في الروس قتلا وأسرًا وشفقًا ^(٣) » .

وخلص الإسكندر « نوشابة » من الأسر ، وغنم غنائم كثيرة لانحسار ، ولا تمد .

ثم علم أنه أصبح قريباً من منطقة الظلام ، حيث يوجد ماء الحياة « فسر الإسكندر بتلك العين ، وأظهر للفرح والنبطة ^(٤) » .

(١) چودر روى ييكانه نادیده به جنایت نه بر روی بردیده به

(نظامی : شرفنامه ، ص ۴۲۶)

(۲) وصف نظامی هذه الحروب وصفاً دقيقاً مفصلاً في شرفنامه ، ص ۴۳۶-۴۷۳ .

(۳) زروسی بی خون و خوی ریختند گرفتند و کشتند و آویختند

(الرجع السابق ، ص ۴۷۶)

(۴) سکندر بدان چشمه زندگی بی کرد شادی و فرخندگی

(الرجع السابق ، ۴۹۸)

وسار فی الظلام بیعت - مع الخضر^(۱) - عن ماء الحیاة ، فعثر الخضر علی العین « فلما وجدها نزل ، وخلع ملابسه فی أسرع وقت ، واستحم فی هذا الماء ، وشرب منه بقدر ما استطاع ، فأصبح جديراً بالحیاة الأبدیة^(۲) » .
أما الإسكندر ؛ فقد ضل الطريق « وظل یبحث عنها أربعین يوماً ، فلم یثر لها علی أثر ، وظل فی الظلام^(۳) » .

وسمع هاتفاً ینصحه بالمودة ، لأنه لن یستطیع العثور علی العین « فیئس ورجع - فی النهاية - بعد أن سار فی ذلك الطريق وقتاً طویلاً^(۴) » .
« فلما وصل الإسكندر إلی بلاد اليونان ، كان قد حصل علی مفتاح كنز السعادة ، لأنه استفاد من رحلته علماً كثيراً ، ففتح - بذلك - باب الحكمة الإلهیة ، ثم وصل إلیه التکلیف بالنبوة ، فامتثل الأمر^(۵) » .

(۱) خلط نظامی قصة الإسكندر بقصة « موسى والعبد الصالح » الذی قیل إنه « الخضر » ، كما خلطها بقصة « ذی القرنین » ولعل السبب فی ذلك أن قصة « ذی القرنین » وردت فی القرآن بعد قصة « موسى والخضر » مباشرة فی سورة الکهف : آیات ۶۵-۹۸ .

(۲) چو با چشمه خضر آشنائی گرفت بدو چشم او روشنائی گرفت

فروید آمد و جامه برکنند چست سرو و تن بدان چشمه پاک شست

وزو خورد چند آنکه بر کار شد حیات ابد را سزاوار شد

(نظامی : شرفنامه ، ص ۵۱۰)

(۳) چهل روز در جستن چشمه راند براوسایه نمکند و در سایه ماند

(المرجع السابق ، ص ۵۱۲)

(۴) ازان ره که او عمر پرداز گشت چو نوید شد عاقبت باز گشت

(نفس المرجع والصفحة)

(۵) چوشه باز بر تخت یونان رسید بدو داد کنج سعادت کلید

زدانش بی مایه ساز کرد در حکمت ازدی باز کرد

چو فرمان رسیدش پیغمبری نیچید کردن ز فرمانبری

(المرجع السابق ، ص ۵۲۲)

وهكذا ختم نظامى حديثه عن بطولة الإسكندر ، بعد أن صور رحلاته ،
وحروبه ، وفتوحه ، ومهد للحديث عن حكمته ، ونبوته . وهما الجانبان المكملان
لشخصية الإسكندر عند نظامى ؛ وقد صورهما فى « خردنامه وإقبالنامه » وهما .
يكونان المجلد الثانى من منظومة « إسكندرنامه » .

* * *

فندع الجانب الأول ، لنعرض حكمة الإسكندر ؛ كما صورها نظامى فى
« خردنامه » .

الفصل الثالث

حکیم اسکندر کا صورہا نظامی فی خردنامہ

بدأ نظامی حديثه عن حكمة الإسكندر ، فذكر بعد المقدمة التقليدية أن الإسكندر - بعد وصوله إلى بلاد اليونان - أمر الفلاسفة بترجمة كتب العلم المختلفة التي عند الأمم إلى اللغة اليونانية ، واختار من الكتب الفارسية كتاب « خدای نامه ^(۱) » .

كما أمر بتأليف الكتب في مختلف الموضوعات ؛ « فألفوا - أولاً - كتاب « گیتی شناس » في الجغرافية . ثم كتاب « رمز روحانیان » في علم الأرواح والطلسمات ، وهو الذي خلد اسم اليونانيين ورفع صيتهم ، ثم كتاب « سفر اسکندری » ، وهو الذي استطاع اليونانيون فيه حل المضلات ^(۲) » .

وقد احترم الإسكندر العلماء ؛ فأعلى شأنهم ، وأمر بتظيمهم قائلا : « إن العالم معظم لدينا ، فلا يبحث أحد عن وسيلة يرتفع بها على غيره إلا عن طريق العلم ^(۳) » .

فولى الجميع وجوههم شطر العلم ، وجعلوها تشرق بفضل ، وتلموه من

(۱) نظامی : خردنامہ وإقبالنامہ ، ص ۳۷ .

(۲) تختین طرازی کہ بست از قیاس کتابیست کان هست کیتی شناس
دگر دفتر رمز روحانیان کزو زنده مانند یونانیان
همان سفر اسکندری کاهل روم بدوزم کردند آهن چوموم

(الرجع السابق ، ص ۳۷-۳۸)

(۳) إشارات چنان شد ز تخت بلند که داناست زدیک ما أرجند
نجوید کسی بر کسی برتری مگر کز طریق هنر پروی

(الرجع السابق ، ص ۳۸)

الحكماء ، وذاع صيت بلاد اليونان عن طريق العلم ، بفضل ثقافة ذلك الملك .
الحب للمعرفة^(۱) .

ثم سرد نظامی - بعد ذلك - الأقوال التي وردت في تسمية الإسكندر
بذي القرنين فقال : « كان يسمى ذا القرنين لأنه طاف العالم من المشرق إلى
المغرب . . أولطول زلفتيه وتجمدهما خلف أذنيه كالقرنين ، في قول آخر ؛
ولأنه رأى في المنام ارتباط قرني الفلك بواسطة الشمس ، وذلك في قول ثالث ؛
ولأن عمره كان قرنين من الزمان ، كما قال بعض المؤرخين في قول رابع^(۲) » .
ثم ذكر ما أورده أبو معشر البجلي في كتاب الألف ، فقال : « ويقول
أبو معشر في كتاب الألف رأياً آخر ، هو أنه لما مضى على موت الإسكندر
وقت طويل ، لم يصدق أحد أنه مات ، فرسم اليونانيون - من فرط حبه له -
صورته على ورقة ، وأتقن الرسام رسمها فبدت رائعة ، ثم رسم صورة مَلَكَين
عن يمينه وشماله في صورة قرنين ، كما تصوره النجومون الذين وقالوا : إن الله خلق
له مَلَكَين عن يمينه وشماله . . فانتشرت قصة الإسكندر في جميع الأرجاء ، بمجرد
انتقال هذه الصورة من بلاد اليونان إلى غيرها من الجهات ، وحازت إعجاب
الناس جميعاً ، فأشادوا بفن الرسامين اليونانيين ، فلما أبصر العرب تلك الصورة ،

(۱) همه رخ بدانش برافروختند ز فرزاسگان دانش آموختند
ز فرهنگ آن شاه دانش پسند شد آواز یونان بدانش بلند
(نظامی : خردنامه وایقانامه ، ص ۳۷)

(۲) که صاحب دو قرنش بدان بودنام که بر مشرق و مغرب آورد کام

.....

بقول دیگر کو بسیجیده داشت دوکیسو پس پشت پیچیده داشت
همان قول دیگر که در وقت خواب دو قرن فلك بستداز آفتاب
دیگر داستانی زد آموزگار که عمرش دو قرن آمد از روزگار
(المرجع السابق ، ص ۴۴)

رسموا للإسكندر صورة أخرى تقليداً لها ، وظنوا أن قرن الإسكندر طويل ، وأن الرسوم ليس مَلَكَاً بل قرناً ، وكان هذا هو الذي أوقعهم في الخطأ ، فأطلقوا عليه لقب ذی القرنین ^(۱) .

ثم ذكر قولاً آخر ، أثبتته في قوله : « وقال لي عالمٌ قولاً غير هذا هو أن أُذُنَيَّ الإسكندر كانتا أكبر من الحجم الطبيعي ^(۲) » .

وبين أن الإسكندر كان يطيل شعره ليعطيهما ، مما جعل شعره بُشْبُهُ القرنين . ثم أورد قصة تتعلق بأذني الإسكندر ، وهي أن سرهما وُضِعَ في ينبوع يجري

(۱) دگر گونه گوید جهان فیلسوف أبو معشر اندر کتاب أُلُوف که چون بر سکندر سر آمد زمان ز مهرش که یونانیان داشتند چو بر جای خود کَلک صورتگرش دو نقش دگر بست پیکر نگار دو قرن از سر هیکل انگیکته لقب کردشان مرد هیئت شناس که در پیکری کا زرد آراستش چو آن هوسه پیکر بدان دلبری زیونان بدیگر سواد افتاد ثنارت از ایشان بهر مرزوبوم عرب چون بدان دیده بگماشتند گمان بودشان ک آنچه قرنش دراست

نه فرخ فرشته که اسکندر است

از این روی در شبهت افتاده اند که صاحب دو قرنش لقب داه اند

(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۴۴-۴۵)

(۲) جز این گفت با من خداوند هوش که بیرون از اندازه بودش دو گوش

(للرجع السابق ، ص ۴۵)

في الصحراء ، فنبت منه ناي ، وأن قاطع أحجار أخذ هذا الناي ، وصار يُصدِر منه نبرات مختلفة ، كانت تكشف له سر الملك ، فلم الإسكندر بذلك ، فأمر بإحضاره إليه ، فاضطرب الرجل ، وأقسم بالله أنه لم يقل السر لأحد ، فعفا الإسكندر عنه ^(١) .

ثم يورد الشاعر قصصاً أخرى متنوعة تجمل ترتيب هذا القسم مضطرباً ، وأجزائه مفككة ، مما لم نلاحظه في المنظومات السابقة ، وهذا يرجع أن بعض أجزائه قد ضاع .

والقصة الأولى : هي أن الإسكندر كان حزيناً لمرض فتاة كان يشفقها ، وكان يظن أنها سوف تموت ، فأبصر راعياً شيخاً ، فدعاه للجلوس معه ، وكان الراعي عالماً ، ومحدثاً لبقاً ؛ فلما فهم سر حزن الإسكندر ، قص عليه قصة هي : أن أحد أمراء « مرو » كانت له عروسٌ جميلة تشبه فتاة الإسكندر ، وكان يهيم بها حباً ، فمرضت مرضاً شديداً حتى يئس من شفائها ، ولكنها شفيت في النهاية ، فعاش الأمير معها سعيداً .

فتفاد الإسكندر ؛ « وبينما هو كذلك جاءه نبأ شفاء معشوقته ، فلم أن الفتاة الجميلة ، قد نجت بفضل حبها له ، (انتهى) له أسباب السعادة والمناه » ^(٢) .

ثم ذكر قصة « أرشيدس » وهي أنه كان أجمل شباب عصره ، وموضع عطف الإسكندر ، وحب أرسلو ، الذي كان يتخذ ابناً ، ويمله ليخلق منه إنساناً فاضلاً ، لأنه كان يعتقد أن تلميذاً هاقلاً فاضلاً خير من ألف تلميذ أحمق ،

(١) نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٤٨ .

(٢) درين بود خسرو که از بزم خاص برون آمد آوازده بر خلاص

که آن مهربان ماه خسرو پرست بإقبال شه عطسه دادورست

(المرجع السابق ، ص ٥٥)

ولكن « أرشميدس » انقطع عن الدرس فجأة ، وعرف الأستاذ أن انشغاله بحب فتاة جميلة هو السر في ذلك ، لأنها استوت على مشاعره ، فجعلته أسير هواها ، فطلب أرسطو أن تُخَصَّرَ الفتاة أمامه ، ثم أعطاها شرباً ، فذهت بها ، ودعا « أرشميدس » ، وطلب منه أن ينظر إليها ، « فلما أبصر الشاب الفتاة ، قال لأستاذه : من هذه المرأة القبيحة ؟ » ^(١) .

ثم قطع علاقته بها ، رغم أن أرسطو أعاد إليها جمالها بعد ذلك ؛ مما عَجَلَ بوقاة الفتاة بعد مدة قصيرة .

وتتلوها قصة « مارية القبطية » وهي ابنة أمير شامى استولى الأعداء على أرضها بعد وفاة والدها ، فلبأت إلى الإسكندر ، واستنجدت به ، وصارت تلميذة لأرسطو ؛ ففتح لها أبواب علمه ، فعملت منه علوماً كثيرة - منها صناعة الذهب - وساعدها الإسكندر على استرداد مملكها ^(٢) .

ثم أخذت الأميرة تصنع الذهب إلى أن أثرت ، فكانت كل دابة عندها - حتى الحمار - لها مروج من ذهب . « واستعملت ذهباً كثيراً للزينة ، فجعلت كلابها بسلاسل ذهبية » ^(٣) .

وجاء إليها عدد من الكيميائيين ليتعلموا منها سر هذه الصناعة ، فصنعت أمامهم الذهب من شعرها ، ثم أخذت تشرح لهم الأعشاب المختلفة التى تفيد فى هذه الصناعة .

(١) جوامعرد چون در صنم بنگریست باسنادگفت ابن زوزشت کیست ؟

(نظامی : خردنامه وإقالنامه ، ص ٥٨)

(٢) للرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٣) بدرگاه او هرکه سرداشق اگر خربدى زين زرداشق

زبس زرکه بر زيور انباشتند سگان را برنجير زر داشتند

(للرجع السابق ص ٦٤)

ثم ذكر الشاعر قصة معترضة هي : أن رجلاً من خراسان ، استطاع أن يندفع أهل بغداد ، والحقيقة نفسه ، بتفسير كلمة « كبريت » إلى « تبريك » بطريقة كيميائية^(١) .

وانتهت قصة « مارية » بغضب الإسكندر عليها ، بعد أن دس الحساد بينها وبينه ، ولكنها استطاعت أن تكسب ودّه ، وترضيه بالهدايا .

وتناولوا قصة فقير أصبح غنياً جداً ، فاستدعاه الملك ، وطلب منه أن يقص عليه قصته ، فقال الرجل إنه كان فقيراً فقراً شديداً ، وكانت زوجته غفيرة راضية ، ثم حدث أنها كانت تضع في وقت لم يكن يملك فيه شيئاً ، فخرج يطلب الرزق ، وسار حتى وصل إلى الصحراء ، فوصل إلى منزل دارس ، وأراد أن يحنى به ، فلاحظ أن المنزل يسكنه أخوان زبجيان ، وأن أحدهما قام لاستخراج كنز يوجد فيه ، فلما فرغ من استخراجِه وثب عليه أخوه ، فقتله ، وشرع في دفنه ، فانتهر الفقير الفرصة وحمل الكنز ، وأسرع به إلى زوجته ، التي كانت قد وضعت ابناً ، فسر الرجل بابنه السعيد الذي أقبلت بمولده الثروة والجاه . فطلب الإسكندر من « واليس » أن يرى طالع المولود ، فوجده سعيداً ، وأن سعادته مستمدة من دولة الإسكندر^(٢) .

ثم تأتي قصة مؤامرة سبعين حكيماً ضد « هرمس » وإنكارهم الاعتراف ببله ومكانته ، فنضب ، ونفذ صبره ، فاستعمل كلمة سحرية ، حولت هؤلاء الحكماء إلى تماثيل . وقد امتدح الإسكندر فعله ، فأقره وهنأه .

وتناولوا قصة إساءة أرسطو إلى أفلاطون - في أثناء اجتماع عَفَدَ بالبلاط - فنضب أفلاطون ، واعتزل الناس ، وعاش في قبة عالية ، كان يسمع فيها أنقام

(١) نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٦٧ - ٧١ .

(٢) للرجع السابق ، ص ٧٢ - ٨٢ .

الأفلاك . ثم صنع آلة موسيقية ، وذهب بها إلى الصحراء ، فكانت نغماتها تجذب الحيوانات ، وتجعلها أليفة .

وسمع أرسطو بذلك ، فصنع آلة موسيقية تشبهها ، واسكن نغماتها لم تفعل فعلها ، مما جعله يذهب إلى أستاذه « أفلاطون » ويطلب منه العفو ، ويثني عليه كثيراً ^(۱) .

« فلما عرف الإسكندر أن أفلاطون صار أعظم أستاذ في بلاد اليونان رفع درجته في السيادة ، وأعلى منزلته عنده » ^(۲) .

ثم قص أفلاطون على الإسكندر قصة رابع وجد حصاناً نحاسياً في غار ، ووجد في جوفه جنة رجل ميت لم تعطب ، وكان في إصبع الرجل خاتم فأخذه الراعي ، ولبسه ، فلاحظ أن الرعاة لا يرونه إذا وقف في وسطهم ، فاستعان بهذا الخاتم حتى أصبح ملكاً ^(۳) .

وتتلوها قصة « الإسكندر مع سقراط » ، وهي : أن سقراط كان زاهداً يعيش في الصحراء ، فدعاه الإسكندر إلى بلاطه ، فرفض ، فزاره الإسكندر ، وقدم له هدايا فلم يقبلها ، ونصحه بنصائح مفيدة ، « فأمر كاتبه بتسجيها ، فكتبها بماء الذهب » ^(۴) .

وهكذا اجتمع الحكماء حول الإسكندر ، وأخذت تظهر شخصيته كحكيم ،

(۱) نظامی : خردنامه وایقانامه ، ص ۸۲-۹۲ .

(۲) سکندر چو دانست کز هر علوم فلاطون شد استاد دانش بروم
برافزود پایش در آن سروری بنزد خودش داد بالاتری
(الرجع السابق ، ص ۹۲)

(۳) المرجع السابق ، ص ۹۲-۹۷ .

(۴) بفرمود تا مرد کاتب سرشت یآب زر آن نکته هارانبشت
(الرجع السابق ، ص ۱۰۸)

فقد زاره حكيم هندي ، وسأله عن : نهاية العالم ، وحقيقة الروح ، والأحلام ، وعلم النجوم .

فأجاب الإسكندر عن نهاية العالم بقوله : « إن الله خالق عالين : دار الدنيا ، ودار الآخرة ؛ فلاخرة كنز ، والدنيا مفتحة ؛ وأنت تزرع في الدنيا ، وتعمل الأعمال العلية ، وتحصد في الآخرة ثمار الزرع ^(١) » .

وأجاب عن الروح بأنها خالدة لا تموت ، قائلاً : « ماذا يقولون في قصة رجل مات ؟ .. هل يقولون أـلم الروح أم يقولون ماتت الروح ؟ .. يقولون أـلم الروح ، وليس هذا تمويهاً ، فهناك فرق بين إـسلام الروح ، وبين موتها . فدع الروح لأنها شمع طاهر من نور الله ، وابست من الماء والطين ^(٢) » .

وأجاب عن الأحلام بأنها ليست خيالية ، وإنما هي صدى لحياة الإنسان ، وتجاربه ، فقال : « إن الأحلام مصدرها نفس الإنسان ، فلاشياء المألوفة لديه - لا الغريبة عنه - هي التي تأتي في الحلم ، فإذا رأيت ميثاً أو حيّاً في الحلم ، فإن منشأ هذا تفكيرك أنت ، فهو نور ينتشر من شئملك ، وهو يمثل لعكرك الصافي ، ومظهر لأملك وإدراكك ^(٣) » .

(١) که ایزد دوگیتی بدان آفرید که آنجا بود گنج و اینجا کلید
در اینجا کنی شکست و کار نوی در آنجا برکشته را بدروی
(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۱۱۳)

(٢) حکایت ز شخصی که اوجان سپرد چه گویند ؟ جان داد یا جان ببرد
بگویند جان داد و این نیست زرق زداده بود تا فرو مرده فرق
ز جان در گذر کان فرو غیبت یاک ز نور الهی نه از آب و خاک
(المرجع السابق ، ص ۱۱۴-۱۱۵)

(٣) خیال همه خوابها خانگیست دران آشنائی نه بیگاسگیست
اگر مرده گر زنده بیخی بخواب ز شمع تو میخیزد آن نور و تاب
نماننده اندیشه یاک تست نموده تمنای إدراك تست
(المرجع السابق ، ص ۱۱۵)

وقد أعجب الهندي بإجابات الإسكندر ، وقبل آراءه . ثم اختار الإسكندر سبعة^(١) حكماء من الفلاسفة ، اشتهروا بالعلم والعرفة ، وهم : وزيره « أرسطو » ، و « بليثاس » الشاب ، و « سقراط » الشيخ ، و « أفلاطون » و « واليس » ، و « فرفوريوس » الذين جاوزت شهرتهم عنان السماء ، و « هرمس » وهو سابعهم ، وكان عاقلاً ، اشتهر في الأفاق برزاقته ؛ فجمعهم الملك كالدائرة حوله ، وكان هو مركز الدائرة^(٢) .

(١) ورد في كتاب تاريخ الفلاسفة اليونانيين - الذي ترجمه عبد الله بن حسين المصري عن الفرنسية - ذكر بعض هؤلاء الفلاسفة ، فتحدث عن طاليس Thales من ص ٣ - ٨ . وقال إنه ولد في عام ٦٤٠ ق . م . ومات في عام ٥٤٨ ق . م . وذكر سقراط Socrate وقال إنه ولد في القرن الخامس قبل الميلاد ، ص ٧٨ - ٨٦ . وتحدث عن أفلاطون Platon ، ص ٨٦ - ٩٣ . فقال إنه ولد في عام ٤٢٩ ق . م . وتوفي في عام ٣٤٧ ق . م .

وذكر أرسطاطاليس Aristotle فقال إنه ولد في عام ٣٨٤ ق . م . وتوفي في عام ٣٢٢ ق . م . وبين أنه كان أستاذ الإسكندر .

وذكر الشهرستاني في كتابه : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٤٠ . أن « هرمس » يعد من الأنبياء ، ويقال إنه هو نفسه إدريس عليه السلام . كما قال في ص ٤٥ ، إن فرفوريوس كان على رأي أرسطاطاليس ، وواقفه في جميع مذهب إليه .

وقد ذكر الحكماء السبعة - في ص ٢٥٣ - فقال : « الحكماء السبعة الذين هم أساطين الحكمة في اللطية ، وساميا ، وأثينا - وهي بلادهم - وأما أساؤم : فتاليس اللطى ، وانكساغورس ، وانكيسيانس ، وابذاقلس ، وفيثاغورس ، وسقراط ، وأفلاطون .

ويدو أن ما ذكره الشهرستاني هو الصحيح ، لأن من ذكرهم نظامي لم يعيشوا جميعاً في عصر واحد كما مر ، فالشاعر لم يتحر الدقة فيما أورد .

(٢) أزا ان فيلسوفان كزين كردهفت كه بر خاطر كس خطائی نرفت
أرسطو كه بد مملكت را وزير بليثاس برنا وسقراط پير
فلاطون وواليس وفرفوريوس كه روح القدس كردشان دستبوس =

وسألم من : أصل العالم ، والمادة الأولى ، فأجاب الحكماء مبتدئين بأرسطو ، فواليس ، فبليناس ، فسقراط ، ففرفور يوس ، فهرمس ، فأملاطون^(۱) .
وعلق الإسكندر على إجاباتهم ، قائلاً : « مادمنّا لانستطيع أن نقرأ كتاب الخلق ، فكيف نستطيع التكهن بما فيه ۱۱ . . وأنتم - وقد اطلعتم على أسرار السماء - انظروا كيف قاتم أفعالاً مختلفة ! . . ولهذا لا يحسن التنبؤ بشيء ، لأن خلق العالم لا بد له من خالق^(۲) » .

* * *

والواقع أن ترتيب الحكماء السبعة - بهذه الطريقة - وجمعهم حول الإسكندر شيء من خلق نظامي ، ليتلاءم ذلك مع فكرته عن الإسكندر الحكيم ، فلم يثبت تاريخياً أنهم عاشوا في عصر واحد .

« فواليس » توفي قبل « سقراط » الذي توفي قبل الإسكندر بمائة عام تقريباً ، كما مات أملاطون قبل الإسكندر .

أما « فرفور يوس » و « بليناس » ، فقد عاشا بعد عصر الإسكندر .
و يبدو أن « هرمس » شخص خيالي ، لم يكن له وجود فعلي .

= همان هفتمین هرمس نیک رای که بر هفتمین آسمان کردجای
چنین هفت پرگار بر گردش دران دایره شه شده نقطه کاه
(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۱۲۰-۱۲۱)

(۱) المرجع السابق ، ص ۱۲۰-۱۳۱ وقد سبقت الإشارة إلى إجاباتهم في أثناء الحديث عن ثقافة نظامي .

(۲) چو مالوح خاقت ندانم خواند تجسس در او چون توانم راند ؟
شما کاسمان را ورق خوانده اید سخن بین که چون مختلف رانده اید
از این بیش گفتن نباشد پسند که نقش جهان نیست بی نقش بند
(المرجع السابق ، ص ۱۳۱)

والذى ثبت تاريخياً هو أن « أرسطو » كان معاصراً للإسكندر ، سواء أ كان .
أستاذه ، أم زميلاً له في الدراسة .

وقد غلبت الصفة القصصية على نظامى ، فلم يحاول أن يتحرى الحقائق ،
فقد هؤلاء الفلاسفة الحكماء في عصر الإسكندر هذا الحشد العجيب .

* * *

وختم نظامى بهذا النظر تصويره لحكمة الإسكندر ، وبين أنه أصبح
— بعد بلوغه هذه المرحلة — أهلاً للنبوة ، لأنه أدرك وجود الله ، ووحانيته ، مما
هيأه لتحمل الرسالة ، والخروج لمداية الناس ، وإصلاح العالم .

* * *

وأم ما نلاحظه على منظومة « خردنامه » أن ما ورد فيها مضطرب ، وأن
أجزاءها مفككة ، وقد يكون سبب ذلك ضياع بعض أجزائها ، أو تخطيط
الشاعر ، وعدم تحريره الدقة في ذكر ما يتعلق بالحكماء ، وغلبة الناحية القصصية
عليه ، ومزج الحقائق بالأساطير .

ومما يكن من شيء ؛ فقد عرضنا ما بين أيدينا — من خردنامه — وهو
لا يشير إلى حكمة الإسكندر إلا في نهاية هذا الجزء ، ليمهد للحديث عن نبوته التى
أثبتتها « إقبالنامه » ؛ وهى القسم الثالث والأخير من « إسكندرنامه » .
فندع « خردنامه » لنعرض نبوة الإسكندر كما صورها نظامى في « إقبالنامه »

الفصل الرابع

نبوة الإسكندر كما صورها نظامي في إقبالنامه

بدأ نظامي حديثه عن نبوة الإسكندر بتصوير كيفية نزول الوحي عليه ،
وتكليفه بالرسالة ، فبين أن هاتفاً من قبل الله تعالى أبلغه تحية الله ، وأنه نبي
مُرسل ، وطلب منه أن يخرج لهداية الناس ، قائلًا : « ادعُ الناس - بملكت من
تدين ونفوذ - إلى عبادة الله ، والبعد عن الضلال ، وأن هذه الدنيا القديمة
على أسس جديدة صالحة ، وطهر الآفاق من الغفلة ولآثام^(١) » .

وخاف الإسكندر ، لأنه لم يكن يعرف لغات الشعوب التي أرسل إليها ،
وقال : « أي حجة أهدى بها الخلق إذا ادعيتُ النبوة ؟ ... وأي معجزة
من القول يمكن أن أظهرها ، حتى يصدقني الناس ؟ ... »^(٢) .

فأجاب المهاتف بأن معرفة لغات العالم ، وتهيئة الجيش اللازم ستمنحان له
كدليل على نبوته ، فُسرَّ الإسكندر ، وأخذ يستعد للسفر ، ليبدأ رحلاته حول
العالم لإرشاد الناس .

فأعد الجهمساز ازروحي أولاً ؛ « لجهمز ثلاثة كتب غير السكتاب المقدس
الذي نزل عليه من قبل الله ، وكتبها نسخا ماهر بحبر أسود على قماش من حرير ،

(١) كنى خلق را دعوت از راه بد بدارنده دولت ودين خود

بنا نوكنى اين كهين طاق را ز غفلت فرو شوئ آفاق را

(نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٣٦)

(٢) وكر دعوى آرم پيغمبرى چه حجت كند خلق را رهبرى ؟

چه معجز بود در سخن ياورم كه دارند پيندگان باورم ؟

(المرجع السابق ، ص ١٣٨)

وقد ألف أرسطو الكتاب الأول ، وتحدث فيه عن الفضيلة ، وألف أفلاطون الكتاب الثاني وضمته كل المعارف التي يعرفها ، وألف سقراط الكتاب الثالث ، وجعله يشتمل على النصائح المفيدة ، والفضائل الحسنة إلى القلوب ، وجمع الملك هذه الكتب الثلاثة بعد الفراغ من تأليفها ، ومهرها بخاتمه ، وضمها ، وجعلها في مجلد واحد^(۱) .

وأمر بإعطاء خراج الروم والروس لابنه « إسكندروس » ، وسمه لأمه^(۲) ، ثم بدأ طوافه حول العالم كذبي مُرسَل ؛ فسار بجيش عظيم مكون من مائة ألف رجل ، يعادل كل واحد منهم جيشاً في شجاعته ، كما أخذ معه أربعة آلاف رجل محمّة بالأمتعة ، « وتوجه - أولاً - نحو المغرب ، فوصل إلى مصر ، ومكث فيها يومين^(۳) » .

وأمر أن يُبَنَى عمود في الإسكندرية ، وتوضع عليه مرآة ، لتشير إلى المدو حينما يقترب فيمكن الاستعداد لمرء خطره^(۴) .

(۱) بجز سفر أعظم که در بخردی نشانی بد از مایه ایزدی
 سه فرهنگ نامه ز فرخ دیر بمشک سیه نقش ز دیر حریر
 أرسطو نخستین ورق در نوشت خبر دادش از کوهر خوب وزشت
 فلاطون دگر نامه را نقش بست زهر دانستی کامد اورا بدست
 سوم درج را کرد سقراط بند زهر جوهری کان بود دایمستند
 چو گشت این سه فهرست پرداخته سخنه ای با یکدیگر ساخته
 شه آن نامه ها واهمه مهر کرد پیچید و بنهاد دریک نور
 (نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۱۴۱)

(۲) المرجع السابق ، ص ۱۶۶ .

(۳) نخستین قدم سوی مغرب نهاد بمصر آمد آنجا دو روز ایستاد

(المرجع السابق ، ص ۱۶۸)

(۴) نفس للرجع والصفحة .

نم سار الإسكندر إلى بيت المقدس ، حيث كان الناس يشكون من حاكم ظالم ، فحاصره ، وحاربه إلى أن استسلم ، فلم يكذب بصره يقع عليه حتى قتله ، وعلقه على باب بيت المقدس ، ثم أرسل منادياً ليعلم للناس مدى ظلم ذلك الحاكم ، وبطلب من كل مَنْ لحقه حيف أن يذكره ، ونزع هذه الديار المقدسة من يده ، ونشر العدل في أرجائها^(۱) .

ثم اتجه الإسكندر نحو الغرب ، وسار إلى بلاد الأندلس « فلما وصل إليها أخذ يدعو الناس إلى الدين والفضيلة ، فلم يخرج أحد عن طاعته ، فقبلوا دينه وتعاليمه ، وأسرعوا للسير معه في الطريق المستقيم^(۲) » .

ثم ركب في السفينة ، واتجه إلى حيث تغرب الشمس ، وسار ثلاثة أشهر ، فأبصر في أنفائها جزراً كثيرة ، ثم وصل إلى وادرماله صفراء ، فسار فيه شهراً حتى بلغ نهايته : « فلما أدرك الإسكندر نهاية ذلك الوادي وصل إلى البحر الأعظم (المحيط) ، فتهجب من ذلك البحر العميق الذي يسميه اليونان الأوقيانوس ؛ وأظهر المحيط أمواجه الهائلة ، فلم يكن فيه مكان للذهاب أبعد من ذلك^(۳) » .

(۱) چو بيداد گردید خون ریختش ز دروازه مقدس آویختش

منادی برانگیخت تا در زمان ز بیداد او برگشاید زبان

که هر کو بدین خانه بیداد کرد بدینگونه بخت بدش یاد کرد

چو زو بستد آن خانه پاک را بنبر برآمیخت آن خاکی را

(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۱۷۰)

(۲) چو آمد که دعوی و داوری بدانش نمائی و دین پروری

کس از دانش و دین او سر نتافت رهی دید روشن بدان ره شتافت

(نفسی المرجع والصفحة)

(۳) چو پایان آن وادی آمد دیدید سکندر بدریای أعظم رسیدید

در آن ژرف دریا شکفتی بماند کو یونانیش اوقیانوس خواند

محیط جهان موج هیبت نمود ازان پیشتر جای رفتن نبود

(المرجع السابق ، ص ۱۷۱)

« وكان غروب الشمس واضحاً في ذلك المحيط ، فلم تسكن حجب المياه .
 تخفى أشعتها وبريقها ، والفلك يفعل ذلك في كل يوم وليلة ، فيبقى الأشعة على
 البحر من عين الشمس البعيدة ، فتصبح دليلاً لنا - على عين الشمس ،
 وعين ماء البحر ، وهي العين الخفية^(١) التي تغرب فيها الشمس ، حينما تتجه إلى
 البحر ، وتغوص فيه^(٢) . »

ثم استحم الإسكندر في المحيط ، فوجد ماءه ثقيلًا يشبه الزئبق ، فلم يفكر
 في القيام برحلة عليه .

وروى الناس له أنه يوجد - بالقرب من المحيط - مخلوق عجيب ، يقتل
 الإنسان بنظرة واحدة إليه ، كما يوجد شاطئ مملوء بالآلئ . « وأن الإنسان
 حينما يبصر هذه الآلئ يضحك من فرط السرور ، فيموت من ذلك الضحك
 سريعاً ، فالنظر إليها وإسلام الروح متلازمان^(٣) . »

(١) يبدو أن نظمي تأثر - في هذا - بما ورد في القرآن : سورة الكهف ،
 آية ٨٦ . حيث يقول الله تعالى : « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في
 عين حثة . » ومال نظامي إلى تفسير « حثة » على أنها بمعنى « ساحة » . وهذا
 يتفق مع قراءة ابن عاصم ، وعامر ، وحمة ، والكسائي ، فقد قرأوا « عين حامية »
 أي حارة وهو يخالف قراءة الباقين في « عين حثة » أي كثيرة الحماة ، وهي
 العينة السوداء . (انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ٤٩) .

(٢) فرو رفتن آفتاب از جهان در آن طرف دریا بنودی نهان

حجابی مضایی بد آن آب را پوشیدی از دیدها تاب را

فلك هر شبانروزی از چشم دور بدریا درافسندی از چشمه نور

بمادر فرو رفتن آفتاب اشارت بچشمه است و دریای آب

همان چشمه گرم کوراست جای بدریا حوالت کند رهنای

(نظامی : خردنامه و إقبالنامه ، ص ١٧١-١٧٢)

(٣) چو بینند درو دیده آدمی بخشد زبس شادی و خرمی

وزان خرمی جان دهد در زمان همان دیدن و دادن جان همان

(المرجع السابق ، ص ١٧٤)

فأمر الإسكندر رجاله بأن يحملوا معهم بعض رمال الوادي الصفراء ، ثم ترك المكان ، وسار حتى وصل إلى واحة ، فأمر أتباعه ببناء قلعة ، وبأن يستعملوا في بنائها الرمال الصفراء التي حملوها معهم ، وكانت هذه القلعة تقتل كل من ينظر إليها ، أو يقترب منها^(١) .

ثم واصل الإسكندر سيره مخترقاً الصحراء ، وظل يسير ستة أشهر ، لأنه كان يقطع ذلك الطريق على ظهور الفيلة ، وقد أفضى به إلى نهر النيل^(٢) .

وأخذ يبحث عن منابع النيل ، فوصل إلى جبل أخضر اللون ، تنبعث منه رائحة مسكية ، فأرسل رجلاً من رجاله ليتبين سبب هذه الرائحة ، فلم يجد الرجل ، فأرسل غيره ، وهكذا ظل الإسكندر يرسل رجلاً تلو الآخر - دون أن يرجع واحد منهم - حتى هلك عدد كبير من جيشه ، وأخيراً أرسل رجلاً ، وأرسل معه ابنته ، ليُلقي الابن - من أعلى الجبل - إلى أبيه وصفاً له ، حتى يدرك كنهه ، وقد نجحت هذه الفكرة ، فعرف الإسكندر من وصف الجبل أن له جانبيين أحدهما يبعث على السرور ، والآخر مرعب^(٣) .

وترك الإسكندر هذا المكان ، وسار في الصحراء مدة حتى وصل إلى جنة عدن ، فوجدها جنة ذهبية الأشجار ، يسكنها قوم شداد^(٤) .

وترك الإسكندر ذلك المكان دون أن يحمل شيئاً من كنوزه ، وسار مخترقاً الصحراء ، « فلما قطع نصف الطريق رأى جماعة متوحشة ، في صورة

(١) نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) از ان ره که در پای پیل آمدش کذکره سوی رودنیل آمدش

(المرجع السابق ، ص ١٧٧)

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٩ - ١٨١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

الآدميين^(۱) .

فسألهم الإسكندر عن أحوالهم ؛ فقالوا : « إن طامنا في هذه الصحراء اللقمية - التي هي مسكننا - هو ما نسطاده منها ، فنحن نسطاد من الصحراء ، ونعيش كالوحوش ؛ فنأكل من الصيد ما نجده سائفاً ، ونلبس من جلود الحيوانات وأوبارها ، ولا نُسْتَعْمَل هنا نار ، ولا يوجد ماء ، لأن نارنا مستمدة من الشمس ، وماءنا يؤخذ من السحاب^(۲) » .

ثم بينوا له أن صحراء خالية من السكنوز ، وأنها صحراء نائية ، ولذلك لم يوصلوا بأحد . فخلع الإسكندر عليهم ، فأحبوه ، وأكرموا وفادته ، ودلوه على الطريق ، ورسمو له خط السير ، « فوجد طريقه إلى الربع المسكون ، بفضل مقاييسهم الصحيحة^(۳) » .

وسار الإسكندر حتى وصل إلى ساحل البحر ، « فصنع سفناً كثيرة - مرة أخرى - وأنزله من الساحل إلى البحر ، ثم ركب البحر أكثر من شهر ، حتى أوصل جيشه إلى اليابس^(۴) » .

(۱) چویک نیمه راه بیابان برید کروهی دد آدمی سار دید

(نظامی : خردنامه وقبالنامه ، ص ۱۸۵)

(۲) درین طرف صحرا که ماوای ماست

خورشهای ما صید صحرای ماست

درین دشت نخجیر بانی کنیم رسم ددگان زندگانی کنیم

خوریم آنچه زان صید یابیم نرم کنیم آلت جامه از موی وچرم

نه آتشی بکار آید اینجا نه آب بود آب ازار آتشی از آفتاب

(الرجع السابق ، ص ۱۸۶)

(۳) وزیران بهنجارهای درست سوی ربع مسکون نشان بازجست

(الرجع السابق ، ص ۱۸۸)

(۴) دگر باره کشتی بسی ساختند ز ساحل بدریا در انداختند

چو دریا بریدند بیکاه بیش بخشکی رساندند بنگاه خویش

(نفس الرجع والصفحة)

وانتهت - بذلك - رحلة الإسكندر إلى الغرب ، فاستراح شهراً ، ثم ارتحل صوب الجنوب ، فوصل إلى قرية ، ووجد أهلها يستمعون بجمجة رجل مقتول في التنبؤ بما سيحدث من خير وشر ، « فكانوا يضربون تلك الجمجة بقضيب ، ويخاطبونها ، فيسألونها : ماذا سيحدث في الليل والنهار من خير وشر ؟ .. فينبعث من داخلها صوت يشبه الكلام ، ويخبرهم بما سيكون غداً من حار وبارد ، ويبين لهم أحداث العالم في دورته في هذه الدة^(۱) » .

فدعاهم الإسكندر إلى اتباع دينه ، وترك هذه العادات السيئة . ثم سار حتى وصل إلى واد مملوء بالحيات والماس ، فأمر الجيش بذبح ألف نعجة ، وإلقائها مسلوخة في قاع الوادي . « فلما التصق بها الماس تحركت النور من جميع الجهات لجلها^(۲) » .

وجمع الجيش الماس بعد أن أكلت النور اللحم ؛ ثم سار الإسكندر ، فعب كثيرًا من الصحارى حتى وصل إلى مكان معمور ؛ فرأى فيه شاباً وسيماً يفلح الأرض ، فسأله عن دينه ، « فأجاب الشاب : يا مَنْ خُصِّصَتْ بالنبوة من قبل الله لتهدى الخلق إلى طريق الخير .. لقد تعلق قلبي بالله منك ، فأنا أتبع نفس الدين الذي تدعو إليه^(۳) » .

(۱) قضبي زدندي بران استخوان شدندي بران كله فرياد خوان

که امشب چه نیک و بد آید پدید همان روز فرداچه خواهد رسید؟

صدائی برون آمدی از نهفت صدائی که مانند باشد بگفت

که فردا چنین باشد از گرم و سرد چنین نقشه دارد جهان درنورد

(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۱۹۱)

(۲) چو الماس دوسیده شد بر کباب بجنبش درآمد زهر سو عقاب

(المرجع السابق ، ص ۱۹۴)

(۳) جو انمرد گفت ای زکیی خدای بیضمبری خلق را رهنمائی

در آنکس دل خویش بستم که تو همان قبله را میروسم که تو

(المرجع السابق ، ص ۱۹۶)

وفسر ذلك بقوله : « لقد رأيتك قبل هذا في المنام ، فأصبح قلبي حياً بدينك ، كما تحيا سمكة بالماء »^(١) .

فأتى الإسكندر عليه ، ثم واصل سيره ، فطوى كثيراً من المنازل حتى وصل إلى مدينة عليها حاكم ظالم ، فخاربه الإسكندر ، وهزمه « وأرسى فيها قواعد العدل ، وسماها إسكندر آباد »^(٢) .

ثم عبر الإسكندر منها إلى الهند مرة أخرى ، وكان الفصل ربيعاً ، فكانت الرياض يانسة ، والأزهار متفتحة ، عطرة الرائحة ، فنوقب قليلاً ، ثم اتجه إلى المشرق ، ليبدأ رحلته جديدة نحو الشرق ، فسار « حتى وصل إلى المدينة المباركة التي يسميها الأتراك « لكر بهشت »^(٣) « لبها نها ؛ فوجد فيها ربيعاً جليلاً ، ومعبداً اسمه قندهار »^(٤) .

وكان في المعبد صنم له هيئتان من حجر بن كريمين ، فأمر الإسكندر بتحطيم الصنم والمعبد ، وأخذ ما يوجد من جواهر لأنها نفيد الناس ، ثم مثل أحد كهنة المعبد بين يدي الإسكندر ، وقص عليه قصة المعبد ، وهي أنه كان - في الأصل - قسراً أثرياً قياً ، يوشك أن يتداعى ، فخط عليه طائران ، وكانت في متقاربهما جوهرتان ؛ ثم طارا تاركين الجوهريتين ، فأسس الناس مكان القصر معبداً ، وصنعوا صنما ، وجعلوا عينيهِ من هاتين الجوهريتين .

(١) ترا ديدم پيشتريزین بخواب بتوزنده كشم چو ماهی باب

(نظامی : خردنامه و إقبالنامه ، ص ١٩٦)

(٢) درو سدی از عدل بنیاد کرد همان نامش اسکندر آباد کرد

(المرجع السابق ، ص ١٩٨)

(٣) « لكر بهشت » معناها « مرسى الجنة » أى المكان الذى تستقر فيه .

(٤) درامد بآن شهر مینو سرشت كه تركانش خوانند لكر بهشت

بهاری درو دید چون نوبهار پر مستكهی نام او قندهار

(المرجع السابق ، ص ٢٠٠)

وأيضاً الكاهن أن الإسكندر نبى مصلح ، « فذله على كنز أخفى تحت الأرض ، تعجب مستخرجوه من كثرة ما فيه من حواهر ؛ فاستولى الملك على ذلك الكنز العظيم ، وأنتم بجزء منه ، وحفظ الباقى ^(١) » .

واستمر الإسكندر فى رحلته ، فكان يقطع الصحارى ، ويسير فى المناطق المغمورة ؛ « فكلما رأى آدمياً فى بقعة تحدث معه ، وسمع كلامه ، ودعاه إلى اتباع دينه ، حتى هدى الناس إلى الدين الحق ^(٢) » .

ثم وصل إلى الصين ، فأحسن ملكها استقباله ، وعقد معه ميثاقاً ، فتوطدت الصداقة بينهما « وقبل الخاقان ^(٣) منه دينه ، وتعلم أسوله وتعاليمه ^(٤) » .

وقام الإسكندر والخابان برحلة بحرية حتى وصلا إلى الماء الأزرق ^(٥) ، فزلا إلى الشاطئ ، وكان بالقرب من الشاطئ ممد ، فلاحظ الإسكندر « أن عرائس الماء الجيلات يخرجن من المعبد طوال الليل كالأقار ، ثم يلبجان إلى هذا الساحل للاستراحة ، فيضنن بصوت عذب ، ويرقصن ، وأن كل من سمع

(١) يكى كنج پوشیده دادرش نشان كزو خیره شد چشم گوهر کشان
شه آن كنج آ كنده را برگشاد ننگه داشت برخی و برخی بداد
(نظامى : خردنامه و اقبالنامه ، ص ٢٠٢)

(٢) هر بقعه كادى زاد دید بايشان سخن گفت وزيشان شنید
زیزدان پرستی خمر دادشان زدين توتیای نظر دادشان
(المرجع السابق ، ص ٢٠٢-٢٠٣)

(٣) كان ملك الصين بلقب بلقب « خاقان » أى « ملك » .

(٤) پذیرفت خاقان آزو دین او در آموخت آیات و آیین او
(المرجع السابق ، ص ٢٠٣)

(٥) يبدو أن الشاعر يقصد بالماء الأزرق « بحر الصين » .

غناهن ، قد سكر من عذوبة صوتهن ^(۱) .

وقام الإسكندر برحلة على بحر الصين ، وحسب معه « بليثاس » حتى وصل إلى جزيرة ، تعتبر آخر حدود العالم من الشرق : « فلما عرف الإسكندر هذه الحقيقة ، وأنه لا يمكن السير أبعد من هذه الجزيرة ، أمر بصنع طلسم بشير - رافه آيد - إلى أنه ليس للخلق طريق بعد هذه الجزيرة ، وأن أى إنسان لن يستطيع أن يعرف مافى الطرف الآخر من البحر ^(۲) » .

ورجع الإسكندر بعد ذلك ، ولكنه ضل الطريق ، وأصبح بجوار مكان يشتد حوله تيار الماء ، مما يجعل السفن فى خطر ، فشيد « بليثاس » طلسم - هو عبارة عن رجل يحمل طبلًا - فساعد على عبور السفن ، وفسر ذلك بأن السمكة التى أحدثت هذا التيار الشديد هربت حينما سمعت صوت الطبل ^(۳) .

ورجع الإسكندر إلى الخاقان الذى كان فى انتظاره ؛ فاستراح أسبوعاً ، ثم واصل هو والخابقان الرحلة ، فساروا فى الصحراء عشرة أيام ، حتى وصلا إلى مدينة جميلة ، كان أهلها يسمعون صوتاً مرعباً يأتى من البحر ، « وكان يأتى

(۱) عروسان آبى چو خورشيد و ماه همه شب بر آيند از آن فرضه گاه
بر این ساحل آرام سازی کنند غناها سرايند و بازی کنند
کسى کو بگوش آورد سازشان شود بيهش از لطف آواز شان
(نظامى : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۲۰۵)

(۲) سکندر چو زين حالت آگاه گشت
کز ان ميلگه بيش نتوان گذشت
طلسمى بفرمود پرداختن اشارت کنان دستش افراختن
کزین پيشتر خلق را راه نيست ارنسوى دريا کس آگاه نيست
(المرجع السابق ، ص ۲۰۸)

(۳) المرجع السابق ، ص ۲۰۹-۲۱۴ .

عندما تشرق الشمس ، في صورة طرق شديد^(۱) .
وكان الناس يخافون من هذا الصوت ، ويخفون أبناءهم ، « فكان عندهم
عشرون كهفاً تحت الأرض ، ليعيش أبناؤهم فيها »^(۲) .

وقد فسر « بليزاس » هذا الصوت بجأثير الشمس على أمواج البحر ، وبين
أنها حينما تشرق تحدث هذا الصوت^(۳) ، وأشار على الإسكندر بأن يأمر الجليش
بدق الطبول ، فطرب الناس وأصبح دق الطبول عادة من عاداتهم ؛ « وقبلوا
من الإسكندر دينه ، وشكروه على هدايتهم من الضلال ، وإرشادهم إلى
معرفة الله^(۴) » .

ثم واصل الإسكندر رحلته حتى بلغ الصين ، فاستراح شهراً ، ثم بدأ رحلته
إلى الشمال .

وقد بدأ هذه الرحلة الأخيرة في نهاية فصل الصيف ، « وحمل كثيراً من
الجواهر هدية من الخاقان ؛ وسار بجيشه المظفر محترقاً بالصحراء ، تاركاً الشرق
إلى الشمال^(۵) » .

وواصل سيره في الصحراء ، حتى وصل إلى أرض مملوءة بالفضة فلم يحمل

(۱) چو خورشید سر برزند زین نطق براید ز دریا طراقا طراق

(نظامی : خردنامه و اقبالنامه ، ص ۲۱۶)

(۲) بزیر زمین دخمه دارند بیست که طفلان دران دخمه داندند زیست

(نفس للرجع والصفحة)

(۳) المرجع السابق ، ص ۲۱۷ .

(۴) ز شه دین پذیرفت و بادین سپاس کزان گمراهی گشت یزدان شناس

(المرجع السابق ، ص ۲۱۸)

(۵) بسی گنج در پیش خاقان کشید وز انجاسپه در بیابان کشید

(المرجع السابق ، ص ۲۲۲)

منها إلا القليل - لكثرة ما كان معه من الذهب - وظل يسير حتى وصل إلى « جماعة معدنية ، يعيش أفرادها على سفوح الجبال ، ووجدهم قد اعتدوا إلى الدين الحق دون وساطة أنبياء ، فعرفوا الله عن طريق العقل ، بإلهام من الله . فلما أبصروا طلعة الإسكندر قبلوه نبيا ، وتزودوا بتماليه ، وطلبوا منه العلم والعدل ، فبين الإسكندر لهم أصول دينه ، وأعطاهم فضلا عن ذلك أموالا كثيرة^(۱) . »

وشكوا له من شر قبيلة يأجوج^(۲) ، قائلين : « توجد جماعة في تلك الصحراء تدهي يأجوج ، أفرادها آدميون مثلنا ، ولكن طبيعتهم شريرة^(۳) . »

ووصفهم له ؛ بأن الشعر يغطي أجسامهم - من الرأس إلى إخص القدم - وأن أنيابهم كأنياب الحيوانات المفترسة ، وأنهم يأكلون النباتات ، وتذنيبا يسقط عليهم كل عام من السحب السوداء ، وشكوا من أنهم يهجمون عليهم ، فبأكلون طعامهم . فاستمع الإسكندر إلى شكواهم ، ودرّ وسيلة لدفع الشر عنهم ،

(۱) گروهی بر آن کوه دین پروران مسلمان وفارغ ز پیغمبران
 یلهام یزدان زروی قیاس در احوال خودگشته یزدان شناس
 چو دیدند سیاهی اسکندری پذیرا شدندش پیغمبری
 بتعلیم او خاطر آراستند وزو دانش و داد در خواستند
 سکندر برایشان در دین کشاد مجزین و دانش بی چیزداد
 (نظامی : خردنامه وقبالنامه ، ص ۲۲۴)

(۲) يبدو أن نظامی قد تأثر فيما ذكره عن « قصة الإسكندر مع يأجوج » بما ورد في القرآن : سورة الكهف ، آيات ۹۴ - ۹۸ . عن قصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج ، وبناء السد لدفع خطر هؤلاء القوم .

(۳) گروهی دران دشت یاجوج نام چوما آدمی زاده و دیوفام
 (نظامی : خردنامه وقبالنامه ، ص ۲۴)

« فبنى سداً منيعاً من الفولاذ ، لا يتحطم إلى يوم القيامة ^(١) » .

ثم واصل سيره حتى وصل إلى منطقة جميلة ، مملوءة بأشجار الفاكهة ، والأغنام ، ولم يجد عليها حاكاً ، لأن أهلها كانوا يعرفون حقوقهم وواجباتهم ؛ فيؤدى كل منهم ما عليه ، ويأخذ ماله ، فيعيشون بذلك في سعادة وهناء ، مبتهدين عن المساوىء الخلقية ، ولا حظ أن العدل قد انتشر بينهم ^(٢) ، فلما رأى الإسكندر ذلك اكتفى بالطواف حول العالم ، وكأنه وصل إلى الهدف الذى كان ينشده ^(٣) ، فقال : « لا أريد الطواف فى العالم مرة أخرى بعد أن رحلت إلى كل مكان ^(٤) » .

« وحينما رآهم على الحق - الذى يشبه دينه - سأم عليهم ، وأعطاهم أموالاً لا تُحصى ، ورجع من تلك الديار مسروراً ، فاخترق الصحراء بمحيشه الزاخر ^(٥) » . وهكذا ختم الإسكندر رحلاته ، فشق طريقه عائداً إلى بلاده « بعد أن

(١) بدانگونه سدى ز پولاد بست كه تا رستخيزش نباشد شكست

(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٢٦)

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨-٢٣١ .

(٣) ففكرة أن يعيش الناس يظلمهم عدل الله دون حاجة إلى حاكم يسوسهم تشبه فكرة الجنة ، ويبدو أن نظامى قد تأثر بما ورد فى القرآن فى وصف الجنة ، وما بشر الله به المؤمنين من نعم مقيم فيها حيث يعيشون مستظلين بعدل الله .

(٤) نخواستم دگر در جهان تاختن بهر صیدگه دامی انداختن

(نظامى : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٣١)

(٥) چو در حق خود دیدشان حق شناس

درود و درم دادشان بی قیاس

آزان مملکت شادمان باز گشت روان کرد لشکر چو دریا بدشت

(المرجع السابق ، ص ٢٣٢)

أخذ الناس من الظلم والفقر في كل مكان رحل إليه^(۱) .

وهنا بدأت النهاية ؛ فسمع الإسكندر هاتفاً ينصحه بالرجوع ، « فرجع من الشمال إلى كرمان ، ورحل منها إلى كرمانشهان ، وسار منها إلى بابل ، وتوجه منها شطر بلاد اليونان ، فلما وصل - من بابل - إلى شهرزور ، بعدت عنه السلامة ، فأصابه المرض ، ومجى عن الحركة دفعة واحدة^(۲) » .

وظن الإسكندر أنه شرب ماء مسموماً ، فحاول أرسطو والحكماء معالجته ، فلم يُوفقوا ، وأيقن الإسكندر أنه مشرف على الموت ، فدعا إليه أصدقاءه ، فاجتمع حوله الحكماء^(۳) ، فأخذ يتحدث معهم عن الموت ، والرحيل من الدنيا وكيف أنه فتح العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وطهره من الظلم ، ودعا إلى الدين الحق ، ثم ها هو يترك الدنيا دون أن يأخذ معه شيئاً ، وضرب لهم مثلاً ، بقوله : « وقف طائر على جبل ثم طار ، فإذا زاد على الجبل وماذا نقص منه ؟ أنا ذلك الطائر ، والعالم جبل ، فأى حزن للدنيا على ذهابي ؟ ..! »^(۴)

(۱) بهر جاكه او تاخى باركى رهاندی بى كس ز بیجاركى
(نظامی : خردنامه وإقبالنامه ، ص ۲۳۲)

(۲) بكرمان رسيد از كنار جهان ز كرمان درامد بكرمانشهان
وزانجا بیابل برون بردراه ز بابل سوی روم زد بارگاه
جو آمد ز بابل سوی شهرزور سلامت شد از پیکرشاه دور
بسق درامد تك باركى ز طاقت فروماند يكباركى
(للرجع السابق ، ص ۲۳۶)

(۳) للرجع السابق ، ص ۲۴۲ - ۲۴۷ . وقد ذكر الشاعر حديث الإسكندر مع الحكماء بشيء من التفصيل .

(۴) يكى مرغ بر كوه بنشست وخاست چه افزود بر كوه بازو چه كاست ؟
من آن مرغم ومملكت كوه من چورقم جهان را چه اندوه من
(للرجع السابق ، ص ۲۴۷)

ثم أمر بكتابة رسالة إلى أمه ، ودعاها إلى عدم الجزع لموته ؛ لأن الموت هو المصير المحتوم ، طال العمر أم قصر ، ونصحها بالصبر والاحتمال ^(١) .

وتوفي الإسكندر في الليلة التالية ، « فابتسم ومات - كالشمع - في أثناء تبيشه ، فأسلم الروح لله الذي منحه الروح » ^(٢) .

ونفذ الحسكاه وصيته ، فوضعه في تابوت ، بالصورة التي أوصى بها ؛ « وكان قد أمر بأن يحمّلوا يده خارج التابوت ، ويضعوا فيها تراباً ، ثم ينادى المفادى في كل مكان : أن الإسكندر هو الذي كان وحده - دون غيره من ملوك العالم - ملوكاً على أقاليم العالم السبعة ، وليس في يده من كنوز الدنيا التي جمعها غير التراب ، وأنتم - أيضاً - حينما تخرجون من الدنيا ، سوف لا تأخذون معكم غير التراب » ^(٣) .

« ثم حلوه من شهرزور إلى مصر ، لأن تلك الديار كانت بعيدة عن مقناول أعدائه ، ودفنوه في مدينة الاسكندرية ، فوسدوه التراب ، بعد أن كان على العرش » ^(٤) .

(١) نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ، ٢٥٩ - ٢٥٧ . وقد ذكرت محتويات هذه الرسالة بشيء من التفصيل .

(٢) بخنديد ودر خنده چون شمع مرد

بدانكس كه جان داد جازا سپرد

(الرجع السابق ، ص ٢٥٨)

كه يك دست اورا كنند آشكار

منادی ز هرسو بر انگيخته

همين يكتن آمد ز شاهان همين

بجز خاك چيزی ندارد بدست

ازين خاكدان تيره خاكي بريد

(الرجع السابق ، ص ٢٥٩)

كه بود آن ديار از بداندیش دور

ز تختش بتخته درانداختند

(الرجع السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠)

(٣) ز تابوت فرموده بد شهریار

در آن دست خاكي تهي ريخته

كه فرمانده هفت كشور زمين

زهر گنج دنيا كه در مار بست

شمانيز چون از جهان بگذريد

(٤) سوي مصر بردندش از شهر زور

باسكندريش وطن ساختند

وسمعت أمه بوفاته ، فتأثرت ، وماتت مريعاً^(١) ، وقدم العطاء فروض الولاء لابنه « إسكندروس » وأرادوا توليته ، ولكنه رفض بحجة أنه لم يكن يملك صفات أبيه ، وقضى حياته كراهب في أحد الأديرة^(٢) .

وأعقب ذلك موت الحكماء السبعة ، فتوفي أرسطو أولاً ، ثم لحق به هرمس ، وأفلاطون ، فواليس ، فبليثاس ، ففرغوريوس ، فسقراط . وكان كل منهم يتحدث - قبل موته - عن قضاء الله ، ووجود الروح ، وانعدام فائدة الحكمة إذا ختم القضاء .

وتوفي سقراط مسموماً ، وسأله تلاميذه - قبل موته - عن المكان الذي يجب أن يدفن فيه ، فأجاب بأنه لا ينبغيه أين يدفن جثمانه !..^(٣)

* * *

وختمت المنظومة بالتحدث عن خاتمة حياة نظامي^(٤) ، ومدح عز الدين مسمود حاكم الموصل^(٥) ، والدعاء له^(٦) .

وبذلك تنتهي قصة الإسكندر بعد أن صورته نظامي من ثلاثة جوانب : جانب البطولة ، وجانب الحكمة ، وجانب النبوة .

* * *

(١) نظامي : خردنامه وإقبالنامه ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٤-٢٦٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٨-٢٧٨ . وقد سبق مناقشة مسألة وجود الحكماء السبعة . وأثبت نظامي ما يتعلق بوفاتهم ، وأقوالهم قبل الوفاة ، بعد موت الإسكندر وهذا خطأ من الناحية التاريخية ، ولكن الشاعر أراد أن يتلادم مع فكرته هو ، التي غلبت عليها الناحية القصصية .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٨-٢٨٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨٠-٢٨٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٦-٢٩٣ .

ويبدو أن نظامي تأثر - فيما ذكره عن نبوة الإسكندر - بالرأى الذى يعميل إلى أن « ذا القرنين » المذكور فى القرآن^(١) لم يكن شخصاً غير الإسكندر المقدونى ، وقد أثبتته مفسرون ، من أشهرهم البيضاوى^(٢) .

وذكر ياقوت رأياً آخر يعميل إلى وجود شخصين باسم الإسكندر ، فقال فى أثناء حديثه عن مدينة « الإسكندرية » : « وذكر آخرون أن الذى بناها هو الإسكندر الأول ذو القرنين الرومى ، واسمه « اسك بن سلوكوس » ، وليس هذا هو الإسكندر بن فيلقوس ؛ وأن الإسكندر الأول هو الذى جال الأرض ، وبلغ الظلمات ، وهو صاحب موسى وخضر عليهما السلام وزعموا أن بينه وبين الإسكندر الأخير صاحب « دارا » المستولى على أرض فارس ، وصاحب أرسطاطاليس الحكيم - الذى زعموا أنه عاش اثنتين وثلاثين سنة - دهرأ طويلاً وأن الأول كان مؤمناً ، كما قصَّ الله عنه فى كتابه ، وعمرَ عمرأ طويلاً ، وملك الأرض ، أما الأخير ؛ فكان يرى رأى الفلاسفة ، ويذهب إلى قَدَمِ العالم - كما يرى أستاذه أرسطاطاليس - وقتل دارا ولم يتعد ملكه الروم وفارس^(٣) .

ومن المفسرين الذين مالوا إلى هذا الرأى « الشهاب^(٤) » ، و « الرازى^(٥) » وهذا الرأى لا يتناهى مع الحقائق التاريخية ، وأغلب الظن أنه هو الرأى الصحيح . ولكن نظامى مال إلى الرأى الأول ، فزج ما ورد فى القرآن عن « ذى القرنين » وعن « موسى والخضر » بقصة لإسكندر المقدونى ليمطى موضوع

(١) سورة الكهف ، آيات ٨٣-٩٨ .

(٢) تفسير البيضاوى ، ج ١ ، ٥٧٢ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٥ .

(٤) الشهاب : حاشيته على البيضاوى ، ج ٢٦ ، ص ١٢١ .

(٥) تفسير الرازى ، ج ٥ ، ص ٥٢٣-٥٢٤ .

الإسكندر صفة قصصية ، و بعض جوانبه المختلفة .

* * *

وقد نظم الفردوسى قصة الإسكندر - قبل نظامى - فيحسن أن نختم حديثنا
عن منظومة « إسكندرنامه » لنظامى بمقارنة بين تصوير كل من هذين الشاعرين
لشخصية الإسكندر ، حتى يمكننا أن نحكم على عمل نظامى حكما صحيحا .

الفصل الخامس

مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي لشخصية الإسكندر

كان تصوير الفردوسي لشخصية الإسكندر يختلف اختلافاً كبيراً عن تصوير نظامي لها .

فقد تصوّر الفردوسي^(١) شخصية الإسكندر بطريقة تتفق مع حبه لبني جنسه ، وتعجيدته لماضي وطنه ، وتاريخه القديم ، وتعظيمه للملك إيران القدماء ، واعتزازه بهم ، فأثر هذا في تصويره لهذه الشخصية ، ورسم العلامات المميزة لها . فالإلى الرأي القائل بأن الإسكندر إراني ، ليجو عن وطنه عار المهزومة على يديه ، ويعتبر فتحه لإيران حقاً طبيعياً له ، واسترداداً للملكة الذي اغتصبه أخوه « دارا » ، ويتخذ من فتوحاته وانتصاراته فخراً لبني وطنه ، فاقصر على تصويره في صورة بطل فاتح ، وقائد مظفر ، استطاع أن يوسع حدود دولته ، بفتح الأقاليم المختلفة ، وضما إلى حوزته .

ولذلك ؛ أثبت الفردوسي أن الإسكندر هو الابن الأكبر للملك الإراني « داراب بن بهمن » وأن أمه كانت يونانية ، فقد تزوج « داراب » ابنة الملك اليوناني « فيلقوس » ، ثم وجدها كربة الرأحة ، « ففر قلب الملك الإراني من العروس ، فردّها ثانية إلى أبيها فيلقوس ، تحمل حمّين : همّ نفسها ، وهمّ الطفل الذي بين أحشائها ، وأخفى هذا الأمر فلم يقله لأحد ؛ وبعد مُضيّ تسعة أشهر وضعت هذه الفتاة الفاتنة مولوداً جميلاً كالبلدر المنذر ، فسَمّته الإسكندر^(٢) »

(١) فردوسي : شاهنامه ، ج ٣ ، ص ٤١٦ - ٤٤٠ ؛ ج ٤ ، ص ٨٤ - ١ .

(٢) الإسكندر في هذه الرواية اسم لنوع من الحشائش العطرة ، قيل إن أم الإسكندر عولجت به ، فشفيت من مرضها الذي كان سبباً في نفرة الملك الإراني منها ، وقد سميت ابنتها باسم هذا النبات تيمناً وتبركا .

لحسن تركيبه ، وروعة صورته ، وطيب رائحته ، لأنها كانت تتفال بهذا الاسم الذي وجدت بفضل الشفاء من المرض^(١) .

وهكذا حرص الفردوسي على إثبات نسب الإسكندر ، ليبرر فتحه لإيران ؛ وطبيعي أن يحذف من تاريخ الإسكندر ، وأعماله بعد ذلك ، ما يتعارض مع مجد إيران القديم ، كتخطيطه لمعابد النار ، وإحراقه « للأوستا »^(٢) ، وقضائه على الزردشتية . وبقصر على تصوير حروبه وحملاته المختلفة التي استولى بها على بعض أجزاء العالم ، وكان النصر حليفه دائماً ، فجمع مالا وفيراً^(٣) .

ولم تكن حملاته إلا لإرضاء حبه للفتزو والإغارة ، فلم يذكر الفردوسي أسباباً تبررها . كما فعل نظامي - بل بين أن الإسكندر كان لا ينتهي من غزو حتى يفكر في غزو جديد ، فيستعمله ، ويسير لتنفيذه ، فهو - مثلاً - حينما أشار إلى توجه الإسكندر لحرب « كيد » ملك الهند لم يذكر سبباً إلا رغبته في الفتح ، فقال : « لما تفقد الإسكندر أحوال إيران ، عرف أن العرش والملك قد صاراً تحت تصرفه ، فتوجه بمجيئه لقتال « كيد » ملك الهند ، وشق طريقه في

(١) دل پادشاسرد گشت از عروس فرستاد بازش سوی فیلقوس
غمی دختر وکودک در نهان نگفت آن سخن با کسی در جهان
چونه ماه بگذشت ازان خوبچهر یکی کودکی آمد چو تابنده مهر
ز بالا ورنک وز بویا برش سکندر همی خواندی مادرش
که فرخ همی داشت آن نام را که از ناخوشی یافت زو کام را
(فردوسی : شاهنامه ، ج ٣ ، ص ٤١٨)

(٢) « الأوستا » كتاب الإيرانيين القدماء للقدس الذي قيل إنه نزل على نبيهم
« زردشت » ، وجمع أصول الدين الزردشتي .

(٣) فردوسی : شاهنامه ، ج ٣ ، ص ٤٢١-٤٤٠ ، ج ٢٤ ص ٨٢-٨٣ . وقد
ذكر الحروب بالتفصيل .

السهول والصحارى^(١) .

فالفردوسى قد صور الاسكندر فى صورة محب للحرب ، واستعمار الشعوب ، وبسط النفوذ ، فلم تكن حروبه تهدف إلى غير هذا .

أما نظامى فسوّر الاسكندر فى صورة الحاكم العادل ، المصلح للعالم ، ولم يكن يعنيه أن يكون إیرانیا أو یونانیاً ، بقدر ما كان يعنيه أن يكون عادلاً مصلحاً . ولذلك ؛ لم يحاول أن یثبت أن الاسكندر إیرانى - كما فعل الفردوسى - بل رجح أنه یونانى صریح النسب ، وابن شرعى لـ « فیلقوس » .

واجتهد نظامى فى إثبات أنه كان بطلاً عادلاً ، وأنه كان یفوز لا حقاً فى العزو ، بل دفعاً للظلم ، فقد فتح مصر - مثلاً - لدفع شر الزنج ، وإقرار العدل فى البلاد ، وكان فى كل حروبه یرفع ظلماً ، و یقر عدلاً ، و یعین ضعيفاً مظلوماً ، على قوى ظالم .

ولم یكتف نظامى بتصویر الإسكندر فى صورة بطل عدل وإصلاح ، بل جعله عالماً حكیمًا ، یناقش حکماء الهند ، و یجمع الحکماء حوله ، و یخلق جواً من الحکمة والعلم ، ثم یناقشهم فیما یتعاق بالخلق الأول ، و یصل إلى إثبات وجود الله ، لأن كل خلق لا بد له من خالق . فأصبح بذلك مؤمناً بوحداً نية الله بما أهله للنبوة والرسالة ، فبدأ دوراً جدیداً ، خرج فيه على ناس بدعوته الجديده وطاف العالم شرقاً ، وغرباً ، وشمالاً ، وجنوباً ، داعياً وهادياً .

وتصویر لنظامى - هذا - لشخصية الإسكندر یختلف كثيراً عن تصویر الفردوسى ، فـ كل منهما قد تأثر بمزاجه الخاص ، فحاول أن یصور الإسكندر فى الصورة التى تتفق مع آرائه ، وتناسب روح عصره ، فحاول الفردوسى أن

(١) سكندر چوگرداندر ایران نگاه بدانست كوراشد آن تخت وگاه

سوى كید هندى سپه برکشید همه راه ویراه لشكر كشید

(فردوسى : شاهنامه ، ج ٤ ، ص ١١)

يمجد القوة في الحروب ، والانتصار على الأعداء ، دون مساس بشعور الإيرانيين ،
بينما حاول نظامي أن يجعل الاسكندر يحقق أحلامه هو في العدل والاصلاح ،
ويرضى شعور الناس في عصره ، ويميلهم إلى رفع الظلم ، والتخلص من الاضطهاد
خلق منه بطل قصة ، وخلط الحقائق بالأساطير ، فبدت القصة في صورة مزيج
عجيب ، لا هو بالتاريخ ، ولا هو بالأساطير .

ومن الجائز أن يكون نظامي قد تأثر بما نظمه الفردوسي عن فتوحات الإسكندر
كما تأثر بما تصوره المسلمون عن شخصية « ذى القرنين » الواردة في القرآن .

ولكني أرجح أن الشاعر تأثر - أكثر ما تأثر - بالقصة النثرية التي
كُتبت عن الاسكندر في القرن السادس الهجري ، وهو القرن الذي نظم الشاعر
القصة في أواخره ، لأنها صورت الاسكندر في صورة تشبه ما فعله نظامي ،
خصوصاً فيما يتعلق برحلاته ونبوته ، وبحته عن ماء الحياة ، ومقابلته للخضر ،
ومن اجتمع حوله من حكماء .

وليس بين أيدينا من هذه القصة النثرية غير نسخة خطية وحيدة ، توجد
في مكتبة « سعيد نقيسى » الخاصة بطهران^(١) .

(١) توجد هذه النسخة في مكتبة سعيد نقيسى الخاصة بطهران ، تحت رقم ١٣٠٦ .
وقد تفضل بإعارتها لي - أثناء في إقامتي بطهران - وبقيت عندي عاماً كاملاً ،
فتمت بالاطلاع عليها ، وترتيبها ، ومقارنتها بمنظومة « اسكندر نامه » لنظامي ،
ولاحظت الشبه الواضح بينهما ، وفي رأيي أن نظامي لم يفعل أكثر من نظم ما تضمنته
هذه القصة النثرية ، لأن منظومته لا تختلف عنها إلا فيما يتعلق بنسب الإسكندر ،
فالقصة النثرية رددت ما قاله الفردوسي من أنه إراني ، بينما مال نظامي إلى أنه
يوناني .

والنسخة الخطية الموجودة تقع في ٥٠٨ صفحة رغم أن أولها وآخرها ضامان ،
ويبلغ طولها ٣٥ سم ، وعرضها ٢٣ سم .
وقيل إن هذه القصة هي نفس القصة المترجمة عن اليونانية ، ولكنني أستبعد =

ورجح « بهار »^(١) أنها كتبت في القرن السادس الهجري ، كما يبدو من اسم الناسخ ، وخطه النسخ المائل إلى «ثُلُث» .

وقد ذُكرت هذه القصة الفردوسية ومنظومته «شاهنامه» في مواضع كثيرة^(٢) مما يدل على أنها صُنِفَتْ بعده ، ولم تذكر نظامي ، وهذا يرجح أنها كُتِبَتْ قبله^(٣) ، ويبدو أنه تأثر بما أوردته إلى حد كبير .

ولم تكن القصة النثرية ، هي أول محاولة بذلت لتسجيل ما روى عن الإسكندر ، لأن « كالستنس » اليوناني قام بتدوين أخبار الإسكندر قبل ذلك بقرون عديدة ، وضاع ما كتبه ، وبقيت ترجماته ، السريانية ، والحلبية ، والعربية^(٤) ، والفارسية ، والتركية الجفطائية^(٥) .

ومها يكن من شيء ، فإن نظامي هو أول من نظم القصة في هذه الصورة للفصلة .

وتصوره لشخصية الإسكندر يختلف اختلافاً جوهرياً عن تصوير الفردوسي ؛ = ذلك ، لأن ذكر الفردوسي ، وذكر شواهد قرآنية - في مواضع كثيرة - يرجح أنها قصة إسلامية ، أو يرجح على الأقل أنها - إن كانت مترجمة - قد اختلقت بما رده المسلمون عن « ذي القرنين » فلم تظل القصة اليونانية على حالها .

(١) بهار : سبك شناسي ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٢) القصة النثرية الخطية . ص ٩٠ ، وفي مواضع أخرى كثيرة .

(٣) يبدو أن قصة الإسكندر النثرية التي كتبت في عهد الشاه أحمد قاجار وطبعت في طهران قد تأثرت بما في القصة النثرية الخطية ، وبما في الشاهنامه للفردوسي ، وإسكندرنامه لنظامي ، وهي تردد مذكرته الشاهنامه ، والقصة النثرية الخطية من أن الإسكندر إيراني .

(٤) يبدو أن ما يوجد بالعربية والفارسية من أخبار حول الإسكندر ليس صورة دقيقة لما كتبه « كالستنس » ، لأن هذه الأخبار امتزجت بما رواه المسلمون عن شخصية « ذي القرنين » .

(٥) تربيت : دانشمندان آذربيجان ، ٣٨٤ .

تجلى فى شخصيات المنظومة ، وترتيب مناظرها ، مما يجعلنا نصدق ما قاله من أنه لم يكتب بترديد ما قاله الفردوسى ، بل ذكر أشياء جديدة .

وقد طبق نظامى مذهبه - فى نظم القصص - فى منظومته « إسكندرنامه » فأتخذ من القصة ميداناً لأرائه ، وأطلق الإسكندر - ما يؤمن هو به ، ويدعو إليه ، وجعله يصل إلى الهدف ، وهو أن يعيش الناس فى صفاء ، يرفرف عليهم العدل ، فيؤدى كل منهم ما عليه ، ويأخذ ماله ، دون حاجة إلى يسوسهم ، ويوجههم ، فلما وصل الاسكندر إلى مثل هذا المكان ، لم يواصل السير ، لأنه اعتبر نفسه قد أدرك الناية .

وكما أدرك الاسكندر غايته ، بلغ نظامى نفسه الناية من النظم ، ومن الحياة أيضاً .

والواقع أن شخصية الاسكندر فى المنظومة هى أصدق تصوير لشخصية نظامى ، كداع من دعاة الفضيلة ، يتمنى أن يبني المجتمع على أسس وطيدة من المزة ، والعدالة ، والعلم ، والأخلاق .

وقد أصبح نظامى بتصويره هذا - قصة الاسكندر - إماماً قلده كثير من شعراء الفارسية والتركية .

وأشهر من قلده من شعراء الفارسية : أمير خسرو الدهلوى المتوفى فى عام ٧٢٥ هـ ، فنظمها تحت عنوان « آئينة سكندرى » ، وعبد الرحمن الجامى المتوفى فى عام ٨٩٨ هـ . ونظمها تحت عنوان « خردنامه سكندرى » .

وأشهر من قلده من شعراء التركية : ميرعليشير نوائى المتوفى فى عام ٩٠٦ هـ ، والأحمدى الكرمياني المتوفى فى عام ٩١٥ هـ ، ونظما القصة تحت عنوان « إسكندرنامه » .

وقد اعتمد هؤلاء - جميعاً - على منظومة « إسكندر نامه » لنظامى ، واقتبسوا مما فيها من أقوال ، ومعلومات .

وأراد أمير خسرو الدهلوى أن يتصرف ببعض الشيء ، فبدت منظومته
مفككة الأجزاء ، تحتاج إلى حبك وإتقان ، وفقدت عنصر الحيوية والجمال^(١).

* * *

والآن - وقد درسنا منظومات الشاعر الخس ، المسماة « خمسة نظامى » -
لم يبق إلا أن نلقى نظرة أخيرة على ما بقى من ديوانه ، وهو الشعر الذى نظمته
بعيداً عن المنظومات ، حتى يتسنى لنا أن نصدر حكماً على شعر الشاعر كله ،
ونبين مزايا فنه .

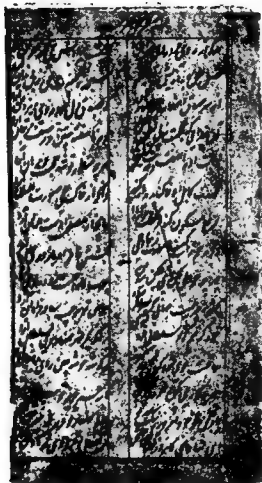
Moh. Wahid Mirza : The life and works of Amir (١)
Khusrau, p. 201.
م ٢٨ - نظامى



الصفحة الأولى من إحدى نسخ ديوان نظامي الخططين للوجودتين في مكتبة
بوداين بأكسفورد تقرأ عن مقدمة كنجينة كنجوى ص ٢٤

البناء السَّيِّئُ

ديوان نظامي



الصفحة الأولى من نسخة ديوان نظامى الخطية الموجودة في برلين
تقلا عن مقدمة كنجينة كنجوى صر قو

الفصل الأول

دراسة حول ديوان نظامي

١ - هل كان نظامي ديوان شعر ؟

كانت الشهرة الغالبة على نظامي أنه صاحب خمس منظومات ، فحاول كثير من الشعراء الذين قلده أن يصبحوا أصحاب خمس منظومات مثله . أما نظامي كصاحب ديوان شعر فشيء غير مشهور ، حتى إن كتب التذكرة المهمة لم تُشر إلى هذا الديوان في قليل أو كثير .

وذكر « عوفى » أن الشعر المروى عن نظامي غير مثنوياته قليل^(١) ، رغم أنه كان معاصراً للشاعر ، مما يرجح تبذد الديوان وضياعه منذ زمن بعيد^(٢) .
والمسبب في إهمال ذكر الديوان عدم وجوده كاملاً . غير أن ضياع بعض أجزائه لا يعني أن للشاعر لم يكن له ديوان أصلاً .

والحقيقة التي لا شك فيها أن نظامي كان له ديوان شعر - فضلاً عن منظوماته - وأن هذا الديوان كان كاملاً في عام ٥٨٤ هـ في أثناء نظم « ليلي ومجنون » ؛ فقد ذكر الشاعر أنه كان يوماً مسروراً نشيطاً ، لأن ديوانه كان كاملاً أمامه ، وفي تلك الأثناء وصله خطاب من حاكم شروان ، وطلب منه نظم قصيدة « ليلي ومجنون » ، فقال : « كنت يوماً أحس بالسعادة والسرور والنشاط ، وكان وجهي متللاً ، لأن ديواني كان موضوعاً أمامي^(٣) » .

(١) عوفى : لباب الألباب ، ج ، ٢ ، ص ٣٩٧ .

(٢) لم يشر القزويني في آثار البلاد ، ص ٣٥١-٣٥٢ . إلى ديوان نظامي رغم أنه كان يعيش في القرن السابع ، الذي توفي نظامي في أوائله .

(٣) روزي عيمباركي وشادي بودم بنشاط كيقبادي

أبروي هلايم كشاده ديوان نظامي نهاده

(نظامي : ليلي ومجنون ص ، ٢٤)

وهذا يدل على أن الديوان كان مجموعاً في أوائل عام ١٥٨٤ هـ ، قبل البدء في نظم منظومته الثالثة . وإن ما ذكره الشاعر لا يدع مجالاً للشك في أنه كان صاحب ديوان شعر .

* * *

٢- عدد أبيات الديوان ، والنسخ الخطية الموجودة منه ، وما تم نشره فعلاً :

لم يصرح الشاعر بعدد أبيات ديوانه ، غير أن « دولتشاه » ذكر أن ديوان نظامي كان يشتمل على عشرين ألف بيت من الشعر^(١) .
ويبدو أن ما ذكره « دولتشاه » لا يخفى من المبالغة ، لأن النسخ الخطية الموجودة من الديوان لا تشتمل على أكثر من ألفي بيت .
ومن الجائز أن يكون بعض أجزاء هذا الديوان قد ضاعت ، ولكن نستبعد أن يكون الديوان بهذه الضخامة ، بعد ما روى من أن الأشعار التي خلفها الشاعر - غير المنظومات - ليست كثيرة .
والواقع أننا لا نعرف عدد أبيات هذا الديوان على وجه التحقيق .

* * *

أما النسخ الخطية الموجودة - الآن - من الديوان فهي خمس نسخ ؛ ذكرت دائرة المعارف الإسلامية ثلاثاً منها^(٢) : اثنتين في مكتبة « بودلين » بأكسفورد تحت رقمي ٦١٨ و ٦١٩ . وواحدة في مكتبة برلين^(٣) .
وذكر برتلس أن نسخة رابعة توجد في الهند ، وقال إن النسخ جميعها

(١) دولتشاه : تذكرة الشعراء ، ص ١٢٩ .

(٢) The Encyclopaedia of Islam, vol. III, Art. Nizami, p. 938.

(٣) اعتمد كاتب المسادة في ذكر هذه النسخة على : Berlin Pertsch Cat. No. 691.

لا تشتمل على أكثر من ألفي بيت من الشعر^(١).
وتوجد النسخة الخامسة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة منتخبات^(٢)،
وهي عبارة عن قصائد من الديوان تشغل خمسين ورقة، طولها ١٧ سم، وعرضها
١١ سم، وفي كل صفحة منها ١٥ بيتاً أى أنها تشتمل على ١٥٠٠ بيت من الشعر
وهذا يرجع أن جزءاً من الديوان ضاع، فلم يصل إلى أيدينا.

* * *

ولم تُنشر هذه النسخ الخطية حتى الآن، وإن كانت بعض قصائد هذا
الديوان قد ذكرت متفرقة، في بعض كتب التذكرة.
ونشر «ريبكا» - في عام ١٩٣٥ م - عدة غزليات لنظامي، يبدو أنها
جزء من ديوانه المبعثر، وهي عبارة عن خمس وعشرين قطعة، قالها في الغزل
وموضوعات الحب^(٣).

ثم نشر «دستكردي» - في عام ١٩٣٩ م - ما عثر عليه من هذا الديوان
تحت عنوان «كنجینه كنجوى^(٤)»، وقسم ما نشره إلى ثلاثة أقسام: قسم
قطع بأنه من نظم نظامي^(٥)، وقسم شك في نسبته إليه^(٦)، وقسم قطع بأنه لم
يكن من نظمه^(٧).

* * *

-
- (١) برنلس: نظامي شاعر آذربيجان العظيم، ص ١٢٣.
 - (٢) مخطوطة رقم ١٦٨ م بدار الكتب المصرية.
 - (٣) ريبكا Rybka: چند غزل تازه از نظامی کنجوی، ص ١٥-٢٤.
 - (٤) «كنجینه كنجوى» بمعنى «خزانة الكنجوى» أى «ديوان نظامي».
 - (٥) كنجینه كنجوى: ص ١٧٤-٢٢٦.
 - (٦) المرجع السابق، ص ٢٣٧-٢٣٥.
 - (٧) المرجع السابق، ص ٢٤٦-٢٥٩.

٣ - تواريخ نظم قصائد الديوان ومجموعها:

أغلب الظن أن الشاعر نظم أغلب القصائد - التي ضمها ديوان شعره - في وقت شبابه ، وقبل البدء في نظم منظوماته الخمس ، ولعلها كانت محاولاته الشعرية الأولى .

وما يؤسف له أننا لانستطيع أن نحدد تواريخ هذه القصائد كلها أو بعضها ، لأن الشاعر لم يصرح بما يدل على شيء من ذلك من قريب أو بعيد ، ولا توجد قرائن يمكن بواسطتها أن نؤرخ هذه القصائد .

* * *

ونرجح أن الشاعر قام بجمع قصائده بعد فراغه من نظم « خسرو وشيرين » ، أي بعد عام ٥٨٢ هـ ، لأنه لم يشر إلى الديوان قبل هذا التاريخ ؛ كما نرجح أنه فرغ من جمعه ، وترتيبه في عام ٥٨٤ هـ قبيل البدء في نظم « ليلي ومجنون » ، لأنه صرح بذلك في مقدمة هذه المنظومة .

ويبدو أن الشاعر كان يصيف بعض القصائد إلى ديوانه من وقت إلى آخر ، في فترات مختلفة من حياته ، كما كان يفعل في منظوماته ، لأننا نجد بعض القصائد في وصف الشيخوخة ، وتصوير ما أصابه من ضعف نتيجة لكبر سنه . فمن ذلك قوله في إحدى قصائده : « أي نصيب لي من أغصان البقاء في هذا الروض الذي تقوسّت فيه قامتي من آثار الشيخوخة ؟! » . فلن يكون لأحد من نخلة ظل أو ثمر ، لأن رياح الحوادث العاصفة أسقطت سفي ونمري ، فالفلك بعيد القبر لقامت المنحنية ، وإن بياض شعري ليشرني برائحة الكافور^(١) . ثم تحدث عما يصحب الشيخوخة من يأس ، فقال : « سقطت فواكه الأمل من حديقة الدنيا من كثرة الأحجار وقطرات الندى التي تتساقط من

(١) الكافور رائحة طيبة تنثر على جثة الميت عند تكفينه .

کل ناحیه علی أفرع نخلتی ، وإن الفرع لیصبح ، معتدلاً بعد أن تسقط ثماره ،
واسکن نخله قدی قد أنحت بعد إعطاء الثمار^(۱) .

وصور ضعف بصره ، فقال : « إن عینی لانفرد بین البیاض والسواد ،
ولا تميز بین أشعة الشمس ونور القمر^(۲) »

واستمر فی وصف الشیخوخة ، فقال : « حلّ الأجل ضیقاً علی ، فإذا أقدم
له . . . ! إنه لن یقبل غیر الحیاة ! . . . »^(۳) .

وأمن فی تصویر اضمحلال جسمه ، فقال : « إنی كالظل ، إذا لم أعتد

(۱) در این چمن که ز پیری خمیده شد کرم

ز شاخهای بقا بعد ازین چه بهره برم ؟

نه سایه ایست ز غم نه میوه کسی را

که تند باد حوادث بریخت برگ و برم

سپهر باقد خمیده گشته میکند لحدم

یاس موی ز کافور میدهد خبرم

(کنجینه گنجوی ، ص ۱۹۵)

(۲) بیوستان جهان ریخت میوه امید

ز سنک و ژاله بهر سوی شاخه شجرم

نهال چون ثمر افشاندر است کرد دلیک

خمید نخل قدم چون فشاند شد ثمرم

(المرجع السابق ، ص ۱۹۷)

(۳) یاس را نکند فرق دیده ام ز سواد

بچهره گرچه فروزند شمع ماه و خورم

(المرجع السابق ، ص ۱۹۸)

(۴) میهمانیم آمد اجل چه چاره کنم ؟

که جز حیات نسازد قبول ما حضرم

(نفس المرجع والصفحة)

على حائط ، فأى احتمال عذدى فى أن أظفر بالهوض ١٩ . «^(١) .
ثم قال : « إن لى قلباً مشرقاً بنور المعرفة ، وأنا أشبهه هالة القمر ، بقاتى
المنجنية »^(٢) .

وهذا يرجح أن الشاعر كان شيخاً كبيراً محطم الجسم ، ينتظر الموت ، حينما
نظم هذه القصيدة .

وهناك - أيضاً - القصيدة التى نظمها فى رثاء الخاقانى ، وقول فيها : « كنتُ
أقول - دائماً - إن الخاقانى سيكون ناعياً لى ، فوالسفا أنى صرت الآن ناعياً
للخاقانى »^(٣) .

وقد رجحنا أن الخاقانى توفى فى عام ٥٩٥ هـ ، مما يثبت أن الشاعر أضاف
هذه القصيدة إلى ديوانه بعد جمعه بأكثر من عشر سنوات .

كما أن هناك القصيدة التى رثى الشاعر فيها ابنه الذى توفى فى عام

(١) چو سابه گر نكنم اعتماد بر ديوار چه احتمال كه برخاستن بود ظفرم؟
(كنجینه كنجوى ، ص ١٩٩)

(٢) مرا كه هست دل از نور معرفت روشن
بقصد حلقه نمودار هاله قسرم
(المرجع السابق ، ص ٢٠٠)

(٣) همی گفتم كه خاقانى دريضا كوى من باشد
دريضا من شدم دريضا كوى خاقانى
(دستكردى : مقدمة كنجینه كنجوى ، ص كا)
وقد شك دستكردى فى نسبة هذه القصيدة إلى نظامى ، بحجة أنه لم يكن مسناً
عند ما توفى خاقانى ، ولكن هذا غير صحيح لأن الخاقانى توفى فى عام ٥٩٥ هـ
فى وقت كان نظامى فيه فى السادسة والخمسين من عمره ، وكان يتوقع اللوت ،
فحدث عنه كثيراً ، فمن الجائز أن تكون القصيدة من نظمه .
ومهما يكن من شيء ، فليس بين أيدينا من القصيدة إلا هذا البيت .

١٠٨^(١) هـ ، مما يرجح أنها أضيفت إلى الديوان بعد جمعه وترتيبه .

* * *

ونكتفي بهذه الدراسة حول الديوان ؛ لنعرض صورياً منه ، ونبين محتوياته ، والموضوعات التي تناولها .

وسأقتصر على ما نشره د. س. كركدي ، لأن نسخة دار الكتب المصرية مملوءة بالأخطاء ، كما أنها تخلط الأشعار الفارسية بأشعار تركية ، لم تثبت نسبتها إلى الشاعر .

(١) سنعرض ما احتوته هذه القصيدة في الفصل التالي ، في أثناء عرض محتويات الجزء المنشور من الديوان .

الفصل الثاني

محتويات ديوانه نظامي

سأعرض - في هذا الفصل - محتويات القسم الأول من الأقسام الثلاثة التي نشرها دستكردي « في كنجينه كنجوى » ؛ لا لشيء إلا لأنه يمثل آراء نظامي تمثيلاً صحيحاً ، ويصور نزاعه المختلفة أحسن تصوير ، مما يرجح أنه من نظمه - كما قال دستكردي - وسأترك القسمين الثاني والثالث اللذين لم تثبت نسبة ما فيهما من أشعار إلى نظامي .

وإذا ألقينا نظرة على هذا القسم الأول نجده يتناول الموضوعات الآتية :

١ - الفخر :

ليس عجيباً أن نرى شاعراً كنظامي ، يقول شعراً في الفخر - رغم زهده ونقواه - لأنه كان يساير روح عصره^(١) ، ومادفعت إليه الظروف . وقد أكثر الشاعر من الفخر في منظوماته الخمس ، وخصص له جزءاً من ديوانه ، أسرف فيه في إظهار فضله ، وعلو منزلته ، وسموه على غيره ؛ فقال مثلاً : « خَلَقَ السَّكَّالَمَ مِنِّي كَمَا تُخَلِّقُ الْفَتَوَةَ مِنَ الْمَرُودَةِ ، وَظَهَرَ الْفَضْلُ مِنِّي كَمَا تَظْهَرُ النَّصْرَةُ مِنَ الشَّيْبَابِ ؛ فَغَنَاتُ غَزَلِي فِي الْأَسْمَاعِ كَغَنَاتِ الْعُودِ ، وَطَمِ كَلَامِي فِي الْأَذْوَانِ كَطَمِ الشَّرَابِ الْعَذْبِ ؛ وَأَنَا أَصْلُ لِحَرَكَاتِ الْأَفْلاكِ ، فَهِيَ مُسْتَمِدَّةٌ مِنِّي ، وَأَنَا مَالُ لَطَبِقَاتِ السَّمَاءِ ، فَهِيَ الْأَوَانِي (التي تتلقى فيضی) ا... »^(٢) .

(١) سبقت الإشارة إلى انتشار ظاهرة الفخر بين الشعراء في عصر نظامي ، وأنه تأثر بروح العصر ، كغيره من الشعراء .

(٢) سخن از من آفریده چو قوت از مروت

هنراز من آشکارا چو طراوت از جوانی =

و بالغ فی الفخر حتی اعتبر أنه أرفع من أن يفخر عن طریق الشعر ، لأنه مملوء بالسکذب ، وقدره أسمى من أن يُبینَ فيه ، فقال : « ما فی الشعر نفسه حتی أخر عن طریقہ ، فأ کون کالمثل الذی ينطلق لسانه بالأساطیر الکاذبة!؟... »^(۱)
 وهذا هو مرکب النقص الذی یتلی به الشعراء إذا لم یجدوا من یقدرهم حتی قدرهم ، و یُثبِتهم علی شعرهم ؛ وقد صرح نظامی بأنه لم یُقدَّر فی الدنیا ، و لکنه واثق من ثواب الآخرة ، فقال : « أنا لا أساوی درهماً فی هذه الدنیا ، و لکنی أساوی کثیراً فی الآخرة »^(۲) .

و یبین أن عدم تقدیره لم یکن لرداءة شعره ، بل لفساد عصره ، لأن شعره خیر شعر قیل ، و أخذ یتحدث عن مزايا فنّه ، و یفخر بشعره ، فقال : « إني لا أنظر بالخالی ، رغم أنني أصوغها جمیلة کالمروس ، ولا أدق طبولی یحفون ، و إن كانت أصواتها نفماً عذباً »^(۳) .

ثم تمادى فی الفخر ، فقال : « إن أنفه ما یصدر عنی یعدّ أصلاً للعالم »

= غزلم بسمعها در چو سماع اُرغسونی

نکنم بذوقها در چو شراب ارغوانی

حرکات اخترازا منم اصل وَاو طفیلی

طبقات آسمانرا منم آب وَاو آوانی

(گنجینه گنجوی ، ص ۱۷۵)

(۱) فن شعر خود چه باشد که بدان کنم تفاخر

چو نمثلی است مطلق بدروغ داستانی؟!

(المرجع السابق ، ص ۱۸۱)

(۲) بپیار این جهان درمی نیم ولیکن درمی چهار دانگم بپیار آنجهانی

(المرجع السابق ، ص ۱۸۲)

(۳) نکنم بخطبه لحنی چوکنم بود عروسی

تزنم بخیره طبلی چوزنم بود آغانی

(المرجع السابق ، ص ۱۷۶)

الطبیعیة والمقلیة ، وأردأ عصارات ذهنی قذیذ سائغ شرابه ، وإن كل ما أقوله
یعد جدیداً ، سواء أ كان حدیثاً عن القديم أم عن الجدید . ولقد كنت ، فانی أسیطر
على آلاف القلوب بأفكاری وأشعاری ، وأجذب آلاف النفوس بذكائی ، ودقائق
نظمی ^(۱) .

ثم قال : « إن قلوب الخلق تبتهج یاذن من شفتی (بعد أن تحرك لنقول
شعری) كما تفتح الرياحین من النسم الطلیل ^(۲) » .
وقد سمنا مثل هذه النغاث من الشاعر قبل ذلك ، مما یجملنا نرجع أن
هذا الشعر من نظمه ، وهی نغاث تقردد فی كل ما قاله فی باب الفخر ^(۳) .

* * *

۲ - الزهر والتجرد من الدنيا ، والعمل للآخرة :

أكثر نظمی - فی هذا الجزء من دیوانه - من الحدیث عن الزهد ، والتجرد
من الدنيا ، وضرورة العمل للآخرة ، بنغاث تنافض نغاث الفخر ، فوجدناه
لا یزهو بما عنده من مفاخر بل یدو متواضعاً ، ویعتبر نفسه مذنباً ، ویدعو
إلى ترك التعلق بالدنيا ، وإثارة ما یبقى على ما یبقى ، وبمحاول أن يعد نفسه
لرحیل من الدار الفانیة ، بأن یزود بما ینفعه فی طریقته إلى الآخرة ، وأن یعمل
صالحاً حتى یجى ثمار عمله ؛ فیقول : « دق الجرس ، وتحركت القافلة لرحیل ،

(۱) سقط خلاصه من چه طبیعی وجه عقلی

دغل عصاره من چه نباتی وجه کانی

بقیاس شیوه من که نتیجه نو آمد همه رسمهای تازه کهنست و باستانی

برم هزار دل را بیدیه و معما بخرم هزار جان را بغلوطه نهانی

(گنجینه گنجوی ، ۱۷۶)

(۲) بإجازات لب من دل خلق بازخندد چو شکوفه ریاحین بهوای مهرکانی

(المرجع السابق ، ص ۱۷۷)

(۳) المرجع السابق ، ص ۱۷۴-۱۸۴ .

فهاجر من هذه الدنيا الحفيرة إلى الدار الباقية السكرية ، وحينما تلحق بالقافلة ستجد عمك يتقدمك في السير ، ويرشدك في الطريق ، فاطرب لصوت الجرس ، وكن في عداد هذه القافلة ^(۱) .

وكان الشاعر يرى ضرورة الإفلال من شهوات الدنيا ، حتى يتفرغ الإنسان للعمل المنتج الطيب ، فدعا إلى ذلك في قوله : « إذا أفلت من الشهوة ، زاد إقبالك على العاطة ، لأن البحور كلما قل رماده ، كان أجمل رائحة ^(۲) » .

ثم وضع ذلك في قوله : « إن الدنيا لانحن معاملة الخلق ، كما أن أحداث الزمان متغيرة دائماً ، فيمكنك أن تنجو من شرورها إذا اعتصمت بالقرآن ، لحاول النجس به ، لأن الساعة توشك أن تقوم ^(۳) » .

ودعا إلى ضرورة اتباع تعاليم الشرع ، فقال : « حاول أن تتقانى في السير في

(۱) هم جرس جنید و هم در جنبش آمد کاروان

کوچ کن زین خیل خانه سوی دار الملک جان

چون درای ناله تو کاروانسـالار تست

مونسى کن با حرس در حلقه این کاروان

(گنجینه گنجوی ، ص ۱۸۵)

(۲) گر ز شهوت کم کنی در دین فزائی کز بخور

هرچه خاکسترش کمتر بیشتر باشد دخان

(المرجع السابق ، ص ۱۸۷)

(۳) هم زمین را با خلاق ناموافق شد مزاج

هم فلك را نامناسب شد قران

زین قران ایمن شوی گردست در قرآن زنی

مهد قرآن جوی کامد مهدی آخر زمان

(نفس للرجع والصفحة)

طریق الشرع ، فأمرع أكثر من ذلك لأن جسمك سوف يتحلل ، ویصیر تراباً^(۱) .

ونصح بالاعتماد علی الله وحده دون غیره من أصحاب الجاه والنفوذ ، فقال : « إلی متى تنوسل بهذا السلطان وذاك ؟ .. إن السلطان أكثر منك عبودية .. کن مبدأ لله الذی وهب السلطان الجاه والنفوذ^(۲) » .

ثم نصح الشاعر نفسه - وهو فی سن الثلاثین - بالنهی ، والاعتكاف للعبادة . فقال : « مضت ثلاثون عاماً ، فاستیقظُ یا نظامی ، واعتكف ... أنا نصحتك ، وأنت تعرف النتيجة .. فاحترس . ثم احترس ! »^(۳) .

ورغم أن هذه النعمات تناقض نهای الفخر ، إلا أننا نرجح أنها صدرت عن نظامی ، لأن ما يشهها تردد فی منظوماته المختلفة ، وقد بینا أن الظروف الّتی أحاطت بالشاعر هی السبب فی إيجاد هذه النعمات المتناقضة .

وقد راجت الدعوة إلی الزهد ، والتجرد من الدنیا ، والعمل الآخرة ، والاعتراف بالتقصیر ، فی کل ماقاله من قصائد فی هذا الباب من الديوان .

* * *

(۱) خاك راه شرع راكر سرمه همت كني
پیش تر زان كن كه گردد سرمه دانت استخوان
(كنجینه گنجوی ، ص ۱۹۰)

(۲) چند از بن سلطان و سلطان وز تو سلطان بنده تر
بنده او شو كه او شد صاحب سلطان نشان
(المرجع السابق ، ص ۱۹۱)

(۳) می گذشت از عمر برخیزای نظامی گوشه گیر
من نصیحت كردمت باقی تودانی هان وهان
(المرجع السابق ، ص ۱۹۵)

٣ — الغزل :

أكثر نظامي من النظم في موضوع العشق والتغزل في هذا القسم المنشور من ديوانه^(١) ، غير أن عشقه كان يشبه عشق الصوفية الذي يقصدون به حب الله ، وإفناء فيه

ومن أمثلة غزل الشعراء قوله مخاطباً معشوقه : « إني أظهر لك حالتي السيئة ، حتى تنصح عينيك السوداءين (بدمع إصابتي بسهام نظراتهما) . . . لا تكلمني ، فستكون أكثر هيأماً بهما إذا نظرت إلى وجهك القمري في المرآة^(٢) » .

ثم دعاه إلى ترك الفراق والصد ، لأنه صبر ولم يسمعه تأوّه ، فقال : « ألق عن الفراق ، لأن حبي لك واضح ، ولأنني لم أحملك تأوّه^(٣) » .
وطالب منه أن ينفذه بالوصل ، لأنه أصبح أسير حبه ، فقال : « لقد جعلت طابع حسنك مسكناً ليوسف قلبي ، فأنت دلو العناية ليوسف بترك^(٤) » .

(١) كنجينه كجوى : ص ٢١٠-٢٢٦ .

(٢) بانو پديد ميكنم حال تباه خویش را

تاتو نصیحتی کفی چشم سیاه خویش را

سرزنشم مکن که تو شیفته ترزمن شوی

کرنگری درآینه روی چوماه خویش را

(المرجع السابق ، ص ٢١٠)

(٣) ترك فراق را بمن راه من توهان وهان

چون بتوره نداده ام شهنه آه خویش را

(نفس المرجع والصفحة)

(٤) چاه زنج چو کرده مسکن يوسف دلم

دلو عنایتی فرست يوسف چاه خویش را

(نفس المرجع والصفحة)

وخطاب معشوقه فی قصیده ثانیة ، فقال « یا مَنْ صرّت قیلة العالم كله ، وأرحّت آلاف الأرواح !.. إن للک الآن لک علی العالم ، کا أصبح مُلک العالم لآرسلان^(۱) .. یامن جعلت مصر شفتیک من نصیب یوسف لا تحرم نظامی من الاتّباع إلی بابک^(۲) !.. » .

وقال فی قصیده ثالثة : « إن الجرح قد وصل إلی القلب . فلماذا ادتلات العین دماً ؟ !.. إنک فی قلبی .. فلماذا بقیت صورتک أمامی ؟^(۳) » .
ثم قال : « لقد أنصفتَ بحروحی القلب جمیعاً ، فلماذا اتخذتَ عدلک لونا آخر ، حیثما وصل إلی نظامی ؟ !..^(۴) » .

وطالب من معشوقه - فی قصیده رابعة - أن یحسن معاملته فقال : « قل کلاماً أجمل من هذا ، حتی یصیر السكر رخیصاً ، وخذ یدی أفضل من هذا حتی یُختمَ الظلم .. لیک - أیها الجلیل - إذا زرت نظامی لیلة ، فإن منزلی الحقیق

(۱) یدو أن الشاعر یقصد السلطان آرسلان بن طغرل السلجوقی الذی حکم فی المدة من ۵۵۵-۵۷۱ هـ .

(۲) ای قبله شده همه جهان را راحت ز تو صد هزار جهان را

.....

شاهی بجهان تراست امروز چو شاهی عالم آرسلان
ای مصر لب تو خاص یوسف مستان ز نظامی آستان را
(کنجینه کنجوی ، ص ۲۱۰-۲۱۱)

(۳) زخم چو بردل رسید دیده پراز خون چراست ؟

چون تودرون دلی نقش تو بیرون چراست ؟

(الرجع السابق ، ص ۲۱۱)

(۴) برمه خسته دلان دادگری کرده

چون بنظامی رسید قصه دگر کون چراست ؟

(نفس الرجع والصفحة)

سیصیر قصرأ كقصر سليمان^(۱) .

ووصف حاله في قصيدة خامسة ، فقال : « كيف يصبر نظامي على عشقك ،
لقد انتهى أمره إلى الاضطراب بسببك^(۲) » .

ثم خاطب معشوقه في قصيدة سادسة ، فقال : « يا قرأ بهذا البهاء .. همد
مَنْ سَحَلْ ضِيفاً؟! ويا آيةَ الجمال . من نصيب مَنْ ستكون؟! إلك تذهب ..
وستذهب روحي حزناً على فراقك .. يا مَنْ أوجعتَ نظامي . دواء مَنْ
ستكون؟! »^(۳) .

وَصَوَّرَ سِيطَرَةَ العِشْقِ عَلَى قَلْبِهِ ؛ فقال - في قصيدة سابعة - مخاطباً نفس
المعشوق : « أَدْبَرُ كُلَّ لِيَالَةٍ وَوَيْلَةٌ لِنَتْخَلِيسِ قَلْبِي مِنْ قَيْدِ حُبِّكَ ، فَإِذَا تَبَسَّمَ
الصَّبِيحُ ، بَدَأْتُ عِشْقَكَ مِنْ جَدِيدٍ .. لَقَدْ جَعَلْتُكَ تَتَّحِدُ مَعَ قَلْبِي ، لِأَنَّكَ اتَّحَدْتَ
مَعَ رُوحِي ، فَلَا بَدَلَ مِنْ رُوحٍ أُخْرَى حَتَّى أَتَّخِذَ حَبِيباً آخَرَ .. إِنِّي أَعْبِرُ مِنْ

(۱) بهترازين کو سخن تاشکر ارزان شود

بهترازين دستگیر تاستم آسان شود

.....

گرتو پریرخ شبی عزم نظامی کنی خانه موری چو من ملک سلیمان شود
(گنجینه گنجوی ، ص ۲۱۴)

(۲) در عشق تو نظامی صابر چگونه باشد

کز تو قرارگاهش در یقارای آمد

(نفس المرجع والصفحة)

(۳) ای ماه بدین خوبی مهمان که خواهی شد ؟

وای آیت نیکوئی درشان که خواهی شد ای؟

.....

تو میروی وجامم خواهد شدن از هجرت

ای درد نظامی را درمان که خواهی شد ای؟

(المرجع السابق ، ص ۲۱۵)

حی بواسطۃ الدموع السخينة .. فلملی أبعث بدموعي الحواجز التي تعترض طريق
حی لك ^(١) .

وختم تصوير حبه بقوله في قصيدة نامنة : « كيف يقبل قلبي معشوقاً آخر
غيرك ١٩ .. إن معشوقاً آخر إن يشبهك ، وأنت لا تشبه أحداً (لأنك فريد في
حسنك) .. » ^(٢) .

ويبدو من عرض هذه الصور أن عشق نظامی لم يكن عشقاً مادياً ، بل كان
عشقاً معنوياً ، فهو عشق نظري ، وليس عملياً ؛ فلم يكن يقصد من وراء عشقه
إلا تسكيناً لروحه المائعة ، وراحة لقلبه المضطرب ، وكان يرجو من معشوقته أن
يبسر له طرق هذا التسكين ، ويمهد له سبيل هذه الراحة .

وقد سمعنا مثل هذه اللغزات التي تصور حرارة المشق تصدر من منظومات
الشاعر ، مما يرجع أن هذه القصائد التي قيلت في باب الغزل من نظمه .

* * *

٤ - الرثاء :

توجد قصيدة - في الجزء المنشور من الديوان - يرثي الشاعر فيها ابنه
محمد ^(٣) الذي توفي في ريعان شبابه ، ويبدو أن الحزن كان قد استبد بالاعر ،

(١) تدبير کنم هرشب تادل ز تو برکرم

چو روز برآرد سر مهر تو ز سر کرم

دل باتو در آمیزم کامیخته باجان جانم دیگرم باید تیار دیگر کرم

.....

آبی که جگر دایرد ریزم زره دیده تا کرد نظامی را از راه تو برکرم

(کنجینه کنجوی ، ص ٢١٧)

(٢) دل من کجا پذیرد عوض تو دیگری دگری بتوانم تو دیگری نمانی

(المرجع السابق ، ص ٢٢٤)

(٣) شك دستگردی فی گنجینه کنجوی ، حاشیه ص ٢٢٥ أن يكون الشاب =

فأثر في نفحاته ، فصدرت معبرة من حزنه وجزعه ، مما يتجلى في قوله : « يا من صرت قريناً لحور الجنة ، إن وجهك الجميل قد توسد التراب .. لقد أمضيت العمر سعيداً صالحاً ، فدخلت الجنة قبل أن تلوث بالآثام ... إن عمرك لم يتجاوز مرحلة الشباب حتى الآن . فن كتب عليك هذا القضاء يا ترى !؟ .. فأى عجب يا أعلى ما في الوجود أن يمتزج تراب الأرض بالدماء من عيني (الباكيتين دما) .. إن روض جمالك قد غطاه التراب ، فكيف يمكن أن يكون للزرع رونق بعد ذلك !؟ » ^(١) .

ونرجح أن هذه القصيدة من نظم الشاعر ، لأن ابنه توفي قبله كما أثبتنا ، فضلاً عن روايتها في بعض المصادر المعاصرة لنظامي ^(٢) . ولم ترد قصائد في الرثاء غير هذه ، ولعل الشاعر اكتفى في رثاء زوجته بما أثبتته في منظومانه .

* * *

== المذكور في هذه القصيدة ابن نظامي ، قائلاً إن نظامي لم يكن له إلا ابن واحد ، توفي بعد والده ، وكان في سن الثلاثين حينما توفي والده ، وهو الذي حمل منظومة « إقبالنامه » إلى عز الدين مسعود أتابك الموصل . وقد ناقشت هذه المسألة ، ورجحت أن ابن الشاعر توفي قبله كما ذكر عوفي - في لباب الألباب ج ٢ ، ص ٣٩٧ - وهو معاصر لنظامي أن ابن الشاعر توفي قبله ، ثم إن النعمة الحزينة التي تصدر عن الأبيات ترجع أن الشاعر كان يرثي ابنه الوحيد العزيز الذي كان يعتبره أغلى ما في الوجود .

(١) ای شد همسر خوبان بهشت آتچنان عارض وآنگه برخشت
 بزنج عمر بسر بردی خوش دوزخی نشده رفقی بیهشت
 خط نیاورده بتو عمر هنوز این قضا برسر آحر که نوشت
 چه عجب گر شود ای جان جهان خاک از دیده من خون آغشت
 سبزه زار خط اندر خاکست آب کی باز توان داشت زکشت
 (کنجینه کنجوی ، ص ٢٢٥)

(٢) عوفي : لباب الألباب ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

ولم يتحدث الشاعر في هذا الجزء الذى بين أيدينا في غير هذه الموضوعات .
وتوجد في نهايته بعض الرباعيات ، ولكنها تردد نغمات المشق ، والرغبة
في الاتصال بالمشوق ، والشكوى من الهجر والقطيعة ، فن ذلك قوله : « لو
كنت أجزى للقلب أن يشكو من صدك لعرفت كم من الوقت كان يستغرق
حديثي ! .. ولولا أنه لا يجوز إفشاء السر والتحدث في حقلك ، لجعلت من
أفالك قصصاً تُروى^(١) » .

ونصح بحسن المعاملة ، واتباع المعروف ، فقال : « ما دام الأمل في الحياة
- من الظنن إلى المساء - ليس موجوداً ، فيجب أن تبذر بذور الخير دائماً ،
وما دام الله لم يمنح الخلود لأحد ، فينبى أن تحافظ على شعور الأصدقاء^(٢) » .
ويملل هذا بقوله : « إن الحياة بدون أصدقاء بلاء عظيم ، فالشخص الذى
ليس له صديق بائس مسكين .. إن هذه الأنفاس القليلة التى لا تعطى بها إلا بعد
مشقة وعنتٍ سوف تقتضيها سعيداً إذا كان لك رفيق مؤنس^(٣) » .



ولانجد في الديوان الموضوعات الأخرى التى يضمنها الشعراء دواوين أشعارهم

- | | |
|--|--|
| (١) گر دل دهمی کز تو شکایت کنمی
گر پرده دری نباشد اندر حق تو | دانی که شکایت بچه غایت کنمی
زانه که تو کرده شکایت کنمی
(گنجینه گنجوی ، ص ٢٢٥) |
| (٢) چون نیست امید عمر از شام بجاشت
چون عالم را بکس نخواهند گذاشت | باری همه نغم نیکوئی باید کاشت
باری دل دوستان نگه باید داشت
(المرجع السابق ، ص ٢٢٦) |
| (٣) بی یار بدن عظیم مشکل کاری
این یکدوسه دم را که بجان تو ان یافت | بیچاره کسی که اوندارد یاری
گر دل داری مدار بی دلداری
(نفس للرجع والصفحة) |

غالباً ؛ كالمدح ، والمجاء ، والوصف . ولعل السبب في ذلك أن أكثره قد ضاع .
ومهما يكن من شيء ؛ فإن هذا الجزء المنشور من الديوان يمثل محتوياته
تمثيلاً صادقاً إلى حد ما ، فإن هذه الموضوعات من الموضوعات التي ينتظر من
شاعر كنظامي - عاش في ظروف كالتى عرضناها - أن ينظم فيها ، وقد ظهرت
في منظوماته الخمس بحسنة واضحة .

* * *

ونكتفى بهذا الحديث عن الديوان لندرس فن نظامي الشعري ، في الباب
السابع والأخير من هذا البحث .

الباء، الشاء

فن نظامي الشعري

الفصل الأول

مزايا فن نظامى الشعرى

امتاز الفن فى عصر نظامى بميله إلى التأنق والتكلف - كما ذكرنا - فكان الفنان لا يكتفى بصب ما يصنعه فى قالب ملائم ، بل يحاول أن يرسم عليه من النقوش والزخارف ما يجعل منظره بديعاً .

ويبدو من دراسة منظومات نظامى وجزء من ديوان شعره أنه صيغ شعره بهذه الصيغة التى غلبت على الفن فى ذلك الوقت .

وكان من أهم الأسباب التى جعلت الأدب الفارسى يتجه هذا الاتجاه امتزاجه بالعناصر العربية التى دخلته ، وأخذت تغلغل وترسخ منذ غلبة السلاجقة ، وما اتجهجوه من سياسة التقرب للخلافة العباسية فى بغداد ، والليل إلى العالم الإسلامى السنى ، لأنهم كانوا يتبعون المذهب السنى ، ويتعصبون له ، ويعتبرون أنفسهم حماة ؛ وكانوا يمثلون القوة العسكرية المادية ، بينما كان الخلفاء العباسيون يمثلون القوة الروحية المنووبة ، فأدى هذا إلى انتشار نفوذ الأدب العربى - بما فيه من فن ، والحضارة الإسلامية بما لها من مميزات - فى إيران ، فأخذت تؤثر فى كل مظاهر الحضارة الإيرانية بما فيها الأدب تأثيراً واضحاً ملموساً .

وبدأ ظهور هذا التأثير فى القرن الخامس الهجرى ، وبلغ أقصى درجاته فى القرنين السادس والسابع ، حتى أصبح إظهار العناصر العربية من علامات الفضل والإجادة .

وكان فن الشعر العربى فى ذلك الوقت صناعة شاقة ، فوضح فيها التفنن ، وكثر فيها التصنع .

وقد برزت هذه الظاهرة فى الشعر الفارسى بصورة واضحة فى القرن السادس

المجبرى ، فال الشعراء إلى التفتن ، وانتقل الشعر من مرحلة الصنعة إلى مرحلة التصنع ، وصار صناعة متقنة ، تستلزم جهداً ودقة ، فأصبح فهم الشعر مهمة شاقة تحتاج إلى وقت وتفكير .

وتأثر نظامى بذوقه الخاص - إلى جانب تأثره بالذوق العام - فكان يفضل الشعر الذى لا يفهمه إلا الخاصة الذين أوتوا حظاً من الثقافة يؤهلهم لفهم أسرارها ، وإدراك مراميها ، ويرى أن الشعر إذا نظم في هذه الصورة ارتفعت منزلته ، وكثُرَت اللذة التى يشعر الدارس بها بعد دراسته وفهمه .

وهكذا أصبح للتفتن في صناعة الشعر لوناً آخر عند نظامى ؛ حاول أن يستعمله في أكثر ما نظمه من شعر ، ويقيد نفسه به ، بحيث أصبح من السهل على الدارس للشعر الفارسى في ذلك العصر أن يميز فن نظامى الخاص ، ويحدد ماله ، ويتبين مميزاته .

وقد تحدث نظامى في منظومته الأولى « مخزن الأسرار » عن الفن الشعري الذى يفضل ، ويجب أن يصوغ شعره متمملاً أصوله ، مما يدل على رغبته في إلزام نفسه به في منظوماته المختلفة .

وقدم للحديث عن هذا الفن بإبداء رأيه في الكلام ، فقال : « إن الحركة الأولى التى اتخذها قلم الخلق ، خَلَقَتْ أول لفظة من الكلام ^(١) ، فحينما رفعوا حجاب الخلوة شرعوا في الكلام منذ الجلسة الأولى ، فلم يكن الكلام معبراً عن إحساسات القلب ، لما مُنَحَّت الروح الحرة لجسم من الطين ، فلما صدرت الكلمة عن قلم الخلق عُمِرَت الأرض بفضل الكلام ، فلولاً الكلام ماكان للعالم

(١) يقصد الشاعر بالكلمة الأولى قول الله « كن » لأن هذه الكلمة هي سر الوجود كما قال تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » سورة يس ، آية ٨٢ . وهي التى خلق بعدها آدم ليعمر هو وذريته الأرض .

صوت ، ولقد نحدثوا كثيراً ، ولكن الكلام لم یَقُلْ شيئاً ^(۱) .
 ثم تحدث عن الشعراء ، فقال : « إن الكلام المنظوم فی العشق روحنا ،
 فنحن نحيا به ، وهذه الدنيا مجالنا ، فكل فكرة خطرت للناس ، قد سجلوها
 بفضل الكلام ، فلبس فی الدنيا أجل من الكلام ، وليس فی الفنون أدق
 منه ^(۲) »

وعدد مزايا الكلام ، فقال : « احفظ الكلام لأنه أفضل ما فی الوجود ،
 فالملوك قد اعتبروه ملكاً متوجاً ، كما نمته غیرهم بنموت أخرى ، والناس يعلنون
 الكلام بالصوت ، أو يسجلونه بالقلم ، ولكنه يتقدم الصفوف أكثر من العلم ،
 ويفتح الأقالیم أسرع من السیف ^(۳) » .

وصور تعلق الشعراء بالكلام ، وعشقهم له فی قوله : « رغم أن

(۱) جنبش اول که قلم بر گرفت حرف نخستین ز سخن در گرفت
 پرده حلاوت چو بر انداختند جلوت اول بسخن ساختند
 تاسخن آوازه دل درنداد جان تن آزاده بگل درنداد
 چون قلم آمد شدن آغاز کرد چشم جهان را بسخن باز کرد
 بی سخن آوازه عالم نبود این همه گفتند و سخن کم نبود
 (نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۳۹)

(۲) در لفت عشق سخن جان ماست ما سخنیم این طلل ایوان ماست
 خط هر اندیشه که پیوسته اند بر مرغان سخن بسته اند
 نیست درین کهنه نوخیز تر موی شکافی ز سخن تیز تر
 (نفس المرجع والصفحة)

(۳) اول اندیشه پسین شمار هم سخنست این سخن اینجا بدار
 تاجویدان تاجورش خوانده اند و اندگران آندگرش خوانده اند
 که بنوای علمش برکشند که بنگار قلمش درکشند
 و او ز علم فتح نماینده تر وز قلم اقلیم کشاینده تر
 (المرجع السابق ، ص ۴۰)

الكلام لا يظهر جلالاً أمام عباد المادة ، إلا أننا نحن الشعراء نشق الكلام ، ونحيا به ^(۱) .

وعلى ذلك بقوله : « ألهم عديمو الإحساس عواطفهم بالكلام ، ووجد المنهبون عشقاً فيه الهدوء والراحة ، فهو أكثر عمراً منا من الدنيا نفسها ، وهو أنضر من الدنيا ، وأقدم منها خلقاً » ^(۲) .

ثم بين بعد هذه المقدمة فنه الشعري ، وأنه يجب أن يكون متقن الصنع ، فقال : « ليس الشعر جيلاً في الصورة الموجودة حالياً ، وليس سائفاً باللغة العادية ، وإن الكلام ليكثر حينما يرفع النظم أعلامه ، فتكثر نماذجه ؛ فإذا لم يسمُ الكلام بالروح ، فلن تذوق حلاوته » ^(۳) .

وتحدث عن فضل البيان ، فقال : « سخر الشعراء ملك الطبيعة بالكلام ، ونشروا به الشريعة » ^(۴) .

ومدح الشعراء الذين ينظمون شعراً فيه تفنن يشبه فنه ، فقال : « إن الشعراء الذين يزنون الكلام بدقة ، يملكون كنز العالمين بفضل هذا الكلام

(۱) گرچه سخن خود نماید جمال پیش پرستنده مشق خیال
ما که نظر بر سخن افکنده ایم مرده* اوئیم وبدوزنده ایم
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۴۰)

(۲) سرد بیان آتش ازو تافتند کرم روان آب درو یافتند
اوست درین ده زده آبادتر تازتر از چرخ و کهن زاد تر
(نفس الرجوع والصفحة)

(۳) رنگت ندارد ز نشانی که هست راست نباید بزبانی که هست
ما سخن آنجا که بر آرد علم حرف زیادست وزبان نیزم
کر نه سخن رشته جان تافتی جان سر این رشته کجا یافتی ؟
(نفس المرجع والصفحة)

(۴) ملک طبیعت بسخن خورده اند مهر شریعت بسخن کرده اند
(المرجع السابق ، ص ۴۱)

ففتاح كز الحقيقة الخالص مستقر تحت لسان الشاعر ، لأن الذي خلق ميزان الكلام قد أسعد به أصحاب الحفظ الحسنه^(۱) .

ووصف الشاعر بأنه حجاب الغيب ، فقال : « إن فن النظم حجاب الأسرار ، وهو ظل من حجاب النبوة ؛ فقد نُظِّمَتْ صفوف العظمة ، فوقف الشعراء خلف الأنبياء^(۲) » .

ثم صرح بأن فنه الشعري يقوم على أسس الدقة في النظم ، وصعوبة الفهم ؛ فقال مخاطباً القفاك : « أيها القفاك !.. كيف حصلوا هذه المقد الحكمة من قبضتك ، إن النظم قد تشعب ، فاحلل هذه المقد من حبل الكلام^(۳) » .

وانخذ الشاعر التعميد دليلاً على علو منزلة شعره ، وارتفاع ثمنه ، وبيّن أن أن الصائغ الذي يطعم في الذهب يجب أن يشتري شعره بالذهب ، وعاب غيره من الشعراء الضعفاء الذين يحاولون بيع شعرهم بالذهب ، فيبيعون الجوهر الكريم بالنفود . ويصيرون أذلاء ، مهما كثر ما لهم ، وسما قدوم ، فقال : « إن الشعراء الضعفاء الذين يتهاككون على المادة قد أفسدوا بهاء الشعر ، لأن الشاعر في هذه الحالة يبيع الجوهر الثمين بنفود قليلة ، وإن الشعراء المجيدين أسمى من هذا مهما

(۱) قافیه سبجان که سخن برکشند گنج دو عالم بسخن درکشند

خاص کلیدی که در گنج راست زیر زبان مرد سخن سنج راست

آنکه ترازوی سخن سخنه کرد بختورارا بسخن بخته کرد

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ۴۱)

(۲) پرده راز بست که سخن پرور بست سایه از پرده پیغمبر بست

پیش وپی بست صف کبریا پس شعرا آمد وپیش انبیا

(المرجع السابق ، ص ۴۲)

(۳) ای فلک از دست تو چون رسته اند این گرهائی که کمر بسته اند؟

کار شد از دست بانگشت پای این گره از کار سخن واکشای

(المرجع السابق ، ص ۴۳)

يكن قدرهم في الدنيا ضامناً^(١) .

ثم نصح قائلاً : « مادام كلامك شهيداً فلا تبمه رخيصاً ، ولا تلوثه بالذباب وإذا لم يعطوك فلا تأخذك ، ولو كان ولاء .. وإذا لم يتذوقوا شرك ، فلا تقل ولو كان دعاء .. »^(٢) .

وقرر أنه يميل إلى الإعراب والتعقيد في فن صناعة الشعر ، فقال : « الأفضل أن تنظم شعراً لا يعجب إلا بعد تمنع في الفهم ، حتى تصوغ كلاماً رائعاً سامياً ، فإن إله الشعر يوحى إليك بصور جديدة ممتازة إذا لم تعجبك الصور الأولى العادية ، فإذا حصلت على تحفة من النظم فلا تثبت بها ، بل ابحث عن أفضل منها ، هو موجود في صدرك (المشرق بنور المعرفة) ، فإن كل من رفع علم السبق في هذا الطريق ، قد سبق الشمس والقمر ، وسما عليهما »^(٣) .

وصرح بأنه فعل هذا ، فكان فنه الشعري ممتازاً ، واعتقد أنه أصاب الهدف ، فاستحق أن يُسَمَّى غريباً في بابه ، لأن الشعر أصبح بفضلِه صناعة

(١) سيم کشفی که بزر مرده اند سکهٔ این سیم بزر برده اند

هرکه بزر سکهٔ چون روزداد سنگ ستد درشب افروزداد

لا جرم این قوم که دانا ترند زیر ترند ارچه بیالانزند

(نظامی : غزن الأسرار ، ص ٤٤)

(٢) چون سخت شهد ارزان مکن شهد سخن را مکن افسان مکن

تانهند مستان گر وفاست تانیوشند مگو گر دعاست

(نفس الرجوع والصفحة)

(٣) به که سخن دیر پسند آوری تا سخن از دست بلند آوری

هرچه در این پرده نشانت دهند گر نپسندی به از آنت دهند

سینه مکن گر کهر آری بدست بهتر از آنجوی که در سینه هست

هرکه علم بر سر این راه برد گوی ز خورشید و تگ از ماه برد

(المرجع السابق ، ص ٤٥)

متقنة لا يفهم دقائقها إلا أصحاب الأذواق الرفيعة ، فمما بالشعر عن أن يكون فهمه متيسراً لكل إنسان ، وجعل فنه قاصراً على الخاصة من الشعراء ، كالصومعة التي لا يدخلها إلا الخاصة من الزهاد ، مما تبينه في قوله : « أنا الذي أصبتُ في هذا النوع من الفن ، فأنا جديرٌ بالتقدير لأني غريب في بابي .. إن صومعة الشعر بُنيت بفضلي ، فتحرر فنه من درجته العادية ^(١) » .

ويمكننا بعد أن عرضنا رأى الشاعر نفسه في فنه الشعري أن نرسم الخطوط البارزة التي تحدد معالم هذا الفن ، ونوضح مزاياه ، ويمكن أن نحصرها فيما يلي :

أولاً : وضوح التفنن في صناعة الشعر ، بحيث يحس القارئ والدارس للشعر بأن الشاعر كالصانع الذي يشق في صناعته ، ويبذل في سبيل تجويدها جهداً كبيراً ، وعناء ظاهراً ، فلا يكتفى بالتعبير عما يريد من المعاني في قالب من النظم بل يزين هذا القالب بالنعوش البديعة ، والألوان الزاهية .

ولذلك امتلأ شعر نظامي بالحسنات اللفظية ، والفنون البديعية من ترصيع ، ونجفيس ، ومراعاة للنظير ، واستعمال تأقيتين في البيت الواحد وماشابه ذلك ^(٢) .

وكانت هذه القيود الكثيرة - التي قيد الشاعر - نفسه سبباً في جعل صناعة الشعر مهمة شاقة ، لعل أصدق تصوير لما قول الشاعر : « مزجتُ دم كبدي بالكلام ، فأججتُ نار الشعر بدم الكبد ^(٣) » .

(١) منكه درين شيوه مصيب آدم ديدني أوزم كه غرب آدم

شعر بمن صومعه بنياد شد شاعري از مصطبه آزاد شد

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٤٥)

(٢) لا أجد داعياً إلى إيراد شواهد لتوضيح هذه الميزة ، لأنها ظاهرة يمكن

ملاحظتها بوضوح في الشواهد الكثيرة التي وردت في ثنايا هذا البحث .

(٣) خون جگر باسخن آميختم آتش ز آب جگر انكيختم

(نظامي : مخزن الأسرار ، ص ٤٨)

ثانياً : الوصول إلى المعنى عن طريق الكنايات ، والاستعارات ، والتشبيهات المختلفة ؛ وقد صبح الشاعر شعره بهذه الألوان ، فكان المعنى المقصود يختفي خلفها ، حقيقة إنها ساعدت على توضيح المعنى ، وتجميله ، ولسكنها كانت كثيراً ما تقضى عليه ، وتطمس معالنه ، فلا يبدو هدف الشاعر واضحاً محدداً .

ثالثاً : الإغراب والتعقيد ، ومحاولة تضمين الشعر ما عند الشاعر من ألوان الثقافات المختلفة ، والاعتماد عليها في صياغة تشبيهاته المتنوعة ؛ وهذه نتيجة طبيعية للإغراق في الصناعة ، مما جعل بعض الأبيات يحتمل أكثر من معنى ، ويمكن أن يفسر تفسيرات مختلفة .

وقد أوجدت هذه الظاهرة فكرة أن شعر نظامي صعب الفهم ، وهي فكرة شاعت بين الإيرانيين أنفسهم ، فقالوا إن شعره مملوء بالأخطاء الأسلوبية ، وعلاؤا ذلك بأن الشاعر كان من أهل آذربيجان الذين لم تسكن لهجتهم الفارسية فصيحة فصاحة لهجة أهل خراسان ، وحجتهم على ذلك هي أن أهل آذربيجان كانوا يستعملون اللهجة البهلوية غير الفصيحة ، بينما كان أهل خراسان يستعملون اللهجة العربية الفصيحة^(١) .

(١) يقول الإيرانيون إن اللهجة الدرية الفصيحة لم تنتشر في آذربيجان وما جاورها إلا منذ القرن السادس الهجري ، ولم يكن أحد من الشعراء يتقنها حتى ذلك القرن إلا فلسكى الشرواني ، بينما كان شعراء آذربيجان المشهورون في القرن السادس من أمثال : مجير الدين البلقاني ، وقطران ، والحقاني ، ونظامي لا يتقنون هذه اللهجة الفصيحة ، مما جعل أسلوبهم معقداً وصياغتهم غير صحيحة .

ولا ندرى لماذا أفتقن فلسكى الشرواني وحده هذه اللهجة رغم أنه توفي في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، بينما توفي الشعراء المذكورون في أواخر هذا القرن ، وأوائل القرن السابع الهجري ١١٩ . . .
ومهما يكن من شيء ؛ فهذا هو الرأي السائد عند الإيرانيين ، وقد بنوا عليه =

ومما لا يقبل جدلاً أن أهل اللغة أقدر من غيرهم ، على الحكم على لهجة الشاعر ، وأسلوبه ؛ ولكن الحكم في هذه القضية قد يتأثر بعوامل نفسية ، أو وطنية ، أو سياسية ، تتعلق بالدور الذي لعبته خراسان وما جاورها ، في إحياء القومية الإيرانية ، وتنشئة الشعور بالهوية بهذه القومية ، وبالكرامة الوطنية بعد الافتتاح الإسلامي لإيران .

والشيء الذي يمكن أن نقرره هو أن هذه المميزات التي لاحظناها في فن نظامي يشترك في أهمها - وهو وضوح انتقاف في صناعة الشعر - جميع الشعراء الذين عاشوا في القرنين السادس والسابع الهجريين ، سواء أكانوا من أهل آذربيجان أم خراسان أم غيرها من أجزاء إيران ، فيمكن ملاحظتها بسهولة في شعر شعراء إيران في تلك اللمدة ، فلم تكن من علامات شعراء آذربيجان دون غيرهم .
وأغلب الظن أن الإغراب والتعقيد - لا لهجة آذربيجان البهلوية - هما السبب في صعوبة فهم شعر نظامي .

وقد وجدت هذه الفكرة عن شعره عند بعض الشعراء الذين عاشوا بعده ، وحاولوا تقليده كمهد الرحمن الجامي ، فقال في آخر شرحه لديوان نظامي .
« بقيت خمسمائة - أو ألف - بيت لا يمكن تفسيرها ، ويجب أن نمسك بذيل نظامي يوم القيامة ، ونطلب منه هو نفسه أن يشرح لنا تلك الأبيات ^(١) » .

== دراستهم ، فقررنا أن أعظم شعراء إيران حتى القرن السادس كانوا من أهل خراسان كالقردوسي الطوسي المتوفى في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، والحيام النيشابوري المتوفى في النصف الأول من القرن السادس . كما يبدو من مقالة عبد الحسين نوائى ، في مجلة يادگار ، شماره ششم وهفتم ، بهمن واسفند سنة ١٣٢٥ (هجرية شمسية) ، ص ٧١ .

والواقع أن هذه قضية تشبه إلى حد كبير ما نجد في الدراسات العربية من تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة ، وإثبات أن بعض القبائل العربية كان أفصح من البعض الآخر ، وهي تتأثر بدوافع كثيرة ليس هنا مجال شرحها .

(١) نظامي : مخزن الأسرار ، ص ١٨٦ . حيث ذكر دستكردي هذه العبارة ==

ولعل السبب في الإغراب اعتماد الشاعر في صياغة استعاراته ونشبياته على ما يعرفه من العلوم المختلفة - كما ذكرنا - مما جعل الترجمة الحرفية لشعره لا تؤدى للمعنى واضحاً مفهوماً . ونضرب مثلاً لذلك بقوله في مدح الرسول :

أحمد مرسل كه خرد خاك أوست هر دو جهان بسته فتراك أوست^(١)

فالترجمة الحرفية لهذا البيت هي : « أحمد المرسل الذى العقل^(٢) ترابه ، والعالمان في قبضة حزامه » .

والمعنى الذى قصده الشاعر لا يبدو واضحاً من هذه الترجمة ، لأنه يستعين في رسم هذه الصورة بما يعرفه من الفلسفة التى تقرر وجود عالين : عالم علوى أعلاه العقل المجرد أو اللطيف ، وعالم سفلى أسفله التراب . وعلى هذا الأسس الفلسفى يقول : إن العقل المجرد الذى هو أعلى ما فى العالم العلوى إذا ما قيس به لو قدر الرسول ، يمدُّ في منزلة التراب الذى هو أسفل ما فى العالم السفلى .

وهذا يظهر مكانة الرسول بصورة جلية ، ويدل على أنه أسمى من العالمين ويستتبع أنهما تحت نفوذه ، وفي قبضة يده ، أى أنه مرسل إليهما معاً ، وهو ما وضحته الشطرة الثانية من هذا البيت^(٣) .

== التى قالها جامى ، ثم قال : « إننا لم نر هذه الشروح ، كما لم يبق لنا من شرح ميرعلشير نوائى لديوان نظامى غير الاسم ، في بعض كتب اللغة التى ألقت ونشرت في الهند » .

(١) نظامى : مخزن الأسرار ، ص ٢١ .

(٢) تعبير « العقل ترابه » أى : « خرد خاك أوست » خطأ لم يجر عليه الاستعمال في اللغة الفارسية - كما قال لى بعض الأدباء الإيرانيين المعاصرين في أثناء إقامتى في طهران - ولكن المعنى الذى يهدف إليه الشاعر يعتمد على الفلسفة ، ولا يفهم من مجرد معانى الألفاظ ، والترجمة الحرفية لها .

(٣) حاول دستگردى أن يفسر هذا البيت فقال في الحاشية ، إن المعنى الذى يقصده الشاعر هو : « أن العقل مثل التراب حقير ، وتحت يده ، لأن العقل تحت يد الشرع » .

وأغلب الظن أن الشاعر لا يقصد هذا المعنى ، وإنما يعنى ما ذكرته .

وهناك أمثلة كثيرة تشبه هذا البيت ، فالدارس لا ينبغي أن يقتصر على الترجمة الحرفية ، بل يجب أن يعيش في جو نظامي ، ويمثل ثقافته ، ويستعين بها على فهم شعره فهماً صحيحاً دقيقاً .

* * *

وهذه هي أوضح المزايا التي امتاز بها فن نظامي الشعرى . وقد آمن هو بسمو هذا النوع من الفن ؛ فلم يكفر به ، ولم ينتكر له ، ولم يحاول أن يغيره ، بل سار عليه في كل ما نظم من شعر ، مما جعل له شخصية واضحة موحدة . ورغم أننا عرضنا صوراً كثيرة من أشعار نظامي تمدُّ شواهد صادقة على فنه الشعرى ، إلا أنه لا بأس من عرض بعض صور أخرى تجسم هذا الفن تجسيدا قوياً ملحوظاً .

الفصل الثاني

صور شعرة نجم فن نظامی

١ - منظر الغروب :

صوّر نظامی منظر غروب الشمس ، فشبه الشمس بقارس ألقى درعه المستدير الذي أمسكه ليحس به وجهه ، وبين أنها ألت درعها في ذلك الوقت ، فكان هذا دليلاً على انهزامها وفرارها ، وأن اختفائها من الميدان أدى إلى هزيمة الأرض بعد أن سقط درعها - وهو الشمس - في الماء ، فأصبح نفس الدنيا أضيق من نفس المحتضر ، فأصغرّ لونها لغراق الشمس ... مما نتبينه في قوله فقال : « لما حان وقت الغروب ألت الشمس درعها ، فألت الأرض - بذلك - درعها في الماء ، فصار العالم أكثر ضيقاً من نفسها المحتضر ، وأوضح منها اصفراراً ^(١) » .

ثم شرح كيف تم القضاء على الشمس ، فبين أنها لما انهزمت تحولت أشعتها إلى نحرها - وهي التي كانت سهامها التي تقاتل بها - فقتلتها ، فهي كالبقرة التي علقوا في رقبتها عقداً من الصدف الحاد ، فقتلتها هذا العقد حينما وقعت على الأرض ... فقال : « تحولت سهام الشمس إلى نحرها فقتلتها بعد أن ألت درعها ، كالبقرة التي علقوا في عنقها أصدافاً للزينة ، فصارت خناجر تقتلها حينما سقطت البقرة على الأرض ^(٢) » .

(١) چون سپر انداختن آفتاب گشت زمین را سپرافکن برآب
گشت جهان از نفس تنگ تر وز سپر او سپرک رنگ تر
(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٤٦-٤٧)

(٢) با سپر افکنندن او اشکرش تیغ کشیدند بقصد سرش
گاواکه خرمره بدو درکشند چونکه یفتد همه خنجر کشند
(المرجع السابق ، ص ٤٧)

ثم صَوَّرَ الليلَ القديَّ وَجِدَ بعدَ الغروبِ في صورةِ طفلٍ مُدَلَّلٍ ، شَدَّتْ
المريةَ حلقةَ النهارِ - وهى الشمسُ - إلى رجله ، فتمَثَّرَ ، فسقطَ على الأرضِ ،
وفقدَ الحلقةَ ، فغَزَنَ عليها ، ومرضَ من فرطِ الحزنِ والتفكيرِ ، فاحتاجَ إلى دواءٍ
مُسَهِّلٍ ، فصُنِعَ له من الترابِ ، فَالْتَهَمَ الليلُ الأرضَ ، فوجدَ في الترابِ شفاءه ،
وأطفأَ به حرارةَ مرضه ، فصارَ ليلاً صحيحاً معافى ، لأنَّ الأرضَ استقرتْ في
معدةِ الليلِ ، كما يستقرُّ الدواءُ في معدةِ المريضِ ، مما يتضح من قوله : « لما تعلقَ طفلُ
الليلِ بذراعِ المربيةِ ، شَدَّتْ حلقةَ النهارِ إلى رجله ، فسقطَ ، ومرضَ من شدةِ
الحزنِ والتفكيرِ ، فصنعتْ له دواءً مُسَهِّلاً من الترابِ ، فأحياءَ الترابِ ، وصارَ
له كنفِ المسيحِ ، فأطفأَ الماءَ نارَ هواه ، ثم تفاعلَ الدواءُ معَ المريضِ ، فم
الغلامِ جميعَ الأجزاءِ ^(١) » .

وبَيَّنَ تأثيرَ الدواءِ في الليلِ المريضِ ، فقال : « . (لما شربَ الليلُ المريضُ
الدواءَ) صبَّ طاساً من الدمِ القاني ^(٢) ، فصارَ أسودَ اللونِ كالغرابِ ، وشمله
السوادُ من أعلى رأسه إلى إخمصِ قدمه ، فصينغَ القضاءَ بهذا اللونِ ، فحكم
القضاءَ بأنه من الكافرينِ ^(٣) » .

وهكذا نرى في صورةِ الغروبِ كثيراً من التشبيهاتِ الغريبةِ المتنوعةِ

(١) طفلُ شبَّ آهِيختْ چو دردایه دست زنگله روز فراپاش بست
آزپی سودای شب اندیشه ناک ساخته معجون مفرح زخاک
خاک شده باد مسیحای او آب زده آتش سودای او
شربت ورنجور بهم ساخته خانه سودا شده پرداخته
(نظامی : غزون الأسرار ، ص ٤٧)

(٢) یصور الشاعر بهذا منظر الشفق الأحمر .

(٣) رنجته ورنجور یکی طاس خون کشته زسرتا قدم اُنقاس کون
رنک درونی شده بیرون نشین گفت قضا کان من الکافین
(نفس الرجوع والصفحة)

المحفدة ، وهى تجسم فن نظامى الشعرى ، فإن الشاعر لم يصرح بالمعنى الذى يقصده مباشرة ، بل سلك هذا الطريق المجيب ، فجعل المعنى مخفياً وراء التشبيهات والاستعارات والصناعات البديعية ، التى تجعل المدارس لا يستطيع أن يدرك هدف الشاعر إذا ترجم الأبيات ترجمة حرفية ، أو قرأها دون معرفة للموضوع الذى قيلت فيه .

* * *

٢ - صورة مئة الحقيقة :

صور نظامى « جنة الحقيقة » التى وصل إليها بعد خلوته الأولى ، فوصف مافيها من أزهار جميلة مختلفة الأشكال والألوان ، وشبهها بتشبيهات متنوعة ، فشبّه السوسن حديث السن بلسان عيسى الذى كلم الناس فى المهد ، وشبه بياضه بيد موسى التى خرجت بيضاء من غير سوء ، فقال : « إن السوسن حديث السن الذى يشبه لسان عيسى ، قد منح للصباح بياضاً يشبه بياض كف موسى ^(١) » .

وصور تشابك أغصان الأشجار الجميلة بحيث تكون نوافذ زرقاء اللون ، لأنه لا يرى منها إلا السماء بلونها الأزرق البديع ، فقال : « تشابكت أغصان الأشجار ذات الألوان الحمراء والصفراء فى الحقيقة ، فشكلت نوافذ زرقاء زاهية ^(٢) » .

وبين كيف اخترق نور الصبح الأغصان فظهرت أشمته على أرض الحقيقة ، وظهرت إلى جوارها ظلال الأغصان ، بينما تناثرت الأوراق كالدرام ، فقال :

(١) سوسن يكروزه عيسى زبان دادہ بصبح از كف موسى نشان

(نظامى : مخزن الاسرار ، ص ٥٦)

(٢) زورق باغ از علم سرخ وزرد پنجره ها ساختہ از لاجورد

(نفس الرمح والصفحة)

« نثرت الأغصان نور الفلك ، كما نثرت الأوراق كالدراهم تحت أقدام الظلال ^(١) » .
 وصور منظر الشمس على حافة النهر ، فاستعار لها الشفتين ، واستعار للظل
 اللسان ، وعدّ صوت الماء تسبيحاً ، فقال : « تحدث الظل على شفة الشمس
 وانتشم الحصى بفضل تسبيح الماء الجارى ^(٢) » .

وشبه صفاء الماء بصفاء عيون الحور ، فقال : « وصار ماء النهر أكثر صفاء
 وبريقاً من عيون الحور ، ليسلب النور من عين الشمس ^(٣) » .

وصور الأعشاب الثابتة بجوار الجدول في صورة مَنْ فرغ من الوضوء ،
 فوقف لشكر الله . فقال : « توحّش الأعشاب الخضراء من ماء الجدول ،
 فوقفت لتزدي شكر الوضوء . كما ينبغي ^(٤) » .

ثم بيّن كيف نشطت الطيور ، وانتعشت من رائحة الورد ، فتردت أعذب
 الألحان ، فقال : « وتنسم الطير من الورد رائحة سليمان ، فنفث بنجات دارد ^(٥) » .
 وصور منظر الياسمين الأبيض في أثناء الليل المظلم في قوله : « أذهب ورق
 الياسمين الأبيض - الذي يشبه الصبح - ظلمة الليل تماماً ، فلما تبسم الصبح صار

(١) شاخ ز نور فلك انگيخته در قدم سايه درم ريخته

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٥٧) .

(٢) سايه سخن کو بلب آفتاب زنده شده ريکت ز تسبيح آب

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) چشمه درفشنده تر از چشم حور تا برد از چشمه خورشيد نور

(المرجع السابق ، ص ٥٨)

(٤) سبزه برآن چشمه وضو ساخته شكر وضو كرده و پرداخته

(نفس المرجع والصفحة)

(٥) مرغ زگل بوی سليمان شنيد ناله داودی از آن برکشد

(نفس المرجع والصفحة)

— کیوسف - ذا حبل ذهبي ، غفر بئراً في ذقن الیاسمین ^(١) .

ثم صور منظر الشروق في هذه الحديقة ، فقال : « وجد نور الصبح میداناً
فسيحاً ، وحرك نسیم الصبا ظلال الأغصان ، فعضّ الظل شفة الشمس وصفقت
النسائم شعر الصفصاف ، فرقص الظل والنور معاً على حافة النهر ^(٢) » .

وأكل الصورة بقوله : « فصار الشوك عوداً كما كان الهدف ، وصارت
نيران الورد مجرأ لذلك العود ، وأصبحت رقبة الورد متبرأً للبلبل ، كما صارت
ذوائب البنفسج حزاماً للورد ، فأصبحت أعذب ألحاناً من داود ، وصار الورد
أبهى جلالاً من شعر نظامی ^(٣) » .

وهكذا صور الشاعر بعض مناظر « جنة الحقيقة » في أثناء الليل ، وفي وقت
السحر ، وفي وقت الشروق ، فاعتمد على هذه التشبيها المعجبة ، والاستعارات
الغريبة ، فصاغها في صور متلاحقة ، متعددة الجوانب ، مختلفة الأضواء .

* * *

(١) ناخن سیمین سمن صبح فام برده ز شب ناخنه شب تمام
صبح که شد یوسف زوین رسن چاه کنان در زنج یاسمن
(نظامی : مخزن الاسرار ، ص ٥٩)

(٢) نور سحر یافته میدان فراخ سایه روی را صبا داده شاخ
سایه گزیده لب خورشید را شانه زده باد سر یسدر
سایه ونور از علم شاخسار رقص کنان بر طرف جویسار
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) عود شد آن خار که مقصود بود آتش گل مجمر آن عود بود
کردن گل منبر بلبل شده زلف بنفشه کمر گل شده
مرغ زداود خوش آواز تر گل ز نظامی شکر انداز تر
(نفس المرجع والصفحة)

٣ - وصف حفل ليلي :

وصف نظامي حفلاً ليليّاً في خلوته الثانية تحت رعاية القلب ، وهو حفل
تصوره خيال الشاعر حيناً آمناً في الخلوة ، فسكنت رُوحه الهائِمة ، وخُيِّل إليه أنه
وصل إلى الحقيقة ، ف شعر بالسعادة والسرور ، وأخذ يصف المجلس الذي تجلّت
فيه الحقائق ، فصوره في صورة حفل ليلي ، ترفرف عليه ملائكة الرحمن ،
وشبهه بالربيع ، فقال : « إنه حفل مزّين كالربيع الجميل ، فيه طرب أعذب من
نعم الدهر ، تنتشر فيه رائحة البخور ، فتشرح قصة يوسف وقبسه ^(١) » .

ثم بيّن مدى سيطرة المشق على القلوب ، فقال : « وقد احترقت شمعة
الكبد (من فرط الشوق) كما احترقت كبد الشمع ، واشتعلت نار القلب (لغلبة
المشق) كما اشتعل قلب النار ^(٢) » .

وصور تأثير خمر الحب الإلهي ، فقال : « وتلاقت العيون والشفاه عقب
شرب خمر المشق المنشط للقلب ، كما يمتزج السكر باللوز ، فسدت العيون
والشفاه ، وتماشق الصبا والجمال ، فاتفقا على موعد لقاء ، وعلت الابتسامة المذبة
الشفاه ^(٣) » .

- (١) مجلس افروخته چون نوبهار عشق آسوده تر از روزگار
آه بخور از نفس روزنش شرح ده يوسف وپراهنش
(نظامي : غزن الأسرار . ص ٦٢)
- (٢) شمع جگر چون جگر شمع سوخت آتش دل چون دل آتش فروخت
(للرجع السابق ، ص ٦٣)
- (٣) از پی تفلان می بوسه خیز چشم ودهان شکر وبادام ریز
شکر وبادام بهم نکته ساز زهره و مریخ بهم عشق باز
وعده بدوازه گوش آمده خنده بدریوزه نوش آمده
(نفس الرجع والصفحة)

نم صور ماساد الحفل من دلال العشاق ، فقال : « فأخذ الدلال يفلب على العشاق ، وبدأ الرقص ، فأشاع في الحفل السرور ، وصار الشمع كالساقی يحمل أقداح الشراب فوق أيديه ، فغمرت النمر المجلس ، وسكر الفراش ، كما سكر النوم كالفراش ، وسجد الشمع ساكراً .. وعزفت عازفة فانتة لحناً جميلاً ، فسلم النوم من الريحوس ، ومنح النور للشموع ، فوجد كل شخص ما تنفاه طوال حياته ؛ من معشوق موافق في حفل رائع ، يبعث الصفاء من وقت إلى آخر ، فاشتغلت القلوب والأرواح والأجسام ، حتى ليختل إليك أنهم بعد أن تخلصوا من قيود الجسم ، قد تجردوا نهائياً من أعباء الدنيا الفانية ، فحينما رفرط طائر الطرب بجناحيه ، جاوز السرور الثريا ، وهرب طائر الليل ، وشوى طائر السحر بنيران المشق ، فأناب شواذه قلوب الفانات ، لأن الليل طال ، وتقيدت حركات الفلك ، ففط الصبح في نوم عميق ، فأصبح مجال الوصل واسماً أمام العشاق ^(١) .

ووصف عيون المشوقات وشفاهن ، فقال : « إن العيون خضراء ضيقة ،

(١) ناز گریبان کش ودامن کشان
شمع چو ساقی قدح می بدست
خواب چو پروانه پرانداخته
پردگی زهره در آن پرده چست
خواب رباینده دماغ از دماغ
آنچه همه عمر کسی یافته
زل فرسقنده زمان تا زمان
گفتی ازان حبره که پرداختند
مرغ طرب نامه پر بازبست
آتش مرغ سحر از بازن
مرغ کران خواب تر از صبحگاه
آستی از رقص جواهر فشان
طشت می آلوده و پروانه مست
شمع بشکرانه سر انداخته
زخمه شکست بادای درست
نورستاننده چراغ از چراغ
همنفسی در نفسی یافته
دل بدل و تن بتن و جان بجان
رخت عدم در عدم انداختند
هفت پر مرغ ثریا شکست
بر جگر خوش نمکان آب زن
پای فلك بسته تر از دست ماه
(نظامی : مخزن الاسرار ، ص ٦٤)

والشفاه حمراء ، فهي تشبه القستق واللوز ، وقد أوجدت السحر الحلال في أثناء الليل ، وزار الخلال الأسود - كالمهنود - الفتنة والجمال ، فعبرت كل غمرة من غمرات العميون ، وكل خال منها ، العالم كله بابل والمهند ، فلما توالى النظرات الساحرة ، ذهب القلب لزيارة العين ، ليشاركها المنة ^(١) .

ثم صور تأثير سهام نظرات العميون العاشقة ، فقال : « وتهايت سهام المشق لإصابة العشاق ، فأصاب الهدف قبل أن تُرمى ؛ غير أن القلوب انتعشت بإصابتها ، فتحدثت ألسنة العائنات بألفاظ تشبه ماء الحياة ^(٢) » .

وعرض صوراً من هذا التأثير في قوله : « فأصبحت كل نظرة نحيي عالماً ، وصارت كل عين مسكناً للأرواح . . . وأصبحت القبة سبباً في السكر كالنخمر ، وصارت الشفاه تمنح الحياة كنفس المسيح . . . وأصبحت الغمرة مميرة لأن النعم كان قد تمب ، وصارت العين متحدثة لأن اللسان كان قد انمقد ^(٣) » .

(١) فدقه شكر وبادام تنكث سبز خط از پسته غناب رنك

در شب خط ساختہ سحر حلال بابلی غمره وهندوی خال

هر نفس از غمره وخالی چنان كشته جهان بابل وهندوستان

چون نظری چند پسندیده رفت دل بزیارتگری دیدہ رفت

(نظامی : مخزن الأسرار ، ص ٦٥)

(٢) شست کرشمه چو کانداز شد تیر نینداخته بر کار شد

باد مسیح از نفس دل دمید آب حیات از دهن گل چکید

(نفس المرجع والصفحة)

(٣) هر نظری جان جهانی شده هر مرثه بتخانه جانی شده

.....

بوسه چومی مایه افکندگی لب چو مسیحا نفس زندگی

.....

غمزه منادی که دهان خسته بود چشم سخن گو که زبان بسته بود

(المرجع السابق ، ٦٦)

وختم هذه الصورة بقوله : « فبقى العقل ذاهلاً في أثناء الحفل ، ونقد صبره في النهاية ، غير أنه لم يجد ابتسامة يسخر بها مما يحدث أمامه ، ولم تكن عنده قدرة على التأوه والشكوى ، فصار العبر في ذلك الحفل خافت الألمان ، لأن الفتنة غلبت ؛ فارتفعت نغماتها ، وأصبحت تشبه نغمات داود ، ونحكي قصة محمود وحديث إياز^(١) ، فأصبح شعر نظامي ينفث الجمال ، وصار وزداً للمشاق المتضلين^(٢) » .

وهكذا عرض الشاعر مناظر الحفل في هذه الصور الفارقة في التشبيهات والاستعارات الغريبة ، مستعملاً فنوناً مختلفة من الديدع ، وهي أم ما امتاز به فنه الشعري ، ومالا حفظناه في شعره بصورة عامة .

* * *

ونكتفي بهذه الصور الثلاث لتجسيم فن نظامي الشعري ؛ وقد اقتبسناهما من منظومة « غزن الأسرار » لندرج أنه ألزم نفسه باتباع هذا الفن الشعري منذ بداية نظمه ، فظهرت معالنه بصورة واضحة في منظومته الأولى .

* * *

ولست أميل إلى هذا اللون من الشعر الذي ينعن في الإغراب والتعقيد ، ويفرق في التفنن والتصنع .

(١) قصه الشاعر بمحمود ، السلطان محمود الغزنوي ، وقصة عشقه لإياز معروفة ذكرها الشعراء ، وتناقلتها كتب الأدب .

(٢) عقل در آن دایره سرمست ماند
در دهن از خنده که راهی نبود
صبر در آن پرده نواتنگ داشت
یافته در تنه داود ساز
عاشق را طاق آهی نبود
فته سرزیر در آهنگ داشت
قصه محمود وحديث إياز
ورد غزالان غزلخوان شده
(المرجع السابق ، ص ٦٦-٦٧)

ولذلك ؛ فإنى لا أمتدح فن نظامى الشعرى . غير أن من الإنصاف أن أقرر أن هذه قضية يحكم فيها الذوق الأدبى فى القرن السادس الهجرى - الذى كان الشاعر يعيش فيه - لا الذوق الأدبى فى عصرنا هذا ؛ لأن الذوق يتغير بتغير المصور ، وبيننا وبين الشاعر قرون متطاولة لا بد أن الذوق الأدبى قد تغير فى أنفائها تغيراً كبيراً ؛ فمن الإجحاف أن نحكم بمقاييس الذوق الأدبى فى العصر الحديث فى شعر نُظِمَ فى القرن السادس ، وإنما يجب أن نفهمه بذوق ذلك القرن ، وأن نستهدى فى حكمنا برأى الناس فى عصره ، ومدى استساغتهم لشعره ، وإعجابهم به . ويبدو أن الناس أُعْجِبُوا بشعره ، فقدروه ، وحاولوا تقليده ، وإن كانت ظروف العصر القاسية ، لم تهيج له المزيد من تقدير الحكام ، والجزيل من عطاياهم .

أما الشاعر نفسه ، فكان يعتقد أنه أصاب فى الميل إلى هذا الفن الشعرى ، مما جعله يزهر وخوراً بشعره ، وفنه .

خاتمة

أما بعد .. فإني أرجو أن تكون هذه الدراسة كافية لإعطاء صورة واضحة عن نظامى الكنجوى ، وعصره ، وبيئته ، وشعره .
وإن كان لابد من إصدار حكم على الشاعر ، فإنى أستطيع أن أقرر - بعد هذا القدر اليسير من الدراسة - أن نظامى كان ذا شخصية واضحة المعالم ، لها مقوماتها الخاصة بها .

فقد مال إلى العزلة رغم أن نفسه لم تمزف عن الاتصال بالناس .
وكان ذا دين وخلق ، فتمسك بدينه وخلقه بعد الاتصال بالحكام ، بل حاول أن يحمل من نفسه داعية من دعاة الفضيلة ، فظهرت شخصيته واضحة في كل ما نظم من شعر ، وأقحم آراءه الخاصة في أشعاره ، وهى الجو المناسب لإظهارها ؛ مما جعل لمنظوماته نفحات واحدة مشتركة ، مهما اختلفت موضوعاتها .
فنغمة حب العدل والوفاء ، وتجنب الظلم والجفاء قد ظهرت واضحة في كل منظوماته ، وحاول أن يصدرها على لسان أبطال قصصه ، وعن طريق أفهامهم ، فكل منهم يحب العدل فيقره ، ويسعى إلى دفع الظلم ، وإعادة شبحه .
ونغمة التضف بالخلق القويم ، وطهارة الذل ، ورعاية الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة لم يقطع ترددها في منظوماته ، وتصويرها في أقوال شخصيات القصص ، ونجسيها في أفهامهم .

وكان الشاعر يحب التعمق ، وعدم أخذ الأشياء بظواهرها فحاول سبر الأغوار ، واستخراج المكنون ، وظهر ذلك بصورة جلية في تحليله لشخصيات ، وعرض الموضوعات من جوانب مختلفة .

وكان يعالج المسائل معالجة المنصف دون تعصب ، أو خضوع لموى معين ، فوضح هذا في شعره ؛ فلم يحاول - مثلاً - أن يثبت أن الإسكندر إرأى ،

أو يغفل ذكر تعطيه لبيوت النار ، أو تمزيقه لكتاب الإيرانيين المقدس ، بل أورد كل شيء ، ولم يستنكف عن إثبات أن الإسكندر كان أفضل من « دارا » الإيراني ، لأنه كان عادلاً ، بينما كان « دارا » ظالماً تقتل بأيدي رجلين من رجاله .

وقد أثرت في الشاعر عاطفته الإسلامية - كرجل مسلم منى متدين - فطفت على ماعداها من عواطف ، وغلبت على عاطفته الوطنية الخاصة ، فجعلته ينظر إلى الأشياء من وجهة النظر الإسلامية العامة الواسعة ، وصبت شعره بصبغة دينية واضحة ، فصار أداة لخدمة الإنسانية والفضيلة .

وكانت شخصية نظامي كشاعر واضحة تمام الوضوح ، فلم يكن شاعراً مقلداً .

فقد نظم قصصاً لأول مرة ، مثل « ليلي ومجنون » ، كما كانت قصصه الأخرى - « خسرو وشيرين » و « هفت پيكر » و « إسكندرنامه » - طريفة في الصور التي صورها هو ، لأنه أدخل فيها عناصر جديدة لم يسبقه شاعر إليها ، وبدأت منظومته « مخزن الأسرار » دقيقة الترتيب ، جديدة الأسلوب .

وكان من السابقين إلى نظم القصص بهذه الطريقة في الشعر الفارسي في القرن السادس الهجري ، كما كان أول من نظم خمس منظومات ترددت فيها نيات متحدة .

وكان ذا شخصية واضحة في فن صناعة الشعر ، فقد مال إلى لون من الفن ، ففضله والتزمه ، وتأيّد نفسه بمذهب شعري ، فسار عليه ، ولم يفارقه ، وآمن بصحته وسلامته ، فحرص عليه ، وحاول أن يثبت إتباعه له في كل منظومة من منظوماته ، مهما تكلف من عناء ، ووجد في ذلك لذة ، فأخذ نفسه بكثير من القيود في نظم الشعر ، معتقداً أنها ترفع قدر شعره ، وتزيده روعة وجمالاً .

وهكذا كان لنظامي طابع مميز ، وشخصية موحدة واضحة . مما جعله صاحب

مدرسة شعرية خرّجت كثيراً من الشعراء حاولوا أن يقلّدوه ، وأن يصحبوا أصحاب خمس منظومات مثله ، فكان بذلك إماماً من أئمة الشعر الفارسي ، وصار من شعراء الفارسية القليلين الذين قُلِّدوا كثيراً ، وهذه منزلة اعترف بها الشعراء أنفسهم ، وقررها كثير من شعراء الفارسية والتركية .

ولذلك ؛ لا أعد نفسي مبالغاً إذا قررت أن نظامي هو إمام « فن المتنوي » وهو فن من أهم فنون الشعر الفارسي ؛ ولعل هذا الحكم قريب من الصدق والصحة بعد هذا القدر من الدراسة التي شملت الشاعر وشعره .

وليس معنى هذا أن نظامي كان أنبغ شعراء الفارسية ، وإنما معناه أنه من شعراء الصف الأول ، فهو جدير بالدرس ، وبأن يوضع في مكانه اللائق بين شعراء هذه اللغة .

ولا أزمع كذلك - أن هذا البحث بُعدٌ نهائياً في موضوع نظامي ، لأن هذا الموضوع أوسع وأعمق من أن يستنفده بحث كهذا .

وإنما قصدت أن أضيف حلقة جديدة إلى سلسلة الأبحاث المتصلة بالشاعر ، وأن أجمله نواة وأساساً لأبحاث أكثر عمقاً وتفصيلاً ، تتناول كل منظومة من منظومات الشاعر بدراسة مستقلة مفصلة مقارنة مع ترجمتها إلى اللغة العربية ، كما تتناول ديوانه الذي ضاعت منه أجزاء كثيرة ، فتجمع ما تشقت منه في الكتب والمكتبات المختلفة . ثم تتناوله - مجموعاً منقحاً - بالنشر والدرس والترجمة .

وإن أبحاثاً كهذه لتهتاج إلى سنوات لا يلم عددها إلا الله ، ولكنّها ليست عزيزة المنال ، إذا صح العزم ، وأفسح الله في العمر ، وحالفها التوفيق ؛ والله أسأل أن يوفق للصواب .. إنه على ما يشاء قدير .

ثبت بأسماء المراجع^(١)

١- المراجع التي كتبت بالalfabets الشرقية

١- المراجع الفارسية :

١- ابن البيي : (يحيى بن محمد المعروف بابن البيي) مختصر سلجوقنامه ،

نشر هوتسما Houtsma ، طبع ليدن ، ١٩٠٢ م .

٢- ابن الشبانكارى : (محمد بن علي بن شيخ محمد بن حسن بن أبي بكر الشبانكارى)

١- مجمع الأنساب (المختصر) نسخة خطية بمكتبة سعيد نفيسي

الخاصة بطهران ، تحت رقم ٣٧٦٨ .

٣- ب- مجمع الأنساب (النسخة الموصلة) مخطوطة بمكتبة سلطان

القراني الخاصة بطهران ، كُتبت في عام ١٣٥٠ هـ .

٤- ابن النظام الحنفي : (الوزير محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحنفي)

المراضة في الحكاية السلجوقية ، نشر كارل زوسايم

K. Susheim ، طبع ليدن ، ١٩٠٢ م .

٥- ابن يوسف شيرازي : فهرست كتابخانه مدرسه عالي سبسالار

جلد دوم ، طبع طهران ، ١٣١٦-١٣١٨ هـ^(٢) . ش

٦- » » » : فهرست كتابخانه مجلس شورای ملی ، جلد سوم ،

طبع طهران ، ١٣١٨-١٣٢١ هـ . ش

(١) سأذكر هنا المراجع التي ورد ذكرها في ثنايا البحث ، وهي التي اعتمدت عليها في كتابته .

(٢) ٥ هـ . ش . رمز للتقويم الهجري الشمسي السمتل في إيران ، وتبدأ السنة

الهجرية الشمسية في يوم ٢١ مارس من كل سنة ، وعدد أيامها ٣٦٥ يوم إذا كانت بسيطة و ٣٦٦ يوم إذا كانت كبيسة ، ولذلك فإن سنة ١٣٧٣ هـ . قمرية تقابل ١٣٣٢ هـ . شمسية .

٧ - أبو عمر الجوزجاني: (أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني)

طبقات ناصري ، نشر وتصحيح ولیم ناسولیس Nassau Lees

ومولوی خادم حسین ، ومولوی عبدالحی ، طبع کلکتہ ۱۸۶۳ م .

٨ - أبو المعالی محمد الحسینی الملوّی : بیان الأديان در شرح أديان ومذاهب جاهلی

وإسلامی (مؤلّف في سنة ٤٥٨ هـ) تصحيح عباس إقبال .

طبع طهران ، ١٣١٢ هـ . ش .

٩ - إسكندر بيك تركاني منشي : تاريخ عالم آرای عباسی ، طبع طهران ،

١٣١٤ هـ .

١٠ - إسكندر نامه الثرية الخطية : نسخة وحيدة ، كُتبت في القرن السادس

الهجري ، توحيد بمكتبة سعيد نفيسي الخاصة بطهران تحت رقم

١٣٠٦ .

١١ - إسكندر نامه الثرية المنشورة ، تنسب إلى المصير القاجاري ونشرت

في القرن الماضي بطهران .

١٢ - إصفهاني : (محمد صادق بن محمد صالح آزاداني إصفهاني) شاهد

صادق (مؤلّف في الهند في سنة ١٠٥٦ هـ) نسخة خطية بمكتبة

مجلس النواب (مجلس شورى ملی) طهران ، تم نسخها في

عام ١٣١٤ هـ .

١٣ - أفضل الدين السكرماني : (أبو حامد أحمد بن حامد السكرماني)

١ - عقد الملی للموقف الأملی (مؤلّف في سنة ٦٨٤ هـ) نشر على

محمد نائینی ، طبع طهران ، ١٣١١ هـ . ش .

١٤ - ب - تاريخ أفضل یا بدايع الزمان في وقائع کرمان ، جمع ونشر

مهدي بياني - دكتور - طبع طهران ، ١٣٢٦ هـ . ش .

١٥ - أمير خواند للبلخي : (محمد بن خاوند شاه بن محمود) روضة الصفا ،

الجزء الرابع ، طبع طهران ، ١٢٧٠ هـ

- ١٦ - أمير شیر علی خان لودی : مرآة الخیال ، طبع بمهای ، ١٣٢٤ هـ .
- ١٧ - أمير یحیی حسینی قزوینی : اب التواریخ ، نسخة خطیة بمکتبة ملك الخاصة بطهران ، کتبت فی عام ١٩٧٨ هـ .
- ١٨ - امین رازی : هفت إقليم ، نسخة خطیة بمکتبة ملك الخاصة بطهران ، تم نسخها فی عام ١١٠٨ هـ .
- ١٩ - البناکتی : (فخر الدین ابوسلیان البناکتی) روضة اولی الالباب فی تاریخ الأکابر والأنساب ، القسم الرابع ، نسخة خطیة بمکتبة ملك الخاصة بطهران .
- ٢٠ - بهار : (محمد تقی بهار ملك الشعراء) سبک شناسی ، ج ٢ ، طبع طهران ، ١٣٢١ هـ . ش .
- ٢١ - البیضاوی : (قاضی ناصر الدین عبد الله بن عمر) نظام التواریخ ، نشر وتصحیح بهمن کریمی ، طبع طهران ، ١٣١٣ هـ . ش .
- ٢٢ - تبریزی : (میرزا راضی تبریزی) زینة التواریخ ، نسخة خطیة بمکتبة ملك بطهران .
- ٢٣ - تربیت : (محمد علی تربیت) دانشمندان آذر بیجان ، طبع طهران ، ١٣١٤ هـ . ش .
- ٢٤ - جامی : (عبد الرحمن الجامی) بهارستان ، طبع طهران ١٣١١ هـ . ش .
- ٢٥ - نفس المؤلف : نفحات الأسى ، طبع لکهنو ، ١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م .
- ٢٦ - جان ریپکا : چند غزل تازه از نظامی گنجوی ، طبع طهران ، ١٣١٤ هـ . شمسی - ١٩٣٥ م .
- ٢٧ - الجوینی : (علاء الدین عطا ملك الجوینی) جهان کشای ، ج ٢ ، نشر وتصحیح محمد بن عبد الوهاب القزوینی ، طبع لیدن ، ١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م .

- ٢٨ - حاجي خليفة : (مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة ، وبكاتب جلبي)
تقويم التواريخ ، نسخة خطية بمكتبة ملك بطهران ، تم نسخها
في عام ١٠٥٨ هـ ، وخاتمتها بخط المؤلف نفسه .
- ٢٩ - حافظ ابرو : (خواجه نور الدين لطف الله) زبدة التواريخ ، نسخة
خطية بمكتبة ملك بطهران .
- ٣٠ - نفس المؤلف : مجمع التواريخ ، جلد سوم ، نسخة خطية بالمكتبة
الأهلية (كتابخانه ملی) بطهران ، تحت رقم ١٥٧٨ .
- ٣١ - حسين بايقرا : (أمير كمال الدين حسين بن شهاب الدين) مجالس
العشاق ، طبع لسكرتو ، ١٣١٤ هـ - ١٨٩٧ م .
- ٣٢ - حكمت : (على أصغر) رومثو وجوليت با مقايسه باليلي ومجنون
نظامي ، طبع طهران ، ١٣١٧ هـ . شمس .
- ٣٣ - حمد الله مستوفى قزويني : (حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر
المستوفى القزويني) تاريخ كزیده ، جلد أول (مؤلف في سنة
٥٧٣٠ هـ) نشر وتحقيق براون ، طبع ليدن ، ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م
- ٣٤ - نفس المؤلف : نزهت القلوب (مؤلف في سنة ٥٧٤٥ هـ) طبع بمباي ١٣١١ هـ
- ٣٥ - خواند امير : (غياث الدين بن حماد الدين) خلاصة الأخبار في بيان
أحوال الأخبار ، مقالة هشتم ، نسخة خطية بمكتبة سلطان القرائ
الخاصة بطهران ، تم نسخها في عام ١٠٣٣ هـ .
- ٣٦ - نفس المؤلف : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، نشر محمد حسين
كاشاني ، طبع بمباي ، ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٨ م .
- ٣٧ - نفس المؤلف : دستور الوزراء ، تصحيح سعيد نفيسي ، طبع طهران ،
١٣١٧ هـ . ش .
- ٣٨ - دنيلي : (عبدالرزاق بيك نجفقلی خان بن شهباز خان دنيلي خونی تبریزی)

تذكرة تجربة الأحرار وتسلية الأبرار ، نسخة خطية بمكتبة
سلطان القرائ الخاصة بطهران .

٣٩ - دولتشاه : (أمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي)
تذكرة الشعراء ، تصحيح ونشر براون ، طبع ليدن ،
١٩٠٠م - ١٣١٨هـ .

٤٠ - الرازي : (شمس الدين محمد بن قيس الرازي) المعجم في معايير أشعار
المعجم ، تصحيح محمد عبد الوهاب القزويني ، طبع طهران ،
١٣١٤هـ . ش .

٤١ - الراوندي : (محمد بن علي بن سليمان الراوندي) راحة الصدور وآية
السرور ، نشر وتصحيح محمد إقبال ، طبع ليدن ١٩٢١م .
٤٢ - رشيد الدين فضل : جامع التواريخ ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية
(كتابخانه ملی) بطهران تحت رقم ٨٦٩ .

٤٣ - رضا قليخان هدايت : مجمع الفصحاء ، طبع طهران ، ١٢٩٢هـ .

٤٤ - نفس المؤلف رياض العارفين ، طبع طهران ، ١٣٠٥هـ . ش .

٤٥ - زركوب شيرازي : (أبو عبدالله أحمد بن أبي الخير) شيرازنامه (مؤلف
في القرن الثامن الهجري) بتصحيح واهتمام بهمن كرمي ، طبع
طهران ، ١٣٥٠هـ - ١٣١٠هـ . ش .

٤٦ - زين العابدين شرواني : بستان السياحة ، طبع طهران ، ١٣١٥هـ .

٤٧ - سنائي : (أبو المجد مجدود بن آدم السنائي الفزنوي) حديقة الحقائق ،
طبع بمباي ، ١٨٥٩م .

٤٨ - شبلي نعماني : شعر المعجم ، جلد أول ، طبع طهران ، ١٣١٦هـ . ش .

جلد چهارم ، طبع طهران ، ١٣١٤هـ . ش . ترجمه سيد محمد
تقي فخر داعي كيلاني .

- ٤٩ - عبد النبي قزويني : (ملا عبد النبي فخر الزمان القزويني) ميخانه ،
تصحیح محمد شفیع ، طبع لاهور ، ١٩٢٦ م .
- ٥٠ - عوفی : (محمد عوفی) لباب الألباب ، ج ٢ ، نشر وتحقیق براون ،
طبع لیدن ، ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م .
- ٥١ - نفس المؤلف : جوامع القصص والحکایات ، نسخة خطية بمكتبة ملك
الخاصة بطهران ، تم نسخها في عام ١٠٥٧ م .
- ٥٢ - غلام سرور لاهوري : خزينة الأصفیاء ، جلد أول ، طبع لسکهنو ،
١٣٣٢ هـ .
- ٥٣ - فردوسی : (أبو القاسم منصور بن أحمد بن فرخ الفردوسی الطوسی)
شاهنامه ، ج ٣ ، طبع طهران ، ١٣١١ هـ . شمسی ؛ ج ٤ ؛
ج ٥ ، طبع طهران ، ١٣١٣ هـ . ش .
- ٥٤ - فرهاد میرزا معتمد الدولة : هدايت السبيل وكفايت الدليل ، طبع
شيراز ، ١٢٩٤ هـ - ١٨٧٧ م .
- ٥٥ - فريد الدين عطار نيشاپوري : (أبو حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم
العطار النيشاپوري) تذكرة الأولیاء ، طبع طهران ، ١٣٢١ هـ . ش .
- ٥٦ - فصیح خوانی : مجمل فصیحی ، نسخة مصورة بمكتبة المجمع الفرنسي
بتهران ، كتبت في عام ٨٤٥ هـ .
- ٥٧ - قاسم غني : (دكتور) تاريخ تصوف در اسلام ، طبع طهران ،
١٣٦٢ هـ - ١٣٢٢ هـ . ش .
- ٥٨ - كريسق ولسن : تاريخ صنایع ایران ، ترجمة عبد الله فريار ، طبع
طهران ، ١٣١٧ هـ . ش - ٢٩٣٨ م .
- ٥٩ - الكريّم الأقسرائي : (محمود بن محمد المشتهر بالكريم الأقسرائي)
مسامرة الأخبار ، ومسامرة الأخبار (. مؤلف في سنة ٨٧٢٣)
مع مقدمة وتصحيح وحواشي عثمان توران طبع انقره ، ١٩٤٤ م

٦٠ - مجله مهر ، سال سوم ، شهر يورماه ١٣١٤ ، شماره ٤ ؛ سال پنجم ،
مرداد ماه ١٣١٦ هـ . ش .

٦١ - مجله يادگار ، سال سوم ، شماره ششم وهفتم ، بهمن واسفندماه
١٣٢٥ هـ . ش .

٦٢ - مجل القصص والتواريخ : (مجموع المؤلف ، يبدو أنه ألف في
النصف الأول من القرن السادس الهجري) تصحيح ملك
الشعراء محمد تقى بهار ، طبع طهران ١٣١٨ هـ . ش .

٦٣ - محمد بن ابراهيم : تاريخ سلجوقيان كرمان ، نشر هوتسما Houtsma
طبع ليدن ١٨٨٦ .

٦٤ - محمد صوفى : تذكرة بتخانه (وهى تسمى جواهر المنظومات ، وقد
ألفت فى عام ١٠١٠ هـ) نسخة خطية بمكتبة مجلس النواب
(كتابخانه مجلس شوراى) ملى بطهران) تم نسخها فى عام
١٣٤٠ هـ .

٦٥ - معصوم على شاه نعمة اللهى . طرائق الحقائق ، طبع طهران ، ١٣١٩ هـ .

٦٦ - مولوى أغا على أحمد على : هفت آسمان ، طبع كلكته ، ١٨٧٣ م .

٦٧ - مير تقى كاشى : خلاصة الأفكار وزبدة الأخبار ، نسخة خطية بمكتبة
سعيد نفيسى الخاصة بطهران ، تحت رقم ٩٨٦

٦٨ - مير حسينى سنبلى : تذكرة حسينى ، طبع لىكنهو ، ١٢٩٢ هـ .

٦٩ - مير عليشير نوائى : مجالس النفائس (مؤلف بالتركية الجفطانية) ترجمة
حكيم شاه محمد قزوينى ، نشر وتصحيح على أصغر حكمت ،
طبع طهران ، ١٣٢٣ هـ . ش .

٧٠ - ناصر الدين شاه قاجار : سفرنامه بفرنگستان ، طبع بمبئى ، ١٨٧٦ م .

٧١ - نظامى عروضى سمرقندى . (أحمد بن عمر بن على النظامى العروضى
السمرقندى) چهارمقاله (يبدو أنه مؤلف فى سنة ٥٥٠ هـ .)

بسمی واهتمام محمد عبد الوهاب قزوینی ، طبع لیدن ،

۱۳۲۷ هـ - ۱۹۰۹ م .

۷۲ - نظامی گنجوی : (نظام الدین أبو محمد الیاس بن یوسف بن زکی بن

مؤید الکنجوی) مخزن الأسرار ، نشر وتصحیح حسن

وحید دستگردی ، طبع طهران ۵ . ش .

۷۳ - نفس المؤلف : خسرو و شیرین ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ، طبع

طهران ، ۱۳۱۳ هـ . ش .

۷۴ - نفس المؤلف : لیلی و مجنون ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ، طبع

طهران ، ۱۳۱۳ هـ . ش .

۷۵ - نفس المؤلف : هفت پیکر ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ، طبع

طهران ۱۳۱۵ هـ . ش .

۷۶ - نفس المؤلف : هفت پیکر ، نشر وتصحیح ریترو وریکا ، طبع استانبول

۱۹۳۳ م .

۷۷ - نفس المؤلف : شرفنامه ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ، طبع

طهران ، ۱۳۱۶ هـ . ش .

۷۸ - نفس المؤلف : خردنامه و اقبالنامه ، نشر وتصحیح وحید دستگردی ،

طبع طهران ، ۱۳۱۷ هـ . ش .

۷۹ - نفس المؤلف : خمسه نظامی ، طبع کلکته ، ۱۲۶۵ هـ .

۸۰ - نفس المؤلف : خمسه نظامی ، طبع طهران ، ۱۳۱۶ هـ .

۸۱ - نفس المؤلف : خمسه نظامی ، نسخه خطیه بدارالکتب المصریه ،

تحت رقم ۱۲۰ آدب فارسی .

۸۲ - نفس المؤلف : دیوان نظامی ، نسخه خطیه بدارالکتب المصریه ،

تحت رقم ۱۶۸ م ، ضمن مجموعه منتخبات .

٨٣ - المجویری الفزنوی : كشف المحجوب ، نشر جوكوفسكي ، طبع

لينينجراد ، ١٩٤٤م - ١٩٢٦م .

٨٤ - والله داغستاني : (عليقل خان) رياض الشعراء نسخة خطية بمكتبة

ملك الخاصة بطهران ، (مؤلف في عام ١١٦٩ هـ) ، كتبت في

١٣٠١ هـ

٨٥ - وحيد دستكردي : مقدمته لديوان نظامي الذي سماه كنجينه كنجوي ،

طبع طهران ، ١٣١٨ هـ . ش .

٨٦ - نفس المؤلف : هزار اندرز حكيم نظامي ، طبع طهران ، ١٣٢٠ هـ . ش .

* * *

ب - المراجع العربية :

٨٧ - ابن الأثير : (علي بن أحمد بن أبي الكرم) الكامل في التاريخ ،

ج ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، طبع تورنبرج ، ١٨٥١م .

٨٨ - ابن بطوطة : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي

ثم الطنجي) رحلة ابن بطوطة للسياحة « تحفة النظار في غرائب

الأمصار وعجائب الأسفار » طبع القاهرة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨م .

٨٩ - ابن جرير الطبري : (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري) تاريخ

الأمم والملوك ، ج ٢ ، طبع مصر .

٩٠ - ابن حزم : (أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري) الفصل في

الملل والأهواء والنحل ، ج ٣ ، طبع مصر ١٣٢٠ هـ . ج ٤ ،

٥ ، طبع مصر ١٣٢١ هـ .

٩١ - ابن خردادبه : (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خردادبه)

المسالك والممالك ، طبع لندن ، ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩م .

- ٩٢ - ابن العبري: (غريغور يوس أبو الفرج بن اهرن الطيب اللطى المرف
بأبن العبري) تاريخ مختصر الدول ، طبع بيروت ، ١٨٩٠ م .
- ٩٣ - ابن العماد : (أبو الفلاح بن العماد الحنبلى) شذرات الذهب فى أخبار
من ذهب ، ج ٤ ، ٥ ، طبع مصر ، ١٣٥٠ هـ .
- ٩٤ - ابن الفقيه الهمداني : (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني) مختصر كتاب
البلدان ، طبع ليدن ، ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥ م .
- ٩٥ - ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم) الشعر والشعراء ، طبع
ليدن ، ١٨١٠ م .
- ٩٦ - ابن نباته : (جمال الدين محمد بن محمد بن نباته المصرى) سرح الميرون
فى شرح رسالة ابن زيدون ، طبع مصر ١٣٢١ هـ .
- ٩٧ - ابن الوردي : (زين الدين عمر بن الوردي) تاريخ ابن الوردي ،
ج ٢ ، طبع مصر .
- ٩٨ - أبو الفدا : (الملك المؤيد اسماعيل أبو الفدا صاحب حماة) تاريخ أبى
الفدا المسى « المختصر فى أخبار البشر » طبع استانبول ،
١٢٨٦ م .
- ٩٩ - أبو الفرج الإصهاني : (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد) الأغاني ،
ج ١ ، ٢ ، طبع مصر ، ١٣٢٣ هـ .
- ١٠٠ - أبو معشر الفلاسكى البلخى : كتاب الألوفا والأدوار ، نسخة خطية
بمكتبة مجلس النواب (مجلس شورى) بتهران ، تم نسخها
فى عام ١١٣٥ هـ .
- ١٠١ - أحمد أمين وزكى نجيب : قصة الأدب فى العالم ، ج ١ ، طبع مصر ،
١٩٤٣ م .
- ١٠٢ - أحمد الشايب : أصول النقد الأدبى ، طبع مصر ، ١٩٤٠ م .
- ١٠٣ - الاصطخرى : (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى

- المعروف بالسرخي) مسالك الممالك ، طبع ليدن ، ١٨٧٠ م .
- ١٠٤ - أبا بزرگ الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ج ٧ ، طبع طهران ، ١٣٢٩ هـ .
- ١٠٥ - الأنطاكي : (داود الأنطاكي المعروف بالألكه) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق المشاق ، طبع مصر ، ١٣١٩ هـ .
- ١٠٦ - البندادي : (عبد القادر بن عمر) خزانة الأدب ولب أبواب لسان العرب ، ج ٢ ، طبع مصر ، ١٢٩٩ هـ .
- ١٠٧ - البنداري : (الفتاح بن علي بن محمد البنداري الإصفهاني) . ترجمة الشاهنامة للفردوسي ، نشر عبد الوهاب عزام ، ج ٢ ، طبع مصر ، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .
- ١٠٨ - نفس المؤلف : مختصر تواريخ آل سلجوق ، نشر هوتسما Houtsma ، طبع ليدن ، ١٨٨٩ م .
- ١٠٩ - البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج ١ ، طبع ليزنيج ، ١٨٤٦ م .
- ١١٠ - الثعالبی : (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، طبع باريس ، ١٩٠٠ م .
- ١١١ - الجنابي : (أبو محمد بن الأمير حسن الحسيني الملقب بالجنابي) تاريخ الجنابي المسمى « تحفة الأدب وهدية الأريب » نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران .
- ١١٢ - جنيد الشيرازي : (معين الدين أبو القاسم) شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار (مؤلف في عام ٧٩١ هـ) نشر وتصحيح محمد عبد الوهاب التتويزي وعباس إقبال ، طبع طهران ، ١٣٢٨ هـ . ش .
- ١١٣ - حاجي خليفة : كشف القلنون عن أسامي الكتب والفنون ، نشر

وتمليق محمد شرف الدين يالتافيا ورفعت بيكه السكيسى ،

المجلد الأول ، طبع استانبول ، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ ؛ والمجلد

الثاني ، طبع استانبول ، ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م .

١١٤ - الحافظ الذهبي : (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي) تاريخ

الإسلام الذهبي ، طبع حيدرآباد الدكن ، ١٣٣٧ هـ .

١١٥ - الحسيني : (صدر الدين أبو الحسن علي السيد الإمام الشهيد أبو

الفوارس ناصر بن علي الحسيني) أخبار الدولة السلجوقية ،

نشر وتصحيح محمد إقبال ، طبع لاهور ، ١٩٣٣ هـ .

١١٦ - السمعاني : (أبو سعيد عبد الكريم بن أبي بكر محمد السمعاني

المروزي) كتاب الأنساب ، نشر مارجليوث Margoliouth ،

طبع ليدن ، ١٩١٢ م .

١١٧ - الشهاب : (أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين

الخفاجي المصري) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي السماء

بـ ٥ عناية القاضي وكفاية الرازي (ج ٦ ، طبع مصر ١٢٨٣ هـ .

١١٨ - الشهرستاني : (محمد بن عبد الكريم) الملل والنحل ، طبع

ليزيج ، ١٩٢٣ م .

١١٩ - طه حسين : (دكتور) حديث الأرباء ، ج ٢ ، طبع مصر ، ١٩٢٦ م .

١٢٠ - عبد الله بن حسين المصري : تاريخ الفلاسفة اليونانيين (مترجم

عن الفرنسية) طبع مصر ، ١٩٠٤ م .

١٢١ - النزالي : (حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد النزالي الطوسي)

تهافت الفلاسفة ، طبع بمباي ، ١٠٣٤ هـ .

١٢٢ - الفخر الرازي : (الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء

الدين عمر المشتهر بمخيط الرازي) ، ج ٥ ، ط مصر ، ١٣٠٨ هـ .

- ١٢٣ - القرآن الكريم .
- ١٢٤ - القرطبي : (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، طبع القاهرة ، ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م .
- ١٢٥ - القزويني : (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) آثار البلاد وأخبار العباد ، نشر فردناند وستنفيلد F. Wustenfeld ، طبع جوتينجن ، ١٩٤٨ م .
- ١٢٦ - القفطي : (الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، طبع مصر ، ١٣٢٦ هـ .
- ١٢٧ - قيس بن الملوح مجنون بن عاصم : الديوان ، جمع أي بكر الوالي ، طبع بجاي ، ١٣١٠ هـ .
- ١٢٨ - محمد باقر الإصفهاني : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج ١ طبع طهران ، ١٣٠٦ هـ .
- ١٢٩ - المسعودي : (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الحسيفي الشافعي) التنبيه والإشراف ، طبع ليدن ، ١٨٩٣ م .
- ١٣٠ - المقدسي : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أي بكر) أحسن التقاسير في معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ، ١٩٠٦ م .
- ١٣١ - ياقوت الحموي : (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي البغدادى) معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان ، ج ٣ ، ٤ ، طبع مصر ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م .
- ١٣٢ - اليعقوبي : (أحمد بن يعقوب بن أبي واضح) كتاب البلدان ؛ وهو

مطبوع مع المجلد السابع من كتاب الأعلام ، تصنيف
أبي علي أحمد بن عمر بن رسته ، طبع ليدن ١٨٩٢ م .

* * *

ج - بالتركية :

١٣٣ - شمس الدين سامي : قاموس الأعلام ، طبع استانبول ، ١٣١٦ .

M. A. Koymen: Buyuk Selcuklu Imparatorlugu — ١٣٤
Ogus Istilasi dil ve Tarih-Gografya, Fakultesi dergisi
cilt v Sayes den ayribasia (extrait:tome v. No. 5)

* * *

٢ - المراجع التي كُتِبَتْ باللغات الأوروبية

١ - المراجع الإنجليزية :

E. G. Browne : a) A Literary History of Persia, — ١٣٥
vol. II Cambridge, 1928.

b) A Catalogue of Persian Manuscripts in — ١٣٦
the Library of the University of cambridge, 1896.

Bulletin of the School of Oriental Studies, London — ١٣٧
Institution, London, 1924.

Bulletin of the School of Oriental and African — ١٣٨
Studies, vol. XII, part, 2, 1948.

G. H. Darab: Makhzanol Asrar of Nizami of Ganjeh — ١٣٩
translated for the first time from the Persian with an
introductory essay of the life and times of Nizami,
London, 1945.

M. S. Dimand: A Handbook of Mohammadan Art, — ١٤٠
New york, 1947.

The Encyclopaedia of Islam, vol. 2, Articles: Gandja — ١٤١
Maragha; vol. III Art. Nizami.

- H. Etbe: Catalogue of Persian Manuscripts in the — ١٤٢
Library of the India Office, Oxford, 1903.
- Hadi Hassan: Falaki-i- Shirwani; His times, life, — ١٤٣
and works; part 2, London, 1929.
- Jackson and Yohannan: A Catalogue of Persian — ١٤٤
Manuscripts (Cochran Collection) New york, 1914.
- Lane - Poole: a) Mohammadan Dynasties, London, — ١٤٥
1894; Paris, 1925.
- b) Catalogue of Arabic Coins at Cairo, — ١٤٦
London, 1897.
- G. Le Strange: The Lands of the Eastern Caliphate — ١٤٧
Cambridge, 1930.
- Mawlawi Abdel Muqtadir: Catalogue of the Arabic — ١٤٨
and Persian Manuscripts in the Oriental Public Library
at Bankipore, Calcutta, 1908.
- Mohammad Wahid Mirza: The life and works of — ١٤٩
Amir Khusrau, Calcutta, 1935.
- Sir Percy Sykes: A History of Persia, vol. II, — ١٥٠
London, 1930.
- Radawi and Saheb: Catalogue of the Persian Manu- — ١٥١
scripts in the Buhar Library.
- C. Rieu; a) Catalogue of the Persian Manuscripts — ١٥٢
in the British Museum, vol. II.
- b) Supplement to the Cat. of the Persian — ١٥٣
MSS. in the Brit. Mus. London, 1895.
- A. Sprenger; Arabic, Persian, and Hindustany — ١٥٤
Manuscripts in the Library of King of Oudh, Calcutta,
1854.

ب - المراجع الروسية:

- Bakikhanow; Golistan Eram, Bakou, 1926. — ١٥٥
- I. E. Berthels; a) Beliki Azerbaidjankii Poet — ١٥٦
قشلي — ٣٢

Nizami, Bakou, 1940.

b) Uchierk istorii Percideckoi Literaturii, — ١٥٧
Leningrad, 1926.

I. P. Cheblkin ; Pamiatniki Azerbiadjanskovo ١٥٨
Zodchestva epochi Nizami, Bakou, 1943.

Izvestia Azerbaidjanskovo Archeologiskovo Komitetia, Burisk Pervoie, Bakou, 1925.

V. L. Jordlevsky ; Gocudarstvo Celgukidov Manoi — ١٦٠
Azie, Moskow, 1941.

Iobilieniu Komitet Nizami, Pri Asccr. Soioz Sovie — ١٦١
takikh Pisatelie Azerbiadjana, Svornik Votorie,
Bakou, 1940.

S. Lipskin : Laila wa Majdnoun Mir Alishir — ١٦٢
Nawai, Tashkand, 1943.

* * *

ج - بالاولانية :

W. Bacher : Nizamis Leben Und Werke Und der — ١٦٣
Sweite Theil des Nizamischen Alexanderbuches mit
Persichen Texten als Anhang, Gottingen, 1871.

H. Duda : Ferhad und Shirin, Praha, 1933. — ١٦٤

* * *

د - المراجع الفرنسية :

Blochet : Bibliothèque Nationale Catalogue des — ١٦٥
Manuscripts persans, Tome Troisieme, Paris, 1928.

Victor Rosen : Les Manuscrits persans de l'Institut — ١٦٦
des Langues Orientales, Saint-petersbourg, 1885.

E. de Zambaur : Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam. Tome premiere, Hanouvre, 1927.

* * *

ه - بالاطالانية :

Italo pizzi : Storia della poesia persiana, vol II, — ١٦٨
Torino, 1894.

ملحقات

١- أسماء الولاة الذين عاصروهم نظائى ، وسقى حكمهم بالتقويمين الهجرى والميلادى

١ - دولة السلاجقة :

- ١ - سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن جفرى بن ميكائيل بن سلجوق ،
من السلاجقة العظام : ٥١١-٥٥٢ هـ ، ١١١٧-١١٥٧ م .
- ٢ - مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان من سلاجقة العراق :
٥٢٧-٥٤٧ هـ ؛ ١١٣٣-١١٥٢ م .
- ٣ - ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٤٧-٥٥٤ هـ ؛
١١٥٢-١١٥٣ م .
- ٤ - محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٤٨-٥٥٤ هـ ؛
١١٥٣-١١٥٩ م .
- ٥ - سليمان بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق : ٥٥٥ هـ ، ١١٦٠ م .
- ٦ - أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، من سلاجقة العراق :
٥٥٥-٥٧١ هـ ؛ ١١٦٠-١١٧٥ م .
- ٧ - طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، آخر سلاجقة العراق :
٥٧١-٥٩٠ هـ ؛ ١١٧٥-١١٩٤ م .
- ٨ - قلیج أرسلان ، من سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٠٠-٥٣٩ هـ ، ١١٠٦-١١٤٤ م .
- ٩ - عز الدين قلیج أرسلان ، من سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٥٧-٥٧٨ هـ ،
١١٦٣-١١٨٢ م .
- ١٠ - غياث الدين كیخسرو ، من سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٧٨ هـ ، ١١٨٢ م .
- ١١ - ركن الدين سليمان ، » » » » : ٥٧٨ — ٦٠٢ هـ ،
١١٨٢-١٢٠٥ م .
- ١٢ - فخر الدين بهرامشاه ، من أمراء سلاجقة آسيا الصغرى : ٥٧٠-٦٢٢ هـ ،
١١٧٤-١٢٢٥ م .

ب - عظام آذربيجان :

- ۱ - ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۵۳۱-۵۶۸ ؛ ۱۱۳۶-۱۱۷۲ م .
- ۲ - محمد جهان پهلوان بن ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۵۶۸-۵۸۲ ؛ ۱۱۷۲-۱۱۸۶ م .
- ۳ - قزل آرسلان بن ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۵۸۲-۵۸۷ ؛ ۱۱۸۶-۱۱۹۱ م .
- ۴ - أبو بكر بن محمد جهان پهلوان بن ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۵۸۷-۵۹۰ ، ۱۱۹۱-۱۲۱۰ م .
- ۵ - أوزبك بن محمد جهان پهلوان بن ايلدگز ، من أتابكة آذربيجان : ۶۰۷-۵۶۲ ؛ ۱۲۱۰-۱۲۲۵ م .
- ۶ - آقسنقر الثاني ، من حکام مراغة : ۵۲۷-۵۶۴ ، ۱۱۳۳-۱۱۶۸ م .
- ۷ - علاء الدين أخو آقسنقر ، من حکام مراغة : ۵۶۴-۵۶۰ ، ۱۱۶۸-۱۲۰۷ م .
- ۸ - منوچهر الثاني ، من حکام شروان : ۵۳۰-۵۴۴ ، ۱۱۳۶-۱۱۴۹ م .
- ۹ - اخستان بن منوچهر ، من حکام شروان : ۵۴۴- بعد عام ۵۹۵ ، ۱۱۴۹- بعد عام ۱۱۹۹ م .

* * *

ج - العباسيون في بغداد :

- ۱ - المقتدى لأمر الله (محمد) : ۵۳۰-۵۵۵ ، ۱۱۳۶-۱۱۶۰ م .
- ۲ - المستجد بالله (يوسف) : ۵۵۵-۵۶۶ ، ۱۱۶۰-۱۱۷۰ م .
- ۳ - المستفيء بالله (علي) : ۵۶۶-۵۷۵ ، ۱۱۷۰-۱۱۷۹ م .
- ۶ - الناصر لدين الله (أحمد) : ۵۷۵-۵۶۲ ، ۱۱۷۹-۱۲۲۵ م .

* * *

د - الاسماعيليون في إيران :

- ۱ - محمد بن بزرك أميد : ۵۳۲-۵۵۵ ، ۱۱۳۷-۱۱۶۰ م .
- ۲ - حسن بن محمد بن بزرك أميد : ۵۵۵-۵۶۱ ، ۱۱۶۰-۱۱۶۵ م .

٣ - محمد بن حسن بن محمد بن بزرك أميد : ٥٦١-٥٦٧ ، ١١٦٥-١٢١٠ م .

* * *

٢ - التعريف بأشهر المدن والقلاع التي ذُكرت في الخريطة^(١)

أرام : ناحية بين آذربيجان وأرمينية وبلاد الأنجار بها مدن كثيرة وقرى ، وكانت قصبتها جنزة (كنج) ، وشروان ، ويليقان ، وكان بها نهر يسمى « نهر الكر » .

أرزنجان : بلدة من بلاد أرمينية على بعد مائتي ميل غربى « أوزن الروم » أهلة بالسكان ، هواؤها عليل ، كثيرة الخيرات ، أهلها مسلمون ونصارى ، وأغلب أهلها من الأرمن ، يتكلمون التركية .
أرزنه الروم : مدينة مشهورة من مدن أرمينية .

أرمينية : ناحية بين آذربيجان والروم ، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة ، أكثر أهلها نصارى .

بلور الكرج : وهى تسمى أحياناً « بلاد الأبغاز » وكانت عاصمتها « تفليس » على نهر الكر .

تبريز : مدينة حصينة ذات أسوار محكمة ، وقد كانت وما زالت قصبة بلاد آذربيجان بها عدة أنهر ، كما تحيط بها البساتين .

در بند : مدينة على ساحل بحر الخزر مبنية بالصخور ، كانت عليها أبواب من الحديد ، كما كان لها أبراج كثيرة ، على كل برج مسجد للجوارين والمشتغلين العلوم الدينية ، وكان على الدور حراس يحرسون من العدو ، وقد بناها كبرى آنوشيروان فى القرن السادس الميلادى ، وكانت أحد الثغور العظيمة .

(١) هذه المعلومات مستمدة من الكتب الآتية :

المسالك والممالك لابن خرداذبه ؛ مسالك الممالك للاصطخرى ؛ التنبيه والإشراف للمسعودى ؛ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى ،

G. Le Strange: The Land of the Eastern Caliphate.

رومين ورم : قلعة حصينة جداً كانت على ثلاثة فراسخ من مراغة .

سراوه : كانت ناحية قرب دربند ، قيل إن كسرى أنوشيروان عمرها فسميت باسمه .

سبواس : كانت من المدن المهمة في آسيا الصغرى ، كما كانت عاصمة سلاجقة الروم .

طهران : وهي العاصمة الآن ، وكانت في عصر نظامي قرية كبيرة من قرى مدينة

الري ، اشتهرت بكثرة البساتين والأشجار ، والثمار اليانعة ، وكانت بها

اثنتا عشرة محلة .

قم : كانت مدينة بأرض الجبال من مدن العراق العجمي ، وكانت كبيرة خصبة ،

وقد مصرت في عهد الحجاج ، بن يوسف سنة ثلاث وثمانين ، أهلها شيعة

غالية جداً ، ومياهها من الآبار التي أكثرها ملح .

قبصيرية : كانت مدينة عظيمة في بلاد الروم بناها ملك الروم من الحجارة ، كما

كانت كثيرة الأهل ، عظيمة العمارة .

كشاف أسماء الأعلام

أبو بكر : (الصديق) ١٢٧-١٢٨	١
أبو الحسن الخرقاني : ٦٦	آدم : (عاليه السلام) ١٢٠-١٦٢-١٦٣
أبو زكريا القزويني : (مؤلف آثار البلاد)	آرسلان : (بن طغرل السلجوقي) ٢٣-
٢٣٧	٢٤-٣٣-٤٤-٥٠
أبو العلاء الكنجوي : (الشاعر الفارسي)	آزريون : (بنت ملك للغرب) ٣٣٢
٦١-٦٢ أبو طي : (ابن المستنجد بالله الخليفة	آفاق : (زوجة نظامي) ٨٧-٨٨-٢٢٩
العباسي) ٥١	آقسقر : (الأحمد بن حاكم مراغة)
أبو معشر البلخي : ٣٩٩	٣٢-٣٩-٤٠-٤١
أنش : (خوارزمشاه) ٢٠	آنوشيروان : ١٦٦-١٦٧-٢٤٠
إته : (Ethie) ١٤٩	آمي : (الشاعر الفارسي) ٢٨٢
اتكينسون : (Atkinson) ٤	إبراهيم أمين الشواربي : (دكتور) ١٣
أثير الدين أخسيكي : (الشاعر الفارسي)	إبراهيم : (عليه السلام) ١١٤
١٦٢ أحمد بن : (بن وهسودان حاكم مراغة)	ابن الأثير : ٢٨-٢٩-٦٤-٧٩
٣٩	ابن بطوطة : ٨٢
الأحمدى الكرمياني : (الشاعر التركي)	ابن سلام : (زوج ليلي معشوقة قيس)
٤٣٢	٢٩٩-٣٠٣-٣١٦
اخستان : (بن منوچهر حاكم شروان)	ابن العبري : ١٩
٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨	ابن الفقيه الحمداني : ٢٣٦
٢٨٦-٢٨٥-٦١	ابن مقلة : ٦٩
أخي فرج الزنجاني : (شيخ نظامي)	ابن هاني : ٦٩
٨٢-٨١	ابن الوردي : ١٣٦
أديب صابر : (الشاعر الفارسي) ٦٢	أبو بكر نصره الدين : (ابن محمد جهان
أرسطو : ١١٦-٣٨٢-٣٨٩-٤٠١-	پهلوان حاكم آذربيجان) ٣٦-
٤٠٢-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٦-٤٠٧	٣٧-٣٨-٤٠-١٣٧-٢٦٩
٤٠٨-٤١٠-٤٢٥	٢٨٦-٣٧٥

أرشيدس : (تليذ أرسطو) ٤٠١-٤٠٢	أمير خسرو الدهلوي : (من شعراء الفارسية) ٧-٦٢-١٤٥-٢٢٥-٢٢٦-٢٨٢
اسحق : (أبو بهرامشاه حاكم آرزنجان) ٥٦	٣١٩-٣٦٧-٤٣٢-٤٣٤
اسك بن سلوكوس : (الإسكندر الأول) ٤٢٥	أمير شير اللودي : (صاحب تذكرة مرآة الخيال) ٤٦
الاسكندر القدوني : ٤-١٠١-١١٦	أنورى : (الشاعر الفارسي) ٦٢
١١٧-١٢٢-١٢٣-١٣٦-١٣٧	أوبان : (زميل فرنسي) ١٢
٣٧١-٣٧٢-٣٧٣-٣٧٦-٣٧٧	أوحدي للراغي : (الشاعر الفارسي) ١٤٥
٣٧٧-٣٧٨-٣٧٩-٣٨٠-٣٨١	أوزبك : (من أتابكة آذربيجان) ٣٨
٣٨٢-٣٨٣-٣٨٤-٣٨٥-٣٨٦	ايلدگز : (مؤسس دويلة أتابكة آذربيجان) ٢١-٢٢-٢٣-٢٤
٣٨٧-٣٨٨-٣٨٩-٣٩٠-٣٩١	٣٢-٣٣-٣٩-٤٠-٤٧-٧٩
٣٩٢-٣٩٣-٣٩٤-٣٩٥-٣٩٦	١٥٦-١٥٧
٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٠٠-٤٠١	اينايغ : (والي الري) ٢٣-٢٤ .
٤٠٢-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٥-٤٠٦	ب
٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤١١-٤١٢	بابا طاهر المريان : (الشاعر الفارسي)
٤١٣-٤١٤-٥١٥-٤١٦-٤١٧	الصوفي (٦٦)
٤١٨-٤١٩-٤٢٠-٤٢١-٤٢٢	باربد : (الغني) ٢٤٠-٢٥٦-٢٦٣
٤٢٣-٤٢٤-٤٢٥-٤٢٦-٤٢٧	باخر : (Bacher) ١-٢-٥-٦-٨
٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠-٤٣١-٤٣٢	١٥٦-١٥٧-٢٢٩ .
٤٤٩-٤٨٠	البخاري : ١٢٢
إسكندروس : (بن الإسكندر) ٤٠٤	بدر الدين طي : (الهندي) ٣
٤٢٤	برتلس : (Berthels) ٢-٨-٩-١٥٨
أفريدون : ١٧٧	٤٣٨
أفلاطون : ١١٧-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٦	براون : (Browne) ١٥٦
٤٠٧-٤٢٤-٤١٠	بركيارق : (السلجوقي) ٥٣
٤٠٧-٤١٠-٤٢٤	
الپ آرسلان : (زميل تركي) ١٢	
الپ آرسلان : (السلجوقي) ١٩-٤١	

- برونسکی: (الاستشرق التشيكوسلوفاکی)
۱۲
بزرگ امید: (الاسماعیلی) ۵۴
بزرگ امید: (أستاذ خسرو پرویز)
۲۲۹-۲۵۴-۲۵۵-۲۶۶
بطليموس: ۱۱۸
بلیناس: (الفيلسوف الحكيم) ۱۱۶-
۴۰۶-۴۰۷-۴۱۸-۴۲۴
بهار: (ملك الشعراء) ۴۳۱
بهرام چوبین: (قائد فارسی) ۴۸-
۲۵۴-۲۵۶-۲۷۳-۲۷۷-۲۸۷
بهرام گور: ۱۱۶-۳۲۳-۳۲۴-۳۲۶-
۳۲۷-۳۳۱-۳۳۲-۳۳۳-
۳۳۴-۳۳۵-۳۳۶-۳۳۷-۳۳۸-
۳۳۹-۳۴۰-۳۴۲-۳۴۵-۳۴۷-
۳۴۹-۳۵۰-۳۵۲-۳۵۴-۳۵۷-
۳۵۸-۳۵۹-۳۶۰-۳۶۱-۳۶۳-
۳۶۴-۳۶۶-۳۶۷-۳۶۸-۳۷۶-
بهرامشاه: (حاکم آرتزنجان) ۲۷-۲۸-
۲۹-۵۶-۱۳۱-۱۵۵-۱۵۶-
۱۵۷-۱۵۹-۱۶۱-۲۱۷-
بوزابه: (من أمراء مسعود السلجوقي)
۲۲
البيضاوی: (المفسر) ۲۲۵-
پ
برزاد: (جارية شیرین) ۲۵۲
ت
تربت: (مؤلف ایرانی) ۲۸
- تقی کاشی: (صاحب تذکره شعراء) ۱۰۲
تککش آرسلان: (خوارزمشاه) ۲۴،
۲۵، ۴۶
ث
الثعالبی: ۲۳۶
ج
جاوی: (الجاندار من قواد مسعود
السلجوقي) ۲۶، ۷۹
جعفر الصادق: ۵۳
جلال الدين الرومی: ۷۰، ۷۱، ۱۵۰
جلال الدين منكبرتي: ۳۸
جمال الدين بن عبد الرزاق: (الشاعر
المارسی) ۶۷
جمشید: ۲۰۵
جورج یعقوب: (مؤلف) ۲-
جوهر: (حاکم الری فی عهد مسعود
السلجوقي) ۵۴
ح
حافظ شیرازی: ۴، ۱
الحجاج بن يوسف الثقفي: ۱۹۴
حسن الصباح: ۵۳، ۵۴
الحسن بن محمد بن بزرگه أمیه: (الاسماعیلی) ۵۴
حسین باقرآ: (التمموری) ۷
خ
خاص بك بن بلنگری: (من أمراء
مسعود السلجوقي) ۲۲، ۲۳، ۳۹

- الحلاقاني : (الشاعر الفارسي) ٤٥ ،
٤٦ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ١٤٦ ، ٤٤٢ ،
الخرقاني : (من شيوخ الصوفية) ٦٧
خانيكوف : (Khanikow) ٤٥
ختن خاتون : (جارية شيرين) ٢٥٢ -
خسرو پرويز : ٢٥ ، ٣٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ،
٨٩ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢٣ ،
١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣١٥ ،
٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٦٥ ،
٣٦٦ ، ٤٤٠ ، ٤٨١ .
الخضر : (عليه السلام) ١١١ ، ١١٥ ،
١١٧ ، ٢٨٨ ، ٣٥٢ ، ٣٧٩ ،
٣٩٦ ، ٤٢٥ .
خواجوا الكرملني : (الشاعر الفارسي) ٢٢٥
خواند امير : (المؤرخ) ١٠٢
خورشاه : (الاسماعيل) ٥٦
خيالي : (الشاعر التركي) ٣١٩
د
دارا بن داراب بن بهمن : (ملك الفرس)
٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،
٣٨٨ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٨١ .
داراب بن بهمن : ٩ ، ١٠ ، ٤٢٧
داود : (عليه السلام) ١١٥
داود : (أبو بهرامشاه حاكم أوزنجان)
٣٩ .
داود بن محمود : (السلجوقي) ٥٤
ديمتريوس : (ملك الكرج) ٧٩
دولت شاه السمرقندي : (صاحب تذكرة
الشعراء) ١٠١ ، ٤٣٨ .
ذ
ذو القرنين : (المذكور في القرآن)
٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠
ر
رابعة المدوية : ١٧٠
راست روشن : (وزير بهرام كور)
٣٥٧ .
الراشد بالله العباسي : ٢١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤
رامين : (معشوقة ويس) ١٤٦ .
الراوندي : (مؤلف راحة الصدور) ٤٧ -
رستم : (البطل الإيراني) ١٤١

- رشیدالدین الطواط : (الشاعر الفارسی) ۱۴۶ .
 سلجوقشاه : ۲۱ .
 سلیمان شاه : (السلجوقی) ۲۲-۲۳-۲۳ .
 رشید الدین الططار : (وزیر المستفیء بالله العباسی) ۵۱ .
 سلیمان : (علیه السلام) ۲۹-۴۶-۱۶۹-
 رضا قلیخان هدایت : (مؤلف فارسی) ۱۰۲ .
 ۲۰۳-۴۵۱
 سلم العامری : (خال مجنون لیل) ۳۰۸
 رفیعی : (الشاعر الفارسی) ۲۸۲ .
 ممن نرك : (جاریة شیرین) ۲۵۲
 روح الامین : (الشاعر الفارسی) ۳۱۹
 سنائی : (الشاعر الفارسی) ۷۰، ۱۴۵،
 روشنك : (بنت خارا بن داراب ملك الفرس) ۳۸۸-۳۸۹ .
 ۲۱۸، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۱۸،
 ركن الدين : (حاكم مراغة) ۴۰ .
 ۲۱۹، ۲۲۰، ۲۲۲، ۲۲۳،
 ركن الدين سليمان : (من سلاجقة الروم) ۲۷ .
 ۲۲۴، ۲۲۵
 سنجر : (السلجوقی) ۱۷، ۱۹، ۲۰،
 سنجر بن سليمان شاه : (السلجوقی) ۳۴
 سنار : (المهندس الذي بنى قصر الخورنق) ۲۴۲، ۲۴۱، ۲۳۸، ۳۲۹
 سهيل : (جارية شیرین) ۲۵۲
 سيكس : (Sykes) ۲۲
 ش
 شاپور : (نديم خسرو پرويز) ۲۴۰
 ۲۴۱، ۲۴۲، ۲۴۳، ۲۴۴،
 ۲۴۹، ۲۵۰، ۲۵۲، ۲۵۷،
 ۲۵۸-۱۵۸ .
 شامو : (Charmoya) ۴
 شاك : (Chak) ۳
 شیر نجر : (Sprenger) ۵
 شعله نيريزی : (الشاعر الفارسی) ۷
 شكر (زوجة خسرو پرويز الإصفهانية)
 ۲۶۱
 ز
 زليخا : ۱۴۶
 زامباور : (Zambaur) ۲۸
 س
 سمدي الشيرازي : ۱-۴-۷۱
 سعيد قيسى : (أستاذ إيراني) ۲-۱۲-
 ۴۳۰ .
 سقراط : ۱۱۶-۴۰۴-۴۰۶-۴۰۷
 ۴۰۸-۴۲۴ .
 سلام البغدادي : ۳۰۹-۳۱۰-۳۱۴

- عزالدين مسعود : (أتابك الموصل) ٩٤-
١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ٣٧٥ -
٤٢٤
عطا ملك الجويني : (لؤرخ) ٤٦ .
علي بن أبي طالب : ١٢٧ ، ١٢٨
علاء الدين كرب أرسلان : (حاكم
مراغة) ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،
٣٢٤ ، ٣٢٣
عماد الدين خوني : (وزير عز الدين
مسعود أتابك الموصل) ١٣٥
عماد فقيه : (الشاعر الفارسي) ٧
عمر بن الخطاب : ١٢٧ ، ١٢٨
عمر : (خال نظامي) ٨٦
عمر الحيام : ١ ، ٤ ، ٦٤ .
العنصرى (الشاعر الفارسي) ١٤٦ .
عيسى : (عليه السلام) ٣٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
١١٦ ، ١١٩ ، ٤٧٧ .
غ
الغزالي : ٦٤
غياث الدين كخسرو : (بن عز الدين قانع
أرسلان من سلاجقة الروم) ٢٧ .
ف
الفخر الرازي : (المفسر) ٤٢٥
نفر الدين الكركاني : (الشاعر الفارسي)
١٤٦
فرانسوا إردمان (P. Erdmann) ٤
فرخ زاد : (بن منوچهر الثاني حاكم
شروان) ٤٦ .
الفردوسي : ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ،
٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٣٢٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،
٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٥ ،
٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤٢٦ ،
٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ،
٤٣١ ، ٤٣٢ .
فرغوربوس : (القبيل-وف الحكيم)
١١٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٢٤
فرنسيس : (جارية شيرين) ٢٥٢
فرهاد : (عاشق شيرين) ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
٢٦١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢
فريد الدين العطار : ٧٠ .
فضولي : (الشاعر التركي) ٣١٩
فلك ناز : (جارية شيرين) ٢٥٢ .
فلسكى الشرواني : (الشاعر الفارسي) ٦٢ .
فورك : (بنت ملك الهند) ٣٣٢
فيضي : (الشاعر) ٣٦٧
فيلقوس : (أبو الإسكندر) ٣٨٠ ،
٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩
فيلمان : (Villemann) ١٠
ق
قتلوع اينانج : (بن جهان بهلوان حاكم
آذربيجان) ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٤٠

- قراستقر : (من أمراء مسعود السلجوقي) ٧٩-٧٨-٢١ .
- قزل آرسلان : (بن ايلدگز حاكم آذربيجان) ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ١٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٨٦ .
- قطب قباذ : (أمير أمراء المستغنى بالله المباسى) ٥١ .
- قلج آرسلان : (من سلاجقة الروم) ٢٦ قيس : (مجنون بنى عامر) ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٦٥ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٨١ .
- قباذ : (والى إصفهان فى عهد مسعود السلجوقي) ٢٣ .
- ك
- كاتبي : (الشاعر الفارسى) ٢٢٥ .
- كاستنس : (Calestens) ٤٣١ .
- كردويه : (أخت بهرام چويين) ٢٧٣ .
- السكرم الأقرانى : (مؤلف سامرة الأخبار) ٥٦ .
- كسرى أنوشيروان : ٢٣٨ .
- كلارك : (Clarke) ٢ - ٦ .
- كيد : (ملك الهند فى زمن الإسكندر) ٤٢٨ .
- كيقباد : (ملك الفرس) ٦٩ - ١١١ - ٣٨٩ .
- كيكاوس : (ملك الفرس) ٣٣٢ .
- كيومرث : (ملك الفرس) ٣٨٩ .
- ك
- كوهر ملك : (جارية شيرين) ٢٥٢ .
- ل
- لامعى : (الشاعر التركى) ٣٨٢ - ٣٦٧ .
- لطفعلى بيك : (مؤلف تذكرة آتشكده) ٦٠ - ١٠١ .
- لويس - پترناجل : (L. Spitznagel) ٤ ليلي : ٨٩ - ٩١ - ١٠٠ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٢٥ - ١٥٠ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٦٥ - ٤٣٧ - ٤٤٠ - ٤٨١ .

محمود الغزنوي : ٦٦ ، ٢٧١ ، ٣٧٥
 محمود بن ملكشاه : (السلجوقي) ٤٣
 مجير الدين البيهقي (الشاعر الفارسي) ٦٢
 محي الدين بن العربي : ٧١
 مريم بنت موديس : (زوجة خسرو
 پرويز النصرانية) ٩٤ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٧ .
 المسترشد بالله : (الخليفة العباسي) ٢١ .
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤
 المستضيء بالله : (الخليفة العباسي)
 ٤٤ ، ٥١ .
 المستجد بالله : (الخليفة العباسي) ٤٤-٥١
 مسعود بن محمد : (بن ملكشاه
 السلجوقي) ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٢ ،
 ٣٩ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ .
 مسعود بن علي : (وزير خوارزمشاه)
 ٥٥ .
 مظفر الدين گوكبري : (حاكم إربل)
 ٣٧ .
 القتي لأمر الله : (الخليفة العباسي)
 ٢١ ، ٢٢ ، ٥٠ ، ٥١ .
 ملكشاه بن ألب أرسلان : (السلجوقي)
 ١٩ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٧٨ .
 ملكشاه بن محمود : (بن محمد بن
 ملكشاه السلجوقي) ٢٢ ، ٢٣ ،
 ١٣٥ ، ٣٢٤ .
 المنصور بالله : (الخليفة العباسي) ٥٠

م
 ماني : (النبي الفارسي) ٢٤٠
 محمد بن بزرك أميد : (الاسماعيلي)
 ٥٤ .
 محمد جهان پهلوان : (بن ايلدگز حاكم
 آذربيجان) ٧ ، ٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ،
 ٢٥ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٣ .
 ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٩ .
 محمد بن الحسن : (بن محمد بن بزرك
 أميد الاسماعيلي) ٥٥
 محمد شوشتری : (الهندي) ٥
 محمد بن عبد الله : (صلى الله عليه وسلم)
 ٤٥ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٤ ،
 ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ،
 ١٥٨ ، ١٦١ ، ٢٣٨ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ،
 ٢٩٠ ، ٣٢٧ ، ٣٧٨ ، ٤٦٨ .
 محمد عوفي : (مؤلف لباب الألباب)
 ٦٠ ، ٤٣٧ .
 محمد بن طغرل : (بن محمد بن ملكشاه
 السلجوقي) ٢٥
 محمد بن محمود : (بن محمد بن ملكشاه
 السلجوقي) ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٩ ، ٥٠ .
 محمد بن ملكشاه : (السلجوقي) ١٩ ،
 ٥٣ ، ٧٨ .
 محمد بن نظامي : ٩٠ ، ١٠٠ ، ٢٩٠ ،
 ٣١٧ ، ٤٥٤

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ،
 ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
 ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
 ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
 ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ،
 ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
 ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
 ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
 ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،
 ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،
 ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ،
 ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ،
 ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

النذر بن النعمان : (ملك الحيرة)
 ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

منكوچك غازي : (أحد أمراء ألب
 أرسلان السلجوقي) ٢٧ .

منوچهر الثاني : (حاكم شروان)
 ٤٣ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧

موسى : (عليه السلام) ١١٥ ، ٤٢٥
 مولوى عبد القنندر : (صاحب فهرس
 مخطوطات) ١٤٩ .

مير حسين طي : ٣
 مير عليشير نوائي : (الشاعر) ٣١٩ ،
 ٤٣٢

مينورسكي : (Minorsky) ١٠

ن

ناثان بلند : (N. Bland) •

نازيري : (بنت ملك خوارزم) ٣٣٢ .
 نجاي : (الشاعر) ٣١٩ .

الناصر لدين الله : (الخليفة العباسي)
 ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥١

نسرين نوش : (بنت ملك سقلاب)
 ٣٣٢ .

نطاوس : (بنت ملك الفرس) ٣٣٢
 نظام الملك : (وزير ملكته السلجوقي)
 ١٩ ، ١٣٥ ، ٣٢٤

نظامي الكنجوي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ،
 ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،
 ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،

هاتفى : (الشاعر الفارسى) ٢٨٢-٧-
٣٦٧-٣١٩

هاروت . ١١٨

هارون الرشيد : ٢٠٩

هربرت دودا : (H. Duda) ٦

هرمز : (ملك القرس) ٢٣٨-٢٣٩-

٢٤٠-٢٤٥-٢٥٠

هرمس : (الفيلسوف الحكيم) ١١٧

٤٠٣-٤٠٦-٤٠٧-٤٢٤

هاى : (بنت قيصر الروم) ٣٣٢

هايون : (جارية شيرين) ٢٥٢

هلالى : (الشاعر الفارسى) ٧

هميلا : (جارية شيرين) ٢٥٢

هوتسما : (Houtsma) ٦

هولاكو : (الغوى) ٥٦

و

واليس : (الفيلسوف الحكيم) ١١٦-

٤٠٣-٤٠٦-٤٠٧-٤٢٤

وامق : (ممشوق عنرام) ١٤٦

وحشى : (الشاعر الفارسى) ٢٨٢-٧

وحيد دستگردى : (أستاذ إراني)

٨٠٧-١٤٨-١٤٩-١٥٧-١٥٨-

٤٣٩-٤٤٣-٤٤٤

ويس : (ممشوق رامين) ١٤٦

ويلسون : (Wilson) ٦

م ٣٣ - نظاى

٢٩٩-٣٠٥-٣١٣-٣١٤-٣١٥-

٣١٦-٣١٧-٣١٨-٣١٩-٣٢٤-

٣٢٦-٣٢٧-٣٤٠-٣٤١-٣٥٧-

٣٦٠-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤-

٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٣٧٢-

٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥-٣٧٧-٣٧٨-

٣٧٩-٣٨٢-٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-

٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤٢٤-٤٢٥-

٤٢٦-٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠-

٤٣١-٤٣٢-٤٣٣-٤٣٥-٤٣٧-

٤٣٩-٤٤٤-٤٤٦-٤٤٨-٤٤٩-

٤٥٠-٤٥١-٤٥٢-٤٥٣-٤٥٤-

٤٥٥-٤٥٧-٤٥٩-٤٦٠-٤٦٥-

٤٦٦-٤٦٧-٤٦٩-٤٧٠-٤٧٢-

٤٧٤-٤٧٥-٤٧٨-٤٧٩-٤٨٠-

٤٨١-٢٨٢

النعمان بن المنذر : (ملك الحيرة)

٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠-٣٤١

نكيسا : (الغنية فى عهد خسر يرويز)

٢٦٣

نيكلسون : (Nicholson) ٢

نوح : (عليه السلام) ١١٤

نور الدين أرسلان : (حاكم الموصل)

١٣٥

نوفل : (صديق قيس مجنون ليلى)

٣٠٠-٣٠١-٣٠٣

نولدهكه : (Noldeke) ٢

ياقوت الحموي : ٤٢٥	يوسف : (عليه السلام) ١١٥-١٤٦-
يزدجرد الأول : (أبو بهرام كور)	١٩٦-٤٧٥
٣٢٧-٣٢٨-٣٣٣	يوسف بن زكي بن مؤيد : (والد
يضا : (بنت ملك الصين) ٣٣٢	نظامي) ٨٥

كتاف الأسر والدول والشعوب والقبائل

الدانشمندية : ٢٦	الأبخاز : ٢٤ - ٢٧
الدولة الخوارزمية : ١٨ ، ٢٠ ، ٨٤	أتابكة آذربيجان : ١٧ - ١٨ - ٢٢ - ٣٣
الدولة الشدادية : ٧٨	٣٥ - ٣٦ - ٤٣ - ٤٧ - ٥١ - ٥٢
الدولة الفزنوية : ١٨	٦٢ - ٧٩
دولة الأتابكة : ٢١ ، ٣٢ ، ٣٨	الأحمديلية : (حكام مراغة) ٤٠
الروس : ٤ ، ٨ ، ٩ ، ٨٩ ، ٣٩٥	الأخية الفتيان : ٥٨ - ٨٢ - ٨٣
الروم : ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٨٩ ، ٣٢٩	الأرمن : ٢٩ - ٤٠ - ٦١
٢٥٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٢٩	الاسماعيليون : ١٨ - ٢٤ - ٤٨ - ٤٩
٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٨٠ ، ٤١٠	٥٠ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٢
٤٢٥	٦٤
الزردشتيون : ١١٣ ، ٣٢٤ ، ٤٢٨	الأشاعرة : ٦٤ - ١٢٨
الزنج : ٣٨٣ ، ٣٨٤	الأكاسرة : ٢٥٠
الساسانيون : ٢٣٥ ، ٢٣٦	الأكراد : ٧٦ - ٨٦ - ٣٥٣
السامانيون : ٥٧	أهل السنة : ٦٤
السلجقة : ١٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٩	الإيرانيون : (الفرس أو العجم) ٨١
٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧	١٢٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٨٢ ، ٣٢١
٥٨ ، ٦٠ ، ٦١	٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٨٤
سلجقة الروم : ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧	٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٣٠
سلجقة العراق : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠	٤٦٦ ، ٤٨١
٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦	بنو أسد : ٢٩٨
٢٧ ، ٣٣ ، ٤٥	بنو عامر : ٢٩٠ ، ٢٩٤
السلجقة العظام : ١٧ ، ١٨ ، ١٩	الترك : ١٢٠
٢٠ ، ٢٦	الحنفية : ٦٤
الشافعية : ٦٤	الحلفاء الراشدون : ١٢٧
الشيعة : ٥٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٦	الحلفاء العباسيون : ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٩

المجوس : ٣٨١	الصوفية : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
للسلمون : ١٢٣	٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨١ ، ١٢٩ ،
المصريون : ٣٨٣	١٣٠ ، ١٧٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٤٤٩ ،
مضر : ٦٩	المرب : ١٢٣ ، ١٤٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ،
المعزلة : ١٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ٦٦	٢٩٩ ، ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٩٠ ، ٣٩٩
للقول : ٨٤ ، ٨٣ ، ٧٠	الفلاسفة : ٦٤
ملوك خوارزم : ٥١	قبائل الفز : ٢٧ ، ٣٠
النيون : ١١٦	قبائل القراخطائية : ٢٠
بأجوج : ٤٢٠	قوم شداد : ٤١٣
اليونانيون : ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤١١	الكيانيون : ٣٨٨
	الكرج : ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٥١ ،
	٥٨ ، ٦١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣

كشاف المردد والباق والقطار والجار والقطر

ألموت : (قلعة) ٥٦ ، ٥٣	١
البراتيپول : ٨٤	آذربيجان : ٢١ ، ٢٠ ، ١٧ ، ٩ ، ١
أوروبا : ٤ ، ١	٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٢٤
إيران : ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٢ ، ٧	٥٠ ، ٤٣ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٧ ، ٣٦
٥٩ ، ٥٧ ، ٥٢ ، ٤٨ ، ٢١	١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٣٧ ، ٧٩ ، ٧٨
٣٣٣ ، ٢٥٤ ، ٢٣٧ ، ٦٠	٢٥١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٢
٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٥٧ ، ٣٣٧	٤٦٦ ، ٢٩١ ، ٢٧٥
٤٦٧ ، ٤٥٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧	آسيا الصغرى : ٨٢ ، ٦١ ، ٣١ ، ١٩
ب	١٥٦
بابل : ٤٢٢	الران : ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٦ ، ٤٧ ، ٣٢
باخرزان : ٢٤٨	٢٤١
باكو : ٤٧	أرانية : ٢٠
بحر الخزر : ٢٣٧ ، ٢٣٦	أرزنجان : ٥٦ ، ٥٥ ، ٢٨ ، ٢٧
بخارى : ٣٨٤	١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٤٩ ، ٥٨
براغ : ٧ ، ٦	أرزن الروم : ٢٧
بردة : ٢٤٨ ، ٢٤١ ، ٢٣٧ ، ٧٨	أرمينية : ٣٩٥ ، ٢٠
٣٩٥ ، ٣٩١	استانبول : ٧
برلين : ٤٣٨ ، ٧	اسكندر آباد : ٤١٦
بطرسبرج : ٤	الاسكندرية : ٤٢٣ ، ٤١٠ ، ٣٨٤
بغداد : ٣٩ ، ٣٣ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ١٧	٤٢٥
٤٠٣ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨	إصفهان : ٥٠ ، ٤٦ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ١٩
٤٥٩	٢٦١
بلاد الأبخاز : ٣٩١ ، ٢٤١ ، ٢٩	أعلم : (من توابع همدان) ٢٢
بلاد الأرمن : ٢٤٠ ، ٤٣٧ ، ٢٣٦	إفريقية : ٦٥ ، ٦٠
٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٢	أكسفورد : ٤٣٨ ، ٧
٣٩١ ، ٢٥٠	

خ	بلاد الأندلس : ٤٢١
خراسان : ١٩-٤٦-٥٣-٢٨٢-٣٩٤-	البلاد التركية الروسية : ٨٢
٤٠٣-٤٦٦-٤٦٧	بلاد الروم : ١٣٦ ، ٢٥٦ ، ٢٧٥ ،
خوارزم : ٢٠-٣٣٢	٢٨٠ ، ٣٨٩
خوزستان : ٢٢	بلاد العرب : ٢٩٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩١
د	بلاد اليونان : ٣٨٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ،
دربند : ٨٨-٣٩٣	٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٤ ،
درسدن : ١٥٧	٤٢٢
دياربكر : ٢٠	مبای : ٧
ديار ريعة : ٢٠	بيت المقدس : ٣٤٨ ، ٤١١
ر	يستون : ٢٣٧
الري : ١٩-٢٣-٢٤-٥٤-٦٦	پ
روئين دثر : (قلعة) ٣٩-٤٠	پاریس : ٧
روسيا : ٨٤-١٣٨	ت
س	التبت : ٣٩٤
سجستان : ١٩-٥٥	تبريز : ٥٤ ، ٥٨
سقلاب : ٣٣٢	تشيكونسولفاكيا : ٦
سمرقند : ١٩	تفرش : ٧٦
سورية : ٦٠	الجزيرة : ١٣٦
ش	جوتبرج : ٥
الشام : ٢٠-١٣٦-٣٢٩	ج
شروان : ١٧-٣٢-٤٣-٤٧-٥٨-	چهار صوفه : ٢٤
٦١-٢٨٥-٢٨٦-٢٨٧-٣١٣-	ح
٤٣٧	الحرمين : ٢٠
شهرزور : ٤٢٢	حدونيان : ٢٣٤
ص	
صقلية : ١٣٦	
الصين : ٣٥-٢٥٤-٣٣٢-٣٣٧-	

ك	٣٥ : كاظمين	٤١٨	ط
	كاك : (قلعة) ٢٤	طاقديس : ٢٦١	طبرستان : ٥٤-١٩
	كرستان : ٣٣٠ ، ١٧ ، ٢٣١	طهران : ٤٣٠-١٣-١٢	ع
	كرمان : ٤٢٢ ، ٢٠ ، ١٩	العراق : ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢١ ، ١٧	عراق العجى : ٧٧
	كرمانشاهان : ٢٣٧ ، ٢٤٧ ، ٢٢٢	٣٣ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ١٣٦ ، ٢٣١	العراقين : ٤٦ ، ٢٠
	الكنبة : ٣٩٠	٣٩١ ، ٢٤٥	غ
	كلكتة : ٦ ، ٥ ، ٣		غازان : ٤
	كيروف آباد : ٨٤		غزنة : ١٩
ك	كنجه : ١ ، ٦ ، ٩ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٧٥		ف
	٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠		فارس : ٤٢٥ ، ٢١
	٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٥		فيينا : ٧
	١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٦		ق
	١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢١٥		القاهرة : ١٣
ل	لندن : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٤٨ ، ٢٣٠		قبرص : ١٣٦
	لنكرهشت : ٤١٦		قزوين : ٥٤ ، ٢٤
	ليزنج : ٣		قصر شيرين : ٢٣٧
	لين : ٦		قم : ٦٠ ، ٧٥
م	محلة الكرخ : ٦٥		قندهار : ٤١٦
	المدائن : ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦		قهبستان : ٧٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣
	٢٦٤		قونية : ٢٦ ، ٢٧
	مراغة : ١٧ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠		
	٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٨		
	٣٢٤		

ن	مرو : ۲۰ ، ۱۰ ، ۲۰
نیشاپور : ۲۰ ، ۶۴	مصر : ۶۰ ، ۱۳۶ ، ۳۲۹ ، ۴۱۰ ،
ا	۴۲۳ ، ۴۲۹
هرک : (قلعة) ۸۰	القرب : ۳۳۲
همدان : ۱۹ ، ۲۱ ، ۲۳ ، ۳۴ ، ۶۶	مقدونية : ۳۸۰
الهند : ۶۱ ، ۲۷۱ ، ۳۳۲ ، ۳۳۸ ،	مكة : ۶۴
۳۴۱ ، ۳۸۰ ، ۳۹۴ ، ۴۱۶ ،	الموصل : ۲۰ ، ۵۰ ، ۹۴ ، ۱۳۴ ،
۴۲۸ ، ۴۳۹ ، ۴۳۸	۱۳۵ ، ۱۳۷ ، ۳۷۵ ، ۴۲۴
العين : ۱۷۹	موقان : ۲۴۰ ، ۲۴۸ ، ۲۵۱
	ميمون دثر : (قلعة) ۵۶

جدول الصور

- ١ — خريطة الشرق الأوسط في عصر نظام بين ص ١٨ و ١٩
 - ٢ — صورة نظام نقلا عن أصلها المحفوظ في مكتبة لينينجراد بين ص ٩٦ و ٩٧
 - ٣ — صورة الصفحة الأولى من إحدى نسخ ديوان نظام الخطيتين الموجودتين في مكتبة بودلين بأ كسفورد بين ص ٤٣٤ و ٤٣٥
 - ٤ — صورة الصفحة الأولى من نسخة ديوان نظام الخطية الموجودة في برلين بين ص ٤٣٦ و ٤٣٧
-

تصويب

وقعت بعض أخطاء مطبعية من السهل ملاحظتها ، غير أننا نشير إلى أهمها ونرجو أن ترد إلى أماكتها :

المقابلة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٤	تمهيد	تمهيد
٦	٢٣	١٤٨	٤٨٢
١	١٢	تبدأ	يبدأ
٥	٢ من الحاشية	uud	und
٦	٢٠	١٩٣٤ م	١٩٣٣ م
٩	» » ٥	fitst	first
١٠	» » ١	Bulletin	Bulletin
٧٧	» » ٧	آواز فضل ازاد	آوازه فضل ازاد
٧٨	» » ٨	السلجوق	السلجوقية
٧٨	» » ١١	سيائي	سيائي
٨١	» » ٨	عندم	عندها
٩٤	» » ٥	محفظ	محفظ
١٠٣	» » ٦	سپهالار	سپهالار
١١٠	» » ١١	نظامي	نظامي
١١٣	٨	الزردشتيون	الزردشتيون
١١٦	١٥	تهالس	واليس
١٢٣	٦	إنه	أنه
١٥٥	٩ من الحاشية	Perian	Persian
١٧٣	» » ٥	ديني	ديني
١٧٤	١	السادسة	السادسة
١٧٤	٦	العقل العقل	العقل
١٧٧	٨	لتنزه	لتنزه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٩	١٤	الحمل	النمل
١٨٦	٦ من الحاشية	بأيان	بأيان
١٨٩	٦	وهره	دهره
١٩٢	٣ من الحاشية	عسيبت	عيسب
٢٠٠	٢ » »	أقمن	أقنى
٢٠٨	٣	(٣)	(١)
٢٠٨	٩	(٤)	(٢)
٢٠٨	١٣	(٥)	(٣)
٢٠٨	١ من الحاشية	(٢)	(١)
٢٠٨	٣ » »	(٤)	(٢)
٢٠٨	٥ » »	(٥)	(٣)
٢١٠	٢	وضع	موضع
٢١٢	٧	وييدوا	وييدو
٢١٢	١ من الحاشية	نقى	نقى
٢١٤	١٢ » »	عظ	نمط
٢٢٢	٥ » »	أذب	أدب
٢٢٤	٤	بغاني	بغاني
٢٤٥	٤ من الحاشية	المرجع	المرجع
٢٤٥	٦ » »	جشمه	جشمه
٢٦٠	٤ » »	كرابند	كرابند
٢٦٢	٥ » »	سپدم	سپدم
٢٦٤	٤	وشيرين	شيرين
٢٦٦	١ من الحاشية	كان	كان
٢٦٨	٢ » »	جراحت	جراحت
٣٠٠	٤	ضعيف	ضعيف
٣٠٦	٧ من الحاشية	بو	بوظا
٣٠٨	١ » »	تميش كنغه	تميش في كنغه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٨	١٢ من الحاشية	حاتقزای	جانقزای
٣٢٩	١٢	فسیصر	فیصر
٣٣٣	٤	أبو بهرام	أبو بهرام
٣٣٤	٢ من الحاشية	کناه گذشته	کناه گذشته
٣٣٧	٤ » »	أردهای	أردهای
٣٥٧	٤ » »	کنبد	کنبد
٣٦٤	٩	منظومة	منظومة
٣٦٥	١٣	آراءه	آرائه
٣٧٩	٩	نییا	نییا
٣٨٧	١٢	فضلك	بفضلك
٣٩٦	٨	الاستندر	الإسکندر
٣٩٩	١٢	وقالوا	قالوا
٤٠٢	٣	فذهت	فذهب
٤١٠	٣ من الحاشية	نختین	نخستین
٤١٠	٧ » »	پسجد	پیچید
٤١٤	٦ » »	یایم	یایم
٤١٧	٣	البقي	الباقی
٤١٧	١٠	فتزلا	فتزلا
٤١٩	١ من الحاشية	زبن	زین
٤٢٢	٧	أه	أنه
٤٢٢	٥ من الحاشية	جو	چو
٤٢٤	٨	مونه	موته
٤٢٥	١٧	لاستندر	الاسکندر
٤٢٩	٨	حیه	حیا
٤٢٩	٩	وإقرار	وإقرار
٤٢٩	١٨	لنظامی	نظامی
٢٣٠	٨	أرجج	أرجح

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٣٥	٢ من الحاشية	أثناء في	في أثناء
٤٣١	٤	يرجح	يرجع
٤٣٢	١	وترتيب	وترتيب
٤٣٢	٤	وأنطق	وأنطق
٤٣٩	٩	رييكا	رييكا
٤٥٠	٢	مُلْك	مُلْك
٤٦٠	٨	لونا	لونا
٤٦٠	١٧	معبراً	معبراً
٤٦٢	١ من الحاشية	كرجه	كرجه
٤٧٠	٦	في قوله فقال	في قوله
٤٨٣	١	المرجع	المراجع
٤٨٣	١٠	٥٣٥٠	٥٧٥٠

كتب وأبحاث علمية للمؤلف

صدر منها :

١ — معالم تاريخ مصر الحديث (بالاشتراك مع الدكتور حسن محمود) وهو مؤلف بالإنجليزية ، ويصور معالم تاريخ مصر الحديث تصويراً واضحاً ، فيشرح العوامل التي وجهت هذا التاريخ ، وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٤٩ .

٢ — فن المتنوى ، وهو بحث علمي موجز كتب بالفارسية ، يتناول فن « المتنوى » أو « المزودج » في الشعر الفارسي ، مع الإشارة إلى أشهر المتنويات حسب ترتيبها الزمني ، وهو منشور في مجلة دانش التي صدرت في طهران في يناير من عام ١٩٥١ .

٣ — آموزگار فارسی (بالاشتراك مع الأستاذين صادق نشتآب وفؤاد الصياد) وهو مؤلف بالفارسية ؛ ويقع في ثلاثة أجزاء تهدف إلى دراسة الفارسية المعاصرة ، مع عرض للأدب الفارسي في عصوره المختلفة ، وقد صدر الجزء الأول منها في عام ١٩٥٢ م ، وصدر الجزءان الثاني والثالث في عام ١٩٥٣ .

٤ — كلبه ودمنه در زبان فارسی وعربی ، وهو بحث علمي مكتوب بالفارسية يكشف عن حقيقة كتاب « كلبه ودمنه » ويصور خط سيره في اللغتين الفارسية والعربية ، وهو منشور في مجلة وزارة المعارف الإيرانية العلمية السبأ « آموزش و پرورش » في أغسطس من عام ١٩٥٣ .

٥ — نظامی الکنجوی شاعر الفضيلة ، وهو أشمل بحث ، وأوسع دراسة لهذا الشاعر الإيراني العظيم الذي يعد بحق إمام « فن المتنوى » وأستاذ الفن القصصي المنظوم بالفارسية ، وهو يشمل دراسة أحواله ، وعصره ، وبيئته ، وشعره ، وتصور واضح لكل قصة من قصصه ، ويحتوي على بضعة آلاف بيت من الشعر الفارسي في مقابل ترجمتها العربية مع دراسات مقارنة . وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٥٤ .

ويصدر قريباً :

- ٦ - دراسات في النثر الفارسي وتطوره ، وهو دراسات شاملة - باللغة العربية - للنثر الفارسي بعد الإسلام ، وتصوير فنونه المختلفة ، ومقارنته بالنثر العربي .
- ٧ - تاريخ الدولة السلجوقية حتى سقوط بغداد ، وهو أشمل دراسة لتاريخ هذه الدولة التي لعبت دوراً مهماً على مسرح التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ إيران بصفة خاصة ، وهو مؤلف بالعربية .
- ٨ - مخزن الأسرار ، وهو عبارة عن أول ترجمة عربية لأولى منظومات الشاعر الإيراني نظامي الكنجوي ، مع دراسة مقارنة ، ونشر النص الفارسي .
- ٩ - قصة ليلى والمجنون ، وهو أول ترجمة عربية لمنظومة « ليلى ومجنون » لنظامي الكنجوي ، مع دراسة مقارنة ، ونشر النص الفارسي .
- ١٠ - جمال الدين الإيراني المشهور بالأفغانى (بالاشتراك مع الأستاذ صادق نشأت) وهو دراسة وافية بالعربية تحقق أصل هذا المصالح الكبير ، وتشرح مبادئ دعوته الإصلاحية .

ويطلب المنشور من هذه الكتب والأبحاث من
مكتبة الحانجي ، ومكتبة النهضة بالقاهرة ، والمكتبات الشهيرة بالشرق والغرب

يطلب الكتاب من مكاتب
السفينة دار الكتاب بالدار البيضاء
دار الميمنة لمصرية برس والهيئة السودانية بالخرطوم
المكتب التجاري (زهير بعلبي) ببيروت
ومكتبة النجاح بتونس ومكتبة الثقافة
بجدة في الحجاز

Bibliotheca Alexandrina



0425002